

بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة اليرموك

كلية الشريعة

قسم أصول الدين

برنامج دكتوراة الحديث الشريف وعلومه

أطروحة دكتوراة بعنوان

الأحاديث الواردة في الأمرأة في عهد النبي ﷺ

(دراسة موضوعية)

إعداد

محمد علي أحمد الأعرس

العياصرة

إشراف

فضيلة الأستاذ الدكتور

أمين محمد القضاة

١٣ جمادى الأولى ١٤٣١هـ

٢٩/٤/٢٠١٠م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

© Arabic Digital Library of Mansoura University

الإهداء

إلى من علمني أن الأعمال الكبيرة لا تتم إلا بالصبر والعزيمة والإصرار إلى
والذي أطال الله بقاءه وأبسه ثوب الصحة والعافية.

إلى والدتي . . . الشمس التي بثت من ضيائها الدفء والحنان، وأسكنتني
خفقات قلبها، حبا وطاعة وبراً

إلى من غمروني على مدى الأيام بلطفهم وجهودهم وتقديرهم

إخواني وأخواتي وأمزواجهم.

إلى بيت عمي "أبوغيث" . . حبا واحتراما

إلى الصابرة مرفيقة درربي نزوجتي (أم بشار)

وإليكم يا أمل المستقبل أبنائي بشار وأبرار وهبة

أهدي هذا العمل

الأحاديث الواردة في الأمراء في عهد النبي ﷺ

(دراسة موضوعية)

إعداد


محمد علي أحمد الأعرم

ماجستير الحديث الشريف وعلومه، الجامعة الأردنية ٢٠٠٢م

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الدكتوراه في تخصص الحديث

الشريف وعلومه في جامعة اليرموك، إربد، الأردن.

وافق عليها

أمين محمد القضاة.......... مشرفاً ورئيساً

أستاذ في الحديث الشريف وعلومه، الجامعة الأردنية.

محمود نادي عبيدات.......... عضواً

أستاذ مشارك في الحديث الشريف وعلومه، الجامعة العالمية الإسلامية.

عبد الله مرحول السوالمة.......... عضواً

أستاذ في الحديث الشريف وعلومه، جامعة اليرموك

محمد عبد الرحمن طوالبه.......... عضواً

أستاذ مشارك في الحديث الشريف وعلومه، جامعة اليرموك

فخري خليل أبو صفية.......... عضواً

أستاذ مشارك في السياسة الشرعية، جامعة اليرموك.

١٣ جمادى الأولى ١٤٣١هـ

٢٩/٤/٢٠١٠م

شكر وتقدير

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات والصلاة والسلام على سيد الخلق، أما بعد:

فأشكر الله تعالى الذي وفقني لكتابة هذه الرسالة، وأتقدم بجزيل الشكر والعرفان إلى فضيلة الأستاذ الدكتور أمين القضاة حفظه الله تعالى وأطال في عمره، المشرف على هذه الرسالة، فقد حبايني من وقته وعلمه الشيء الكثير ولم يبخل علي بالرأي والمشورة والتوجيهات، وكان له الفضل في اختيار هذا الموضوع، فجزاه الله خيرا.

كما أتقدم بجزيل الشكر وعظيم العرفان إلى السادة أعضاء لجنة المناقشة المتمثلة في فضيلة الأستاذ الدكتور عبد الله السوالمه، وفضيلة الدكتور فخري أبو صافية وفضيلة الدكتور محمود نادي عبيدات، وفضيلة الدكتور محمد الطرابلسية، الذين لن يبخلوا في تقديم النصح والإرشاد والمشورة من أجل تصويب ما في هذه الرسالة من أخطاء وقعت من الباحث عن غير قصد، وما ذلك إلا لتصور البشر عن بلوغ مرتبة الكمال الذي أبى الله تعالى أن يكون إلا لكتابه العزيز، فلسادتي العلماء خالص الدعاء بأن يثيبهم الله تعالى أحسن الجزاء .

ولا يفوتني في هذا المقام أن أتوجه بالشكر والعرفان إلى بقية الأساتذة الكرام وأخص بالذكر فضيلة الدكتور عبد الرزاق أبو البصل والدكتور محمد زهير الدقاسمة.

ومن القلب.. أقدم شكري الخاص إلى رفاق الدرب عبد الله عياصرة "أبو العدنان"، والدكتور حسين فريحات والدكتور وليد عياصرة والدكتور رامي عياصرة، والدكتور عبد المجيد عياصرة، والأستاذ محمد ظاهر بني أحمد، وسامر بني عمر، والأستاذ وائل القادري وإلى كل من مدّ لي يد العون والمساعدة وأسهم في إتمام هذا العمل ، وقدم لي نصيحة أو معونة ولو بدعاء صالح. راجيا من الله التوفيق والسداد.

الملخص

تناولت هذه الدراسة موضوع الأمراء في عهد النبي ﷺ ، وذلك من خلال استقراء الأحاديث النبوية الشريفة وجمعها من مظانها، وتصنيفها تصنيفاً موضوعياً من أجل الوصول إلى المنهج النبوي في اختيار الأمراء، وبيان حقوقهم وواجباتهم، ومن ثم تطبيقه على الواقع، فيتم اختيار العمال والموظفين وفق أسس ومعايير مدروسة بعيداً عن المحسوبية وغيرها، فالأمة بحاجة إلى إصلاح إداري وسياسي واجتماعي واقتصادي، ولا يكون هذا إلا بوضع الرجل المناسب في المكان المناسب، ومراعاة مصلحة الجماعة في اختيار أميرها، فجاءت هذه الرسالة لتظهر الجانب المشرق في هذا المجال من خلال الأحاديث النبوية ووقائع السيرة.

قام الباحث بجمع الأحاديث النبوية الشريفة، ووقائع السيرة المشرفة من المصادر المختلفة وتحليلها ووضعها في مظانها تحت مفردات الموضوع، فجاءت هذه الرسالة تبعاً لذلك في أربعة فصول وخاتمة، كما تم وضع بعض الفهارس والملحقات في آخر الرسالة. أما الفصل الأول: فهو فصل تمهيدي بينت فيه مفهوم الأمير، وأهمية الإمارة وضرورتها للجماعة المسلمة وبينت منهج النبي ﷺ " في التحذير من طلب الإمارة إلا لمن وجد في نفسه القدرة على ذلك ثم بينت كيف نشأت الإمارة في عهد النبي ﷺ ".

الفصل الثاني: وهو بعنوان أنواع الإمارة في عهد النبي ﷺ "، وقد بينت فيه أن الإمارة تتنوع بحسب الباعث على التأمير، وأنها تقسم بناء على ذلك إلى الإمارة على السرايا والجيوش، والإمارة على البلدان والقبائل التي دخلت في الإسلام، والإمارة على المدينة باعتبارها مركز الدولة الإسلامية، والإمارة على الحج.

الفصل الثالث: وهو بعنوان الأحاديث الواردة في تعيين الأمراء وانتهاء ولايتهم، وقد تحدثت فيه عن المنهج النبوي في تعيين الأمراء، وبينت الأسس والمعايير والأساليب التي اعتمدها النبي ﷺ " في اختيارهم، وكيف كانت تنتهي ولايتهم.

الفصل الرابع: وهو بعنوان الأحاديث الواردة في حقوق الأمير وواجباته، بينت فيه أن النبي ﷺ أعطى الأمراء حقوقاً كثيرة، وأنه مقابل ذلك أمرهم بالقيام بمجموعة من الواجبات.

أما الخاتمة فقد ذكرت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها

المقدمة:

إن الحمد لله، نحمده سبحانه وتعالى ونستعينه، ونستهديه، ونستغفره ونتوب إليه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا تجد له وليا مرشدا.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون، وأصلي وأسلم على السراج المنير. خير من حكم فعدل، فأقام دولة كانت أساس كل خير، ووكل عليها أفضل رجالها، وذنم من يختار عكس ذلك ووصفه بالخيانة لله وللرسول وجماعة المسلمين؛ فقال ﷺ: "من استعمل رجلا من عصابة وفي تلك العصابة من هو أرضى الله منه فقد خان الله وخان رسوله وخان المؤمنين"^(١).

وبعد:

فقد بعث الله عز وجل المصطفى ﷺ رحمة للعالمين، وكلفه برسالة سامية متكاملة، صالحة لكل زمان ومكان، لا تنفك فيها الناحية الروحية عن الناحية الدنيوية، فعمل على إصلاح الروح بنشر عقيدة التوحيد، وتطهير القلوب من الشرك والضلال، وعمل على إصلاح الأحوال بإرساء قواعد الأمن والنظام، فلم يقف عند حدود النواحي الروحية، ويترك المجتمع في تنظيمه وربط علاقاته إلى قوانين البشر وأنظمتها، بل عمل على إصلاح الناحيتين معا، وساس الأمة بتعاليم الإسلام وأنظمتها السامية فحقق للإنسان الطمأنينة والراحة والسعادة في حياته الفردية والاجتماعية.

فعندما وصل النبي ﷺ إلى المدينة المنورة، حقق نجاحا باهرا، فجمع شمل القبائل العربية تحت شعار أمة واحدة تحتكم إلى هدي الإسلام وأحكامه، بعد أن كانت في فوضى وشتات، فتمكن ﷺ من إرساء قواعد الدولة في عصره على أكمل وجه، واتخذ كافة السبل والوسائل التي تكفل تحقيق عزة الأمة ووحدة الجماعة، وحفظ الأمن والنظام فيها، وكان من أهم وسائل عزة الأمة ووحدة الجماعة اختيار الأمراء والقادة الأكفاء؛ ليساعدوه في تحقيق أهداف الدولة الإسلامية ووحدها.

١- الحاكم، محمد بن عبدالله النيسابوري: المستدرک علی الصحیحین، دار الکتب العلمیة، بیروت، ط ١، ١٤١١ - ١٩٩٠، تحقیق: مصطفی عبد القادر عطاء، کتاب الأحکام، وقال هذا حدیث صحیح الإسناد ولم یخرجاه، ولم یعرض له الذهبي، (٧٠٢٣). الطبرانی، سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم: المعجم الكبير، بلفظ مختلف، مكتبة العلوم والحكم، الموصل، ط ٢، ١٤٠٤ - ١٩٨٣، تحقیق: حمدي بن عبدالمجيد السلفي، (١١٤/١١) رقم (١١٢١٦).

وقد كان النبي ﷺ يحرص على اختيار الرجل المناسب للمكان المناسب، والعمل المناسب في جميع مجالات الحياة المختلفة المدنية منها والعسكرية، فكان المثل الأعلى والنموذج الفذ في أسلوب اختيار أمرائه، فقد حرص على توخي الكمال في المسؤول المختار؛ لفائدة المسلمين في حاضرهم ومستقبلهم، حيث كان يختارهم ووفق أسس ومعايير مدروسة تحول دون وضع السلطة بيد من هو ليس أهلا لها، وهذا درس ينبغي أن نتعلمه حكاما ومحكومين، إذا أردنا أن ننتصر وننتقم.

فإذا ما تركت عملية الاختيار للأهواء والمؤثرات الأخرى التي لا يقرها الإسلام، تسرب إلى رحاب الدولة غير الأتقاء الذين لا يقدرون خطورة الرسالة، وتقل الأمانة، وتبعات المسؤولية، وليس شيء أضر بالجماعة من أن يقوم عليها من لا يقدر شأنها، ولا يعرف مصلحتها.

فقد حظي أمر الجماعة باهتمام النبي ﷺ، وحث على تنصيب أمير على كل جماعة صغرت أو كبرت؛ ليقوم بقيادتها وتوجيهها، فالجماعة بلا أمير لا يمكن لها أن تحقق أي هدف من أهدافها، وسيدب بين صفوفها الفرقة والاختلاف؛ لهذا تنوعت الإمارة في عهد النبي ﷺ بحسب الغرض منها والباعث عليها، فكان من المناسب أن تفرد دراسة لأمراء النبي ﷺ حيث نستقي من هديه عليه الصلاة والسلام الأسس والمعايير في اختيار الأمراء والقادة، وأساليب تعيينهم وبيان حقوقهم وواجباتهم وصفاتهم، التي نستطيع من خلالها إيجاد نظام إداري نراعي فيه الأسس الصحيحة في اختيار المسؤولين في الدوائر الحكومية ووفق مقاييس شرعية.

أهمية الموضوع:

١. وضع يد الباحثين على دراسة حديثة موضوعية متكاملة متناسقة حول موضوع الإمارة في عهد النبي ﷺ .

٢. توضيح عناية الأحاديث النبوية الشريفة بموضوع الإمارة من حيث بيان المنهج النبوي في أسس تعيين الأمراء واختيارهم وعناية السنة النبوية في إقرار حقوق الأمراء وواجباتهم.

٣. بيان أن الإسلام قد اشتمل على نظام سياسي إداري منظم يستفاد منه في واقعنا المعاصر، وذلك من خلال المنهج الذي وضعه النبي ﷺ في اختيار الأمراء، وبيان حقوقهم وواجباتهم.

٤. بيان شمولية السنة النبوية لجميع جوانب الحياة، بما فيها الجانب السياسي والإداري والعسكري.

مشكلة الدراسة :

يظن بعض الناس أن الإسلام لا يشتمل على نظام إداري سياسي متكامل يصلح لقيادة البشرية، وأن الدولة الإسلامية لم تكتمل مقوماتها إلا في عهد الخلفاء الراشدين ... والواقع غير ذلك، فإن من يطالع سنة المصطفى ﷺ يجد أنه أثبت القدرة على إدارة شؤون المسلمين على أكمل وجه، ووضع دستوراً يصلح لقيادة البشرية حتى قيام الساعة، واتخذ كافة السبل والوسائل التي كان لها الدور البارز في بناء الدولة الإسلامية، ومن ذلك اتخاذه للولاية والأمراء. ويمكن القول أن مشكلة الدراسة تتمثل في الإجابة على الأسئلة التالية:

- ١- هل اختار النبي ﷺ أمراءه بناء على أسس ومعايير محددة؟، ٢- وما تلك الأسس والمعايير التي اعتمدها النبي ﷺ في هذا المجال؟ ٣- وهل كانت مهمتهم محددة بناء على تعليمات خاصة أم كانت مطلقة؟ ٤- وما حقوق الأمير وواجباته التي أقرتها السنة النبوية؟
 - ٥- وهل أسهم هذا النوع من الإدارة في تنظيم أمور الدولة الإسلامية في عصر النبي ﷺ؟
- فناسب أفراد هذا الموضوع بدراسة؛ للإفادة من المنهج النبوي في اختيار المسؤولين والموظفين في عصرنا الحاضر.

حدود الدراسة:

تناولت هذه الدراسة موضوع الأمراء في عهد النبي ﷺ ومسئولياتهم وقد اقتصرنا على ما وقع في عصر الرسالة ولم نتطرق لما حدث بعد ذلك إلا إذا لزم الأمر، وذلك من خلال كتب الحديث الشريف، وكتب المغازي والسير، والكتب التي ترجمت للصحابة، وبعض كتب التاريخ الأخرى، ويستثنى من ذلك الأحاديث المتعلقة بالإمامة العظمى "الخلافة" إلا بمقدار ما يخص الموضوع، ولن ألتزم بذكر جميع الأحاديث الواردة في الموضوع، وإنما أذكر القدر الكافي للاستدلال على ما أقول.

أهداف الدراسة

- جمع الأحاديث النبوية الشريفة المتعلقة بأنواع الإمارة في عهد النبي ﷺ ودراستها.
- بيان الأسس والمعايير التي اعتمدها النبي ﷺ في اختيار الأمراء.
- بيان المنهج النبوي في تعيين الأمراء وانتهاء ولايتهم.
- إبراز دور السنة النبوية في إقرار حقوق الأمراء وواجباتهم، وأثر ذلك في بناء المجتمع بناء سليماً.

الدراسات السابقة:

لا شك في أن هذا الموضوع من الأهمية بمكان، فكان من الطبيعي أن يتناوله الباحثون في كتاباتهم ومما كتب في هذا المجال:

١- السرايا والبعوث النبوية حول المدينة ومكة: بريك محمد بريك العمري، وهي رسالة ماجستير مطبوعة ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م، دار ابن حزم، وأشرف عليها الأستاذ الدكتور أكرم ضياء العمري .

تحدث فيها الباحث عن السرايا والبعوث التي بعثها النبي ﷺ حول المدينة ومكة، وقسمها إلى أنواع متعددة وذلك حسب الهدف من السرية، فمنها الاعتراضية والتعقيبية والتعليمية والدعوية وسرايا المغاوير وغيرها، وقد درسها الباحث دراسة نقدية تحليلية ثم أتبعها بما احتوت عليه هذه السرايا من قضايا واستنباطات فقهية وغير ذلك، ولم يركز

الباحث على أمراء السرايا؛ لأنه خارج عن موضوع دراسته، وهذا ما سوف أتناوله من خلال الأحاديث الواردة في تعيين الأمراء، وقد أفدت منه كثيرا في الحكم على الأحاديث، وفي موضوع السرايا.

٢- الأحاديث الواردة في حقوق الأمير وواجباته: للباحث بدر فوزي حسن عبد الله، وهي رسالة ماجستير في الجامعة الأردنية ٢٠٠٤م، وأشرف عليها الأستاذ الدكتور شرف القضاة.

تحدث فيها الباحث عن الإمارة العامة "الخلافة"، وتناول فيها موضوع تنصيب الخليفة "الأمير"، وبين في هذه الدراسة حقوق الأمير العام "خليفة المسلمين"، وواجباته ولم يتطرق للأحاديث الواردة في الأمراء في عهد النبي ﷺ، وقد ذكرت هذه الدراسة ضمن الدراسات السابقة؛ لما لها من الأهمية في جانب حقوق الأمير وواجباته، ولما وقع بينها وبين رسالتي من تشابه بالعنوان.

٣- "القيادة العسكرية في عهد الرسول ﷺ": للدكتور عبد الله محمد الرشيد. كتاب مطبوع، شركة الرياض للنشر والتوزيع، ١٩٩٧م، تناول فيه المؤلف الجانب القيادي العسكري من خلال شخصية النبي ﷺ حيث تناول الصفات القيادية التي تحلى بها النبي ﷺ في أثناء قيادته للغزوات، وأشار إلى بعض النماذج القيادية من قادة النبي ﷺ العسكريين، وقد أشار الباحث في بداية الكتاب إلى أنه سيركز على الجانب الحربي من سيرة النبي ﷺ، ولم يتعرض لموضوع الأمراء الذين أمرهم النبي ﷺ بل كان جل تركيزه على ذكر نماذج من السرايا الحربية التي كان يبعثها النبي ﷺ لأداء مهمات عسكرية محددة.

٤- قادة النبي ﷺ، لمؤلفه اللواء الركن محمود شيت خطاب، وهو كتاب عرف فيه المؤلف بعدد من القادة العسكريين وذكر صفاتهم التي كانوا يتمتعون بها، وبين فيه سماتهم القيادية، وكان الهدف من الكتاب كما ذكر المؤلف التعريف بالعسكرية العربية والإسلامية، وبيان مدى تطبيقها لمبادئ الحرب الحديثة، وهي دراسة تاريخية وليست دراسة حديثة حيث اعتمد فيها المؤلف غالبا على كتب التاريخ والتراجم، وقد أفدت من هذا الكتاب في كثير من الموضوعات التي تخدم الرسالة، وعلى الرغم من أهمية هذه الدراسة إلا أنها لم تتناول هذا الموضوع بشكل يغني عن النظر فيه.

ومما تتميز به هذه الدراسة عن الدراسات السابقة أنني سأتناول بها الأحاديث الواردة في أنواع الإمارة في زمن النبي ﷺ ، وأوضح المنهج النبوي في أسس اختيار الأمراء وأساليب تعيينهم وانتهاء ولايتهم، وأبين حقوقهم وواجباتهم وغيرها من العناوين المتصلة بهذا الموضوع والتي لم تتطرق إليه الدراسات السابقة في حدود إطلاعي علماً بأنني قد اجتهدت ما وسعني الجهد من خلال قراءتي المسحية واستقرائي لكل ما له علاقة بموضوع الأمراء، ولذا فإني أجد فسحة في إضافة شيء جديد يخدمنا في واقعنا المعاصر، والله ولي التوفيق.

منهج الدراسة:

تعتمد هذه الدراسة على التتبع والاستقراء، والبحث والنظر والتحليل لواقع الفكر السياسي والإداري والعسكري في عهد النبي ﷺ ، أي حين كان النبي ﷺ المسؤول الأول عن بناء وتنظيم دولة الإسلام، بدءاً من المدينة المنورة إلى أن امتدت دولة الإسلام خارج الجزيرة العربية حتى وصل الحال بالمسلمين إلى أهلية المنازلة للقوى العظمى ممثلة ببلاد الفرس والروم.

وقد حرصت على حشد أكبر قدر من النصوص من كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ من كتب الحديث النبوي الشريف، والسيرة النبوية والتاريخ والتراجم وغيرها مما يعد المصدر الأساسي في تغطية جوانب هذه الدراسة قديمها وحديثها.

وقد أزمى ذلك تخريج الأحاديث النبوية الشريفة من مظانها، وفق الأسلوب المتبع في مثل هذه الدراسات، وقد اقتضت طبيعة هذه الدراسة اعتماد الروايات الصحيحة وتقديمها، ثم الحسنة ثم ما يعتضد من الضعيف لبناء الصورة التاريخية لأحداث المجتمع الإسلامي في عصر صدر الإسلام، والأخذ بقدر لا بأس به من المرونة في التعامل مع الروايات التاريخية إن لم يتيسر الوقوف على ما يغطي الحاجة من الروايات الصحيحة والحسنة، على ألا تتعلق بجانب عقدي أو شرعي، وفق شروط أهل الحديث^(١)؛ وذلك لصعوبة الرواية التاريخية بالسند، ولأن العلماء لم يلزموا كتاب السيرة بشروط أهل الحديث الصحيح، ومع أن تضافر الروايات قد لا يصحح الرواية، لكنه يجعل لها أصلاً يمكن الاعتماد عليه في حالات كثيرة، وهذه الرواية للحديث الضعيف فيما دون المسائل العقدية والأحكام الفقهية الشرعية التي تساهل بها العلماء بالشروط المعلومة، "فينبغي ملاحظة منهج المحدثين عند التعامل مع الرواية التاريخية،

١ - انظر: العمري، أكرم ضياء، المجتمع المدني في عهد النبوة، خصائصه وتنظيماته الأولى، منشورات الجامعة الإسلامية، ط ١٤٠٣ هـ (٢٤-٢٥)، العمري، أكرم ضياء السيرة النبوية الصحيحة، (٤٠/١)، العمري، محمد فاسم، دراسات في منهج النقد عند المحدثين، ط ١، دار الفاتر، ص ٢٠٠٠، (٥٢-٦٢).

فهم يتساهلون في رواية الأخبار التاريخية، كما نلاحظ عند ثقات المؤرخين مثل محمد بن إسحاق، وخليفة بن خياط، والطبري، حيث يكتفون من الأخبار المرسلة والمنقطعة^(١). إن الاعتماد على ضعيف السيرة خير من الاجتهاد مع الوقوع في الأخطاء، وعذري في ذلك قول القائل: "الأخذ بالضعيف خير من الرأي والقياس، والأخذ بقول أحد العلماء أو المذاهب خير من الرأي الخاص وربما القياس، فرأي أحد أئمة كتاب السيرة النبوية الشريفة أحب إلي من رأيي، إلا إذا كان رأيا شاذًا ومخالفاً لنصوص الشريعة الصحيحة"^(٢).

ومن أجل الوصول إلى النتائج المرجوة، فقد اتبعت في بحثي المنهجين الآتيين:

- ١- المنهج الاستقرائي: ومن خلاله قمت باستقراء كتب الحديث الشريف والسيرة النبوية الشريفة واستخرجت منها النصوص الواردة في الأمراء في عهد النبي ﷺ وصنفت الأحاديث الواردة في هذا المجال وقسمتها حسب الموضوعات.
- ٢- المنهج التحليلي: واستخدمته في تحليل موضوعات الخطة وربطها بالأحاديث والآثار ذات العلاقة مع تحليل هذه الأحاديث والآثار وفق المعطيات العلمية الحديثة، التي تتعلق بالموضوع؛ وذلك باستخراج المعاني الواردة في الأحاديث النبوية وتوجيهها وتوظيفها بما يخدم واقعنا المعاصر مستعينا بأقوال شراح الحديث.

وقد كان عملي يتمثل بالآتي:

- أ - عرفت بالأمراء والأعلام من الصحابة تعريفًا دقيقًا يشمل الاسم والكنية والنسب والوفاة وتاريخ دخولهم في الإسلام، وذكرت بعض الأمور التي تساعد في بيان سبب اختيارهم للإمارة.
- ب - راعيت في ترتيب الأمراء وتقديم بعضهم على بعض التسلسل الزمني في وقوع الأحداث.
- ج - قمت بضبط الأعلام وأسماء الأماكن التي تحتاج إلى ضبط من كتب المعاجم وذلك عند ذكرها في المرة الأولى، وعملت على تعريف شامل للمواضع والأماكن والبلدان التي وردت في البحث من خلال المعاجم البلدانية القديمة والحديثة.

١ - المرعي، المجتمع المدني في عهد النبوة (٢٥).

٢ - انظر: المدني، مسفر بن حرم الله، مرويات السيرة النبوية بين قواعد المحققين وروايات الإخباريين: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، (١٣، ١٤).

د - أوردت الأحاديث الشريفة ووقائع السيرة المطهرة من خلال السياق وذلك بوضعها في المكان المناسب خلال الكلام أثناء عرض الموضوع، وأحيانا قمت بتقطيع الخبر الواحد ليتناسب مع الكلام؛ لكوني اعتمدت كتابة الأحداث بأسلوبي الخاص بعد أن طعّمت ذلك ببعض النصوص المقتبسة، وذكرت متن الروايات دون سندها وخرجتها من مظانها.

هـ - اتبعت أسلوب الاختصار فأوردت الروايات التي تتعلق بالموضوع مختصرة من مظانها، ثم بينت بعض صفات الأمراء وأسباب اختيارهم، وأشرت إلى مكان ورود الخبر لمن أراد التفصيل.

و - أما عن منهجي في تخريج الأحاديث والروايات فإذا كانت في الصحيحين أو في أحدهما، أشير إلى تخريجها من مظانها وأبين موقعها من الصحيحين أو أحدهما، ولا أعرج إلى غيرها من كتب الحديث إلا إذا كان هناك فائدة جديدة.

أما الروايات في غير الصحيحين فقد قمت بتخريجها من كتب السنة ونقلت حكم النقاد عليها، سواء القدماء منهم أمثال: ابن حجر، وابن كثير، والذهبي، والهيثمى، وغيرهم، أو المعاصرين كالألباني، وأحمد شاكر، وشعيب الأرنؤوط، وحسين سليم أسد وغيرهم، وأفسدت من بعض الرسائل الجامعية في الحكم على بعض الروايات، ثم إن كان هناك تعقيب على أقوالهم وأحكامهم ذكرته.

- قمت بالنظر في روايات الأخبار الأخرى التي وردت في كتب المغازي المشهورة، "سيرة ابن إسحاق"، و"مغازي الواقدي"، و"طبقات ابن سعد"، وغيرها من كتب التاريخ والتراجم؛ وذلك للاستفادة منها في إكمال الصورة التاريخية للحادثة، فما كان منها مسنداً حكمت عليه. أما إذا كان الحديث من غير إسناد، فإني أنقله مع ذكر رقم الجزء والصفحة.

ح - إذا كان هناك اختلاف في الخبر ذكرته وبينت الرأي الراجح في الحاشية.

ط - قمت في نهاية الدراسة بعمل فهرس للآيات الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة، وفهرس بأسماء الأمراء، والأماكن والبلدان.

خطة الرسالة

الفصل الأول: تمهيد في دراسة الإمارة.

المبحث الأول: تعريف الأمير.

المبحث الثاني: أهمية الإمارة وضرورة وجود الأمير.

المبحث الثالث: طلب الإمارة.

المبحث الرابع: نشأة الإمارة في عهد النبي ﷺ .

الفصل الثاني: الأحاديث الواردة في أنواع الإمارة في عهد النبي ﷺ

المبحث الأول: الإمارة على سرايا والبعوث.

المبحث الثاني: الإمارة على الجيوش.

المبحث الثالث: الإمارة على البلدان والقبائل.

المبحث الرابع: الإمارة على المدينة المنورة.

المبحث الخامس: الإمارة على الحج.

الفصل الثالث: الأحاديث الواردة في تعيين الأمراء وانتهاء

ولايتهم.

المبحث الأول: أسس اختيار الأمراء.

المطلب الأول: الإسلام.

المطلب الثاني: الكفاءة.

المطلب الثالث: مراعاة صفات خاصة.

المبحث الثاني : الأحاديث الواردة في أساليب تعيين الأمراء.

المطلب الأول: الشفهي أو الكتابي.

المطلب الثاني : الاشتراط في الإمارة.

المطلب الثالث: التفويض والعهد.

المبحث الثالث: الأحاديث الواردة في طرق انتهاء ولاية الأمير.

المطلب الأول: عزل الأمير.

المطلب الثاني: استعفاء الأمير.

المطلب الثالث: الوفاة.

الفصل الرابع: الأحاديث الواردة في حقوق الأمير

وواجباته.

المبحث الأول: الأحاديث الواردة في حقوق الأمير.

المطلب الأول: حقه في الطاعة.

المطلب الثاني: بذل النصيحة له.

المطلب الثالث: حقه في النفقة.

المطلب الرابع: حقه في الإجلال والمناصرة وعدم الطعن به.

المطلب الخامس: حقه في تنصيب معاونين.

المطلب السادس: حقه في الاجتهاد.

المطلب السابع: اتخاذ القرار النهائي وإلزام الناس به.

المبحث الثاني: الأحاديث الواردة في واجبات الأمير.

المطلب الأول: طاعة النبي ﷺ وحفظ وصاياه.

المطلب الثاني: العدل بين الناس.

المطلب الثالث: رعاية الناس والرفق بهم وإسداء النصيحة لهم.

المطلب الرابع: تطبيق الشورى.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج.

الفصل الأول

تمهيد في دراسة الإمارة.

المبحث الأول: تعريف الأمير.

المبحث الثاني: أهمية الإمارة وضرورة وجود الأمير.

المبحث الثالث: طلب الإمارة.

المبحث الرابع: نشأة الإمارة في عهد النبي ﷺ.

الفصل الأول

تمهيد في دراسة الإمارة

بعث الله تعالى النبي ﷺ للبشرية معلما ومرشدا، ليخرج الناس من الظلمات إلى النور، ومن الضلال والضياغ إلى الهدى والرشاد، فأرشدهم إلى كل ما يحقق لهم الخير والصلاح في الدنيا والآخرة.

فساهم بالإسلام، وحفظ لهم الأمن والنظام، واتخذ له أعوانا يشاركونه في سياسة الأمة، وتطبيق شريعة الإسلام ونشرها، فكان يبعث السرايا والبعوث للقيام بمهمات عسكرية ودعوية، و يجعل لكل سرية أميرا، وقد اتخذ أمراء على الجيوش وعلى البلدان التي تدخل في الإسلام، وكان يؤمّر على المدينة المنورة عند خروجه أحد أصحابه، وغير ذلك من أشكال الإمارة وهذا ما سوف يظهر من خلال هذه الرسالة.

وقبل الحديث عن أنواع الإمارة رأيت أن أعرف المراد بالأمير لغة واصطلاحا، وأبين أهمية الإمارة ومدى الحاجة إليها ووجوب التحرز عن طلبها والحرص عليها، وكيف وضع النبي ﷺ عند قدومه المدينة المنورة أسس النظام السياسي التي تكفل نشر الإسلام، وصيانة نظام الإسلام ونشره، وهذا ما سوف نقف عليه من خلال المباحث الآتية:

المبحث الأول

تعريف الأمير

الأمير في اللغة:

الأمير الملك، لتفاد أمره، والجمع أمراء، وأمر كولي، وأمر الرجل يأمر إماره: إذا صار عليهم أميراً. وأمر فلان، إذا صير أميراً. وأمر فلان وأمر بالضم، أي صار أميراً. والأنثى بالهاء - أميرة - والمصدر الإمرة والإمارة، والإمرة من الولاية والتأثير: تولية الإمارة^(١).

الأمير في الاصطلاح:

يختلف الناس في تعريف الأمير، فمنهم من ينظر إليه نظرة شاملة، مما يترتب عليه أن يعرفه تعريفا عاما، ومنهم من ينظر إليه نظرة أدق، ويعرفه تعريفا محددًا خاصًا، وسنقدم جانبًا من تلك التعريفات يظهر لنا من خلالها مفهوم الأمير.

عرف الزرقاني الأمير عندما تحدث عن أمراء النبي ﷺ بقوله: "أمراؤه - عليه السلام - ولاته الذين ولاهم على البلاد والقضاء والصدقات اهـ"^(٢).

وهذا تعريف عام أدخل فيه ما ليس منه حيث تضمن عمال الصدقات وولاة القضاء.

وقال ابن خلدون: "واختص اسم الأمير بصاحب الحروب والجند وما يرجع إليها"^(٣).

وهنا خص ابن خلدون مفهوم الأمير بالقادة والمختصين في الشؤون العسكرية.

وقال القاسمي: "فقد انصرفت هذه اللفظة إلى الموظف الكبير الذي يكون مسؤولاً عن

إدارة منطقة، أو عن جزء من إدارتها..... فهي في عرف الأقدمين أقرب ما يكون، في

اصطلاح اليوم إلى الألقاب التي يمكن أن نطلقها على المحافظ أو المتصرف أو القائم مقام أو

مدير الناحية أو مدير القضاء"^(٤).

وجعل الخطيب مصطلح الأمير بمعنى القائد نفسه فقال: "وكان الرسول ﷺ يبعث أمراءه

في السرايا إلى الأقاليم؛ ليعلموا الناس الإسلام في ديارهم ويفقهوهم في دينهم. فالأمير إذن كان

^١ - انظر: ابن فارس: أحمد بن فارس بن زكريا: معجم المقاييس في اللغة، دار الفكر، ط ١، ١٩٩٤م. بلب الهمزة والمعجم (٨٨) ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري، لسان العرب، دار صادر، بيروت. مادة أمر: الفيومي، أحمد بن محمد: المصباح المنير، بتصحيح مصطفى السقا، مطبعة مصطفى البابي الحلبي (٣٠).

^٢ - الزرقاني، محمد بن عبد الباقي المالكي، شرح المواهب اللدنية للسلاطاني، دار المعرفة، بيروت (٥٣٣/٤).

^٣ - ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، مقدمة تاريخ ابن خلدون، دار الكتب العلمية ط ١، ١٩٩٣م، (١٨٧).

^٤ - ظافر القاسمي: نظم الحكم في الشريعة والتاريخ الإسلامي، بيروت، دار النفائس. ١٩٧٧م، (٥٢٦/١).

بمنزلة القائد، حيث كانت كلمة "أمير" أو لفظ أمير متداولة للاستدلال بها على من يقع عليه الاختيار لهذا الأمر الذي اجتمعوا عليه^(١).

وذكر الأعظمي أن أول لقب لقب به نواب الرسول ﷺ، وممثلوه هو لقب (أمير). ثم قال: والواقع أن هذا اللقب استعمل قبل الإسلام، ولكن استعماله كان يحمل معنى نبيويا بحتا، أما في ظل الحكم الإسلامي فأصبح يحمل المعنى الديني والنيوي معا، ويلاحظ أن الموظفين في زمن الرسول ﷺ كانوا يسمون عمالا وأمراء وولاة، ومن هنا نجد تداخلا في التسمية، فتورد في المصادر إشارات إلى أن النبي ﷺ استعمل فلانا أو أمر فلانا أو ولي فلانا... الخ^(٢).

وهذا ما أشار إليه عثمان ضميرية بأنه: "لقب إسلامي من ألقاب الوظائف التي استعملت كألقاب فخرية، ويرجع استعماله اسما لوظيفة سياسية إلى عصر النبي ﷺ حيث كان يقصد به الولاية على الحكم أو رئاسة الجيش ونحو ذلك"^(٣).

ومن خلال النظر في التعريفات السابقة نجد أن وجهات نظر العلماء قد اختلفت في بيان معنى الأمير، فمنهم من توسع في مفهوم الأمير، وأدخل فيه عمال الصدقة والقضاة وغيرهم، كما ذكر الزرقاني، وهذا إطلاق عام حيث يطلق لقب الأمير على كل موظف.

ومنهم من جعل تعريف الأمير مختصا بقائد الجند، ومنهم من جعله مختصا بإدارة المناطق.

وأرى أن أشمل هذه التعاريف هو تعريف الخطيب، حيث جعل الأمير بمنزلة القائد، وجعل لفظة أمير يستدل بها على من يقع عليه الاختيار من قبل الإمام للقيام بالمهام والواجبات المناطة به، وهذا أيضا تعريف عام.

والذي أختاره أن الأمير في عهد النبي ﷺ هو: كل من استعمله النبي ﷺ على جماعة من المسلمين، ليقوم بإعانتة في إدارة شؤون الدولة.

ويدخل في هذا أمراء السرايا والجيوش، والولاة على البلدان، وأمراء الحج، وكل من ولاه النبي ﷺ على جماعة ليقوم على أمرها.

^١ - عبد الكريم الخطيب: الخلافة والإمامة، مطابع دار الكتاب العربي - مصر القاهرة (٣٣٨).

^٢ - الكرمي، حافظ أحمد عجاج: الإدارة في عصر الرسول ﷺ، دار الرسالة، ٢٠٠٧م (٩٧).

^٣ - ضميرية، عثمان جمعة، النظام السياسي في الإسلام، الشارقة، ط ٢٠٠٧م، (١١٢).

المبحث الثاني

أهمية الإمارة وضرورة وجود الأمير

لا يستطيع الناس أن يعيشوا منعزلين عن بعضهم، بل لا بد من اختلاطهم واجتماعهم، فكان لا بد من وجود سلطة تنظم أمورهم، وتمنع الظلم بينهم وتوفر لهم الأمن والاستقرار في حياتهم، وهذا لا يكون إلا بوجود أمير ينظم أمر هذه الجماعة.

فتعاليم الإسلام لا ترتضي أن يعيش الناس في فوضى وشتات، لذلك فقد وجه النبي ﷺ الأمة إلى ضرورة وجود القيادة المختارة المطاعة حتى في الجماعة الصغيرة والعمل المحدود.

فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "إذا خرج ثلاثة في سفر فليؤمروا أحدهم"^(١).

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ قال: " لا يحلُّ لثلاثةٍ نقر يَكُونُونَ بَارِضَ فِلاَةٍ^(٢) إلا أمروا عليهم أحدهم"^(٣).

وفي هذين الحديثين أمر لأي جماعة بأن تؤمر واحدا منها عليها، والأمر إذا أطلق يفيد الوجوب، وقد نفى ﷺ الحلَّ عن ترك التأمير، ونفى الحلَّ يدل على التحريم.

وقال الشوكاني: أن في هذين الحديثين "دليلا على أنه يشرع لكل عدد بلغ ثلاثة فصاعدا أن يؤمروا عليهم أحدهم؛ لأن في ذلك السلامة من الخلاف الذي يؤدي إلى التلف، فمع عدم التأمير يستبد كل واحد برأيه، ويفعل ما يطابق هواه فيهلكون، ومع التأمير يقل الاختلاف، وتجتمع الكلمة، وإذا شرع هذا لثلاثة يكونون في فلاة من الأرض أو يسافرون، فشرعيته لعدد أكثر يسكنون القرى والأمصار ويحتاجون لدفع التظالم وفصل الخصام أولى وأحرى"^(٤).

^١ - أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، سنن أبي داود، تحقيق وعاية محمد ناصر الدين الألباني وعادل مرشد وسليم عامر، دار الإعلام، صان، ط٢٠٠٣، ١، كتاب الجهاد، باب في القوم يسافرون يؤمرون أحدهم (٢٦٠٨)، صحيح ابن خزيمة: محمد بن إسحق: كتاب المناسك، باب استحباب تأمير المسافرين أحدهم على أنفسهم، وقال الألباني: حسن صحيح. (٢٥٤١).

^٢ - الفلاة: هي الأرض المسوية التي ليس بها ماء ولا أنيس. انظر: لسان العرب (١١٣/٣)، المصباح المنير (١٣٧/٢).
^٣ - ابن حنبل، أحمد بن حنبل الشيباني (٢٤١هـ)، المسند، تحقيق شعيب الأرنؤوط، بيروت، مؤسسة الرسالة، الطبعة ١، ١٤١٣هـ، بلفظ: أن رسول الله ﷺ قال: " لا يحل أن ينكح المرأة بطلاق أخرى، ولا يحل لرجل أن يبيع على بيع صاحبه حتى يذره، ولا يحل لثلاثة نفر يكونون بارض فلاة إلا أمروا عليهم أحدهم، ولا يحل لثلاثة نفر يكونون بارض فلاة يتناجى اثنين دون صاحبيهما" وقال شعيب الأرنؤوط: صحيح لغيره إلا حديث الإمارة فحسن (١٧٦/ ٢).

^٤ - الشوكاني، محمد بن علي بن محمد، نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخبار شرح منقلى الأخبار، إدارة الطباعة المنيرية (١٢٨/٩).

فعلى الجماعة أن يتخذوا أميرا عليهم يسمعون له ويطيعونه، وعن رأيه يصدرن؛ لأن ذلك أجمع لرأيهم وأدعى لاتفاقهم وأجمع لشملهم والتأخير سنة مؤكدة لما تقرر من حصول الانتظام^(١).

ويقول ابن تيمية: يجب أن يعرف أن ولاية أمر الناس من أعظم واجبات الدين بل لا قيام للدين إلا بها، فإن بني آدم لا تتم مصلحتهم إلا بالاجتماع لحاجة بعضهم إلى بعض^(٢). لهذا بعد وجود القائد لأي جماعة أمرا ضروريا حتى ينتظم أمرها، وفي ذلك يقول ابن خلدون: " ثم إن هذا الاجتماع إذا حصل للبشر، وتم عمران العالم لهم، فلا بد من وازع يدفع بعضهم عن بعض لما في طباعهم الحيوانية من العدوان والظلم، وليست آلة السلاح التي جعلت دافعة لعدوان الحيوانات العجم عنهم كافية في دفع العدوان عنهم لأنها موجودة لجميعهم، فلا بد من شيء آخر يدفع عدوان بعضهم عن بعض، ولا يكون من غيرهم لقصور جميع الحيوانات عن مداركهم وإلهاماتهم، فيكون ذلك الوازع واحدا منهم ويكون له عليهم الغلبة والسلطان واليد القاهرة. حتى لا يصل أحد غيره بعدوان، وهذا هم معنى الملك، وقد تبين لك بهذا أنه خاصة للإنسان طبيعية ولا بد لهم منها، وقد يوجد في بعض الحيوانات العجم — على ما ذكره الحكماء — كما في النحل والجراد لما استقرىء فيها من الحكم والانتقاد والإبلاغ لرئيس من أشخاصهم متميز عنهم في خلقه وجثمانه؛ إلا أن ذلك موجود لغير الإنسان بمقتضى الفطرة والهداية لا بمقتضى الفكرة والسياسة"^(٣).

فابن خلدون يؤكد في هذا النص على أهمية اتخاذ الأمة أو الجماعة قائدا من أنفسهم تكون له الغلبة والسلطان عليهم ليحفظ لهم الأمن والنظام ويحول دون ظلم بعضهم بعضا. ويؤكد الكاساني على ضرورة اتخاذ الإمام أمراء ينوبون عنه، ويشاركونه في سياسة الأمة وتنفيذ الأحكام، دون الرجوع إليه في كل حادثة فيقول: " إن مما يندب إليه الإمام عند تسيير الجيش: أن يؤمر عليهم؛ لأن الحاجة إلى الأمير ماسة، لأنه لا بد من تنفيذ الأحكام وسياسة الرعية، ولا يقوم ذلك إلا بالأمير لتعذر الرجوع في كل حادثة إلى الإمام"^(٤). فوجود الأمير تجتمع الكلمة وتتوحد الجماعة ولا تفترق، ووجود الأمير تقوم الجماعة بالتكليف الذي كلفها الله سبحانه وتعالى به وهو حمل الأمانة.

^١ - المنلوي، محمد عبد الرؤوف، فيض القدير شرح الجامع الصغير، مصر، المكتبة التجارية الكبرى، (٣٣٣/١).

^٢ - ابن تيمية، السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية، شرح ابن العثيمين، ط١، دار ابن الهيثم، ٢٠٠٥م، (١٦٩).

^٣ - ابن خلدون، مقدمة (٣٤).

^٤ - الكاساني، علاء الدين أبو بكر بن مسعود الحنفي بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، مطبعة الإمام، القاهرة (٤٣٠٣/٩).

قال تعالى : ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ (١)

حيث تستعمل كلمة الأمانة في الاصطلاح الإسلامي على أكثر من معنى، إحدى معانيها التكليف، وقيام الإنسان بالتكليف هو حملة للأمانة، ولقد كلف الله عز وجل البشر بما يصلحهم في أمر دنياهم وأخرهم، فإذا قام الناس جميعا بالتكليف صلح بذلك أمرهم، وحسنت بذلك حياتهم (٢).

هذه الأمانة بمعناها الواسع تضيع إذا اختلت قضية الإمرة ففي الحديث الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: " بَيْنَمَا النَّبِيُّ ﷺ فِي مَجْلِسٍ يُحَدِّثُ الْقَوْمَ ، جَاءَهُ أَعْرَابِيٌّ ، فَقَالَ : مَتَى السَّاعَةُ؟ فَمَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُحَدِّثُ ، فَقَالَ بَعْضُ الْقَوْمِ : سَمِعَ مَا قَالَ : فِكْرَةَ مَا قَالَ ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ : بَلْ لَمْ يَسْمَعْ حَتَّى إِذَا قَضَى حَدِيثَهُ ، قَالَ : أَيْنَ السَّائِلُ عَنِ السَّاعَةِ ؟ قَالَ : هَأَنَّا يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَالَ : إِذَا ضَيَّعَتِ الْأَمَانَةَ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ ، قَالَ : كَيْفَ إِضَاعَتُهَا ؟ قَالَ : إِذَا وَسَدَّ الْأَمْرُ عَلَى غَيْرِ أَهْلِهِ ، فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ " (٣).

فهنا يبين النبي ﷺ أن توسيد الأمر إلى غير أهله هو الذي يسببه تضييع الأمانة، أي يضيع التكليف الإلهي، ومن المعروف أن الساعة لا تقوم إلا على شرار الخلق؛ ولذلك نجد رسول الله ﷺ قد جعل من علامات القيامة تضييع الأمانة بسبب توسيد الأمر إلى غير أهله، لأن الشرّ يكثر بذلك ويقل الخير، وبناء على هذا فإن على المسلمين جميعا أن يضعوا الأمر في نصابه، فلا يقدموا لأي نوع من أنواع الإمارة إلا من هو أهل لها.

"إن فسادا كبيرا ينشأ في هذا العالم، وتفريطا خطيرا في شأن المسلمين، وخلا واضحا يصيب جسم الجماعة، والصف الإسلامي والمجتمعات الإسلامية عندما يقدم على أي مستوى من لا يصلح للإمرة فالدائرة التي لا يوجد فيها أمير صالح ومؤهل تفسد أو سيصيبها الفساد" (٤).

"إن الإمرة لا بد منها لحياة بشرية ولا بد منها لحياة إسلامية، بل إن الاجتماع أصلا لا يقوم بلا إمرة فترتيب الاجتماع البشري، وقطع الطريق على الظالم، وإقامة العدل، والحيلولة

١ - سورة الأحزاب، الآية (٧٢).

٢ - الشوكاني، محمد بن علي، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير: مطبعة الحلبي، ط٢، ١٩٦٤م، (٨٣/٦).

٣ - البخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، تحقيق مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، اليمامة - بيروت، ط٣، ١٤٠٧ - ١٩٨٧م، كتاب العلم، باب من مثل علما وهو مشغل في حديثه فأتى الحديث ثم أجاب السائل رقم (٥٩).

٤ - سعيد حوى، فصول في الإمرة والأمير، دار صابر، بيروت، ١٩٨٨م، (١٢).

دون أن يأكل القوي الضعيف، إلى غير ذلك من أمور كثيرة، تجعل الإمرة ضرورة من ضرورات الحياة البشرية^(١).

قال تعالى: ﴿وَكَلَّامًا نَقَعُ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَفْسَدَاتِ الْأَرْضِ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾^(٢).

قال تعالى: ﴿وَكَلَّامًا نَقَعُ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَهْذَمْتَ صَوَامِعَ وَبِيْعَ وَصَلَوَاتٍ وَمَسَاجِدُ يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَكَيْتُورُنَّ اللَّهُ مَنْ يَتَصْرَفُ بِهِ اللَّهُ لِقَوِيٍّ عَزِيزٍ﴾^(٣)
فالأمير الذي يسوس الرعية بأحكام الإسلام يحول دون انتشار الفوضى والفساد وتعطيل العبادات..

"تتفيذ الأحكام، وإقامة الصلوات، وجباية الخراج، ونصب القضاة وحماية البيضة، وسد الثغور، وتجهيز الجيوش، وإنصاف المظلوم، وضبط الأهواء وقطع التنازع كل ذلك يحتاج إلى أمير... ولا يتم قصد الشارع في وضع الشريعة لصالح العباد عاجلا وأجلا إلا بالإمرة"^(٤).
"فالتأخير واجب اقتداء برسول الله ﷺ، فقد داوم على بعث السرايا، وأمر عليهم في كل مرة، ولو جاز تركه لعله مرة تعليما للجواز.
ولأنهم يحتاجون إلى اجتماع الرأي والكلمة، وإنما يحصل ذلك إذا أمر عليهم بعضهم، حتى إذا أمرهم بشيء أطاعوه في ذلك"^(٥).
وما ذلك إلا من أجل أن تتضبط تلك الجماعة، ولا يتشتت شملها ويختل أمرها.

^١ - سعيد حوى، فصول في الإمرة والأمير، (١٥).

^٢ - سورة البقرة الآية (٢٥١).

^٣ - سورة الحج الآية (٤٠).

^٤ - انظر: سعيد حوى، فصول في الإمرة والأمير (١٦).

^٥ - الشيباني، محمد بن الحسن، شرح المعير الكبير، تحقيق صلاح الدين المنجد، مطبعة الإعلانات الشرقية، ١٩٧٠م، (٦٠/١) انظر: يوسف إبراهيم الملوم، بحوث ودراسات عسكرية، دار المريخ ١٣٩٩هـ، (٤٠).

المبحث الثالث

طلب الإمارة

يعد منصب الإمارة من المناصب الحساسة التي تتطلع الأنفس للحصول عليها؛ لما لهذا المنصب من شرف وعلو منزلة لمن يشغله، ولكنه في الوقت نفسه مسؤولية عظيمة أمام الله تعالى، يجب أن لا يتطلع إليه إلا من عرف في نفسه القدرة على القيام بحقه خير قيام.

يقول سعيد حوى: "إن أدب المسلم ألا يطلب الإمارة لنفسه وألا يزاحم عليها، وألا ينازع أهلها، وإذا أعطيها وكان ضعيفا عنها فعليه ألا يقبلها إلا إذا تعين لها، فإذا تعين لها فقد وجب عليه أن يقوم بحقها، فإذا تخلف فهو مأزور، وإذا أدى الذي عليه فيها فإنه مأجور^(١)."

فمنصب الإمارة تكليف لا تشريف، ولا يتحمل التكليف إلا من أعد نفسه لذلك من علم نافع وخلق متين وتحمل كبير وتضحية صادقة، ولما كان أغلب الناس يتطلعون إلى المناصب لحظ النفس من عز وجاه ومال ويخرجون عن الهدف الحقيقي للمسؤولية، والتي تتضمن في أوجز معانيها السهر على مصالح الناس والقيام بحقوقهم وإسعادهم في معاشهم وحملهم على طاعة ربهم، ولما كان الأمر كذلك كانت حكمة الإسلام أن ينهى المسلم عن طلب الإمارة والحرص عليها^(٢).

وقد ربي النبي ﷺ أصحابه على عدم تركية النفس، وعلى التحرز والابتعاد عن طلب الإمارة؛ لما فيها من مسؤولية عظيمة أمام الله تعالى، فعن عبد الرحمن بن سمرّة قال: قال لي رسول الله ﷺ: "يا عبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ سَمْرَةَ لا تُسألَ الإمارة، فإِنَّكَ إِنْ أُعْطِيتَها عَنْ مَسْئَلَةٍ، وَكَلْتَ إِيَّها، وَإِنْ أُعْطِيتَها عَنْ غَيْرِ مَسْئَلَةٍ أُعِيتَ عَلَيْها"^(٣).

فقد نهى النبي ﷺ عبد الرحمن بن سمرّة عن طلب الإمارة وبين له أن الذي يكلف بهذا المنصب دون أن يطلبه فإن الله تعالى سيعينه على القيام بحقه؛ لأنه لم يشغله من أجل إحراز نعيم الدنيا الزائل.

يقول الإمام القرطبي: "وفهم من هذا التوجيه النبوي أن سؤال الإمارة والحرص عليها مع العلم بكثرة أفتاتها وصعوبة التخلص منها دليل على أنه يطلبها لنفسه ولأغراضه ومن كان هكذا يوشك أن تغلب عليه نفسه فيهلك وهذا معنى قوله عليه السلام: "وكل إليها" ومن أباهما لعلمه

^١ - سعيد حوى، صول في الإمرة والأمير، (٢٠).

^٢ - حمد حسن رفيط، المسؤولية الإدارية في الإسلام، الإمارات العربية المتحدة، دار ابن حزم، ط١، ١٩٩٦م، (١٠٢).

^٣ - البخاري: الجامع الصحيح، كتاب الأحكام، باب من سأل الإمارة وكل إليها (٦٧٢٨)، مسلم، مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، صحيح مسلم، والفظ له، كتاب الإمارة، باب النهي عن طلب الإمارة والحرص عليها (٤٨١٩) صحيح مسلم، كتاب الأيمان، باب نذب من حلف يمينا فرأى غيرها خيرا منها أن يأتي الذي هو خير ويكفر عن يمينه (٤٣٧٠).

بأفاتها ولخوفه من التصير في حقوقها فر منها ثم إن ابتلى بها فيرجى له التخلص منها وهو معنى قوله: " أعين عليها" (١).

وقد كان من هدي المصطفى ﷺ أن لا يوئى من يحرص على إشغال منصب الإمارة فعن أبي موسى الأشعري ؓ قال: دخلت على النبي ﷺ أنا ورجلان من بني عمي، فقال أحد الرجلين يا رسول الله أمرنا على بعض ما ولاك الله عز وجل، وقال الآخر مثل ذلك، فقال: " إنا والله لا نوئى على هذا العمل أحداً سألناه ، ولا أحداً حرصَ عليه " (٢).

فلم يوافق النبي ﷺ على تأمير الرجلين؛ لما ظهر من حرصهما على الإمارة، وبين لهم أن هذا الأمر لا يعطى لمن سألناه.

قال ابن بطال: " لما كان طلب العمالة دلالة على الحرص وجب أن يحترز من الحريص عليها. وقال القرطبي: هذا نهى وظاهره التحريم، كما قال لا تسأل الإمارة وإنما والله لا نولى على عملنا هذا أحداً يسأله ويحرص عليه فلما أعرض عنهما ولم يولهما؛ لحرصهما، ولى أبا موسى الذي لا يحرص عليها" (٣).

وعن سعيد المقبري عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: " إِنْكُمْ سَخَّرْصُونَ عَلَى الْإِمَارَةِ وَسَتَكُونُ نَدَامَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، فَنِعِمَّ الْمَرْضِعَةُ (٤) ، وَبَنَسَتْ الْفَاطِمَةُ (٥) " (٦).

فقد بين النبي ﷺ في هذا الحديث أن الذي يحرص على إشغال منصب الإمارة مع كونه ليس أهلاً لإشغال هذا المنصب، فإنه سيجرُّ لنفسه الحسرة والندامة يوم القيامة بسبب تقصيره بالقيام بأعباء هذا المنصب.

قال تعالى: ﴿ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فُسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (٧).

وقد بين النبي ﷺ أن الضعف عن القيام بأعباء الإمارة سبب في رفض إجابة طالبها، فعن أبي ذر ؓ قال: قلت: يا رسول الله ألا تستعملني؟ قال فضرب بيده على منكبي ثم قال: " إيا

١ - القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين (ت ٦٧١ هـ)، الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)، تحقيق هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية، طبعة: ١٤٢٣ هـ/٢٠٠٣ م: (١٨١/٩).

٢ - البخاري، كتاب الإجارة، باب استئجار الرجل الصالح (٢١٤٢) وأخرجه مسلم، كتاب الإمارة، باب النهي عن طلب الإمارة والحرص عليها، رقم (٤٨٢١) واللفظ له.

٣ - ابن بطال، علي بن خلف بن عبد الملك: شرح البخاري (٣٣٦/٩).

٤ - نعم المرضعة: أول الإمارة، أي في الدنيا؛ لأن معها المال والجاه واللذات الحسية والوهمية. انظر: العيني، بدر الدين محمود بن أحمد، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، (٧٩/١٢).

٥ - الفاطمة: آخرها أي بعد الموت؛ لأن معها القتل والعزل والمطالبة بالتيارات يوم القيامة.

٦ - البخاري: كتاب الأحكام، باب ما يكره من الحرص على الإمارة رقم (٦٧٢٩).

٧ - سورة القصص الآية (٨٣).

أبا ذر إنك ضعيف وإنها أمانة وإنها يوم القيامة خزي وندامة إلا من أخذها بحقها وأدى الذي عليه فيها»^(١).

فقد رفض النبي ﷺ أن يوليَ أبا ذر على الرغم مما يتصف به من الصفات الحميدة والأخلاق النبيلة والثبات على الدين؛ لما علم به من الضعف عن القيام بمهمات الإمارة. وفي هذه الأحاديث فوائد منها كراهة سؤال الولاية سواء ولاية الإمارة والقضاء والحسبة وغيرها ومنها بيان أن من سأل الولاية لا يكون معه إعانة من الله تعالى ولا تكون فيه كفاية لذلك العمل فينبغي أن لا يولي؛ ولهذا قال ﷺ لا نولي عملنا من طلبه أو حرصَ عليه^(٢) وذكر ابن تيمية الحكمة في عدم إجابة طالب الولاية، فقال: وإنما يفسد فيها حال أكثر الناس؛ لابتغاء الرئاسة والمال بها وقد روى كعب بن مالك عن أبيه عن النبي ﷺ أنه قال: «مَا نُؤْتَانِ جَائِعَانِ أَرْسِلَا فِي عَتَمٍ بِأَقْسَدَ لَهَا مِنْ حَرَصِ الْمَرْءِ عَلَى الْمَالِ وَالشَّرَفِ لِدِينِهِ»^(٣) فأخبر النبي ﷺ أن حرصَ المرء على طلب المال والرئاسة يفسد الدين مثل أو أكثر من فساد الذئبين الجائعين لزريرة الغنم....^(٤).

والنهي عن طلب الإمارة والحرص عليها ومنع طالبها منها إنما هو في الأحوال العادية وهي التي يوجد فيها من يقوم بها ممن تتوافر فيهم شروط الكفاءة، أما إذا لم يوجد للولاية إلا كفاء واحد إذا تأخر عنها حصل بتولي غيره ضرر على المسلمين، فإنه يصبح من المفروض عليه فرض عين أن يتولاها بطلب منه، أو بإجبار ولي الأمر له؛ لأن المصلحة حينئذ تقتضي ذلك، وعلى هذا حمل العلماء طلب يوسف عليه السلام الولاية على خزائن الأرض من عزيز مصر عندما أمنه وأصبح ذا مكانة فقال يوسف عليه السلام ما قال الله تعالى عنه: ﴿ قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴾^(٥).

حيث علم أنه لا أحد يقوم مقامه في العدل والإصلاح وتوصيل الفقراء إلى حقوقهم فرأى أن ذلك فرض متعين عليه فإنه لم يكن هناك غيره وهكذا الحكم اليوم لو علم إنسان من نفسه أنه يقوم بالحق في القضاء أو الحسبة، ولم يكن هناك من يصلح ولا يقوم مقامه لتعين ذلك عليه ووجب أن يتولاها ويسأل ذلك ويخبر بصفاته التي يستحقها به من العلم والكفاية وغير ذلك، كما

١ - مسلم، كتاب الإمارة، باب كراهية الإمارة بغير ضرورة رقم (٤٨٢٣).
٢ - النووي، محيي الدين، المنهاج شرح صحيح مسلم، دار المعرفة، بيروت، ط٣، ١٩٩٦م، (١١٦/١١).
٣ - الترمذي، محمد بن عيسى، سنن الترمذي، كتاب الزهد، وقال حسن صحيح (٢٣٧٦). رواه الإمام أحمد، المسند، وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح رجاله ثقات رجال الشيخين غير علي بن إسحاق؛ وهو السلمي المروزي فمن رجال الترمذي وهو ثقة. (٤٥٦/٣)، ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي، صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط٢، ١٤١٤ - ١٩٩٣م، (٤٤٨٢)، كتاب الزكاة، باب ما جاء في الحرص، وما يتعلق به، وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم، (٣٢٧٨).
٤ - ابن تيمية: السياسة الشرعية، (٢١٧).
٥ - سورة يوسف (٥٥).

قال يوسف عليه السلام، فأما لو كان هناك من يقوم بها ويصلح لها وعلم بذلك فالأولى ألا يطلب لقوله عليه السلام لعبد الرحمن: لا تسأل الإمارة^(١).

فيجب على كل من ولي شيئا من أمر المسلمين من هؤلاء وغيرهم أن يستعمل فيما تحت يده في كل موضع أصلح من يقدر عليه، ولا يقدم الرجل لكونه طلب الولاية أو يسبق في الطلب بل ذلك سبب المنع^(٢).

ولا يفهم من ذلك أن يبتعد أصحاب الكفاءات عن تولي الإمارة، فقد سمع النبي ﷺ رجلا يقول: بنس الشيء الإمارة، فقال النبي ﷺ: « نعم الشيء الإمارة لمن أخذها بحقها وحلها، وبنس الشيء الإمارة لمن أخذها بغير حقها وحلها، تكون عليه يوم القيامة حصرة وندامة»^(٣).

^١ - انظر: القرطبي: الجامع لأحكام القرآن (١١٦/٩).
^٢ - ابن تيمية: السياسة الشرعية، (١٧).
^٣ - الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم، المعجم الكبير، تحقيق حمدي بن عبدالمجيد السلفي، مكتبة العلوم والحكم - الموصل، ط٢، ١٤٠٤ - ١٩٨٣م، (٣٧/٥)، الهيثمي، نور الدين علي بن أبي بكر، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، وقال: فيه حفص بن عمر بن الصباح الرقي وثقه ابن حبان وبقيّة رجاله رجال الصحيح، دار الريان، القاهرة (٢٠٠/٥).

المبحث الرابع

نشأة الإمارة

بعد أن استقر المقام بالمسلمين في المدينة المنورة، عاصمة الإسلام الأولى، بدأ العمل الدؤوب الشاق؛ لتثبيت دعائم الدولة الإسلامية، التي كانت فتية وفي طور الإنشاء والتكوين. وكان رسول الله ﷺ قد أخذ على عاتقه النهوض بهذه الدولة، فقام بعدة مبادرات سريعة؛ لحل المشكلات العارضة، وإن كانت في حد ذاتها تمهيدا لأهداف بعيدة المدى.

فكان من أولى الركائز التي اعتمدها الرسول ﷺ في برنامجه الإصلاحية والتنظيمية للأمة وللدولة والحكم، تصحيح العقيدة لدى أتباعه المؤيدين، وبناء المسجد، وتقرير المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، ثم بين المسلمين من جهة وعقد حلف المواعدة مع يهود المدينة من جهة أخرى، وذلك لما لها من فضل في تعزيز انطلاقة الإسلام ومجتمعه الحديث^(١).

فبعد استقراره في المدينة، بدأ عليه الصلاة والسلام يرسم أولى الملامح لأسس النظام الاجتماعي الإسلامي في الكتاب الذي كتبه ﷺ بين المهاجرين والأنصار، والذي سالم فيه يهود المدينة وعاهدهم قبل أن ينصرم العام الأول من الهجرة والذي أطلق عليه اسم الصحيفة^(٢)، وقد تضمنت هذه الصحيفة^(٣) تنظيمًا للحياة الاجتماعية في المدينة وتسوية للعلاقات بين أهل المدينة المسلمين وبين يهودها، وهي وثيقة هامة تصور لنا ما كانت عليه أحوال مجتمع المدينة وإلى أي حد تغيرت نظمه القديمة والأسس التي قام عليها قانون تنظيم الحياة الاجتماعية في المدينة.

ويمكن حصر الركائز الأساسية التي أتبعها النبي ﷺ في بناء مجتمع المدينة بالأسس

التالية:

١- بناء المسجد باعتباره المقر الرسمي للدولة الإسلامية، منه تصدر القوانين، وفيه تناقش الأمور، ومنه تذاق البلاغات، وفيه يفصل في الخصومات، وتلصق المنازعات، وهو مركز إداري للدولة الفتية، فمنه يوجه النبي ﷺ المسلمين في المجتمع الجديد، وفيه يتدارس مع المسلمين الأمور الطارئة ويتخذ القرارات المناسبة، ومنه تتطلق الجيوش والسرايا وفيه يختار النبي أمراء وقادة الجيوش والسرايا، وفيه تستقبل الوفود، ومنه ينطلق الرسل إلى الملوك

١ - حسن خالد، مجتمع المدينة، دار النهضة العربية، بيروت ١٩٨٠م (١٠٧).
٢ - الكعكي، يحيى أحمد، معالم النظام الاجتماعي في الإسلام، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨١م (١٤).
٣ - انظر التفاصيل: ابن هشام، محمد عبد الملك، السيرة النبوية: تحقيق محمد السيد، ط ٢٠٠٧م، مكتبة الرحاب، القاهرة، (١٠٤/٢).

والرؤساء وجباة الضرائب^(١). فالمسجد هو مقر الحكومة الإسلامية الجديدة فيه تعالج جميع أمور المسلمين. وبصورة أخرى هو ما يشبه مجمع الوزارات في عهدنا الحديث^(٢).
وقام المسجد في بقية أجزاء الدولة بهذا الدور نفسه، إذ لم يوجد مقر آخر للحكم طوال حياة الرسول ﷺ وبذلك يكون المسجد أول مركز للإدارة والتوجيه في الإسلام^(٣).

٢- المواخاة بين المسلمين:

وبعد بناء المسجد كان لا بد من تسوية الأوضاع الداخلية للدولة، فبعد أن دخل رسول الله ﷺ المدينة المنورة، وأزمع على إقامة دولة الإسلام فيها، كان عليه أن يوجد الأمن والاستقرار في الداخل؛ ليتفرغ هو ومن حوله من المسلمين لبناء دولة الإسلام، ولئلا تشغلهم أو تعيقهم القلاقل الداخلية عن بناء دولة الإسلام التي تعد الحامي الوحيد الحقيقي لدين الله، فصالح بين الأنصار الذين أكلتهم الخلافات التي كانت استحكت بين أوسهم وخزرجهم قبل الإسلام، ومن ثم سن نظام المواخاة بين المهاجرين والأنصار.

وبهذا التآلف والمواخاة بين من كانوا بالأمس أعداء متشاحنين قد صنع من الأمة الإسلامية رجالاً يذودون عن الدعوة الإسلامية، وجعل المسلمين كرجل واحد يؤمن بعقيدة واحدة، ويعمل لهدف واحد بإمرة قائد واحد^(٤).

وقد صور القرآن الكريم ذلك في قوله تعالى: ﴿وَأذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾^(٥). وقوله تعالى: ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْقَلتْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا آتتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَكِنَّ اللَّهُ أَلْفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾^(٦).

وبتحقيق هذه الخطوة اتضحت معالم تكوين مجتمع المدينة واتحصر في فئتين فقط هما: الأسرة الإسلامية الواحدة وهم "جماعة المسلمين"، و"جماعة غير المسلمين" وأغلبهم من اليهود، مما أتاح للرسول ﷺ أن يخطو الخطوة الثالثة، ويحقق بها التحالف بين سكان المدينة جميعاً، ويضرب المثل السامي للتعاون بين أتباع الديانات المختلفة على أساس من احترام العقيدة وحرية الدين والعبادة^(٧).

١ - محمد كرد علي، الإدارة العربية، (٤٦، ٤٥).

٢ - فلروق مجدلاوي، الإدارة الإسلامية في عهد عمر بن الخطاب، دار النهضة العربية، بيروت (٥٣).

٣ - محمد كرد علي، الإدارة العربية، (٤٦)، فرج الهوني، النظم الإدارية، (٢٤).

٤ - محمود شيت خطاب، الرسول القائد، دار مكتبة الحياة، بيروت (٧١)، محمد رواس قلعجي، قراءة سياسية للسيرة النبوية، دار النفائس ط ١، ١٩٩٦م (١٠٧).

٥ - سورة آل عمران: آية (١٠٣).

٦ - سورة الأنفال: الآية (٦٣).

٧ - المجتمع الإسلامي (٦١).

٣- المعاهدة بين المسلمين وغير المسلمين :

قال تعالى: ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا نَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾^(١).

في ضوء هذا المبدأ عقد الرسول ﷺ معاهدة بين المسلمين وبين اليهود وأقليات أخرى صغيرة كانت تعيش في المدينة. وتعدّ هذه المعاهدة^(٢) من أنفس المعاهدات الدولية وأجدرها بتقدير الناس جميعا على اختلاف أديانهم.

حيث يتعهد الموقعون على هذه المعاهدة بالتعاون في الدفاع عن بلدهم المشترك "المدينة" ضد أي اعتداء قد يقع عليه، وأن يتعاونوا ماليا في الأزمات الاقتصادية، وأن يرجعوا جميعا عند اختلافهم لقضاء الرسول ﷺ^(٣).

والذي يتمعن في الميثاق (المعاهدة) يجد أن الدولة الإسلامية ظهرت للوجود، وأصبح جميع المؤمنين بالله رعايا لها متساوين على اختلاف أجناسهم وعصبياتهم، وتعاقدت مع أتباع الأديان الأخرى تعاقدًا أساسه النصر للمظلوم، والنصح والبر، وحرمة الوطن المشترك، وحرمة من يدخل في الميثاق ويقبل جواره، وصون عقائد المتعاقدين وشعائرهم وحرمتهم الدينية^(٤).

٤- الأساس الاقتصادي وبناء سوق المدينة.

يلاحظ أن النبي ﷺ أولى اهتماما كبيرا للناحية الاقتصادية لارتباطها بالكيان السياسي، وقد كانت قبائل اليهود تحنكر التجارة والأسواق ويدهم عصب الاقتصاد في المدينة، فتنبه النبي ﷺ على خطورة هذه السيطرة اليهودية، فكان لا بد من إجراء سريع يحول هذه السيطرة للأمة الجديدة، فأخذ يبحث عن مكان آخر في المدينة ليكون سوقا للمسلمين فقد روى ابن ماجه: "أن رجلا جاء إلى النبي ﷺ فقال: بأبي أنت وأمي إني قد رأيت موضعا للسوق أفلا تنظر إليه؟ قال: (بلى) فقام معه حتى جاء موضع السوق، فلما رآه أعجبه وركض برجليه ثم قال: (نعم سوقكم هذا فلا ينتقض ولا يضربن عليكم خراج)"^(٥).

واستطاع المسلمون بحسن تعاملهم أن يحولوا الناس من سوق اليهود إلى سوقهم، مما أغضب اليهود وجعلهم يظهرون العداوة للمسلمين، فكان حاقزا للنبي ﷺ بأن يفكر جديا بطرد

١ - سورة آل عمران: الآية (٦٤).

٢ - انظر: ابن هشام: السيرة النبوية (١٠٤/٢).

٣ - المجتمع الإسلامي، (٦٤).

٤ - عبد الرحمن عزام، الرسالة الخالدة، دار الشروق، بيروت، ١٩٦٩م، (٨٨).

٥ - ابن ماجه، محمد بن يزيد، سنن ابن ماجه، تحقيق وعناية محمد ناصر الألباني، ومشهور آل سلمان، مكتبة المعارف الرياض، ط١، ١٤١٧هـ، كتاب التجارات، باب الأسواق ودخولها، قال البوصيري: إسناده ضعيف، وقال الألباني: حديث ضعيف (٢٢٣٣)، الطبراني، المعجم الكبير (٥٨٦).

اليهود من المدينة، والامساك بزمام الاقتصاد وتوجيهه الوجهة الإسلامية الخالية من كل استغلال وجشع^(١).

٥- الأساس العسكري وبناء الجيش.

"بعد اكتمال الركائز والأسس التي أصبح عليها مجتمع المدينة الإسلامي توجه النبي ﷺ إلى تقدير الموقف الخارجي تجاه دولة الإسلام، وأول ما يجب أن يُعرف في تقدير الموقف هو العدو، فقد وجد النبي ﷺ أن العدو يتألف من:

اليهود: في المدينة المنورة وما حولها، لأن الرسول ﷺ حول عصا القيادة عنهم إلى غيرهم من المسلمين، ولأن دينه نسخ دينهم، فهم عدو، ولكنهم عدو ذكي داهية، ولذلك فإن التخلص من هذا العدو يتطلب تخطيطاً خاصاً، وهذا ما فعله ﷺ، فقد جعل الخلاص منهم على مراحل، على خلاف تصفيته للعرب المشركين، وقد استطاع بنظره السياسي البعيد أن يجمد عداؤهم للدولة الإسلامية، واحتمل ما ظهر منهم من محاولات خبيثة، انتظارا منه لليوم الموعود. المشركون: المنتشرون في أنحاء الجزيرة العربية، وقد ظهرت عداوة هؤلاء منذ أن دعا رسول الله ﷺ إلى نبذ الأصنام وعبادة الله الواحد. وهناك من الأعداء أفراد لا يحملون السيف في وجه رسول الله ﷺ، ولكنهم يعملون خلف الكواليس، وينفعون من يحمل السيف في وجهه. فارس والروم: وعلى الرغم من أن هؤلاء لم تظهر عداوتهم بعد، ولكن لا بد أن تظهر؛ لأنهم لن يسرهم أن تقوم بجوارهم دولة حديثة قوية، يسودها العدل والإنصاف، لما لها من الخطر عليهم وعلى أنظمتهم الظالمة الجائرة^(٢).

وقد أشعر الرسول ﷺ أصحابه بعداوة هؤلاء للدولة الإسلامية، وأخذ يخطط لإنشاء القوات المسلحة، فقام بإرسال السرايا؛ لاستطلاع أخبار العدو وتتبع تحركاتهم. وبهذا أصبحت السرايا والبعوث النبوية تشكل نواة الجيش الإسلامي الأول، وكانت هذه السرايا مكونة من جماعات، فكان لا بد من وجود أمير يقود هذه الجماعات، وكانت أول هذه السرايا سرية مكونة من ثلاثين راكبا إلى سيف البحر وكان أميرها حمزة بن عبد المطلب ﷺ^(٣)، ثم سرية مكونة من ستين رجلا إلى رابغ وكان أميرها عبيدة بن الحارث^(٤). ثم توالى السرايا والبعوث تباعا.

^١ - صالح أحمد العلي، إدارة الحجاز في العهد الإسلامي الأولى: (٩٣).

^٢ - محمد رواس قلنجي، قراءة ميسرة للمسيرة النبوية: (١١٧-١١٩).

^٣ - ابن هشام، السيرة النبوية، (٥٩٦/٢)، الطبري، محمد بن جرير تاريخ الأمم والملوك، دار الكتب العلمية - بيروت، (٤٠٤/٢)، ابن سعد، محمد بن سعد بن منيع أبو عبد الله البصري الأزهرى، الطبقات الكبرى، دار صادر، بيروت، ١٩٦٨م، (٧/٢).

^٤ - ابن سعد: الطبقات (٧/٢).

و جاء تشريع مبدأ الجهاد في الوقت الذي أرادته الله، وبعد أن اجتمعت كلمة المسلمين وصاروا كالبنيان المرصوص، وبعد أن أمن خطر اليهود المجاورين له بما أقامه معهم من عقد مودعة. فالجهاد في سبيل الله ونشر دعوة الحق هو ركيزة هامة من ركائز الإسلام، الذي يعد الأداة العسكرية لتنفيذ أوامر الله للذين يعصون أوامره. وتحقيق هذا التنظيم والانتصار لدعوة الله في المدينة انطلق الرسول ﷺ وجماعته من المسلمين إلى نشر الدعوة خارجها.

فكان الرسول ﷺ يؤثر الوسائل السلمية في الدعوة إلى الإسلام عن طريق المجادلة والتي هي أحسن ومحاولة الإقناع بالدليل والبرهان، على الرغم مما لاقاه هو وجماعته من المسلمين من المعاناة والأذى من مشركي قريش في مكة، فلم يلجأ للقتال إلا بعد أن استقر أمر المسلمين في المدينة، ويات المشركون يهددونهم ويؤلبون عليهم أهل المدينة، ويات من الضروري أن يدافعوا عن أنفسهم وأموالهم وأعراضهم، لما أصبحوا قوة تستطيع فرض وجودها وهيبتها في الجزيرة العربية. وبعد الهجرة أذن الله تعالى لرسوله ﷺ بالقتال فنزلت الآية الكريمة: ﴿أَذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ (٣٩) الَّذِينَ أَخْرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبَّنَا اللَّهُ ﴿١﴾.

وقد نزلت آيات أخرى كان الغرض منها تحريك عواطف المسلمين نحو القتال؛ للذود عن النفس، والرد على عدوان المشركين، والدفاع عن الدعوة التي تعد الركن الأول من أركان الدين الإسلامي، وهو وحدانية الله وعدم الشرك به والاعتراف بأن محمدا ﷺ رسول الله.

ومن هذه الآيات، قوله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِئْتَةٌ وَيَكُونَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَللَّهِ فَإِنْ ائْتَهُوا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (١). وقوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (٢).

وكان لتشريع الجهاد الذي أمر الله به الأثر الأكبر بالنسبة للجماعة الإسلامية في المدينة، إذ منحهم صفة سياسية واجتماعية لم تكن لديهم من قبل. فقد أصبحوا نواة لأمة إسلامية في الجزيرة العربية، وبهذه التنظيمات التي وضعها الرسول ﷺ استكملت المدينة أهم خصائص مقومات الدولة وهو نظام الحكم.

وإذا ما تتبعنا تفاصيل الغزوات والسرايا التي قام بها الرسول ﷺ والمسلمون، خرجنا بنتيجة تدلنا على الإدارة العسكرية الرائعة للرسول ﷺ وحكمته في توزيعه تنظيمات جيشه،

١ - سورة الحج: (٣٩-٤٠).

٢ - سورة الأنفال: الآية (٣٩).

٣ - سورة البقرة: الآية (٢١٦).

واختيار قائده، فكان يشير بالإمارة حينما وجد العمل الجماعي الذي يحتاج إلى تدبير، وإذا أرسل سرية أو جماعة في مهمة أمر عليهم أميرا وذلك لأهمية وجود القائد بالنسبة للجماعة.

ولم يكن الرسول القائد ﷺ يغفل عن مركز دولته الناشئة بالمدينة، بل كان إذا ما ذهب على رأس الجيش في غزواته يترك مكانه من يتولى القيام بأمر الدولة والرعية، "أي يعين نائبا له" ويترك من يؤم المسلمين في الصلاة، كما يترك من يحرس المدينة ويذود عن رعايا المسلمين فيها

ولما اتسعت رقعة الدولة الإسلامية بعد صلح الحديبية، امتدت الدولة إلى معظم أرجاء جزيرة العرب، وتم ذلك التوسع بطريقة سلمية، وبمبادرة ممن انضموا إليها، وتجلت في الوفود التي وفدت على الرسول ﷺ، طوعا معلنة إسلامها، وتطلب هذا وضع تنظيمات للدولة الجديدة من أجل تحقيق أهدافها ودوامها؛ لهذا وضع النبي ﷺ أميرا على كل جماعة كانت تدخل في الإسلام، ويصبح تحت سلطان الدولة الإسلامية.

وكان النبي ﷺ يرسل الرسائل إلى الملوك يدعوهم فيها للإسلام، ويبين لهم أن من يسلم ويدخل تحت راية الإسلام يبقية أميرا على ما كان عليه، فدخل عدد من الولاة بناء على دعوة النبي ﷺ لهم فأبقاهم أمراء له على بلدانهم، كما فعل مع باذان الفارسي، فكان باذان أول أمراء النبي ﷺ على اليمن من الفرس.

وكان كلما فتح بلدا من البلدان سواء سلما أو حربا جعل عليه أميرا من قبيله يقوم على إدارته وفق شرائع الإسلام وتعاليمه، فلما تم فتح مكة، أمر عليها عتاب بن أسيد فكان أول أمير في الإسلام من العرب.

وبهذا ارتبطت الإمارة مع الإدارة، فالنظام جزء من هذا الدين، وداخل في كل أموره؛ لأن النظام يجمع الأشئآت، وتحقق به الأهداف والغايات، فالنظام سمة يتميز بها الإسلام منذ اللحظة الأولى، حيث يدخل في جميع جوانب الإسلام التصورية والشعائرية والتعبدية وفي الشرائع الحياتية كلها، فكان يؤمر من يدير المدينة في حالة غيبته عنها، وكلما فتح منطقة أمر عليها أميرا، وكانت الوفود تأتي إلى رسول الله ﷺ فيعين عليها أميرا من قبله، ثم يعين لهم من يعلمهم دينهم، ويرسل إليهم من يجمع صدقاتهم، وكان يختار عماله من الصالحين وأولي العلم والدين، ومن المنظور إليهم من العرب وذوي الشخصيات المؤثرة في قبائلهم.

الفصل الثاني

الأحاديث الواردة في أنواع الإمارة في عهد النبي "ﷺ"

المبحث الأول: الإمارة على السرايا والبعوث.

المبحث الثاني: الإمارة على الجيوش.

المبحث الثالث: الإمارة على البلدان.

المبحث الرابع: الإمارة على المدينة.

المبحث الخامس: الإمارة على الحج.

الفصل الثاني

الأحاديث الواردة في أنواع الإمارة في عهد النبي ﷺ

تعددت أنواع الإمارة في عهد النبي ﷺ، حسب الأحوال والحاجة، وحسب ما تقتضيه مصلحة الدولة الإسلامية، فكان النبي ﷺ كلما بعث جماعة في مهمة يؤمر عليهم رجلاً منهم، وكان يختاره وفق صفات معينة، وحسب طبيعة المهمة، ونوع الإمارة، فكان يؤمر على السرايا والبعوث والجيوش، والبلدان المفتوحة، والقبائل التي تدخل في الإسلام، وكان يؤمر على الحج، كما أن النبي ﷺ كان يستخلف أميراً نائباً عنه على المدينة في حالة خروجه منها. وهذا ما سأتناوله في هذا الفصل من خلال الأحاديث الواردة في أنواع الإمارة وتأمير الأمراء، وذلك من خلال المباحث الآتية:

المبحث الأول

الإمارة على السرايا والبعوث

تمهيد:

بعد أن استقر النبي ﷺ في المدينة، وأقام الدولة الإسلامية الجديدة، أخذ يعمل على إرسال سراياه وبعوثه بانتظام وفق خطط مدروسة حسب ما تقتضيه مصلحة الدولة الإسلامية الفتية، و يؤمر عليها أصحابه؛ لتؤدي مهماتها وتتجزأ أعمالها بكفاءة عالية، وقد كان اختيار الأمراء حسب المهمات الموكلة إليهم، وحسب طبيعة السرية، فمنها السرايا الاستطلاعية، و الاعتراضية، و التعقبية، و التعليمية، و الدعوية.

وقبل ذكر الروايات الواردة في الإمارة على السرايا والبعوث لا بد من تعريف السرايا. "جرت عادة المحدثين وأهل السير، أن يسموا كل عسكر حضره النبي ﷺ بنفسه غزوة، وما لم يحضره بل أرسل بعضاً من أصحابه إلى العدو سريةً وبعثاً"^(١).

وقد اختلف في السرية معنى، وعدداً، فقال في اللسان: "السرية من سرايا الجيوش، فإنها فعيلة بمعنى فاعلة، سميت سرية؛ لأنها تسري ليلاً في خفية لئلا ينذر بهم العدو فيحذروا أو يمتنعوا، يقال: سرى قائد الجيش سرية إلى العدو، إذا جردها وبعثها إليهم وهو التسرية"^(٢).

ونقل المسعودي^(٣) عن بعض ذوي المعرفة بسياسة الحروب أن السرايا: ما بين الثلاثة نفر إلى الخمسمائة، وهي التي تخرج بالليل، فأما التي تخرج بالنهار فتسمى السوارب، وذلك قوله عز وجل ﴿ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ ﴾^(٤).

أما ابن الأثير فذكر أن: "السرية: الطائفة من الجيش يبلغ أقصاها أربعمائة تبعث إلى العدو وجمعها السرايا سموها بذلك؛ لأنهم يكونون خلاصة العسكر وخيارهم من الشيء السري النفيس، وقيل: سموها بذلك؛ لأنهم ينفذون سراً وخفية، وليس بالوجه؛ لأن لام السر راء وهذه ياء. وفي الحديث: يرد متسريهم على قاعدتهم. المتسري: الذي يخرج في السرية"^(٥).

^١ - الزرقاني، محمد بن عبد الباقي المالكي (١١٢٢هـ)، - شرح المواهب اللدنية، دار المعرفة، بيروت (١/٣٨٧).

^٢ - ابن منظور، لسان العرب: مادة سري (١٤/٣٧٧).

^٣ - المسعودي، علي بن الحسين بن علي (٣٤٦هـ)، التنبيه والأشراف، مكتبة خياط، بيروت ١٩٦٥م، (٢٧٩).

^٤ - سورة الرعد: الآية (١٠).

^٥ - ابن الأثير، أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري (٦٠٦هـ)، النهاية في غريب الحديث والأثر: تحقيق طاهر أحمد الزاوي، ومحمود الطناحي، القاهرة، ١٣٨٣هـ المكتبة العلمية، بيروت (٢/٣٦٣).

واتفق أصحاب "اللسان"، و"القاموس"، و"تهذيب الألفاظ"، على أن السرية ما بين خمسة إلى ثلاثمائة^(١).

واختلف غيرهم حول هذا العدد، فذكر ابن حجر العسقلاني أن: "السرية قطعة من الجيش تخرج منه وتعود إليه، وهي من مائة إلى خمسمائة، وما افترق من السرية يسمى بعثاً"^(٢).

وذكر صاحب "فقه اللغة": "إنها من خمسين إلى أربعمائة"^(٣).

وقد تطلق السرية على العدد الذي يقل عن الخمسة عند بعض العلماء، قال الإمام محمد ابن الحسن الشيباني: "ولا بأس للإمام أن يبعث الرجل الواحد سرية أو الاثني سرية أو الثلاثة إذا كان محتملاً لذلك؛ لما روى من أنه ﷺ بعث حذيفة بن اليمان في أيام الخندق سرية وحده، وبعث عبد الله بن أنيس سرية وحده، وبعث ابن مسعود وخباباً سرية"^(٤).

ومن خلال استقراء كتب السير والمغازي، نلاحظ أنهم يطلقون اسم السرية على العدد القليل حتى لو كان شخصاً واحداً أو اثنين أو أكثر .

أخرج البيهقي عن مجاهد قال: قد بعث النبي ﷺ عبد الله بن مسعود، وخباباً سرية، وبعث دحية سرية وحده، وقال الشافعي رحمه الله: بعث رسول الله ﷺ عمرو بن أمية الضمري ورجلاً من الأنصار سرية وحدهما، وبعث عبد الله بن أنيس سرية وحده^(٥).

كما أنه من ظاهر كلام أهل المغازي أنهم لا يفرقون بين كون إرسال السرايا والبعوث للقتال، أو لغير القتال كاستطلاع الأخبار، أو تعليمهم الشرائع، كما في بئر معونة والرجيع، أو التي للتجارة كما في سرية زيد بن حارثة ﷺ حيث ذهب مع جماعة بالتجارة للشام، فلقبهم بنو فزارة فضربوه وضربوا أصحابه وأخذوا ما كان معهم^(٦).

هذا وقد اختلف أهل العلم من أصحاب المغازي وغيرهم في عدد السرايا والبعوث التي بعثها النبي ﷺ منذ إعلان الحرب على قريش حتى توفاه الله تعالى. فكانت عن ابن إسحاق في ذلك ثلاث روايات: رواية نقلها الطبري والمسعودي، ذكرا فيها عنه أن عددها كان خمسة

^١ - الفيروزآبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤٠٧هـ، بيروت، مادة سرا، لسان الميزان: مادة سرا، تاج العروس (٨٤٢٩/١) ابن السكيت، أبو زكريا يحيى بن علي الخطيب، كنز الحفاظ في كتاب تهذيب الألفاظ (٥٠).

^٢ - ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني (٨٥٢هـ)، فتح الباري شرح صحيح البخاري: تحقيق عبد العزيز بن باز، ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، دار السلام، الرياض، ط٣، ٢٠٠٠م، (١١٨/٩).

^٣ - انظر: الثعالبي، أبو منصور إسماعيل (٤٢٩هـ)، فقه اللغة وسر العربية، (د،ت)، (٢١٩-٢٢٠).

^٤ - الشيباني، محمد بن الحسن، شرح السير الكبير، تحقيق صلاح المنجد (٦٩/١).

^٥ - البيهقي، أحمد بن الحسين الخرساني، السنن الكبرى تحقيق محمد صطا دار الباز، مكة المكرمة ١٤١٤هـ. (١٠٠/٩).

^٦ - الحلبي، علي بن برهان الدين (١٠٤٤هـ)، السيرة الحلبية "إنسان العيون في سيرة الأمين والمأمون"، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، (١٣٤/٣).

وثلاثين سرية وبعثاً^(١)، بينما ذكر ابن هشام في روايته عنه أنها كانت ثمانية وثلاثين بعثاً وسرية، أورد منها سبعة وعشرين فقط^(٢).

أما ابن حجر فذكر أنه عدّ ستاً وثلاثين سرية وبعثاً^(٣). ونقل ابن حجر عن الواقدي أيضاً أنها كانت ثمانية وأربعين^(٤).

وقد ذكر الواقدي في المغازي سبعة وأربعين سرية وبعثاً^(٥)، وقد وافقه كاتبه ابن سعد في روايته عن جمع شيوخه ومنهم الواقدي^(٦).

وعدّ خليفة ابن خياط في كتابه التاريخ إحدى وثلاثين سرية^(٧). وحكى ابن الجوزي: ستاً وخمسين سرية^(٨). وذكر العلماء غير هذا^(٩).

وقد عزا المسعودي أسباب التنازع المتفاوت في أعداد هذه السرايا، أن منهم من يعتدّ بسرايا لا يعتد بها آخرون، وذلك أنه كانت سرايا في جملة مغازر فأفردتها بعضهم واعتد بها، وبعض جعلها في جملة تلك المغازي؛ لأن رسول الله ﷺ قد وجه في كثير من غزواته سرايا إلى ما يلي البلاد التي حلها بعد عزيمة المشركين بخيبر في الطلب على ما قدمنا، ووجه بعد فتح مكة سرايا لهدم الأصنام التي حول مكة فوقع هذا التنازع لأجل ذلك^(١٠).

وقد تناولت في هذا المبحث الأحاديث الواردة في الأمراء الذين أمرهم النبي ﷺ على سرايا لقتال أعدائه، أو إرهابهم، أو استكشاف أحوالهم، أو غير ذلك من المقاصد التي تعود بالخير على المسلمين، وأفردت بالدراسة أمراء السرايا الجماعية المكونة من ثلاثة أشخاص، والتي قد تصل إلى سبعمائة، أو نحو ذلك حسب طبيعة مهمة السرية، وقد قمت بترتيب الأمراء بناء على الترتيب الزمني للحوادث.

^١ - انظر، الطبري، التاريخ (١٥٤/٣).

^٢ - ابن هشام: السيرة النبوية (١٧٩/٤).

^٣ - ابن حجر، فتح الباري (٢٨٢/٧).

^٤ - ابن حجر، فتح الباري (٢٨٢/٧).

^٥ - الواقدي، محمد بن عمر (٢٠٧هـ)، كتاب المغازي، تحقيق مارسدن جونس، عالم الكتب، ط١، ١٤٢٧هـ، ٢٠٠٦م، (٩).

^٦ - ابن سعد، الطبقات (٦٠٣).

^٧ - خليفة بن خياط تاريخ خليفة بن خياط (٨٢٤٠هـ)، تحقيق أكرم ضياء العمري، دار طيبة، الرياض، ط٢، ١٤٠٥هـ، ٦١-٦٣، ٧٤-٧٩، ٨٥-٨٨.

^٨ - ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي (٥٧٩هـ)، الوفا بأحوال المصطفى، تحقيق مصطفى عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ، (٢٧٩).

^٩ - انظر: العمري، بريك محمد بريك، السرايا والبعوث النبوية، دار ابن الجوزي (٥٥-٦٠).

^{١٠} - المسعودي، التنبيه والأشراف (٢٧٩، ٢٧٨).

أمراء السرايا والبعوث

١- حمزة بن عبد المطلب:

حمزة بن عبد المطلب -أسد الله وأسد رسوله - بن هاشم بن عبد مناف بن قصي القرشي الهاشمي، عم النبي ﷺ، وأخوه من الرضاعة أرضعتها ثويبة مولاة أبي لهب بن عبد المطلب، وكان يكنى أبا عُمارة.

أسلم في السنة الثانية من مبعث الرسول ﷺ، شهد بدر الكبرى وشهد غزوة بني قينقاع وكان حامل لواء النبي ﷺ، وكان اللواء أبيض، وشهد أحدا، وقد استشهد في السنة الثالثة للهجرة، وحزن عليه النبي ﷺ حزنا وقال: "حمزة سيد الشهداء" (١).
تامير حمزة على سرية إلى سيف البحر:

دخل رسول الله ﷺ المدينة المنورة في شهر ربيع الأول، فأقام بها قرابة ستة أشهر يصلح أوضاعها الداخلية، ويجهز المسلمين للقاء عدوهم، ولما استقام له ذلك، علم رسول الله ﷺ أن هناك قافلة قرشية محملة بالأموال والبضائع، وهي في طريق عودتها إلى مكة من الشام، يقودها أبو جهل بن هشام، ويحرسها حوالي ثلاثمائة رجل من فرسان قريش (٢)، فجهز لها رسول الله ﷺ دورية قتال اعتراضية مكونة من ثلاثين رجلا من المهاجرين، ليس فيهم من الأنصار أحد (٣)، وأمر عليهم أسد الله وأسد رسوله حمزة بن عبد المطلب ﷺ.

تفكان أول لواء عقده رسول الله ﷺ لحمزة في شهر رمضان على رأس سبعة أشهر من مهاجر رسول الله ﷺ، وكان لونه أبيض، وحامله أبو مرثد كنان بن الحصين الغنوي ﷺ حليف حمزة بن عبد المطلب، وبعثه رسول الله ﷺ في ثلاثين رجلا من المهاجرين.

١ - انظر ترجمته: ابن حجر، أحمد بن علي أبو الفضل العسقلاني الشافعي، الإصابة في تمييز الصحابة: دار الجيل - بيروت - ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م، ط١، تحقيق: علي محمد البجاوي (١٢١/٢)، ابن سعد، ابن سعد، الطبقات (١٥٣/١) (٢٨/٢)، ابن الأثير، عز الدين أبي الحسن علي بن محمد الجزري، أسد الغابة في معرفة الصحابة، دار إحياء التراث العربي - بيروت / لبنان - ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م، ط١، تحقيق: عادل أحمد الرفاعي (٦٦/٢)، ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله بن محمد، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، دار الجيل - بيروت - ١٤١٢ هـ، ط١، تحقيق: علي محمد البجاوي (٣٦٩/١).

٢ - ابن هشام، السيرة النبوية (١٧٦/٢)، الواقدي، المغازي، (٤٤)، ابن سعد، الطبقات (٦/٢)، وذكر البيهقي أن عدد القافلة كان ثلاثين ومائة وراكب، انظر: دلائل النبوة، (١٠/٣).

٣ - ابن سعد، الطبقات (٦/٢)، ابن هشام، السيرة النبوية (١٧٦/٢) وذكر الواقدي: أنهم خمسة عشر من المهاجرين، وخمسة عشر من الأنصار. المغازي (٤٤). وطل ابن سعد كونهم كلهم من المهاجرين بقوله: ولم يبعث رسول الله ﷺ من الأنصار مبعثا حتى غزا بهم بدر، وذلك أنهم شرطوا له أنهم يبعثونه في دارهم، وهذا الثبت عندنا. انظر: الطبقات (٧/٢).

وخرج حمزة يعترض عير قريش القادمة من الشام تريد مكة، وفيها أبو جهل بن هشام في ثلاثمائة رجل، فلما بلغوا سيف البحر من ناحية العيص^(١)، والتقى الجانبان حتى اصطفوا للقتال فحجز بينهم مجدي بن عمرو الجهني، وكان حليفاً للفريقين جميعاً، إلى هؤلاء مرة، وإلى هؤلاء مرة حتى حجز بينهم، ولم يقتتلوا وتوجه أبو جهل في أصحابه وعيره إلى مكة، وانصرف حمزة في أصحابه إلى المدينة^(٢).

وقد كانت نتائج هذه السرية على المعسكر الوثني سيئة للغاية حيث هزت كيان قريش، وبثت الرعب في نفوس رجالها، وفتحت أعينهم على الخطر المحدق بهم والذي أصبح يهدد طريق تجارتهم وبالتالي اقتصادهم، وبدأ فرض الحصار الاقتصادي على قريش، بتهديد طريق مكة - الشام وهو الطريق الحيوي لتجارة قريش^(٣).

أما المسلمون فقد كانت نتائجها عليهم إيجابية حيث تصاعدت الروح الحماسية بينهم، وأعطتهم بعداً عميقاً من الثقة بالنفس والجرأة على عدوهم، حيث استطاعوا ولأول مرة الوقوف في وجهه بقوة أبهرت قريش وأدهشتهم^(٤).

لقد كان أمير هذه السرية شجاعاً، وحسبنا دليلاً على مبلغ شجاعته الفائقة، ما حظي به من تكريم النبي ﷺ الذي أطلق عليه: أسد الله، وأسد رسوله.

ولعل أكبر دليل على كفايته وجدارته بالإمارة، أن النبي ﷺ قلده أول لواء في الإسلام، وبعثه على هذه السرية، وأمره على ثلاثين من المهاجرين. وليس توليته أول قيادة إلا دليلاً على ثقة النبي ﷺ بقيادته؛ لأنها أول مجابهة بين المسلمين والمشركين، ونتائجها تؤثر في معنويات الجانبين تأثيراً حاسماً.

وقد اختار النبي ﷺ، لهذه المهمة رجلاً من قريش، وهو حمزة بن عبد المطلب، ﷺ؛ ليكون أميراً على سرية جميع أفرادها من المهاجرين دون الأنصار؛ لأن الأنصار لم يتعهدوا

^١ - العيص: موضع في بلاد بني سليم به ماء يقال له: ذنبان العيص، على ساحل البحر الأحمر، شمال ينبع وغرب المدينة، انظر: الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله، معجم البلدان القاهرة، ١٣٢٣هـ (٢٤٨/٦). وقال البلادي: وهو واد لجهينة بين المدينة والبحر، يصب في إضم من اليسار من أطراف جبل الأجرد الغربية ومن الجبال المتصلة به ومن حرار تقع بين إضم وينبع، وفيه عيون وفري كثيرة، وبه مركز إمارة ومدارس وشرطة ومحكمة شرعية. انظر: البلادي: حلق بن غيث، المعالم الجغرافية الواردة في السيرة النبوية (٢١٢).

^٢ - ابن هشام، السيرة النبوية، عن ابن إسحاق بلا سند (١٧٦/٢): الواقدي، المغازي (٤٤)، ابن سعد، الطبقات (٧/٢) البيهقي، دلائل النبوة: من رواية موسى بن عقبة وعروة عن الزهري (٩/٣)، ابن سيد الناس، فتح الدين محمد بن محمد، عيون الأثر في فنون المغازي والشمال والسير، تحقيق لجنة إحياء التراث العربي، دار الأفاق، بيروت ١٩٨٢م، (٢٧١/١) الطبري، التاريخ، (٤٠٥-٤٠٥/٢). ابن خياط التاريخ (٦٢)، ابن حزم، جوامع السيرة، (١٠١)، ابن عبد البر، الدرر (١٠٥)، شرح المواهب اللدنية: الزرقالي (٣٩٠/١). وهذا الخبر وإن كان في بعض طرقه ضعف لكنه قد بلغ حد التواتر بين أصحاب المغازي مما يجعلنا نستأنس لقبوله لكثرة شواهد، وإجماع أهل المغازي على إخراج، والله أعلم.

^٣ - انظر: خطاب، محمود شيب، قادة النبي ﷺ، دار القلم، ط٢، ١٩٩٩م، (٥١) العمري، الشرايا والبعوث النبوية: (٨٦)، انظر: خطاب، قادة النبي ﷺ (٥١).

بنصرته خارج المدينة، لذلك نراه يرسل في تلك السرايا المهاجرين، وعلى رأسهم أهل بيته وأقاربه فيكونون أول من يخوض معمة القتال والمعارك؛ ليعطي بذلك القدوة الحسنة.

وبما أن السرية الأولى سيكون لها مردودات إيجابية أو سلبية في حالتها الظفر أو الهزيمة، فقد حرص ﷺ أن يكون أميرها على قدر عظيم من الشجاعة والإقدام وقوة الشكيمة، خاصة إذا علمنا أن قائد القافلة القرشية رجل معروف في قريش بقوة شكيمته، فكان لا بد له من ند مثله، وقد اتضحت قدرات هذا الند في مكة عندما استطاع وبجراة أن يضرب أبا جهل وعلى ملا من قومه وعشيرته، ويعلن إسلامه بين أيديهم دون خوف، بل تحديه أن يرد عليه إن استطاع^(١)، وقد دلت هذه الحادثة بما لا يدع مجالاً للشك بأنه فعلاً أعز فئى في قريش بلا منازع، فكان حمزة بن عبد المطلب ﷺ هو أول قائد لأول سرية؛ ليتحقق لرسول الله ﷺ ما يصبو إليه ويرجوه.

ومن أسباب اختيار النبي ﷺ لحمزة ﷺ أيضاً أنه أدري الناس بقبيلة قريش، وهو أدري من غيره في كيفية التعامل معهم، وخاصة أنه كان من قيادات قريش، ومن كبار تجارهم، وكان أكثر الناس معرفة بالطرق التجارية، فتأميره على هذه السرية يتناسب مع هدفها، وهو تهديد تجارة قريش، وفرض حصار اقتصادي عليهم.

بهذا نتعلم من النبي ﷺ درسا مهما في اختيار الرجل المناسب للمكان المناسب، فتتم عملية الاختيار دائما وفق ضوابط ومعايير بعيدا عن المحاباة والمحسوبية.

٢ - عُبَيْدَةُ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ:

هو عبيدة بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف بن قصي القرشي المطلبي، وفي عبد مناف يجتمع مع رسول الله ﷺ، يكنى أبا الحارث وقيل: أبو معاوية.

من السابقين الأولين لاعتناق الإسلام، أسلم قبل دخول رسول الله ﷺ دار الأرقم بن أبي الأرقم، أسلم هو وأبو سلمة بن عبد الأسد وعبد الله بن الأرقم المخزومي، وعثمان بن مظعون في وقت واحد، توفي عبيدة بن الحارث متأثرا بجراحه بعد عودته من غزوة بدر بمنطقة الصفراء، قيل كان لعبيدة بن الحارث يوم قتل ثلاث وستون سنة^(٢).

^١ - انظر قصة إسلام حمزة ﷺ : ابن هشام، السيرة النبوية: (١٢٩/٢).

^٢ - انظر: ابن حجر، الإصابة (٤٤٩/٢)، ابن عبد البر، الاستيعاب: (٧٣٧/٣)، انظر: ابن الأثير، أسد الغلبة: (٣٥٦/٣) - (٣٥٧)، ابن سعد، الطبقات، (٥١/٣).

تأمير عبدة بن الحارث على سرية إلى رابع^(١):

بعث النبي ﷺ سرية قتال اعتراضية إلى رابع "في شهر شوال من السنة الأولى للهجرة، لاستطلاع أخبار قريش وتهديد طريق تجارتهم بين مكة والشام، وكانت عدتها ستين راكبا من المهاجرين ليس فيهم من الأنصار أحد، وأمر عليهم عبدة بن الحارث بن المطلب، وعقد له لواء أبيض، حمله مسطح بن أثاثة بن المطلب بن عبد مناف، وعلى ماء يقال له أحياء^(٢) من بطن رابع ... التقى المسلمون بمائتين من المشركين على رأسهم أبو سفيان بن حرب^(٣) فكان بينهم الرمي، فلم يسلوا السيوف، ولم يصطفوا للقتال إذ قرر الفريقان الانسحاب من أرضها، وعاد المسلمون إلى حاميتهم، وعاد المشركون إلى حاميتهم"^(٤).

في هذه السرية حدثت أول مواجهة عسكرية بين المسلمين والمشركين، ولكن القتال اتخذ طابع المناوشة بالسهم فقط، واستطاع المسلمون أن ينسحبوا انسحابا منظما، وكان بطل هذا الانسحاب سعد بن أبي وقاص ﷺ الذي كان له الدور الأكبر في تثبيت وإحباط هجوم العدو، فكان سعد بن أبي وقاص ﷺ " أول العرب رمى بسهم في سبيل الله"^(٥).

وعلى الرغم من أن القتال لم ينشب في هذه المعركة، فلم يحرز أي طرف من الطرفين انتصارا في القتال، إلا أن سرية عبدة بن الحارث أحرزت انتصارا معنويا على المشركين لا ريب فيه، لأن انسحاب مائتين من المشركين بين فارس وراجل، أمام ستين من المسلمين، يدل على أن معنويات المسلمين كانت عالية، ومعنويات المشركين كانت منهارة، والانتصار المعنوي لا يقل أهمية عن الانتصار المادي إن لم يكن أكثر أهمية منه وأعظم أثرا وتأثيرا"^(٦).

^١ - رابع: واد بين الجحفة وودان، على طريق الحاج بين المدينة- مكة. انظر: الحموي، معجم البلدان (٢٠٢/٤).

^٢ - ماء أحياء: ماء أسفل من ثنية المرة. انظر: الحموي، معجم البلدان (١٤٥/١).

^٣ - اختلف أصحاب المغازي في قائد المشركين فهو أبو سفيان في رواية ابن بكير عند البيهقي، دلالات النبوة: (١٠/٣)، وحزم بذلك الواقدي: المغازي (٤٥)، وابن سعد، ابن سعد، الطبقات (٧/٢)، وذكر ابن إسحاق أن القائد عكرمة بن أبي جهل، ابن هشام، السيرة النبوية: (١٧٤/٢)، وذكر ابن هشام في زياداته على ابن اسحق من طريق أبي عمرو المدني: " أنه كان عليهم مكرز بن حفص بن الأحنف " السيرة النبوية، (١٧٤/٢).

^٤ - تخريج الخبر: رواه ابن هشام عن ابن إسحاق بلا سند، السيرة النبوية، (١٧٢/٢-١٧٥)، الواقدي، المغازي (٤٤-٤٥)، ابن سعد، الطبقات (٧/٢)، أخرجه البيهقي عن أبي الأسود عن عروة، وأخرجه من طريق موسى بن عقبة عن الزهري، دلالات النبوة (٨، ٩/٣)، وابن سيد الناس، من طريق موسى بن عقبة، وابن إسحاق، عيون الأثر (٢٧١/١)، وابن خياط التاريخ (٦١)، الطبري، التاريخ (٤٠٤/٢)، جوامع السيرة (١٠٠)، الدرر (١٠٤)، وبالنظر إلى الطرق التي ورد بها الخبر نجد أنها لا ترتقي به إلى مرتبة الصحيح أو الحسن ولكن الخبر تاريخي، ويلاحظ إجماع أهل المغازي عليه مما يقوي الظن بقبوله فالحديث مقبول: وقد أخرج البخاري ومسلم طرفا منه مما يعطيه نوعا من التأييد. انظر: البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب سعد بن أبي وقاص الزهري (٣٥٢٢)، ومسلم، كتاب فضائل الصحابة (٦٣٨٦). انظر تفصيل ذلك: العمري، الشرايا والبحوث النبوية (٩٢).

^٥ - صحيح البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب سعد بن أبي وقاص الزهري (٣٥٢٢).

^٦ - انظر: خطاب، قادة النبي ﷺ (٧٧).

ومن الملاحظ أن أمير هذه السرية ومن معه كلهم من المهاجرين، وفي هذا استمرار
لسياسة الرسول ﷺ بحشد المهاجرين فقط في الغزوات والسرايا الأولى حتى بدر تنفيذا لاتفاقية
العقبة الثانية.

وقد كان لعبدة قدر ومنزلة كبيرة عند رسول الله ﷺ، ومن مكانته أنه عقد له اللواء
الثاني في الإسلام بعد لواء أسد الله وأسد رسوله وسيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب عم النبي ﷺ
مما يدل على أن عبدة كان يتمتع بكفاءة عالية.

٣- سعد بن أبي وقاص:

سعد بن مالك بن أهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن
غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة القرشي الزهري، يكنى أبا إسحاق.
من السابقين الأولين من المسلمين، وهو من المهاجرين الأولين، وأحد العشرة المبشرين
بالجنة. وهو أول من أراق دما في سبيل الله، كان من الرماة المذكورين من أصحاب رسول الله
ﷺ، وأول من رمى بسهم في سبيل الله، وكان ذلك في سرية عبدة بن الحارث.
شارك بسرية عبد الله بن جحش وشهد بدرا، وأحدا والخندق والحديبية وخيبراً وفتح
مكة، وكانت معه يومئذ إحدى رايات المهاجرين الثلاث^(١).
تأمير سعد بن أبي وقاص على سرية إلى الخرار^(٢):

علم رسول الله ﷺ، أن عيرا لقريش ستمر في واد الخرار، فأراد أن يعترضها؛ للتضييق
على قوافل قريش التجارية، "فبعث سرية من عشرين رجلا كلهم من المهاجرين^(٣)، وأمر عليهم
سعد بن أبي وقاص، وذلك في ذي القعدة على رأس تسعة أشهر من مهاجرة رسول الله ﷺ،
وعقد له لواء أبيض حمله المقداد بن عمرو البهراني^(٤).

روى عامر بن سعد عن أبيه قال: قال لي رسول الله ﷺ: "أخرج يا سعد حتى تبلغ
الخرار، فإن عيرا لقريش ستمر به، فخرجت في عشرين رجلا أو واحد وعشرين على أقدامنا،

١ - انظر: ابن حجر، الإصابية (٨٣/٣)، ابن الأثير، أسد الغابة: (٤٢٨/١)، ابن سعد، الطبقات (١١٦/٣)، ابن حزم، جوامع
السيرة: (٤٦).

٢ - والخرار: واد بالحجر يصب في الجحفة، وفيه آبار عن يسار الجحفة، قريب من خم. يقع شرق رابغ. انظر: الحموي،
معجم البلدان (٤٠٧/٢)، البكري، عبد الله بن عبد العزيز (٤٤٨٧هـ)، معجم ما استعجم: تحقيق السقا، عالم الكتب،
بيروت، ط٣، ١٤٠٣هـ (٤٩٢/٢)، البلاذري، عاتق بن يثوث، معجم معالم السيرة النبوية، دار مكة للنشر والتوزيع، مكة
المكرمة، ط١، ١٤٠٢هـ (١١٢).

٣ - وذكر ابن إسحاق أن قوتها ثمانية رهط من المهاجرين، انظر: ابن هشام، السيرة النبوية (١٨٠/٢).
٤ - ابن هشام، السيرة النبوية، رواه عن ابن إسحاق (١٨٠/٢). الواقدي: المغازي (٤٥)، ابن سعد: الطبقات (٧/٢)، البيهقي،
دلائل النبوة، (١٤-١٣/٣). ابن حزم، جوامع السيرة (١٠٤)، ابن عبد البر، الدرر (١٠٦).

فكنا نكمن النهار وتسير الليل حتى صبحناها صبح خمس، فوجد العير قد مرت بالأمس، وقد كان النبي ﷺ عهد إلي ألا أجاوز الخرار، ولولا ذلك لرجوت أن أدركهم" (١).

ويستفاد من كلام ابن حزم وابن عبد البر أن مهمة السرية تعقيبية لمطاردة كرز بن جابر الذي أغار على سرح المدينة (٢) واستأقه معه فلحقه النبي ﷺ، فلم يدركه وفاته السرح، فجهز دورية سرية تعقيبية لمطاردته (٣).

اختار النبي ﷺ سعد بن أبي وقاص أميرا لهذه السرية؛ لما تميز به من صفات قيادية كبيره وما عرّف عنه من سرعة البديهة في المناورة، وخاصة بعد النجاح الكبير الذي حققه في سرية رابغ - التي سبقت هذه السرية - حيث كان له الأثر الأكبر في الانسحاب الناجح من أرض المعركة ومن ثم تشتيت وإحباط استعدادات العدو؛ لشن أي هجوم مضاد وذلك بوابل من السهام التي قذفها نحو العدو، حيث كان من الرماة المعروفين في زمن النبي ﷺ، فلما علم النبي ﷺ صنيعه في سرية رابغ أراد أن يستثمر هذه الصفات القيادية التي يتمتع بها سعد.

وهذا يدل على قدرة النبي ﷺ على الانتفاع الكفاءات في تحقيق المهام التي تواجه الدولة الفتية، فبعد الإنجاز الذي حققه سعد في سرية عبيدة بن الحارث، رأى النبي ﷺ أنه من أصحاب الكفاءات العالية ويصلح لإمارة هذه السرية؛ بالإضافة لذلك أن أفراد السرية جميعهم من المهاجرين، فكان من المناسب أن يكون الأمير منهم؛ لأن الناس لا يدينون إلا لبني جدتهم. وكان من أسباب اختيار سعد بن أبي وقاص لقيادة هذه السرية، معرفته الجيدة بطرق مكة المكرمة وأهلها، وهدف القافلة هو القضاء على تجارة قريش.

وبهذا نتعلم المنهج النبوي في الانتفاع الكفاءات المناسبة، ووضع الرجل المناسب في المكان المناسب، فمن الواجب على المسؤولين والحكام، اختيار قادة الجيوش حسب كفاءتهم وقدرتهم على تحقيق النجاح والانتصار.

٤ - عبد الله بن جحش الأسدي:

عبد الله بن جحش بن رثاب بن يعمر بن صبرة بن مرة بن كبير بن غنم بن دودان ابن أسد بن خزيمة الأسدي، أمه: أميمة بنت عبد المطلب عمه رسول الله ﷺ، وهو حليف لعبد شمس.

١ - ابن سعد: الطبقات (٧/٢)، الواقدي، المغازي (٤٥)، الطبري، التاريخ (١٢٠/٢).

٢ - السرح: المال السنم. القاموس: مادة سرح.

٣ - انظر: ابن حزم، جوامع السيرة (١٠٤)، ابن عبد البر، الدرر (١٠٦).

وهو من السابقين الأولين إلى الإسلام، أسلم قبل دخول رسول الله ﷺ دار الأرقم بن أبي الأرقم، وهاجر الهجرتين إلى الحبشة، وكان ثالث من هاجر إلى المدينة. استشهد في غزوة أحد، ودفن هو وحمزة بن عبد المطلب في قبر واحد، وكان له يوم قتل نيف وأربعون سنة^(١).

تأمير عبد الله بن جحش على سرية إلى نخلة^(٢):

بعد عدد من الغزوات والسرايا الاعتراضية، أراد النبي ﷺ أن يستطلع أخبار قريش، ويرصد غيرهم، فقرر إرسال دورية لاستطلاع^(٣) أخبار قريش "فبعث سرية إلى نخلة في رجب على رأس سبعة عشر شهرا من مهاجره، في السنة الثانية من الهجرة، وأمر عليها عبد الله بن جحش الأسدي ؓ في اثني عشر رجلا من المهاجرين^(٤)، كل اثنين يعتقبان بعيرا ليس فيهم من الأنصار أحد"^(٥).

"وكتب النبي ﷺ لعبد الله كتابا، وأمره ألا ينظر فيه حتى يسير يومين، ثم ينظر فيه، فيمضي لما أمره به، وقال له: "لا تكرهن أحدا من أصحابك على المسير معك"^(٦)، وهذا النوع من الرسائل "يطلق عليه الرسائل المكتومة، في المصطلحات العسكرية الحديثة"، ويُعدّ الكتمان أهم عامل من عوامل مبدأ المباغثة^(٧) وهي أهم مبدأ من مبادئ الحرب^(٨).

فلما سار عبد الله يومين بسريته بناء على توجيهات القائد الأعلى ﷺ فتح الكتاب ونظر فيه، فإذا نصه: "إذا نظرت في كتابي هذا فامض حتى تنزل نخلة بين مكة والطائف، فترصد بها قريشا وتعلم لنا من أخبارهم"^(٩).

^١ - انظر: ابن حجر، الإصابة: (٤٦-٣٥/٤). ابن عبد البر، الاستيعاب (٣/٨٧٧)، وابن الأثير، أسد الغابة (٣/١٣١)، ابن سعد، الطبقات: (٣/٨٩)، ابن هشام، السيرة النبوية (١/٢٦٨-٢٧١).

^٢ - نخلة: بستان ابن عامر الذي قرب مكة، على طريق القديم بين مكة والطائف، انظر: الحموي، معجم البلدان (٨/٢٧٥)، البلاذري، المعالم الجغرافية (٣١٨).

^٣ - الدوريات هي مفارز واجبها جمع المعلومات عن قوة العدو وتسليحه وعن الأرض وهي نوعان:
أ- دوريات استطلاع وهي المفارز التي تحصل على معلومات دون قتال، لذلك تكون صغيرة العدد سريعة الحركة.
ب- دوريات قتل وهي المفارز التي تحصل على المعلومات بالقتال لذلك تكون قوية في عددها وعنتها. انظر: خطاب، الرسول القائد حاشية ص (٩٣).

^٤ - ابن سعد، الطبقات: (٢/١٠٧). وذكر ابن إسحاق أنهم ثمانية، انظر: ابن هشام، السيرة النبوية، (١/٦٠١).

^٥ - ابن هشام، السيرة النبوية، عن ابن إسحاق بدون سند (٢/١٨٠)، الطبراني، المعجم الكبير (١/١٦٢)، الطبري، التاريخ: (٢/٤١٥)، تفسير الطبري (٢/٣٥٠) من رواية جندب.

^٦ - المرجع السابق.

^٧ - المباغثة: المباغثة أقوى العوامل وأبعدها أثرا في الحرب، وتأثيرها المعنوي عظيم جدا، وتأثيرها من الناحية النفسية يكمن فيما تحدثه من شلل في تفكير القائد الخضم، ويمكن الحصول على المباغثة بما يلي: بكتمان الاستعدادات للخطط الحربية، وبالانتقال السريع من نقطة إلى أخرى تمهيدا لإنزال الضربة على موضع لا يتوقعه العدو، باستخدام الأرض الشديدة أو بعبور الموانع التي تعدّ قابلة للعبور، باستخدام أساليب تعبوية جديدة، باستخدام الجواسيس والوكلاء والعميون والأرصاد. انظر: خطاب، الرسول القائد، حاشية ص (٣١٤).

^٨ - انظر: خطاب، الرسول القائد، (٣١٤).

^٩ - ابن هشام، السيرة النبوية، عن ابن إسحاق بدون سند (٢/١٨٠)، الطبراني، المعجم الكبير (١/١٦٢)، الطبري، التاريخ: (٢/٤١٥)، تفسير الطبري (٢/٣٥٠) من رواية جندب.

(فلما قرأ الكتاب استرجع^(١) وقال: سمعا وطاعة لله ولرسوله. ثم قال لأصحابه: قد أمرني رسول الله ﷺ أن أمضي إلى نخلة أرصد بها قريشا حتى آتية منهم بخبر، وقد نهائي أن أستكره أحدا منكم، فمن كان منكم يريد الشهادة ويرغب فيها فلينطلق، ومن كره ذلك فليرجع، فأما أنا فمأض لأمر رسول الله ﷺ ، فمضى ومضى معه أصحابه، ولم يتخلف منهم أحد. ومضى عبد الله بن جحش وبقيّة أصحابه حتى نزل بنخلة، فمرت به عير لقريش تحمل زبيبا، وأدما من الطائف، وتجارة من تجارة قريش، وعليها عمرو بن الحضرمي، وفيها عثمان بن عبد الله بن المغيرة، فلما رأى المشركون المسلمين هابوهم، وقد نزلوا قريبا منهم، فأشرف لهم عكاشة بن محصن، وكان قد حلق رأسه، فلما رآه المشركون أمنوا، وقالوا: عمّار لا بأس عليكم منهم.

وتشاور المسلمون فيما بينهم فقالوا: والله لئن تركتم القوم هذه الليلة ليدخلن الحرم فليمتعن منكم به، ولئن قتلتموهم لقتلهم في الشهر الحرام. وتردد المسلمون، وهابوا الإقدام على المشركين حرمة للشهر الحرام، ثم شجعوا أنفسهم عليهم، وأجمعوا على قتل من قدروا عليه منهم، وأخذ ما معهم، فرمى وأقد بن عبد الله التميمي عمرو بن الحضرمي فقتله، وأخذوا أسيرين.

وأقبل عبد الله بن جحش وأصحابه بالعبير وبالأسييرين، حتى قدموا على رسول الله ﷺ في المدينة، فقال لهم: " ما أمرتكم بقتال في الشهر الحرام " فوقف العير والأسيرين ، وأبى أن يأخذ من ذلك شيئا..^(٢).

لقد كانت مهمة هذه السرية استطلاع حال قريش والوقوف على أخبارها، ولم يكن من أغراضها القتال إذ إن أمر النبي ﷺ إلى رجال السرية خلا من كل إشارة إلى القتال، ثم إن عدد رجال هذه السرية كان قليلا، الأمر الذي يقطع بأن مهمتها كانت استطلاعية محضة، ولكن هذه المهمة الأساسية اقترنت بمهمة ثانوية وباجتهاد من أفراد السرية، اغتتموا فيها الفرصة المواتية التي سنحت لهم للنيل من عدو طالما ترصدوا له ، لكنه كان دائما يفلت منهم، ولكن الشهر حرام ولا يجوز القتال فيه، فتشاور الأمير مع أفراد سريته وأدى بهم هذا الاجتهاد إلى أن قريشا

^١ - استرجع: أي قال: إنا لله وإنا إليه راجعون.

^٢ - ابن هشام، السيرة النبوية من رواية ابن إسحاق وفيها تفصيل (١٨١/٢-١٨٢)، سنن البيهقي (٩/٥٨، ٥٩)، الواقدي، المغازي: (٤٦-٤٧)، ابن سعد: الطبقات: (١٠٧-١٠٨)، ابن سيد الناس، عيون الأثر (١/٢٧٧)، ابن حزم، جوامع السيرة (١٠٥، ١٠٤، ١٠٦)، ابن عبد البر، الدرر (١٠٧، ١٠٨)، والحديث أورد البخاري طرفا منه في كتاب العلم، باب ما يذكر في المناولة، لكنه لم يروه موصولا، وقد تتبعه ابن حجر فصحه بمجموع طرقه حيث قال: " وهو صحيح وقد وجدته، من طريقين، إحداهما مرسله ذكرها ابن إسحاق في المغازي عن يزيد بن رومان، وأبو اليمان في نسخة شعيب عن الزهري كلاهما عن عروة بن الزبير، والأخرى موصولة له أخرجه الطبراني من حديث جندب الجلي بإسناد حسن، ثم وجدت له شاهدا من حديث ابن عباس عند الطبري في التفسير. فمجموع هذه الطرق يكون صحيحا " انظر: فتح الباري (١/١٦٣).

أخرجتهم من ديارهم واستولت على أموالهم، وصدّتهم عن سبيل الله فلتكن المعاملة بالمثل والبادئ أظلم، فخرجوا بقرار جماعي حاسم بالهجوم عليهم وقتل من قدروا عليه منهم وأخذ ما معهم^(١).

فقد نجحت هذه السرية، وأثبتت بأن جيش النبي ﷺ قوي ومنفذ للقيام بأصعب الأعباء والمهمات، ويتحلى بمزايا القتال، وبقدرته على إنجاز الواجبات بكل كفاءة واقتدار، مما يدل على روحه المعنوية العالية وحسن قيادته.

"وقد كان لأمير السرية موقف رائع، يدل على ضبطه العسكري الجيد، حيث امتثل للأوامر النبوية العليا دون تردد أو تخاؤل، فما إن قرأ الكتاب حتى امتثل فوراً للأمر ونفذه بحذافيره، جاعلاً من نفسه القدوة الحسنة، باثناً في نفوس جنوده الحماس وهو يقول لهم: "من كان منكم يريد الشهادة، ويرغب فيها فلينطلق، ومن كره فليرجع، فأما أنا فماض لأمر رسول الله ﷺ"^(٢).

"وكم كان موقف جنوده البواسل عظيماً أيضاً، عندما امتثلوا جميعاً لأمر رسول الله ﷺ ولطلب قائدهم، ولم يتخلف منهم أحد، على الرغم من تأكيدات الرسول ﷺ للأمير بتترك الحرية الكاملة لهم في الاختيار"^(٣).

وهنا يتجلى منهج النبي ﷺ في اختيار الرجل المناسب للمكان المناسب، حيث كان يعتمد في الدرجة الأولى في هذه السرية على كفاءة عبد الله في تحمله المشاق والصعوبات، فقد خطب النبي ﷺ في المسلمين قائلاً: "لأبعثن عليكم رجلاً ليس بخيركم، ولكنه أصبركم للجوع والعطش" فبعث عبد الله^(٤).

وفي رواية أن النبي ﷺ قال: "لأعطين الراية رجلاً هو أصبر على الجوع والعطش منكم" فأعطاها عبد الله، فقال: "يا رسول الله أسير بها وأنا غلام حدث؟ فقال له: "سر"، فسار، ففتح الله عليه^(٥).

فقد اختار النبي ﷺ عبد الله بن جحش أميراً على هذه السرية لشجاعته ولما يتميز به من الصفات القيادية، وكان يتحلى بالصبر الكبير، وهذا ما تتطلبه طبيعة هذه السرية حيث كانت طبيعتها صعبة للغاية، لهذا كان جميع أفرادها من أشجع المهاجرين، وكان أميرهم من خيرتهم، كما أنّ هذه السرية كانت موجهة إلى قريش؛ لاستطلاع أخبارهم وتهديد طريق تجارتهم، فناسب

^١ - انظر: أحمد إبراهيم الشريف، مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول ﷺ دار الفكر العربي، القاهرة ١٩٦٥م (٤٤٤).

^٢ - ابن هشام، السيرة النبوية (١٨٣/٢)، وانظر: العمري، السرايا والبعوث النبوية، (١٠٢).

^٣ - العمري، السرايا والبعوث النبوية، (١٠٢).

^٤ - رواه الإمام أحمد، المسند، وقال الشيخ شعيب إسناده ضعيف، (١٧٨/١) وانظر ابن عبد البر، الاستيعاب (٨٧٨/٣).

^٥ - المحبّر: ابن حجر العسقلاني (٨٧).

أن يكون أميرها من قريش، فهو أعلم من غيره بأحوال قريش، والطرق التجارية على مشارف مكة.

وحسبنا قول الرسول ﷺ فيه: "منا خير فارس في العرب: عبد الله بن جحش"^(١).
ومن هنا يجب على القادة والحكام في هذه الأيام الاهتمام بالجيش، وتعويدته على الصبر والتحمل، واختيار القائد المناسب الذي يكون قدوة لأفراد الجيش في الصبر والتحمل، وخاصة أن البلاد الإسلامية في هذه الأيام تعيش في أزمة ضعف وتشرذم، وتربص من أعدائها.

٥- محمد بن مسلمة الأوسي الأنصاري:

هو محمد بن مسلمة بن سلمة بن خالد بن عدي بن مجدعة بن حارثة بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك الأوسي الأنصاري ثم الحارثي، حليف بني عبد الأشهل، يكنى: أبا عبد الرحمن المدني، وقيل أبو عبد الله، ولد قبل البعثة باثنتين وعشرين، وهو ممن سُمي في الجاهلية محمد، وهو ممن روى عن النبي ﷺ الحديث، يقال له فارس نبي الله ﷺ .

شهد بدرًا والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ عدا غزوة تبوك، فإن رسول الله ﷺ استخلفه على المدينة حين خرج إلى تبوك^(٢)، مات بالمدينة في سنة ست وأربعين، وهو ابن سبع وسبعين سنة^(٣).

أمّره النبي ﷺ على عدة سرايا، هي:

أولاً: تأميره على سرية لقتل كعب بن الأشرف^(٤):

عند وصول النبي ﷺ إلى المدينة، وعقده الحلف الدستوري مع اليهود، كان كعب بن الأشرف أحد المشاركين في هذا الحلف مع قبيلة بني النضير، وأصبح بذلك فرداً من أفراد الدولة له حقوق وعليه واجبات بموجب الدستور، إلا أن ذلك لم يردعه عن أذية رسول الله ﷺ، وبقي كذلك حتى جاءت الفرصة المناسبة للتخلص منه وجعله عبرة لغيره.

فكان السبب المباشر لقتله، أنه عندما سمع خبر انتصار المسلمين في بدر، قال: "بطن الأرض خير من ظهرها، وأخذ يهجو النبي ﷺ ويحرض عليه كفار قريش"^(١) وينشد الأشعار ويبيكي أصحاب القليب من قريش الذين أصيبوا ببدر.

^١ - المرجع السابق (٨٧).

^٢ - انظر: ابن حجر، الإصابة: (٢٢/٦)، ابن الأثير، أسد الغابة: (٢٣٠/٤)، ابن سعد: الطبقات: (٤٤٣/٣): ابن خياط، الطبقات (٨٠/١)، أنساب الأشراف (٥٣٨/١)، (٣١٥/١).

^٣ - ابن سعد: الطبقات: (٤٤٣/٣).

^٤ - كعب بن الأشرف النضري من زعماء يهود المدينة، وأحد كبار أحبارهم، أضمر الحقد والحمد للنبي ﷺ منذ اللحظة التي وصلته أخبار بعثته، عاهد النبي ﷺ أن لا يعين عليه ولا يقاتله. انظر: مجموعة الوثائق المسياسية. محمد حميد الله (٤٣٩) شرح المواهب اللدنية: الزرقالي (٨/٢).

فلما بلغ الرسول ﷺ خبره عزم على قتله فانتدب لهذه المهمة كعب بن الأشرف وجعل الإمرة له، وانتدب معه أبا نائلة أحد بني عبد الأشهل، وكان أخا كعب بن الأشرف من الرضاة، وعباد بن بشر بن وقش أحد بني عبد الأشهل، والحارث بن أوس بن معاذ أحد بني عبد الأشهل، وأبا عيس بن جبر أحد بني حارثة^(١). وكان ذلك في ربيع الأول على رأس خمسة وعشرين شهرا من الهجرة^(٢).

وذكر عروة: "أن محمد بن مسلمة تشاور مع سعد بن معاذ رضي الله عنه بناء على أمر رسول الله ﷺ، فقال له سعد: توجه إليه واشك إليه الحاجة، وسله أن يسلفكم طعاما"^(٣).

روى البخاري ومسلم من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: "من لكعب بن الأشرف؟ فإنه قد أذى الله ورسوله" قال محمد بن مسلمة: يا رسول الله أتحب أن أقتله؟ قال: "نعم" قال: انذن لي فثأقل^(٤). قال: "قل".

فأتاه فقال له: وذكر ما بينهم، وقال: إن هذا الرجل يعني النبي ﷺ قد أراد صدقة، وقد عتانا^(٥)، قال: وأيضا والله لثمئته، قال: إنا قد اتبعناه الآن، ونكره أن ندعه حتى ننظر إلى أي شيء يصير أمره، قال: وقد أردت أن تُسلفني سلفا، قال: فما ترهنني؟ قال: ما تريد؟ قال: ترهنني نساءكم. قال: أنت أجمل العرب، أنرهنك نساءنا؟ قال له ترهنوني أولادكم، قال: يسب ابن أحدنا، فيقال: رهن في وسق، ولكن ترهنك الأمة - يعنى السلاح - قال فثعم. وواعدة أن يأكيه بالحارث وأبي عيس بن جبر وعباد بن بشر، قال: فجاءوا فدعوه ليلًا، فنزل إليهم، قال سقيان: قال غير عمرو: قالت له امرأته: إني لأسمع صوتًا كأنه صوت دم، قال: إنما هذا مُحَمَّدُ ابنُ مسلمة ورَضِيْعَةُ وأبو نائلة، إن الكريم لو دُعِيَ إلى طعنة ليلًا لأجاب، قال مُحَمَّدٌ: إني إذا جاء فسوف أمدُ يدي إلى رأسه، فإذا استمكنتُ منه فثوكتكم، قال: فلما نزل، نزل وهو موشح، فقالوا: نجدُ منك ريحَ الطيب، قال: نعم تُحسِّي فلانة هي أعطرُ نساءَ العرب، قال: فتأذن لي أن

١ - أبو داود، السنن، كتاب الخراج، باب كيف كان إخراج اليهود من المدينة وقال الألباني صحيح الإسناد (٣٠٠٢).
 ٢ - انظر تفصيل الخبر: ابن إسحاق، محمد بن إسحاق بن يasar، سيرة ابن إسحاق (المبتدأ والمبعث والمغازي)، معهد الدراسات والأبحاث للتعريف، تحقيق: محمد حميد الله (٢٩٨-٢٩٩)، ابن هشام، السيرة النبوية من رواية ابن إسحاق (١٠/٣)، رواه الإمام أحمد، المسند (٤٩/١٢)، المغازي: الواقدى، (١٥٨-١٦٠)، حسن ابن حجر إسناده. انظر: فتح الباري (٣٣٩/٧)، وقال الهيثمي: فيه ابن إسحاق وهو مدلس وبقيّة رجاله رجال الصحيح. مجمع الزوائد (١٩٦/٦).
 ٣ - ابن سعد: الطبقات، (٣١/٢).
 ٤ - ابن حجر، فتح الباري (٣٣٨/٧).
 ٥ - أن يقولوا في الرسول ﷺ ما لا يعتقدون، من باب الخدعة.
 ٦ - شق علينا وأجهدنا.

أشتم ميثه، قال: نَعَمْ، فَتَنَّم، فَتَنَاولَ فَتَنَّم، ثُمَّ قَالَ: أَتَأْتِنَ لِي أَنْ أَعُوذَ؟ قَالَ فَاسْتَمْتَكَنَ مِنْ رَأْسِهِ، ثُمَّ قَالَ: دُونَكُمْ، قَالَ: فَتَقْتُلُوهُ^(١).

وبهذا نجح الأمير الشجاع بعد المشاورة مع أصحابه بناء على طلب رسول الله منهم، فتم وضع خطة ناجحة مدروسة استطاع من خلالها أن ينهي حياة أحد أعداء المسلمين الذين آذاهم وحرص عليهم كثيرا.

وبعد مقتل عدو الله كعب بن الأشرف أخرج رسول الله ﷺ السنة أعدائه، ورد كيدهم في نحورهم، وكبت حقدهم في صدورهم دون أن تراق دماء كثيرة، وأصبح عبرة لمن تسول له نفسه من اليهود، أو المشركين القيام بمثل ما فعل.

من خلال هذه السرية يتبين لنا أسلوب النبي ﷺ النادر، وطريقته الفذة في اختيار الأمراء والقادة، فهذه العملية الناجحة التي هزت كيان المشركين واليهود كانت على مستوى عال من التخطيط والدراسة، من حيث اختيار رجالها، واختيار الزمان والمكان.

فرجال هذه السرية كلهم من المدينة، وبالتحديد من الأوس، وعلى رأسهم أميرهم محمد ابن مسلمة، وصاحب مشورتهم سعد بن معاذ الذي أمره النبي ﷺ أن يبعث رهطا يقتلون كعب ابن الأشرف^(٢).

فاختار النبي ﷺ محمد بن مسلمة أميرا على هذه السرية؛ لمعرفته الجيدة بكعب بن الأشرف، ومعرفة الحصن الذي كان يختبئ فيه، حيث كان بينه وبين كعب صداقة، وقيل إنه خاله ونديمه في الجاهلية، فكان أكثر الناس معرفة به، أضف إلى ذلك وجود أبي نائلة وهو أخو كعب من الرضاة، وهذا الذي جعل كعبا يطمئن إليهم واختار معه مجموعة من الرجال كلهم من أهل المدينة، وهم من أدري الناس بشعاب المدينة وشعاب بني النضير، والمهمة بحاجة إلى تخطيط وحذر شديد، فكان من المناسب أن يكونوا من المدينة.

وقد وردت عدة روايات تبين هذه الصلة: قال كعب عندما منعه امرأته من النزول إليهم: "إنما هو أخي محمد بن مسلمة"^(٣)، ورضيعي أبو نائلة"^(٤).

وقال ابن حجر: إن أبا نائلة أخوه من الرضاة، ومحمد بن مسلمة ابن أخته، وذلك كما في مرسل عكرمة: "فقال محمد بن مسلمة: هو خالي"^(١).

١ - البخاري، كتاب المغازي، باب قتل كعب بن الأشرف (٢٨١١) صحيح مسلم، واللفظ له، كتاب الجهاد والسير، باب قتل كعب بن الأشرف طاغوت اليهود رقم (٤٧٦٥).

٢ - كما هو واضح من رواية كعب بن مالك عند أبي داود، كتاب الخراج، باب كيف كان إخراج اليهود من المدينة (٣٠٠٢).
٣ - قال النووي والزرقاتي: ذكر أهل السير أن أبا نائلة كان رضيعا لأبن مسلمة، فتحصل أن أبا نائلة رضيع لمحمد وكعب.
انظر: شرح النووي (١٦٢/١٢)، ويؤيد هذا رواية النمائي أنه قال "إنما هذا محمد ورضيعه أبو نائلة" السنن الكبرى (١٩٢/٥).

٤ - البخاري، كتاب المغازي (٤٠٣٧).

ثانيا: تأمير محمد بن مسلمة على سرية إلى القرطاء^(١):

بعد غزوة الأحزاب، وعودة جموع الكفر تجر أنيال الخزي والعار، أراد النبي ﷺ أن يوجه رسالة إلى الأحزاب والحلفاء، يبين من خلالها أن المسلمين أقوياء، ويستطيعون أن يضربوا أعداءهم في كل مكان، فبعد غزوة الأحزاب وفي السنة السادسة الهجرية لعشر ليال خلون من المحرم على رأس خمسة وخمسين شهرا من مهاجر رسول الله ﷺ، بعث رسول الله ﷺ محمد بن مسلمة في ثلاثين رجلا، فيهم عباد بن بشر، وسلمة بن سلامة بن وقش، والحارث ابن خزيمة، إلى القرطاء، وكانوا ينزلون البكرات^(٢) بناحية ضرية^(٣)، وأمره أن يسير الليل ويكن النهار وأن يشن عليهم الغارة^(٤).

اشترك في هذه السرية سادات الأوس، وعلى رأسهم محمد بن مسلمة، ﷺ الذي اختاره النبي ﷺ لإمارة هذه السرية بعد نجاحه في المهمة الصعبة الأولى، التي كلفه بها، وهي قتل كعب ابن الأشرف، ولعل سبب اختياره أنه يتقن حرب العصابات، حرب الكرّ والفرّ، ولأنه أعرف الناس بالقرطاء وأهل هوازن، فهو من الأوس ومن أدري الناس بأهل المدينة من غيره، وهو من أكفأ رجال الأنصار لتنفيذ هذه المهمة، وتحقيق أهدافها.

لقد كان لهذه السرية أثر كبير على الأعداء، حيث يتناقل العرب أن جنود محمد ﷺ كادوا يطرقون أبواب العراق، ويجوبون نجدا، التي شاركت فيها خيالاتها الكبرى في الحرب، فهي رسالة موجهة إلى الأحزاب والحلفاء، أن يد محمد ﷺ ستطالهم أينما كانوا، وفي أي موقع وجدوا. خصوصا بعد الصورة التي حاول المشركون أن يرسموها لرسول الله ﷺ بأنه لجأ إلى الخنادق خوفا من المواجهة، فأنبأ هذه السرية سوف تخلخل كل المحاولات الإعلامية، والحرب النفسية التي يريد الحلفاء أن يثيروها ضد رسول الله ﷺ^(٥).

١ - ابن حجر، فتح الباري (٤٢٢/٧).
٢ - القرطاء: قبيلة من هوازن، وهم بنو قرط وقريط، بطن من بني بكر بن كلاب: انظر ابن هشام، السيرة النبوية (٨٩/٢)، ابن سعد: الطبقات (٧٨/٢).
٣ - البكرات: جبال منمّخ سود بناحية ضرية. انظر: معجم البلدان (٢٥٦/٢).
٤ - ضرية: قرية عامرة قديمة على وجه الدهر، في طريق مكة من البصرة، تقع في نجد فيها مياه من بئر. انظر: معجم البلدان (٤٣١/٥)، قال ابن سعد: بين ضرية والمدينة سبع ليال، ابن سعد، الطبقات (٥٦/٢).
٥ - انظر: الواقدي، المغازي، (٢٨١) ابن سعد، الطبقات (٧٨/٢). عيون الأثر: ابن سيد الناس، ذكره من طريق ابن لهيعة عن أبي الأسود عن عروة (١٠٨/٢)، وذكر ابن هشام الخبر في جملة مرايا النبي ﷺ، ولم يذكر تفصيل الخبر، الحديث فيه ابن لهيعة وهو ضعيف، وفي طرفه الأخرى انقطاع، فالخير لا تخلو طرقه من الضعف، ولكنها تتعاضد فيما بينها، لتكسبه نوعا من القوة مما يجعلنا نستأنس لقبوله تاريخيا.
٦ - منير الغضبان، التربية القيادية (١٣٦/٤).

ففي أقل من شهر، وبعد غزوة الأحزاب، وعودتهم بغیظهم خاسرين، كانت هذه السرية تجوب الجزيرة؛ لتطرق مضارب أعز العرب بني عامر بن صعصعة الذين كانوا يطمحون أن تكون لهم سيادة البادية كلها؛ ولذلك اختار لها أكفا رجاله وأثقلهم عنده^(١).

ثالثا: تأمير محمد بن مسلمة على سرية إلى ذي القصة^(٢):

"بعث النبي ﷺ محمد بن مسلمة إلى ذي القصة في شهر ربيع الآخر سنة ست من مهاجر رسول الله ﷺ في عشرة نفر إلى بني ثعلبة وبني عوال من ثعلبة بن سعد، وهم بذوي القصة، فوردوا عليهم ليلا، فكمن القوم حتى نام ونام أصحابه، فأحرق به القوم وهم مائة رجل، فما شعر القوم إلا بالنبل قد خالطتهم، فوثب محمد بن مسلمة وعليه القوس، فصاح بأصحابه السلاح فوثب فتراموا ساعة من الليل ثم حملت الأعراب عليهم بالرماح فقتلوا منهم ثلاثة، ثم انحاز أصحاب محمد إليه فقتلوا من القوم رجلا، ثم حمل القوم فقتلوا من بقي منهم، ووقع محمد ابن مسلمة جريحا، فضرب كعبه فلا يتحرك.... فبعث رسول الله ﷺ أبا عبيدة بن الجراح في أربعين رجلا إلى مصارع القوم، فلم يجدوا أحدا، ووجدوا نعما وشاء فساقه ورجع إلى المدينة فخمسه وقسم أربعة أخماسه فيهم"^(٣).

محمد بن مسلمة أمير السرايا، أمره النبي ﷺ على ثلاث سرايا، حقق نجاحا كبيرا في سريتين الأولى لقتل كعب بن الأشرف والثانية إلى القرطاء، وأخفق في السرية الثالثة حيث أخذ هو وأصحابه غدرا وهم نيام، ولولا الغدر ما انتصروا عليهم .

كان محمد بن مسلمة من شجعان الصحابة، حتى لقب بفارس نبي الله^(٤)، فسخر كل شجاعته في إعلاء كلمة الله تحت لواء الرسول القائد ﷺ جنديا وقائدا.

والمتتبع لسيرة محمد بن مسلمة يجد أنه قائد مغوار لا يشق له غبار، كان موضع ثقة النبي ﷺ منذ دخوله في الإسلام، وكان دائما في المقدمة، ففي غزوة أحد ولاء النبي ﷺ على الحرس وكان معه خمسون رجلا^(٥)، وفي غزوة بني النضير من يهود كلفه النبي ﷺ تبليغهم بالجلاء وتوليته إجلاءهم، وإخراجهم من ديارهم وقبض أموالهم وسلاحهم؛ لأنه من الأوس حلفاء

^١ - المرجع السابق (١٣٦/٤).

^٢ - ذو القصة: موضع بينه وبين المدينة أربعة وعشرون ميلا، انظر معجم البلدان (١١٤/٧)، وقال البلاذري: هو على الطريق من المدينة إلى العراق المار بالقصيم، وهذا التحديد يجعله قريبا من الطرف (الصوتيرية) اليوم، انظر: المعالم الجغرافية (٢٥٥).

^٣ - المغازي: الواقدي، رواه بسنده عن محمد بن سلمة (٣٩٢)، ابن سعد، الطبقات: (٨٥/٢)، عيون الأثر (١٣٨/٢).

^٤ - ابن سعد، الطبقات (٤٤٥/٣).

^٥ - البلاذري، أنساب الأشراف (٣١٥/١).

بني النضير، فأثبت محمد بن مسلمة أن ولاءه للإسلام وحده لا لأعداء الإسلام، حتى لو كانوا من حلفائه المقربين إلى قومه، وبهذا حلت مثل الإسلام مكان تقاليد الجاهلية.

كان محمد بن مسلمة موضع ثقة النبي ﷺ فكان كلما دعت الحاجة يؤمره لمعرفة الجيدة بصفاته القيادية وقدرته على تولي المسؤولية، فقد كان موفقا في كل سرية قادها، وعلى وجه الخصوص العمليات الفدائية التي كان يقوم بها، ممثلة في قتل ابن الأشرف، ثم في أثناء قيادته للسرية المتجهة إلى القرطاء، وأخيرا قيادته لسرية ذي القصة. فعلى الرغم من تفوق الأعراب عليهم بالعدد والعدة إلا أنه قد نفذ المطلوب منه في شجاعة فائقة حتى أصيب إصابة بالغة.

وبعد انتقال النبي، ﷺ إلى الرفيق الأعلى، تولى كثيرا من المناصب الإدارية في عهد أبي بكر وعمر وعثمان، فكان موضع ثقتهم جميعا، كما كان موضع ثقة النبي ﷺ الكاملة من قبلهم، وهذا يدل أنه كان ذا كفاءة عالية، وكان يتحمل المسؤولية في أي مكان يكون فيه.

٦- زيد بن حارثة:

زيد الحب بن حارثة بن شراحيل بن عبد العزى بن امرئ القيس بن عامر بن النعمان ابن عامر بن عبد ود بن عوف بن كنانة بن عوف بن غزرة بن زيد اللات بن رفيدة بن ثور بن كلب بن وبرة بن تغلب بن حلوان بن عمران بن الجاف بن قضاعة. من السابقين الأولين للإسلام، حيث أسلم بعد علي بن أبي طالب. وشهد زيد بن حارثة بدرًا وما بعدها واستشهد في غزوة مؤتة وهو أمير، واستخلفه النبي ﷺ في بعض أسفاره على المدينة^(١).

أمره النبي ﷺ على أكثر من سرية، وكانت أول سرية خرج فيها زيد أميرا هي سرية القرظة، ثم سريته إلى الجَموم، ثم سريته إلى العيص، ثم سريته إلى الطرف، ثم سريته إلى حسمى، ثم سريته إلى وادي القرى، ثم عقد له رسول الله، ﷺ على الناس في غزوة مؤتة^(٢).

^١ - انظر: الطبقات (٤٠/٣)، ابن عبد البر، الاستيعاب (١٦١/١)، ابن الأثير، أسد الغابة (٣٣٥/١)، ابن حجر، الإصابة (٢٥/٣).

^٢ - ابن سعد، الطبقات (٤٦/٣).

أولاً: تأمير زيد بن حارثة على سرية إلى القردة^(١):

أول سرية خرج فيها زيد بن حارثة أميراً، في جمادى الآخرة على رأس سبعة وعشرين شهراً من مهاجر رسول الله ﷺ^(٢)، أي في السنة الثالثة للهجرة.

وكان سبب هذه السرية أن قريشا خافوا طريقهم الذي كانوا يسلكونه إلى الشام، حين كان من وقعة بدر ما كان، فسلكوا طريق العراق، فخرج منهم تجار فيهم، أبو سفيان بن حرب^(٣). ومعه فضة كثيرة، وهي عظم تجارتهم، واستأجروا رجلاً من بني بكر بن وائل، يقال له فرات بن حيان يدلهم في ذلك على الطريق^(٤).

فعلم النبي ﷺ من سليط بن النعمان، وهو عين لرسول الله ﷺ أنهم غيروا مسارهم، واستبدلوا طريق تجارتهم المعهود إلى طريق آخر، فأراد النبي ﷺ أن يتابع سياسة الحصار الاقتصادي، ويعترض طريق تجارتهم الجديد ويباغتهم في الزمان والمكان؛ ليحقق السيطرة السياسية على المنطقة.

فجهز سرية اعتراضية مكونة "من مائة رجل وأمر عليهم مولاة زيد بن حارثة، ﷺ... فاعترضوا لها فأصابوا العير، وأفلت أعيان القوم وأسروا رجلاً أو رجلين، وقدموا بالعير على النبي ﷺ فخمسها..."^(٥).

وقد اختار النبي ﷺ زيد بن حارثة أميراً على هذه السرية؛ لأنه من أعرف الناس بشعاب مكة، وخاصة أن القافلة قد غيرت مسارها من طريق الساحل إلى طريق العراق، وهو طريق وعر غير مسلك حيث وصفها أحد خبراء المنطقة: فرات بن حيان بقوله لصفوان: "أنا أسلك بك طريق العراق، ليس يطؤها أحد من أصحاب محمد، إنما هي أرض نجد وقياف؛ لهذا لا بد من أن يكون الرجل الذي يقود السرية على خبرة كبيرة بالطرق التجارية، ومداخل مكة ومخارجها، وزيد بن حارثة من التجار المعروفين .

وكان من نتائج هذه السرية أن النبي ﷺ صعد الحصار الاقتصادي على قريش، فهدد طريق تجارتهم إلى العراق أيضاً، بعد أن هدد طريق مكة - الشام، وطريق مكة - الطائف.

^١ - القردة: ماء من مياه نجد، وهذا الماء في المنطقة الواقعة شمال شرقي المدينة، ويبدو أن هذه هي الطريق التي تجعل خيبر يسارها أيضاً وتمر بسلاح المعروفة اليوم بالعشاش، على مرحلة شمال خيبر الحموي، البلادي، المعالم الجغرافية (٢٥٤).

^٢ - الواقدي، المغازي (١٦٦)، ابن سعد، الطبقات: (٣٦/٢) البيهقي، دلائل النبوة (١٨٩/٣).
^٣ - ذكر الواقدي وابن سعد أن عليهم صفوان بن أمية وهو الذي استأجر الدليل. انظر: المغازي: (١٦٦-١٦٧)، الطبقات (٢٧/٢).

^٤ - الواقدي، المغازي (١٦٦-١٦٧)، ابن سعد، الطبقات (٢٧/٢)، الطبري، التاريخ (١٤٥/٢). السيرة الحلبية (١٥٤/٣).
^٥ - ابن هشام، السيرة النبوية عن ابن إسحاق (٧/٣). وانظر: الواقدي، المغازي (١٦٦-١٦٧)، ابن سعد، الطبقات (٢٧/٢)، الطبري، التاريخ (١٤٥/٢). السيرة الحلبية (١٥٤/٣)، الروض الأنف (٢٢٦/٣)، مبل الهدى والرشاد (٣٢٢/٦)، والخبر نكره ابن إسحاق بدون سند، والواقدي عن مجموع شيوخه، وشيوخه فيهم الضعيف والمجهول فهو ضعيف حديثاً.

ثانيا: تأمير زيد بن حارثة على سرية إلى بني سكين بالجموم^(١):

في شهر ربيع الآخر من سنة ست للهجرة^(٢)، "بعث رسول الله ﷺ ، زيد بن حارثة إلى بني سليم ، فسار حتى ورد الجموم ، فأصابوا عليه امرأة من مزينة يقال لها حليمة، فدلتهم عن محلة من محال بني سليم، فأصابوا في تلك المحلة نعما وشاء وأسرى، فكان فيهم زوج حليمة المزينة، فلما قفل زيد بن حارثة بما أصاب، وهب رسول الله ﷺ ، للمزينة نفسها وزوجها"^(٣).

وقد كان هدف هذه السرية تأمين المدينة القاعدة الأمانة للإسلام، وفرض سيطرة المسلمين على القبائل التي حولها، وتشديد وطأة الحصار الاقتصادي على قريش وحلفائها، وقد اختار الرسول ﷺ لهذه المهمة زيد بن حارثة لأنه أعرف من غيره في تلك المنطقة.

ثالثا: تأمير زيد بن حارثة على سرية إلى العيص^(٤):

في جمادى الأولى سنة ست من مهاجر رسول الله ﷺ^(٥)، وامتدادا لسياسة النبي ﷺ في تشديد الحصار الاقتصادي على قريش، "بلغ رسول الله ﷺ ، أن عيرا لقريش قد أقبلت من الشام، فبعث زيد بن حارثة في سبعين ومائة راكب يتعرض لها، فأخذوها وما فيها وأخذوا يومئذ فضة كثيرة لصفوان بن أمية، وأسروا ناسا ممن كان في العير، منهم أبو العاص بن الربيع، والمغيرة بن معاوية بن أبي العاص"^(٦).

وهكذا تابع النبي ﷺ سياسته في الحصار الاقتصادي على قريش التي تعيش على التجارة وتعددها المورد الرئيس لها، فكان يضيق عليهم الخناق ويطاردهم في كل مكان، وكان يوكل هذه المهام إلى زيد بن حارثة، ويجعله أميرا على بعض هذه السرايا.

رابعا: تأمير زيد بن حارثة على سرية إلى الطرف^(٧):

أراد النبي ﷺ تأمين المدينة المنورة، قاعدة للإسلام، وذلك بفرض سيطرة المسلمين على قبائل المدينة، بالهجوم عليها، لذلك "بعث رسول الله ﷺ زيد بن حارثة إلى الطرف في جمادى الآخرة من سنة ست للهجرة فخرج إلى بني ثعلبة في خمسة عشر رجلا، حتى إذا كانوا بالطرف أصاب نعما وشاء، وهربت الأعراب، وخافوا أن يكون رسول الله ﷺ قد سار إليهم، فانهدر زيد

١ - الجموم ناحية بطن نخل من المدينة على اربعة أميال وهي أرض لبني سليم. وهو ماء لا زال مغروفا على المنفوح الشرقيّة لخرّة كئيب ، وهو التوم للروقة من غنّية انظر: الحموي معجم البلدان. (١٤٠/٣)، البلادي، المعالم (٨٦).

٢ - المغازي الواقدي (٧)، ابن سعد، الطبقات (٨٦/٣).
٣ - ابن سعد، الطبقات (٨٦/٢)، البيهقي، دلائل النبوة: (١٣٥/٤) ابن القيم، زاد المعاد (٢٤٩/٣)، ابن سيد الناس، عيون الأثر (١٣٩/٢) تاريخ الإسلام (٣٥٣/٢). هذا الحديث انفرد به ابن سعد بدون سند وهو خبر ضعيف.

٤ - العيص: موضع في بلاد بني سليم، وإد لجّهية بين المدينة والبحر ، يصب في إضم من التيسار من أطراف جبل تلأجرذ التريية ومن الجبال المنصلة به ، ومن جزار تقع بين إضم وتبّيع ، وفيه عيون وفقرى كثيرة ، وبه مركز إمارة ومدارس وشروطة ومحاكمة شرعية ، انظر البلادي، المعالم الجغرافية (٨٦).

٥ - الواقدي، المغازي (٣٩٣)، ابن سعد، الطبقات (٨٧/٢)، زاد المعاد (٢٤٩/٣).

٦ - ابن سعد، الطبقات (٨٧/٢)، عيون الأثر (١٤٠/٢) الواقدي، المغازي (٣٩٣).

٧ - الطرف، وهو ماء قريب من المراض دون النخيل على ستة وثلاثين ميلا من المدينة باتجاه العراق. انظر معجم البلدان (٤٣/٦)، الطبقات (٨٧/٢).

ابن حارثة حتى صبح المدينة بالنعيم، وخرجوا في طلبه حتى أعجزهم، فقدم بعشرين بعيراً. ولم يكن قتالاً فيها، وإنما غاب أربع ليالٍ "وكان شعارهم (١) "أمت! أمت!" (٢).

وكان هدف هذه السرية تأمين المدينة القاعدة الأمانة للدولة الإسلامية، وفرض سيطرة المسلمين على القبائل، بالهجوم عليها، لأن الهجوم أنجع وسائل الدفاع، إذ إن الأعراب إذا لم يهاجموا من المسلمين، هاجموا المسلمين، كما هو دأبهم (٣).

خامساً: تأمير زيد بن حارثة على سرية وادي القرى (٤):

بعث النبي ﷺ زيد بن حارثة على رأس سرية إلى وادي القرى في رجب من السنة السادسة الهجرية (٥)؛ لتأديب بني قزارة، فأصبحت هذه السرية وأصيب بها ناس من أصحابه، وانفلت زيد من بين القتلى. فلما قدم زيد بن حارثة، نذر أن لا يمسه رأسه غسل من جنابة حتى يغزو قزارة (٦).

وفي رواية "أن زيد بن حارثة خرج في تجارة إلى الشام، ومعه بضائع لأصحاب النبي ﷺ فلما كان دون وادي القرى لقيه ناس من قزارة من بني بدر، فضربوه وضربوا أصحابه حتى ظنوا أن قد قتلوا، وأخذوا ما كان معهم، فقدم على رسول الله ﷺ وأخبره الخبر، وآلى أن لا يمسه رأسه غسل جنابة حتى يغزو بني قزارة" (٧). وهذه الرواية أقرب للصواب وأقرب إلى المنطق، فعدد أفراد السرية قليل ولا يمكن أن يبعث النبي ﷺ إلى بني قزارة مثل هذا العدد، إلا إذا كانت سرية استطلاعية فانكشف أمرها فكان ما كان.

١ - الشعار: العلامة التي يتعارفون بها عند القتال.

٢ - الواقدي، المغازي (٣٩٤)، ابن سعد، الطبقات (٨٧/٢)، ابن سيد الناس: عيون الأثر (١٤٠/٢).

٣ - قادة النبي ﷺ (١٦٤).

٤ - وادي القرى: وهو واد بين المدينة والشام، يعرف اليوم بوادي العلا وهي مدينة عامرة شمال المدينة على قرابة (٣٥٠) كيلاً، كثيرة المياه والزرع والأهل، وواديها - وادي القرى - يصب في وادي الجزل. انظر: البلاذري، المعالم الجغرافية (٣٢٤).

٥ - ابن سعد، الطبقات (١٠٨/٢).

٦ - ابن هشام، المسيرة النبوية، عن ابن إسحاق بدون سند (١٦٩/٤)، الواقدي، المغازي، (٣٣٩-٤٠٠)، ابن سعد، الطبقات (٨٧/٢)، مسند أبي حنيفة (٣٦٤/٤). ابن سيد الناس، عيون الأثر: ذكره عن أبي الأسود عن عروة (١٤٢/٢)، وذكر طرفاً منه ابن حجر، فتح الباري (٤٩٨/٧)، وهذا الخبر مجمع عليه بين أهل المغازي.

٧ - الواقدي، المغازي، (٣٣٩-٤٠٠). ابن سعد، الطبقات (٨٧/٢)، وقد ذكر ابن سعد والواقدي سريتين لزيد بن حارثة هذه واحدة والثانية إلى بني قزارة لقتل أم فرقة، قلت: السرية الثانية كان أميرها أبا بكر الصديق وكان زيد أحد أفرادها ولكن اشتبه عليهم هذا.

سادسا: تأمير زيد بن حارثة على سرية إلى حسنى^(١) (جذام):

بعث النبي ﷺ زيدا أميرا على سرية إلى حسنى، في جمادى الآخرة من السنة السادسة للهجرة^(٢).

وسبب هذه السرية هو الاعتداء: "إذ أقبل نحية بن خليفة الكلبي من عند قيصر وقد أجازته بمال وكساء، حتى إذا كان بوادٍ من أوديتهم، يقال له: شنار أغار عليه الهنيد بن عوص، وابنه عوص بن الهنيد الضلعيان في ناس من بني جذام بحسنى، فقطعوا عليه الطريق، ولم يتركوا عليه إلا سمل ثوب^(٣)، فسمع بذلك نفر من بني الضبيبي، قوم رفاة ممن كان أسلم، فنفروا إليهم فاستقنوا لنحية متاعه ورجع به سالما إلى المدينة، حتى قدم نحية على النبي ﷺ فأخبره بذلك فبعث رسول الله ﷺ إليهم زيد بن حارثة وذلك الذي هاج غزوة زيد جذام وبعث معه جيشا...^(٤)".

والهدف من هذه السرية، تأديب بني جذام الذين اعتدوا على نحية بن خليفة الكلبي، وهم يعلمون أنه أحد المسلمين، وليس النبي ﷺ بالذي يرضى باعتداء أحد على مسلم من المسلمين، لأن الاعتداء عليه اعتداء على المسلمين كافة، وخاصة أن النبي ﷺ، يريد أن يفرض هيبة الدولة الإسلامية على الأعراب والقبائل.

سابعا: تأمير زيد بن حارثة على سرية إلى مقنا (مدين)^(٥).

بعث رسول الله ﷺ حبه ومولاه زيد ابن حارثة ﷺ على سرية إلى منطقة مدين، وبالتحديد إلى بلدة مقنا على ساحل البحر الأحمر وكان هذا قبل معركة مؤتة^(٦). وهذا الخبر انفرد به ابن إسحاق قال: "بعث رسول الله ﷺ زيد بن حارثة إلى مدينة مقنا، فأصاب منهم سيايا منهم ضميرة مولى علي بن أبي طالب _ وأخوه، وأمه، وأبوه _ فقدم بهم

^١ - حسنى: أرض ببادية الشام، وراء وادي القرى، انظر الحموي، معجم البلدان (٢٧٦/٣)، ابن سعد، الطبقات، (٨٧/٢).
^٢ - الواقدي، المغازي (٣٩٥/٣٩٤)، ابن سعد، الطبقات (٨٨/٢)، ابن سيد الناس عيون الأثر (١٧٠/٢)، وذكرها ابن خلدون في سرياه ﷺ أنها كانت سنة سبع (٨٦)، وجزم ابن القيم بأنها بعد الحديبية. انظر زاد المعاد (٢٨٤/٣)، ولعل الصواب معهم على أن نحية ذهب إلى هرقل حاملا رسالة النبي ﷺ وهذا كان بعد الحديبية كما ذكره الزرقاني في شرح المواهب (١٥٨/٢) وهو الموافق لرواية صحيح مسلم في بعث الرسائل إلى الملوك.

^٣ - السمل: الخلق من الثياب. انظر: النهاية في غريب الحديث (١٨٢/٢).
^٤ - انظر: ابن هشام، السيرة النبوية عن ابن إسحاق (١٦٦/٤-١٦٧)، الواقدي، المغازي (٣٩٥/٣٩٤)، ابن سعد، الطبقات (٨٨/٢)، الطبري، التاريخ (١٢٦/٢)، وقال الهيثمي: رواه الطبراني متصلا هكذا، ومنقطعاً مختصراً عن ابن إسحاق لم يجاوزه، وفي المتصل جماعة لم يعرفهم، وإسنادهما إلى ابن إسحاق جيد. انظر: مجمع لزوائد: (٣١٠/٥): قلت: في إسناده جهالة، فالحديث إسناده ضعيف.

^٥ - مدين: بلد بالشام: وقال الحازمي: "بين وادي القرى والشام"، وقيل: "مدين تجاه تبوك بين المدينة والشام على ست مراحل، وبها استقى موسى - عليه السلام - لبنات شعيب، وبها بنو قديس بن علي بن بيت". انظر التفاصيل: البكري، معجم ما استعجم، (١٢٠١/٤).

^٦ - لم تحدد الروايات التي سافت خبر السرية وقت بعث هذه السرية ولا عدد أفرادها.

على النبي ﷺ ، فأمر رسول الله ﷺ ببيعهم. فخرج إليهم وهم يبكون فقال لهم: مما يبكون؟ قالوا :
"فرقتنا بينهم وهم أخوة".. فقال رسول الله ﷺ: "لا تفرقوا بينهم ببيعهم جميعاً"^(١)

واستطاع زيد ﷺ التوغل في تلك المنطقة البعيدة عن قاعدة المسلمين ومناطق نفوذهم،
ونجح ﷺ في الإغارة عليهم، وسببهم ودب الرعب في قلوبهم.

يتضح لنا من خلال دراسة السرايا التي تولى قيادتها زيد، بأنها غارات لها تأثير معنوي
على الأعداء بالدرجة الأولى، وكان النبي ﷺ يتوخى من تلك السرايا إثبات قوة المسلمين، حتى
يحول دون مهاجمة المسلمين من أولئك الأعداء، وكان بهذه السرايا يطبق الفكرة السوقية
المعروفة "الهجوم أنجع وسائل الدفاع"^(٢).

ومن هنا فإننا نلاحظ أن النبي ﷺ كان يرى في زيد بن حارثة القائد الناجح، الذي يستطيع
أن يقوم بأي مهمة يوكلها إليه رسول الله ﷺ ، فقاد حوالي سبع سرايا لرسول الله ﷺ كان هو
الأمير فيها بلا منازع، وكما تقول السيدة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها " ما بعث رسول
الله ﷺ زيد بن حارثة في جيش قط إلا أمره عليهم" ولو بقي بعده استخلفه"^(٣).

وعن سلمة بن الأكوع ﷺ قال: غزوت مع النبي ﷺ سبع غزوات ومع زيد بن حارثة
سبع غزوات يؤمره علينا رسول الله ﷺ^(٤).

لقد كان زيد خليفا للإمامة فقد سبر النبي ﷺ معادن الرجال وعرف أحوالهم، فرأى أن
هناك صفات كثيرة تجعل زيدا يتقدم على غيره في الإمامة، فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال:
قال رسول الله ﷺ : " وإني لأرجو أن يكون زيد بن حارثة - يعني زيد بن حارثة - وإن كان لمن
أحب الناس إلي"^(٥). كان زيد يتمتع بماض ناصع مجيد فقد ارتبط منذ صغره ببيت النبوة، فصنع
على عين سيد البشر ، فاستخلصه؛ ليكون أحد أمرائه على أكثر سراياه حتى استشهد.

على الرغم من أن زيد بن حارثة مولى من الموالى إلا أن النبي ﷺ قدمه على كثير من
أصحابه من سادات مكة والمدينة وهذا يدل على أن النبي ﷺ كان يختار أمراءه وفق أسس
ومعايير مدروسة بعيدا عن المحسوبية تقوم على الكفاءة والقدرة على تحقيق الأهداف، وفي هذا

^١ - سنن سعيد بن منصور، من حديث ابن إسحاق، وقال مقنا هي: مدين (٢٤٨/٢)، ابن هشام، الميرة النبوية (١٨١/٤)، ابن سيد
الناس، عيون الأثر (١٤٣/٢)، سبل الهدى: الشامي (١٥٢/٦)، الميرة الحلبية (١٨٥/٣)، قال عنه ابن حجر: سننه منقطع
لنظر: ابن حجر، الإصاب (٢١٤/٢). وفيه كذلك نسخة ابن إسحاق، وهو مدلس.

^٢ - قادة النبي ﷺ (١٨١).

^٣ - النسائي، السنن الكبرى: ، كتاب المناقب ، زيد بن حارثة ﷺ (٨١٨٢). رواه الإمام أحمد، المعتمد، وقال الشيخ شعيب: صحيح
الإسناد (٢٨١/٦). الحاكم، المستدرک على الصحيحين، كتاب مناقب الصحابة، وقال صحيح الإسناد (٤٩٥٣).

^٤ - صحيح البخاري ، كتاب المغازي ، باب بعث النبي ﷺ أسامة بن زيد إلى الحرقات (٤٠٢٣)، البيهقي ، السنن الكبرى ، كتاب
السيرة (٤٠/٩) وفيه تسع غزوات.

^٥ - البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب زيد بن حارثة مولى النبي ﷺ (٣٥٢٤)، معلّم، كتاب فضائل الصحابة، باب
فضائل زيد بن حارثة وأسامة بن زيد (٦٢١٢).

أيضا يبطال لعادات الجاهلية وأعرافها في الترفع على الموالى وعدم توليتهم في مؤسسات الدولة وخاصة إذا كانوا من أصحاب الكفاءة.

لقد قضى الإسلام مع ما قضى عليه من تقاليد الجاهلية، على الأنفة من تأمير من لم تقدمه السن، والاستمساك بعرى التفاضل بالأنساب والأحساب والعشائر والقبائل... إن التفاضل في الإسلام يخضع للتقوى وصالح الأعمال، بالإضافة إلى الكفايات المناسبة للعمل المناسب.

وهذا يتطلب من قادة العرب والمسلمين بخاصة، وقادة المناصب الإدارية والعلمية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية والزراعية والصناعية كل في موقعه بعامه في هذه الأيام أن يجعلوا النبي ﷺ مثلهم الأعلى وقدوتهم الحسنة في تولية المسؤولين، بعيدا عن الوساطة والمحسوبية، وتقديم الأقارب مع عدم كفاءتهم للقيام بالمهام والواجبات المنوطة بالعمل.

٧- أبو سلمة بن عبد الأسد المخزومي:

هو عبد الله بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤي القرشي المخزومي. أمه برة بنت عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، فهو ابن عمه النبي ﷺ وأخوه من الرضاعة، حيث أرضعته ثوية مولاة أبي جهل.

أسلم قبل دخول النبي ﷺ والمسلمين الأولين دار الأرقم، أسلم بعد عشرة أنفس، أول من هاجر من المسلمين إلى الحبشة مع زوجته أم سلمة، شهد غزوة بدر وغزوة أحد، ومات لثلاث ليال مضين من جمادى الآخرة سنة أربع للهجرة؛ بسبب الجرح الذي أصيب به يوم أحد^(١).

تأشير أبي سلمة على سرية إلى قطن^(٢) إلى بني أسد:

كان السبب المباشر لهذه السرية: " أن الوليد بن زهير بن طريف الطائي عم زينب الطائنية، أخبر النبي ﷺ أن طليحة وسلمة ابني خويلد قد سارا في قومهما بني أسد يدعونهم إلى حرب رسول الله ﷺ ، ويريدون أن يدنوا للمدينة ويغيروا على السرح في أطرافها^(٣)."

فدعا النبي ﷺ أبا سلمة في "محرم على رأس خمسة وثلاثين شهرا من الهجرة، فقال له: "اخرج في هذه السرية، فقد استعملتك عليها". وعقد له لواء وقال: "مر حتى ترد أرض بني أسد،

^١ - انظر: ابن سعد، الطبقات (٨٧/٨)، ابن عبد البر، الاستيعاب (٩٢٩/٣)، ابن الأثير، أسد الغابة (٢١٨/٥)، ابن هشام، السيرة النبوية (٢٦٩/١).

^٢ - قطن: وهو جبل بناحية فيد - ماء لبني أسد بن خزيمة، انظر الطبقات (٥٠/٢).

^٣ - الوادي، المغازي، (٢٥٩)، ابن سعد، الطبقات (٥٠/٢)، عيون الأثر (٥٤/٢). السيرة الحلبية (١٥٥/٣).

فأغر عليهم قبل أن تلاقى عليك جموعهم"، وأوصاه بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيراً، فخرج معه في تلك السرية خمسون ومائة^(١).

كان هدف هذه السرية هو القضاء على المتأمرين على الدولة الإسلامية، وتشتيت حشود بني أسد، وتفريق شملهم، وتحطيم معنوياتهم، حتى لا يفكروا مرة أخرى في مهاجمة المسلمين؛ لهذا أرسل النبي ﷺ أميراً شجاعاً ناجحاً استطاع من خلال خبرته الحربية أن يحقق هدف هذه السرية، ويعود إلى المدينة على رأس سريته سالماً غانماً.

وهذا هو منهج النبي ﷺ في اختيار الكفاءات العالية للمهام الصعبة، فاختار أباً سلمة ابن عبد الأسد؛ لمواجهة بني أسد، وهي القبيلة العربية القوية المتمرسه بالقتال والخبرة، وهي واحدة من كبريات القبائل العربية الأربع التي تعد ذات خطر ونفوذ كبيرين وهي: أسد وتميم وغطفان وهوازن، فأراد النبي ﷺ كسر شوكتهم قبل أن يهاجموا المدينة المنورة، فأراد أن يباغتهم برجل من بني مخزوم، ومن أدرك الناس بقبيلة أسد وأعرف من غيره بأحوال هذه المنطقة وهو أبو سلمة.

"ولعل أسباب اختيار أبي سلمة لهذه المهمة الصعبة بالإضافة إلى كفاءته وقدرته على الإمارة، هو أنه شريف بني مخزوم وسليلهم، وخالد بن الوليد المخزومي، هو الذي قاد الهجوم المضاد في أحد، وقلب موازين المعركة، وأوقع المحنة في المسلمين، وانتشر اسمه علماً ضخماً من أعلام القيادات العربية، فليكن الذي يقود الهجوم على بني أسد مخزومياً كذلك، ومن قبيلة خالد بن الوليد ويعرف العرب جميعاً أن بني مخزوم في قريش هم قادة المواجهة ضد الإسلام، فيروز أبي سلمة في الصف الإسلامي، دفع لكل من يراود الإسلام قلبه من أبناء القبائل العربية أن يسارع إلى الانضمام إلى الصف الإسلامي، ولو كانت قبيلته تحمل المواجهة ضد الإسلام، كما هو حال أبي سلمة المخزومي، ﷺ."

ومن أسباب اختياره أنه من المقرين إلى النبي ﷺ السابقين إلى الإسلام، وقد كان النبي ﷺ يعد لهذه المهمة الصعبة عمه حمزة وابن عمته عبد الله بن جحش اللذين افتقدتهما في أحد، وابن عمه عبيدة بن الحارث الذي افتقده في بدر، وإمارة السرية بالإضافة إلى الجانب الخطير فيها، فهي من باب التشريف والتكريم لمن يصطفيه النبي ﷺ* (٢).

^١ - البيهقي، دلائل النبوة، (٣١٩/٣)، الواقدي، المغازي، رواه موصولاً عن عمرو بن عثمان عن سلمة ابن أبي سلمة، (٢٥٧ - ٢٥٩)، ابن سعد، الطبقات (٥٠/٢). هذا الخبر انفرد به الواقدي، والواقدي ضعيف عند أهل الحديث ولكن الخبر يستأنس به تاريخياً.

^٢ - انظر: التربية القيادية: منير غضبان (٣/ ٢٣٥-٢٣٧).

حيث تكون كل العوامل مدروسة، ويتم الترجيح والاختيار والتغليب بينها في حسن اختيار القائد المناسب من أصحاب البصيرة النافذة.

ولم يكن أبو سلمة أميراً عسكرياً متميزاً فحسب، بل كان أميراً مدنياً إدارياً متميزاً أيضاً من الأمراء الإداريين الذين استخلفهم النبي ﷺ على المدينة المنورة حين كان يخرج للجهاد.

٨- عاصم بن ثابت بن أبي الأفلح:

عاصم بن ثابت بن أبي الأفلح واسم أبي الأفلح: قيس بن عصمة بن النعمان بن مالك بن أمة بن ضبيعة بن زيد بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس الأنصاري الأوسي ثم الضبعي، وهو جد عاصم بن عمر بن الخطاب لأمه، وهو "حمي الذئب"^(١)، يكنى أبا سليمان وهو من السابقين الأولين إلى الإسلام، شهد بدرًا وأحدًا وثبت يوم أحد مع رسول الله ﷺ حين ولى الناس، وكان من الرماة المذكورين من أصحاب رسول الله ﷺ، استشهد في سرية الرجيع في بداية السنة الرابعة للهجرة^(٢).

تأمير عاصم بن ثابت على سرية الرجيع^(٣):

بعد غزوة أحد في نصف صفر، في آخر تمام السنة الثالثة من الهجرة^(٤)، أو بداية السنة الرابعة^(٥)، ونتيجة للتحركات المعادية التي ظهرت على الأعراب في أعقاب غزوة أحد، بعث النبي ﷺ سرية الرجيع بإمرة عاصم بن ثابت^(٦)، وقد اختلفت مرويات سرية الرجيع فيما بينها، حول السبب الذي من أجله بعث النبي ﷺ هذه السرية.

^١ - البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة الرجيع ورجل وذكوان وبنو معونة (٣٨٥٨).
^٢ - انظر: ابن سعد، الطبقات (٤٦٢/٣-٤٦٣)، ابن عبد البر، الاستيعاب (٢٣٥/١)، ابن الأثير، أسد الغابة (٥٥٢/١). ابن حجر، الإصابة (٥٦٩/٣).
^٣ - الرجيع: ماء لهذيل، بين صفان ومكة، قرب الهداة بين مكة والطائف، يعرف اليوم باسم الوطنية، يقع شمال مكة على قرابة سبعين كيلاً، قبيل عمقان إلى اليمن، انظر: الحموي، معجم البلدان (٢٩/٢)، البكري، جده الله بن عبد العزيز الأندلسي، معجم ما استعجم، تحقيق السقا، عالم الكتب، بيروت، ط٣، ١٤٠٣هـ (٦٤١/٢)، البلاذري، عاتق بن غيث، معالم مكة التاريخية، دار مكة للنشر، مكة المكرمة، ط١، ١٤٠٠هـ (١١٣)، الحميري، الروض المعطار (٢٦٧).
^٤ - ابن هشام، السيرة النبوية ذكر ذلك ابن إسحاق (٩٤/٣)، ابن حزم، جوامع المسيرة (١٧٦)، ابن عبد البر، الدرر (١٦٨). (٩٤/٣).
^٥ - المغازي: الواقدي (٢٦٦)، ابن سعد، الطبقات (٥٥/٢).
^٦ - اختلف حول اسم أمير السرية، فعند البخاري أن أنه عاصم بن ثابت، (٣٦٩٠) (٥٨٣٨)، وذكر ابن إسحاق عن عاصم أنه مرثد بن أبي مرثد، ابن هشام، السيرة النبوية (٩٣/٣) وهو إسناد مرسل، وتردد الواقدي وابن سعد فمرة يذكران عاصم ومرة مرثد، انظر: ابن سعد، الطبقات (٥٥/٢)، وقال ابن حجر: وما في الصحيح أصح الأمير هو عاصم، انظر: فتح الباري (٤٢٠/١١).

فروى البخاري أنها استطلاعية لجمع المعلومات عن العدو، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية عينا، وأمر عليهم عاصم بن ثابت الأنصاري، وهو جد عاصم بن عمر بن الخطاب، فانطلقوا، حتى إذا كان بين عُسْتَانَ ومكة ذكروا لحي من هذيل...^(١).

وذكر أهل المغازي أن سرية الرجيع من السرايا الدعوية التعليمية التي بعثها النبي صلى الله عليه وسلم تلبية لرغبة بعض الأعراب من عَضَل والقارة، وهما من الهون بن خزيمة بن مدركة، أخي بني أسد بن خزيمة وطلبوا بعض المعلمين من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ ليفقهوهم في الدين، فقالوا له: يا رسول الله! إن فينا إسلاماً وخيراً؛ فابعث معنا نفرًا من أصحابك يفقهوننا في الدين، ويقرؤونا القرآن، ويعلموننا شرائع الإسلام^(٢).

قال الزرقاني: ويجمع بين الأمرين بأنه لما أراد بعثهم عيوننا، وافق مجيء النفر في طلب من يفقههم، فبعثهم في الأمرين^(٣).

وتفاصيل هذه السرية كما رواها البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: بعث النبي صلى الله عليه وسلم سرية^(٤) عينا، وأمر عليهم عاصم بن ثابت - وهو جد عاصم بن عمر بن الخطاب - فانطلقوا، حتى إذا كان بين عسفان ومكة ذكروا لحي من هذيل يقال لهم بنو لِحْيَانَ فتبعوهم بقريب من مائة رام فاقنصوا آثارهم، حتى أتوا منزلاً نزلوه، فوجدوا فيه ثوى تمر تزوئوه من المدينة، فقالوا: هذا تمر يثرب، فتبعوا آثارهم حتى لحقوهم، فلما انتهى عاصم وأصحابه لجؤوا إلى قنديل^(٥)، وجاء القوم فأحاطوا بهم فقالوا: لكم العهد والميثاق إن نزلتم إلينا أن لا نقتل منكم رجلاً. فقال عاصم: أمّا أنا فلا أنزل في نمة كافر، اللهم أخيراً عتاً نبيك. فرموهم حتى قتلوا عاصمًا في سبعة نفر بالليل، وبقي خبيب وزيد ورجل آخر^(٦) فأعطوهم العهد والميثاق، فلما أعطوهم العهد والميثاق نزلوا إليهم، فلما استمكنوا منهم حلوا أوتار قسيهم فربطوهم بها، فقال الرجل الثالث الذي معهم: هذا أول الغدر، فأبى أن يصحبهم فجرروه وعالجوه على أن يصحبهم فلم يفعل، فقتلوه، وانطلقوا بخبيب وزيد حتى باعوهما بمكة....^(٧)

^١ - البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة الرجيع ورغل وذكوان وبئر معونة (٣٨٥٨).
^٢ - ابن هشام، السيرة النبوية عن ابن إسحاق، (٩٢/٣)، البيهقي، دلائل النبوة، أخرجه عن ابن إسحاق وموسى بن عقبة (٣٢٨/٣)، المغازي: الواقدي (٢٦٦)، ابن سعد، الطبقات (٥٥/٢)، ابن حزم، جوامع السيرة (١٧٦)، قلت هذا إسناد مرسل.
^٣ - شرح المواهب، (١٧٣/٢). وقال أكرم العمري بعد سبأه لرواية ابن إسحاق: ولكن البخاري يقول: إن مهمة الوفد استطلاعية في حين يذكر ابن إسحاق أنهم معلمون، ويمكن الجمع بين المهمتين. انظر: المجتمع المدني: (٨٨).
^٤ - السيرة النبوية: ذكر ابن إسحاق أنهم ستة (٩٤/٣). وفي المغازي: تردد الواقدي، ذكر مرة أنهم سبعة ومرة ذكر أنهم عشرة (٢٦٦)، وعند البخاري: كتاب المغازي، باب غزوة الرجيع ورغل وذكوان، أنهم عشرة (٣٨٥٨)، وهو الصحيح.
^٥ - لنداد: هو المكان المرتفع فتح الباري (٤٧٦).
^٦ - تذكر كتب المغازي أن اسمه عبد الله بن طارق. انظر السيرة النبوية (٩٥/٣)، المغازي: (٢٦٨)، الطبقات (٥٦/٢).
^٧ - صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة الرجيع ورغل وذكوان وبئر معونة (٣٨٥٨). وباب فضل من شهد بدرًا رقم (٣٧٢٧).

لقد كان عاصم بن ثابت قائدا شجاعا ذا كفاءة عالية ، ولعل أكبر دليل على شجاعته عندما أحاط القوم بجماعته وأخذوا يفاوضونهم على الاستسلام المشروط بالأمان إن هم نزلوا إليهم دون مقاومة، فرفض عاصم وهو الأمير الشجاع ذلك العرض بشدة؛ لأنه شعر أنهم يبيتون لهم الغدر والخيانة مقمّما من نفسه نموذجا فريدا في القدوة لأصحابه، وهو يقول: " أما أنا فلا أنزل في نمة كافر اللهم أخبر عنا نبيك"^(١).

فقد كان عاصم بن ثابت من الدعاة القادة، الذين يضحون من أجل الدعوة وحمائتها والدفاع عنها وصيانة حرية انتشارها، حيث ضحى بروحه من أجل دينه، ولم يضح بدينه من أجل روجه.

وهذا يؤكد على أن اختيار النبي ﷺ لأمرائه كان يتناسب مع طبيعة السرية ومهمتها وهي استطلاع أحوال القبائل العربية، وهذه المهمة تحتاج لأمر يتّمتع بصفات عاصم، فهو أولا: من الرماة المذكورين من أصحاب النبي ﷺ ، ولا شك في أن الجماعات الاستطلاعية تحتاج إلى رماة للدفاع عن أنفسهم إذا لزم الأمر وهذا ما يتّمتع به عاصم ﷺ .

وثانيا: لأنه من أهل المدينة، ومن أدري الناس بهذه القبائل وأعرف من غيره لطبائعهم، ويعرف كل واحد منهم إلى أي قبيلة ينتمي، فيستطيع أن يراقبهم ويتتبع أحوالهم، ويأتي لقائده الأعلى بالأخبار المناسبة، فتكون في صالح الدعوة.

٩- المنذر بن عمرو الساعدي الخزرجي:

هو المنذر بن عمرو بن خنيس بن لوذان بن عبد ود بن زيد بن ثعلبة بن الخزرج بن ساعدة.

وكان المنذر يكتب بالعربية قبل الإسلام، وكانت الكتابة في العرب قليلة، ثم أسلم فشهد العقبة الكبرى مع السبعين رجلا من الأنصار، فاختره النبي ﷺ نقيبا من بين الاثني عشر نقيبا، وشهد المنذر بن عمرو بدرا وأحدا وكان على مسيرة المسلمين في هذه الغزوة، وبعثه رسول الله ﷺ أميرا على أصحاب بئر معونة، فقتل يومئذ شهيدا في صفر على رأس ستة وثلاثين شهرا من الهجرة^(٢).

^١ - المصدر السابق.

^٢ - انظر: ابن سعد، الطبقات (٥٥٥/٣)(٦١٨/٣)، ابن عبد البر، الاستيعاب(٤/١٤٥٠)، ابن الأثير، أسد الغابة، ابن حجر، الإصابة (٢١٧/٦).

تأمر المنذر على سرية بنر معونة^(١):

استمرارا لمنهج الإسلام في الدعوة إلى الله ونشر الإسلام، وعلى الرغم من ما أصاب الدعوة في صميم عملها بفقدان عدد من خيرة فرسانها في الرجيع، فقد واصل رسول الله ﷺ بث الدعوة، ونشر الدعوة إلى الله في كل مكان يستطيع من خلاله تبليغ دعوة الإسلام مهما غلت التضحيات^(٢).

فبعث سرية دعوية تعليمية إلى بنر معونة في تمام السنة الثالثة للهجرة وأوائل السنة الرابعة على رأس أربعة أشهر من غزوة أحد على خلاف بين أهل المغازي^(٣).

وكان سبب ذلك أن النبي ﷺ أتاه وفد من قبائل رعل وذكوان وعصية السلمية، فزعموا أنهم قد أسلموا واستمدوه على قومهم وطلبوا منه معلمين يفقهونهم في الدين.

فقام رسول الله ﷺ بتجهيز بعثة تعليمية قوامها سبعون معلما من خيرة الصحابة، حتى أنهم كانوا يُسمّون القراء؛ لمثابرتهم على التحصيل العلمي، وأسند القيادة إلى المنذر بن عمرو الساعدي^(٤)، وفي طريقهم نحو تحقيق هدفهم تعرض إليهم الأعراب وقتلواهم.

فمن أنس بن مالك قال: جاء ناس إلى النبي ﷺ فقالوا: أن ابعت معنا رجلا يعلمونا القرآن والسنة. فبعث إليهم سبعين رجلا من الأنصار، يقال لهم القراء - فيهم خالي حرام - يقرؤون القرآن، ويتدارسون بالليل يتعلمون، وكانوا بالنهار يجيئون بالماء فيضعونه في المسجد، ويحتطبون فيبيعونه ويشترون به الطعام لأهل الصفة وللقرءاء، فبعثهم النبي ﷺ إليهم فعرضوا لهم فقتلواهم قبل أن يبلغوا المكان. فقالوا اللهم: بلغ عنا نبينا أنا قد لقيناك فرضينا عنك ورضيت عنا، قال: وأتى رجل حراما خال أنس من خلفه فطعنه برمح حتى أنفذه. فقال حرام فزت ورب الكعبة، فقال رسول الله ﷺ لأصحابه: «إن إخوانكم قد قتلوا وإنهم قالوا اللهم بلغ عنا نبينا أنا قد لقيناك فرضينا عنك ورضيت عنا»^(٥).

ونكر بعض أهل المغازي أن سبب إرسال هذه السرية هو: "أن أبا البراء عامر بن مالك بن جعفر ملاعب الأسيئة وقد على رسول الله ﷺ بالمدينة، فعرض عليه الإسلام ودعاه إليه،

^١ - بنر معونة: - وهي بين أرض بني عامر وحره بني سليم، كلا البلدين منها قريب، وهي إلى حره بني سليم أقرب انظر: ابن هشام، السيرة النبوية (١٠٣/٣)، البكري، معجم ما استعجم (١٢٤٥/٤).

^٢ - العمري، أكرم ضياء، المجتمع المدني، (٨٩).
^٣ - حيث جعلها الواقدي، وابن سعد، وابن حزم في السنة الثالثة للهجرة، انظر: المغازي (٢٦١)، الطبقات (٥١/٢)، جوامع السيرة (١٧٩)، بينما أرخ لها ابن إسحاق بالسنة الرابعة، السيرة النبوية (١٠٣/٣)، وذكر الزرقاني: أن بعضهم جعلها في المحرم، وقدمها على بعث الرجيع، شرح المواهب اللدنية (٧٤/٢).

^٤ - ابن هشام، السيرة النبوية، ذكره عن إسحاق، (١٠٣/٣) الواقدي، المغازي، (٢٦٢-٢٦٣)، ابن سعد، الطبقات (٥١/٢-٥٣)، البيهقي، دلائل النبوة (٤١٠/٣).

^٥ - البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة الرجيع ورعل وذكوان وبنر معونة من رواية قتاده عن أنس وفيها: "أن رجلا وذكوان وعصية وبني لحيان استمدوا رسول الله ﷺ على عدو فأمدهم بسبعين من الأنصار" (٣٨٦٢). وكتاب الجهاد والسير، باب العون بالعدد (٢٨٩٩)، صحيح مسلم، واللفظ له، كتاب الإمارة، باب ثبوت الجنة للشهيد (٥٠٢٦).

فلم يسلم، ولم يبعد من الإسلام وقال: يا محمد، لو بعثت رجالا من أصحابك إلى أهل نجد يدعونهم إلى أمرك رجوت أن يستجيبوا لك، فقال رسول الله ﷺ: «إني أخشى عليهم أهل نجد»، فقال أبو البراء: أنا لهم جار، فابعثهم فليدعوا الناس إلى أمرك، فبعث رسول الله ﷺ المنذر بن عمرو المعنق^(١) ليموت في أربعين رجلا^(٢) من أصحابه من خيار المسلمين^(٣).

وكان رسول الله ﷺ قد أخبر أصحابه بمصرعهم. فتأثر الرسول ﷺ لمصابهم كثيرا، قال أنس ﷺ: «ما رأيت رسول الله ﷺ وجد على شيء قط ما وجد على أصحاب بئر معونة أصحاب سرية المنذر بن عمرو، فمكث شهرا يدعو على الذين أصابوهم في قنوت صلاة الغداة يدعو على رعلٍ وتكوآنٍ وعصيةٍ وإحيانٍ وهم من بني سليم»^(٤).

ومن الطبيعي أن يتأثر النبي ﷺ وأصحابه لما أصابهم، فقد كانوا من خيرة الخيرة، ومن فرسان الدعوة، وقد كان فقدم في وقت كانت الدعوة بحاجة لهم، وهذه المرة الثانية التي تتعرض له البعوث الدعوية بعد بعث الرجيع وهما في السنة نفسها، ومما يزيد الحزن أكثر هو قتلهم بالغدر والحيلة، ولم تكن المعركة متكافئة بين الطرفين.

لقد كان المنذر من رجالات قومه، وحسبه أن النبي ﷺ اختاره لهم نقيبا؛ لأنه كان اتقاهم ومن رؤسائهم، فهو قائد من قادة الإسلام، اختاره النبي ﷺ نقيبا يدعو إلى الله، فعاش نقيبا واستشهد نقيبا، وكان في سريته نقيبا، يضرب لهم في نفسه أروع الأمثال في البذل والتضحية والفداء، فكان أميرهم فدوة لهم.

ولعل هذه الصفات التي لمسها النبي ﷺ هي التي جعلته يختاره أميرا على علماء الأمة، فقد عرف عنه أنه كان يكتب في الجاهلية، يوم كان الذين يكتبون قلة، فهو من علماء المسلمين الأولين، وكانت الكتابة في العرب قليلة، فالناس يكونون أكثر طاعة لمن كان أعلم وأتقى؛ لهذا اختاره النبي ﷺ.

^١ - المعنق: المصروع، لقب به لمسارحته للشهادة. وأضيق ليموت: أي أن العنية أسرعت به وساقته إلى مصرعه. انظر النهاية في غريب الحديث (١٣٣/٣).

^٢ - وعند البخاري أنهم سبعون رجلا وهو الصحيح. انظر: الجامع الصحيح حديث رقم (٣٨٦٢).
^٣ - السيرة النبوية: ابن هشام، ذكره عن إسحاق بن يسار عن المغيرة بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، وعبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم، وغيرهما. (١٠٣/٣) الواقدي، المغازي، ورواه عن مجموع شيوخه (٢٦٢-٢٦٣)، الطبقات (٥٣-٥١/٢) وانظر دلائل النبوة (٤١٠/٣). الطبري، التاريخ (٥٤٥، ٥٤٦)، البداية والنهاية (٧٢، ٧٣/٤)، مجمع الزوائد: الهيثمي أورده عن ابن إسحاق (١٢٨، ١٢٩/٦)، فتح الباري (٤٨٣/٧). والحديث إسناده مرسل ولكنه صحيح بشواهده.

^٤ - صحيح البخاري، كتاب الدعوات، باب الدعاء على المشركين (٦٠٣١)، عبد الرزاق، واللفظ له، عبد الرزاق بن همام الصنعائي المصنف في الأحاديث والآثار، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي - بيروت، ط ٢، ١٤٠٣، رقم (٩٧٤٢).

١٠ - عبد الله بن عتيك الأنصاري:

هو عبد الله بن عتيك بن قيس بن الأسود بن مري بن كعب بن غنم بن سلمة بن الخزرج الأنصاري. شهد أحدا وما بعدها من المشاهد، واستشهد يوم اليمامة في شهر ربيع الأول من سنة اثنتي عشرة للهجرة^(١). وأمه يهودية من خيبر أرضعته، وكان يسطن باليهودية وكان ضعيف البصر^(٢).

تأمير عبد الله بن عتيك لقتل أبي رافع سلام بن أبي الحقيق^(٣):

سبب هذه السرية: أن ابن أبي الحقيق أخذ يعمل على تحزيب الأحزاب، و يجمع اليهود ومشركي العرب ويدعوهم إلى قتال النبي ﷺ.

وكان الأنصار يتنافسون فيما بينهم ثنائيا في خدمة رسول الله ﷺ ، فكان الأوس والخزرج يتصاولان مع رسول الله ﷺ تصاول الفحلين، لا تصنع الأوس شيئا عن رسول الله ﷺ غناء إلا قالت الخزرج: والله لا تذهبون بهذه فضلا علينا عند رسول الله ﷺ وفي الإسلام، قال: فلا ينتهون حتى يوقعوا مثلها؛ وإذا فعلت الخزرج شيئا قالت الأوس مثل ذلك، فلما أصابت الأوس كعب بن الأشرف، تذاكر الخزرج، من رجل لرسول الله ﷺ في العداوة مثل ابن الأشرف؟ فذكروا ابن أبي الحقيق^(٤).

فما إن ندب رسول الله ﷺ لقتل أبي رافع حتى سارعوا إلى التطوع للانخراط في هذه المهمة الشاقة، على الرغم من صعوبتها وما يحيط بها من أخطار، فالرجل بعيد عن قاعدة الإسلام في المدينة، وهو في منعة من قومه وحصونهم وحلفائهم من غطفان، ومن أجل ذلك تخير النبي ﷺ مجموعة منهم، وتخير من بينهم أميرا فيه بعض الشروط المناسبة للقيام بهذه المهمة الصعبة.

فوقع الاختيار على عبد الله بن عتيك؛ لأنه كان يتقن العبرية بطلاقة^(٥)، إضافة إلى أن أمه يهودية من خيبر، وهو على صلة كبيرة بأبي رافع.

^١ - انظر: ابن الأثير، آمد الغابة (٢٠٤/٣)، وابن عبد البر، الاستيعاب (٩٤٧/٣)، ابن حجر، الإصابة (١٦٧/٤)، تاريخ خليفة بن خياط (٧٧/١).

^٢ - انظر: الواقدي، المغازي، وذكر أنها أمه من الرضاة (٢٩١)، ابن سعد، الطبقات (٩١/٢).

^٣ - أبو رافع بن أبي الحقيق: هناك خلاف في اسمه قيل: سلام، وقيل: عبد الله، من زعماء بني النضير الذين أجلاهم النبي ﷺ عن المدينة بعد نقضهم العهد والمعيثاق معه، فتوجه مع بقية زعماء بني النضير إلى خيبر. انظر: ابن سعد، الطبقات (٩١/٢)، ابن هشام، السيرة النبوية (١٦٧/٣).

^٤ - انظر: ابن هشام، السيرة النبوية عن ابن إسحاق (١٦٦/٣)، ابن سعد، الطبقات (٩١/٢)، وانظر البيهقي، دلائل النبوة، (٩٠/٤)، عبد الرزاق، المصنف (٥٣٨٢) (٩٧٤٧)، ابن عبد البر، الدرر (٢٠٩)، ابن حزم، جوامع السيرة (١٩٨/١)، والحديث أصله في الصحيح.

^٥ - الواقدي، المغازي (٢٩١)، ابن سعد، الطبقات (٩١/٢).

وتفصيل الخبر كما رواه البراء بن عازب رضي الله عنه قال: " بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أبي رافع اليهودي رجالا من الأنصار، فأمرَ عَلَيْهِمَ عَبْدَ اللَّهِ بْنُ عَبَّادٍ، وكان أبو رافع يؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم ويعين عليه، وكان في حصن له بأرض الحجاز، فلما نَوَّأَ منه - وقد غربت الشمس وراح الناس بسرهم - فقال عبد الله لأصحابه: اجلسوا مكانكم، فإني منطلق ومثلطف لليواب لعلني أن أدخل، فأقبل حتى دنا من الباب، ثم تقنع بثوبه^(١) كأنه يقضي حاجة، وقد دخل الناس، فهتف به اليواب: يا عبد الله إن كنت تريد أن تدخل فادخل، فإني أريد أن أغلق الباب، فدخلت فكمنت^(٢)، فلما دخل الناس أغلق الباب ثم علق الأغاليقَ على ود^(٣). قال فقامت إلى الأغاليقَ فأخذتها ففتحت الباب، وكان أبو رافع يسمر عنده، وكان في علالي له. فلما ذهب عنه أهل سمره صعدتُ إليه فجعلت كلما فتحت بابا أغلقت علي من الداخل، قلت: إن القوم نذروا بي لم يخلصوا إلي حتى أقتله، فانتهيت إليه فإذا هو في بيت مظلم وسط عياله، لا أدرى أين هو من البيت. فقلت: يا أبا رافع. قال: من هذا؟ فأهويت نحو الصوت فأضربه ضربة بالسيف وأنا دهش فما اغتيت شيئا، وصاح، فخرجت من البيت فأمكت غير بعيد، ثم دخلت إليه فقلت: ما هذا الصوت يا أبا رافع؟ فقال: لأملك الويل، إن رجلا في البيت ضربني قِبَلُ بالسيف. قال فأضربه ضربة أثخنه ولم أقتله، ثم وَضَعْتُ طَبِيَّةَ السَّيْفِ فِي بَطْنِهِ حَتَّى أَخَذَ فِي ظَهْرِهِ، فعرفت أنني قتلته، فجعلت أفتح الأبواب بابا بابا حتى انتهيت إلى درجة له، فوضعت رجلي، وأنا أرى أنني قد انتهيت إلى الأرض، فوقع في ليلة مقمرة، فانكسرت ساقي فعصبتها بعمامة ثم انطلقت حتى جلست على الباب، فقلت: لا أخرج الليلة حتى أعلم أقتلته، فلما صاح الديك قام الناعي على السور فقال: أنعى أبا رافع تاجر أهل الحجاز، فانطلقت إلى أصحابي فقلت: النجاء، فقد قتل الله أبا رافع، فانتهيت إلى النبي صلى الله عليه وسلم فحدثته فقال لي: " ابسط رجلك " فبسطت رجلي فمسحها، فكانها لم أشتكها قط^(٤).

ونفقه سر تولية عبد الله بن عبَّادٍ إمارة هذه السرية، حين نعلم من رواية الواقدي بعض التفصيلات الهامة التي ذكرها عطية بن عبد الله بن أنيس عن أبيه قال: " خرجنا من المدينة حتى أتينا خيبر، قال: وقد كانت أم عبد الله بن عبَّادٍ بختين يهودية أرضعته، فبعث عبد الله إلي أمه فأعلمها بمكانه، فخرجت إلينا بجراب مملوء تمرًا كيبسا وخيزا، فأكلنا منه ثم قال لها: يا أمه

١ - تقنع بثوبه: أي تغطي به ليخفي شخصه لئلا يعرف. فتح الباري (٤٢٩/٧).

٢ - كمنت: اختبأت.

٣ - علق الأغاليق على ود: علق المفتاح على وتد.

٤ - صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب قتل أبي رافع عبد الله بن أبي الحقيق ويقال سلام بن أبي الحقيق، (٣٨١٣). الطبري، التاريخ (٤٩٣/٣-٤٩٩) (٣٨/٤).

إننا قد أمسينا، بيتنا عندك فأدخلنا خبير. فقالت أمه: كيف تطيق خبير وفيها أربعة آلاف مقاتل ؟ ومن تريد فيها ؟ قال: أبا رافع، فقالت لا تقدر عليه قال: والله لأقتلنه أو لأقتلن دونه^(١).

فصلة عبد الله بن عتيك بأمة اليهودية التي أرضعته^(٢)، ومدى ثقته بها، وكونه يعرف اليهودية، هذه العوامل هي التي ساعدته على نجاح مهمته، وهذا يعني اختيار الكفاءات المناسبة لتنفيذ المهمات الصعبة والاستفادة من الأحوال والعوامل كلها في خدمة هذه القضية، "ومن أهم هذه العوامل اللغة، فعملية فهم لغة العدو والتكلم بها ذات أثر في هذا المجال يفوق شجاعة القلب، فالعمل في قلب العدو يقتضي توفر مثل هذه الأوليات.

١١ - عكاشة بن محصن بن حريث الأسدي:

هو عكاشة بن محصن بن حريث بن قيس بن مرة بن كثير بن غنم بن دودان بن أسد بن خزيمة الأسدي، يكنى: أبا محصن، حليف بني عبد الشمس من بني أمية، كان من ساداتهم وفضلائهم، ومن السابقين الأولين إلى الإسلام.

شهد بدرًا وأبلى فيها بلاء حسنًا، وشهد أحداً والخندق وغزوة بني قريظة، وشهد غزوة ذي قرد وسائر المشاهد مع رسول الله ﷺ، وكان أحد أفراد سرية عبد الله بن جحش، استشهد في خلافة أبي بكر الصديق ﷺ سنة إحدى عشرة هجرية قتله خويلد الأسدي في الردة^(٣).

أمره النبي ﷺ على سريتين من سرياه:

أولاً: تأمير عكاشة على سرية الغمر^(٤):

غزا رسول الله ﷺ قريشا وخطفان وبني لحيان وبقي هناك عرين آخر شارك في غزو المدينة، ولم يمس بسوء، وكان هذا العرين من بني أسد، فبعث لهم سرية واختار الرسول ﷺ لها أميراً من بني أسد، ومن أعرف الناس بقبيلته وأهلها، هو عكاشة بن محصن ﷺ، وكان ذلك في شهر ربيع الأول سنة ست للهجرة^(٥).

حيث "بعث رسول الله ﷺ عكاشة بن محصن في أربعين رجلاً، فخرج سريعا يغذ السير، ونذر به القوم فهربوا من مائهم فنزلوا علياء بلادهم، فانتهى إلى الماء فوجد الدار خالية منهم، فبعث الطلائع يطلبون خبراً أو يرون أثراً حديثاً، فرجع إليه شجاع بن وهب فأخبره أنه

^١ - انظر: الواقدي، المغازي (٢٩١ - ٢٩٣).

^٢ - ونكر الواقدي أن أمه هي التي وضعت الخطة للقضاء عليه، المغازي (٢٩١).

^٣ - انظر: ابن سعد، الطبقات (٥٢/٣) (٩٢/٣)، ابن الأثير، أسد الغابة (٧٨٠/١)، ابن عبد البر، الاستيعاب (٣٣٢/١)، ابن حجر، الإصابة (٢٥٦/٤).

^٤ - الغمر: هو ماء لبني أسد على لبنتين من فهد، وفهد: بلدة في نصف طريق مكة من الكوفة، انظر: ابن سعد، الطبقات (٤٠٨/٦)، الحموي، معجم البلدان: (٦١/٢).

^٥ - انظر: الواقدي، المغازي (٣٩١)، الطبقات: (٨٤/٢).

رأى أثر نعم قريبا ، فتحملوا فخرجوا فأصابوا ريئة لهم، فأمتوه فلهم على نعم لبني عم له، فأغاروا عليها واستأقوا مائتي بعير وساقوا الثعم إلى المدينة، وأرسلوا الرجل ، وقدموا على النبي ﷺ ولم يصب منهم أحد ولم يلقوا كيذا (١).

فكان هدف هذه السرية هو تأديب الحليفين أسد وغطفان بعد فشل هجومهم مع قريش على المدينة. والحرب هنا أصبحت حربا نفسية أكثر منها حربا عسكرية.

لقد أدى عكاشة واجبه في قيادة هذه السرية على أحسن ما يرام، إذ عاد وسريته دون أن يتكبدوا خسائر بالأرواح أو المعدات، وغنموا من الأعراب عددا كبيرا من الإبل، وأثروا عليهم ودبوا الرعب في قلوبهم، إذ هربوا من المسلمين ولم يستطيعوا مجابهتهم، كما أثروا في معنويات أعراب المنطقة كافة، وجعلوهم يحسبون حسابا للمسلمين ويخشونهم (٢).

ثانيا: تأمير عكاشة بن محصن الأسدي على سرية إلى الجنب (٣):

بعث النبي ﷺ سرية إلى الجنب، أرض عنزة (٤) وبلي (٥)، وأمر عليها عكاشة بن محصن الأسدي، في شهر ربيع الآخر سنة تسع من مهاجر رسول الله ﷺ (٦).

وقد ذكر محمود شيت خطاب: أن هذه السرية هي من السرايا الدعوية، لأن الإسلام في السنة التاسعة للهجرة كان قويا في تلك المناطق، وكان أكثر سكانها مسلمين، وربما بقيت جيوب في تلك المنطقة لم يسلم أهلها، فكانت تلك السرية إحدى المحاولات لتطهير تلك الجيوب من الشرك ونشر الإسلام (٧).

١٢- أبو عبيدة بن الجراح:

هو عامر بن عبد الله بن الجراح بن هلال بن أهيب، ويقال: وهيب بن ضبة بن الحارث ابن فهر القرشي النهري، أبو عبيدة بن الجراح مشهور بكنيته وبالنسبة إلى جده، أسلم قبل دخول النبي ﷺ دار الأرقم، أحد العشرة السابقين إلى الإسلام، هاجر الهجرتين، وشهد بدرًا وأحدا وما

١ - انظر: ابن سعد، الطبقات (٨٥/٢) الواقدي، المغازي، (٣٩١)، البيهقي، دلائل النبوة عن الواقدي (٨٣/٤)، ابن القيم، زاد المعاد (٢٨٣/٣)، انفرد به الواقدي، والواقدي ضعيف عند أهل الحديث، وفي إسناده رجل مجهول.

٢ - خطاب، قادة النبي ﷺ (٢٤٥).

٣ - الجنب: أرض واسعة تقع شمال خيبر وتمتد إلى تيماء، يعرف جلها اليوم باسم «الجهراء» كانت منازل قضاة، وهي اليوم لعنزة بن أسد، انظر: البلاذري، المعالم الجغرافية (٨٦).

٤ - بنو صخرة بن سعد بن هذيم بن زيد بن أسلم بن الحافي بن قضاة من بني قضاة. انظر جمهرة أنساب العرب (٤٤٧، ٤٤٨).

٥ - بنو بلي بن عمرو بن الحافي بن قضاة من بني قضاة. انظر جمهرة أنساب العرب (٤٤٢).

٦ - ابن سعد، الطبقات: (١٦٤/٢)، عيون الأثر (٣٥٨/٢) ولا نعلم تفاصيل هذه السرية ولا هدفها ولا عدد أفرادها حيث لم يذكر أحد من أصحاب المغازي ذلك.

٧ - خطاب، قادة النبي ﷺ: (٢٤٦).

بعدها، مات في طاعون عمواس سنة ثمانى عشرة في خلافة عمر بن الخطاب^(١). وقال فيه النبي ﷺ: "لكل أمة أمين وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح"^(٢).

أولاً: تأمير أبي عبيد على سرية إلى ذي القصة:
بعث رسول الله ﷺ سرية أميرها أبو عبيدة إلى ذي القصة في ربيع الآخر سنة ست من مهاجر رسول الله، ﷺ^(٣).

وكان سبب هذه السرية هو أن "بلاد بني ثعلبة وأنمار قد أجدبت، فسارت بنو محارب وثلعة وأنمار، وقد أجمعوا أن يغيروا على سرح المدينة"^(٤)
فلما سمع النبي ﷺ الخبر أراد أن يؤدبهم، ويردع كل من تسول له نفسه الاعتداء على الدولة الإسلامية الفتية.

"فبعث رسول الله ﷺ أبا عبيدة بن الجراح في أربعين رجلاً من المسلمين حين صلوا صلاة المغرب، فباتوا ليلتهم يمشون حتى وافوا ذا القصة مع عماية الصبح، فأغاروا عليهم فأعجزوهم هرباً في الجبال، وأصاب رجلاً منهم فأسلم وتركه ووجد نعماً من نعمهم فاستأقاه، وقدم به إلى المدينة، فخمسه رسول الله ﷺ وقسم ما بقي عليهم"^(٥).

ثانياً: تأمير أبي عبيدة على سرية الخبط^(٦):

تعد سرية الخبط استمراراً لسياسة النبي ﷺ في إضعاف قريش، ومحاصرتهم اقتصادياً على المدى الطويل، وتعويض المهاجرين عما فقدوه من أموال ومتاع استولت عليه قريش عند مغادرتهم وطنهم مكة^(٧).

١ - انظر: ابن سعد، الطبقات (٤٠٩/٣). ابن الأثير، أسد الغابة (٥٥٦/١)، ابن عبد البر، الاستيعاب: (٦/١)، ابن حجر، الإصابة (٥٨٦/٣).

٢ - البخاري، كتاب التمني، باب ما جاء في إجازة خبر الواحد الصدوق في الأذان والصلاة والصوم (٦٨٢٨). وكتاب المغازي، باب قصة أهل نجران (٤١٢١).

٣ - الواقدي، المغازي (٣٩٢)، ابن سعد، الطبقات، (٨٦/٢).

٤ - ابن سعد، الطبقات (٨٦/٢)، ابن سيد الناس، عيون الأثر، (١٣٨/٢). وقيل: إن السبب هجوم بني ثعلبة وبني صوال على سرية محمد بن مسلمة والقضاء عليهم حيث لم ينج منهم إلا أميرهم، فبعث النبي ﷺ أبا عبيدة إلى مصارع القوم. انظر: ابن سعد، الطبقات (٨٥/٢)، وأنساب الأشراف (٣٧٧/١).

٥ - الواقدي، المغازي، (٣٩٢ - ٣٩٤). ابن سعد، الطبقات، (٨٦/٢)، عيون الأثر: ابن سيد الناس، ذكره من رواية ابن لهيعة عن أبي الأسود عن عروة (١٣٨/٢)، وانظر الطبري، التاريخ (٢٨٥/٢). زاد المعاد (٢٨١/٣)، السيرة الحلبية (١٧٥/٣)، الطبري، التاريخ (١٢٦/٢)، وجميع مرويات هذا الخبر لا تخلو من مقال.

٦ - الخبط: ورق يُنفض بالمخاطب ويجفف ويطن ويخلط بدقيق أو غيره ويؤخذ بالماء انظر: ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث (٣٥٦/٢)، والقاموس المحيط، مادة (خبط).

٧ - المراثيا والبعوث النبوية (١١٧).

حشد رسول الله ﷺ مجموعة من رجاله المخلصين مكونة من ثلاثمائة صحابي من المهاجرين والأنصار^(١)، وأمر عليهم أمين الأمة أبا عبيدة بن الجراح، وحدد لهم الهدف وهو رصد عير قریش واعتراض قافلته فكانت مهمة السرية اعتراضية.

وتفصيل هذا الخبر كما ذكره جابر بن عبد الله ﷺ وكان أحد أفراد هذه السرية قال:

"بعثنا رسول الله ﷺ وأمر علينا أبا عبيدة، فنقلنا عيرا لقریش، وزودنا جرابا من تمر لم يجد لنا غيره، فكان أبو عبيدة يعطينا ثمرة ثمرة قال: فقلت: كيف كنتم تصنعون بها؟ قال: نمصها كما يمص الصبي، ثم نشرب عليها من الماء، فتكفينا يومنا إلى الليل، وكنا نضرب بعصينا الخبط، ثم نبله بالماء فناكله، قال: وانطلقنا على ساحل البحر، فرفع لنا على ساحل البحر كهيئة الكتيب الضخم^(٢)، فأتيناها فإذا هي دابة تدعى العنبر، قال: قال أبو عبيدة: ميتة، ثم قال: لا بل نحن رسل رسول الله ﷺ وفي سبيل الله، وقد اضطررتم فكلوا، قال فأقمنا عليه شهرا ونحن ثلاثمائة حتى سمناء، قال: ولقد رأيتنا نغترف من وكب عيينه، بالقلال^(٣) الدهن وتقطيع منه القدر^(٤) كالثور - أو كقنر الثور - فلقد أخذ منا أبو عبيدة ثلاثة عشر رجلا، فأقدمهم في وكب عيينه، وأخذ ضلعا من أضلاعه، فأقامها، ثم رحل أعظم بعير معنا، فمر من تحتها، وتزودنا من لحمه وشاتق، فلما قدمنا المدينة أتينا رسول الله ﷺ فنذكرنا ذلك له، فقال: "هو رزق أخرجه الله لكم، فهل معكم من لحمه شيء فتطعمونا؟" قال: فأرسلنا إلى رسول الله ﷺ منه فأكله^(٥).

وهنا تظهر حكمة النبي ﷺ في اختيار أبي عبيدة أميرا على هذه السرية، فكان عند حسن ظنه به، حيث كان أميرا ناجحا استطاع أن يجنب سريته من الهلاك بحسن إدارته، فجمع التمر حتى يتساوى الكل في القوت فلا يتميز أحد عن أحد.

ومن الأمور المستفادة من أحداث هذه السرية، ما أورده بعض شارحي حديث هذه

السرية، وبعض أهل المغازي:

قال الإمام النووي فيه: "إن الجيوش لا بد لها من أمير يضبطها، وينقادون لأمره ونهيه، و ينبغي أن يكون الأمير أفضلهم، أو من أفضلهم، قالوا: ويستحب للرفقة من الناس — وان

^١ - من رواية الواقدي وابن سعد " ثلاثمائة رجل من المهاجرين والأنصار ، وفيهم عمر بن الخطاب . المغازي (٥٢٥)، الطبقات (١٣٢/٢). ولم يحدد أصحاب المغازي تاريخ هذه السرية، إلا أن الواقدي وضعها بعد سرية ذات السلاسل في السنة الثامنة للهجرة، وقد رد ابن القيم وابن حجر وجعلها وقتها في السنة السادسة أو قبلها، على اعتبار تلك الفترة فترة هذه مع قریش انظر زاد المعاد (١٥٨/٢)، فتح الباري (١١٧/٨).

^٢ - الكتيب: التل من الرمل. القاموس المحيط مادة الكتب.

^٣ - القلال: الجرة العظيمة. القاموس المحيط ، مادة قلة.

^٤ - القدر: جمع فدره وهي القطعة من اللحم. القاموس المحيط ، مادة فدر.

^٥ - البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة سيف البحر وهم يتلقون عيرا لقریش وأميرهم أبو عبيدة بن الجراح ﷺ ، رقم (٤٠١٣) وفي كتاب الصيد والذبائح، باب قول الله تعالى: "أحل لكم صيد البحر" (٤١٠٣)(٤١٠٤) و أخرجه مسلم ، واللفظ له ، كتاب الصيد والذبائح وما يؤكل من الحيوان، باب إبلاحة ميتات البحر (٥١٠٩)

قلوا- أن يؤمروا بعضهم عليهم، وينقادوا له. وقد قال أصحابنا وغيرهم من العلماء يستحب للرفقة من المسافرين خلط أزوادهم؛ ليكون أبرك وأحسن في العشرة، وأن لا يختص بعضهم بأكل دون بعض والله أعلم^(١).

وفي هذا الحديث دليل على جواز الاجتهاد في الوقائع في حياة النبي ﷺ، وإقراره على ذلك، لكن هذا كان في حال الحاجة إلى الاجتهاد، وعدم تمكنهم من مراجعة النص. وقد اجتهد أبو بكر وعمر رضي الله عنهما بين يدي رسول الله ﷺ في عدة من الوقائع وأقرهما على ذلك، لكن في قضايا جزئية معينة لا في أحكام عامة وشرائع كلية، فإن هذا لم يقع من أحد من الصحابة في حضوره ﷺ البتة. كما يستحب للمفتي أن يتعاطى بعض المباحات التي يشك فيها المستفتي إذا لم يكن فيه مشقة على المفتي، وكان فيه طمأنينة للمستفتي^(٢).

فهذه السرية كانت دورة تدريبية لخيرية الأمة، لتتعلم على صعاب الحياة ومشاقها وأهوالها، وتعويد القوات على العمل في الأحوال الصعبة المحتمل مقابلتها عند فتح شبه الجزيرة العربية، ولا يستطيع أن يقوم بهذه الدورة إلا القيادات العليا في الأمة؛ لتبرز القدرة العالية فيها، ويظهر البعد عن الدنيا والغنائم والزهد فيها، فتم اختيار هذه القيادات لتنفيذ هذه المهمة الضخمة العظيمة.

قاد أبو عبيدة ثلاث سرايا^(٣) من سرايا النبي ﷺ أثبتت فيها أنه من أصحاب الهمم العالية ومن أصحاب الكفاءات الكبيرة ففي سرية ذي القصة قضى على عدوه وحقق هدف السرية ونجح في المهمة المبعوث من أجلها.

كان أبو عبيدة يتمتع بإيمان عظيم وشجاعة نادرة ظهرت بصورة عظيمة خلال مشاركته في الغزوات إلى جانب النبي ﷺ، حيث فقد خبره النبي ﷺ من خلالها أنه قائد لا يشق له غبار فاختره؛ ليكون أحد أمرائه.

وليس أدل على ثقة النبي ﷺ به من تأميره على سرية فيها أبو بكر وعمر وخيرة المهاجرين والأنصار.

^١ - النووي، شرح صحيح مسلم (٨٦/١٣).

^٢ - المرجع السابق (٨٦/١٣).

^٣ - السرية الثالثة كانت مددا لعمر بن العاص لتأديب القبائل على مشارف بلاد الشام. سبأتي الحديث عنها في سرايا عمرو بن العاص.

١٣- عبد الرحمن بن عوف الزهري:

هو عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف بن عبد الحارث بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر القرشي الزهري، يكنى أبا محمد، وكان اسمه في الجاهلية: عبد عمرو وقيل: عبد الكعبة، فسماه رسول الله ﷺ عبد الرحمن.

أسلم قبل أن يدخل الرسول ﷺ دار الأرقم، وكان من المهاجرين الأولين هاجر إلى الحبشة وإلى المدينة، شهد بدرًا وأحداً وكان مع العصابة الذين ثبتوا يومها، وشهد غزوة بني النضير، كما شهد غزوة الخندق وغزوة بني المصطلق وغزوة بني قريظة، وشهد غزوة الحديبية وكان أحد شهود الصلح، وشهد غزوة خيبر وفتح مكة (١).
أحد العشرة المبشرين بالجنة، وأحد الستة أصحاب الشورى الذين جعل عمر بن الخطاب الخلافة فيهم، توفي في المدينة المنورة سنة اثنتين وثلاثين الهجرية (٢).

تأمير عبد الرحمن بن عوف على سرية ذومة الجندل (٣):

وتعدّ هذه السرية من سرايا الدعوة نحو الشمال في "شهر شعبان سنة ست للهجرة وعقد له رسول الله ﷺ اللواء على سبعمائة رجل" (٤)

وقد بين عبد الله بن عمر رضي الله عنهما تفاصيل هذه السرية، قال: كنت عاشر عشرة رهط من أصحاب رسول الله ﷺ في مسجده. "ثم أمر عبد الرحمن بن عوف بتجهز لسرية أمره عليها، فقال له: "تجهز فإني باعذك في سرية من يومك هذا، أو من غد إن شاء الله" (٥).

ثم بدأت مراسم تولية عبد الرحمن بن عوف رضي الله تعالى عنه على السرية، وهي مراسم بسيطة جدا ولكنها ذات مغزى كبير، قال ابن عمر رضي الله عنهما: "أصبح قد اعتم بعمامة كرايبس (٦) سوداء، فدعاه النبي ﷺ فنقضها وعممه وأرسل من خلفه أربع أصابع، ثم قال: هكذا يا ابن عوف، فاعتم بها فإنه أعرف وأحسن". ثم أمر النبي ﷺ بلالا أن يدفع إليه

١ - انظر: ابن سعد، الطبقات (١٢٤/٣). ابن الأثير، أسد الغابة (٧٠٨/١)، ابن عبد البر، الاستيعاب (٢٤٨/١)، ابن حجر، الإصابة (٣٤٦/٤).

٢ - انظر: ابن سعد، الطبقات (١٢٤/٣)، ابن عبد البر، الاستيعاب (٢٥١/١).

٣ - ذومة الجندل: قرية في الجوف، يشرف عليها حصن مراد، حصن لكيدر الكندي، والجوف: منطقة زراعية شمال نيماء على قرابة ٤٥٠ كيلا، البلادي، المعالم الجغرافية (١٢٨).

٤ - الواقدي، المغازي (٣٩٧). الطبري، التاريخ (٦١٢/٢)، دلائل النبوة: البيهقي (٨٥/٤) ابن سيد الناس، عيون الأثر (١٤٣/٢)، ابن القيم، زاد المعاد (٢٨٤/٣).

٥ - الواقدي، المغازي، رواه بسنده عن ابن عمر (٣٩٧). ابن سعد، الطبقات (٨٩/٢)، السيرة الحلبيّة (١٨٣/٣).

٦ - جمع كرايس وهو القطن، انظر: ابن منظور، اللسان مادة كريس

اللواء، فدفعه إليه، فحمد الله تعالى، ثم قال: "خذ يا ابن عوف، اغزوا جميعا في سبيل الله، فقاتلوا من كفر بالله، لا تغلوا، ولا تغدروا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا وليدا، فهذا عهد الله وسيرة نبيكم فيكم" فأخذ عبد الرحمن بن عوف اللواء^(١).

"فخرج حتى لحق أصحابه فسار حتى قدم دومة الجندل، فلما حل بها دعاهم إلى الإسلام فمكث بها ثلاثة أيام يدعوهم إلى الإسلام. وقد كانوا أبوا أول ما قدم يعطونه إلا السيف، فلما كان اليوم الثالث، أسلم الأصبغ بن عمرو الكلبي، وكان نصرانيا وكان رأسهم، وأسلم معه ناس كثير من قومه، وأقام من أقام منهم على إعطاء الجزية"^(٢).

إن عبد الرحمن بن عوف من رجال الرعي الأول في الإسلام، وكان أحد الأركان الكبرى للإسلام الذين أسلموا على يدي الصديق ﷺ. وحيث إن حجم السرية كان كبيرا، فبلغت حوالي سبعمائة رجل، وكانت أيضا مهمة السرية ذات جانبين: مهمة دعوية، ومهمة حربية، فكان لا بد أن يختار لها النبي ﷺ أحد الدعاة الكبار الذين تربوا في حضن الإسلام العظيم منذ أيامه الأولى، فاختار النبي ﷺ عبد الرحمن بن عوف لهذه المهمة الضخمة التي قد تكون مفصلا من مفاصل الإسلام، ونقطة تحول كبيرة في الدولة الإسلامية.

فكانت الدعوة إلى الله هدفا رئيسيا في هذه السرية، وغاية مقصودة، ولذلك لم يبدأ الحرب عبد الرحمن ﷺ بقتالهم مباشرة بعد رفضهم الدخول في دين الله تعالى، إنما استمر ثلاثة أيام يدعوهم إلى الله تعالى. ومن أجل هذا لم يبعث النبي ﷺ على رأس هذه السرية قائدا يغلب عليه الجانب العسكري، إنما بعث على رأسها واحدا من أكبر دعائها، فهو يملك من الحلم والحكمة، والثقافة، والتجربة، والعبقرية، الشيء الكثير، فهو داعية قبل أن يكون قائدا عسكريا، لهذا بذل كل طاقاته لتحقيق الهدف الرئيسي الأول، وهو الدخول في الإسلام، وكان مترينا هادئا خبيرا بالنفوس والقلوب، فشحن كل الإمكانيات الفكرية والحركية لإنجاح هذه المهمة العظيمة، وتكفل عمله بالنجاح الكبير، و دانت المنطقة كلها لهذا الدين العظيم^(٣).

١- الطبراني، المعجم الأوسط (٦١/٥) رقم (٤٦٧١)، الحاكم، المستدرک علی الصحیحین، کتاب الفتن والملاحم، وقال صحیح الإسلا ولم يخرجاه وتابعه الذهبي في التلخيص فقال: صحیح (٨٦٢٣)، البيهقي، المنن الكبرى (٣٦٣/٩)، ابن عساکر، علي بن الحسن بن هبة الله، أبو القاسم (٨٥٧١هـ)، تاريخ دمشق، (١٩٤/٣٢) (٢٦١/٣٥)، وأخرج ابن ماجه طرفا منه باختصار، كتاب الفتن، باب العقوبات وقال عنه الألباني: حسن (٤٠١٩). وقال الهيثمي: رجاله ثقات، مجمع الزائد: (٣١٨/٥).

٢- ابن سعد، الطبقات (٨٩/٢) الواقدي، المغازي (٣٩٦) عيون الأثر (١٤٣/٢)، زاد المعاد (٢٤٩/٣)، البيهقي، دلائل النبوة (٨٥/٤)، السيرة الحلبيية (١٨٤/٣، ١٨٣). الخبر إنساده ضعيف للجهالة، ولا تخلو طرقه المتعددة من الضعف، ولكنها تتعاضد فيما بينها لتكسبه نوعا من القوة مما يجعلنا نستأنس لقبوله تاريخيا.

٣- انظر: منير الغضبان، التربية القيادية، دار الوفاء ط ١٩٩٨م (١٦٨/٤).

١٤ - عبد الله بن رواحة الخزرجي.

عبد الله بن رواحة بن ثعلبة بن امرئ القيس بن عمرو بن امرئ القيس الأكبر بن مالك الأغر بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الأنصاري الخزرجي، الشاعر المشهور، يكنى أبا محمد وقيل: يكنى أبا رواحة.

من السابقين الأولين من الأنصار، وكان من الاثني عشر نقيباً، الذين اختارهم النبي ﷺ في بيعة العقبة الأخيرة، وكان عبد الله بن رواحة يكتب في الجاهلية، وكانت الكتابة في العرب قليلة، فكان من القلائد الذين يكتبون، وكان يكتب للنبي ﷺ، شهد بدرًا وأحداً والخندق وشهد غزوة الحديبية وغزوة خيبر وشهد عمرة القضاء وبقي إلى جانب النبي ﷺ إلى أن استشهد في مؤتة في السنة الثامنة للهجرة^(١).

تأمير عبد الله بن رواحة على سرية لقتل النيسير بن رزام:

سبب السرية: بعد اغتيال أبي رافع سلام بن أبي الحقيق زعيم يهود خيبر بعد حيي بن أخطب، اختارت اليهود رجلاً شجاعاً منهم ليكون أميراً عليهم وهو النيسير بن رزام. وما إن تقلد النيسير منصبه زعيم اختير تقديراً لشجاعته حتى أصر على أن يثبت لهم أنه أهل لهذا الاختيار فقرر إكمال مهمة أسلافه والقيام بمحاولة جديدة لحشد اليهود وحلفائهم من غطفان وتوجيه طاقاتهم لمباغثة المسلمين في عقر دارهم^(٢). ولكن عين رسول الله ﷺ لا تغفل عن أعداء الإسلام المتربصين والمتأمرين في كل مكان، حيث يراقب كل تحركاتهم، فقد وصلته الأخبار من أحد عيونهم في خيبر بنوإيا النيسير المشبوهة ضد المسلمين^(٣).

وأراد رسول الله ﷺ أن يستوثق من تلك الأخبار، فأرسل سرية استطلاعية مكونة من ثلاثة أفراد بإمرة قائد خيبر بمنطقة خيبر وأهلها، وهو عبد الله بن رواحة، حيث كان يعلم ما تحويه هذه المنطقة من مخاطر " فخرج ابن رواحة ومن معه في رمضان في ثلاثة نفر ينظر إلى خيبر، وحال أهلها وما يريدون وما يتكلمون به، فأقبل حتى أتى ناحية خيبر فجعل يدخل الحوائط، وفرق أصحابه في النطاة، والشق، والكتيبة^(٤)، ووعوا ما سمعوا من أمر النيسير

^١ - انظر: ابن سعد، الطبقات، (٥٢٦/٣)(٥٢٧/٣)، ابن الأثير، أسد الغابة (٦٠٦/١)، ابن حجر، الإصابة (٦٦/٤)، ابن هشام السيرة النبوية: (٦٣/٢).

^٢ - انظر: الواقدي، المغازي، (٤٠١)، ابن سعد، الطبقات: (٩٢/٢)، البيهقي، دلائل النبوة: (٢٩٣/٤).

^٣ - انظر: الواقدي، المغازي، رواه عن ابن عباس رضي الله عنهما (٤٠١).

^٤ - النطاة والشق والكتيبة من أطام خيبر، انظر وفا الوفا (٣٣٠/٢)، ٣٦٤، ٣٨٣.

وغيره. ثم خرجوا بعد إقامة ثلاثة أيام، فرجع إلى النبي ﷺ لليال بقين من رمضان، فخير النبي ﷺ بكل ما رأى وسمع^(١).

وبعد هذا التقرير المفصل، "ندب رسول الله ﷺ الناس فانتدب له ثلاثون رجلا، فبعث عليهم عبد الله بن رواحة^(٢) ثانية وكان هذا في شوال سنة ست من مهاجر رسول الله ﷺ"^(٣). فوضعوا خطة مناسبة للقضاء عليه، كما تم القضاء من قبل على كعب بن الأشرف وابن أبي الحقيق، وكانت هذه الخطة بناء على المعلومات التي جمعوها من خلال السرية الاستطلاعية التي كان أميرها عبد الله بن رواحة كذلك.

"قدموا على اليسير فقالوا: "نحن آمنون حتى نعرض عليك ما جئنا له؟" قال: "نعم، ولسي منكم مثل ذلك؟ فقالوا؟ "نعم".

وقالوا له: إن رسول الله ﷺ بعثنا إليك؛ لتخرج إليه، فيستعملك على خير ويحسن إليك، فطمع في ذلك فخرج وخرج معه ثلاثون رجلا من اليهود، مع كل رجل رديف من المسلمين، حتى إذا كنا بقرقرة ثبار^(٤) ندم اليسير، وفكر بالخيانة، فقال: عبد الله بن أنيس - وكان في السرية -: "وأهوى بيده إلى سيفي، ففطنت له، ودفعت بعيري، وقلت: غدرا أي عدو الله! فعل ذلك مرتين، فنزلت فسقت بالقوم حتى انفراد لي أسير فضربته بالسيف، فأندرت^(٥) عامة فخذة وساقه وسقط عن بعيره، وبيده مخرش^(٦) من شوحط فضربني فشجني شجة مأمومة^(٧)، وملنا على أصحابه، فقتلناهم كلهم غير رجل واحد أعجزنا شدا، ولم يصب من المسلمين أحد، ثم أقبلنا إلى رسول الله ﷺ فحدثناه الحديث، فقال "تجاكم الله من القوم الظالمين"^(٨).

لقد اختار النبي، ﷺ السرية من الأنصار لمواجهة اليهود، لأنهم أدركوا الناس بهم حربا وسلما، وأكثر الناس دربة على فن التعامل معهم، ولذلك فقد اختار النبي ﷺ عبد الله بن رواحة رأس بني الحارث بن الخزرج، أميرا للسرية، فهو أحد أعضاء الحكومة الإسلامية، أي أحد النقباء الأثني عشر، وهو أعلم بخبير وأهل خير، بالإضافة إلى أنه كان من القلة النادرة التي تحسن القراءة والكتابة في ذلك الزمن، فلا بد أن يكون على علم بلغة اليهود وتعاليمهم.

^١ - انظر: الواقدي، المغازي رواه عن موسى بن عقبة عن أبي الأسود عن عروة، (٤٠١). ابن سعد، الطبقات (٩٢/٢).

^٢ - المغازي (٤٠١)، الطبقات (٩٢/٢).

^٣ - قرقرة ثبار: موضع على ستة أميال من خير باتجاه المدينة، معجم البلدان (٥/٣).

^٤ - اندرت: قطعت.

^٥ - المخرشة: عصا مخرجة الرأس كالصولجان. سبل الهدى والرشاد: الصالحى (٥١١/٦).

^٦ - يقال: شجة مأمومة، أي بلغت أم الرأس، القاموس المحيط (٧٦/٤).

^٧ - الواقدي، المغازي رواه موصولا عن ابن عباس (٤٠٢)، ابن سعد، الطبقات (٩٢/٢)، البيهقي، دلائل النبوة عن عروة، (٢٩٣/٤)، ابن هشام، السيرة النبوية عن ابن إسحاق بلا سند، (١٧٠/٤)، وانظر: ابن سيد الناس، عيون الأثر (١٤٥/٢)، ابن القيم، زاد المعاد (٣٦٣/٣)، لم يرو هذا الحديث موصولا إلا من طريق الواقدي، والواقدي متروك عند المحدثين خاصة إذا انفرد، فجميع طرق هذا الحديث لا تخلو من مقال، وقد ذكر باقشيش أن الحديث لا ينزل عن درجة الحسن لغيره. انظر مرويات موسى بن عقبة له (٤٣٦/٢).

لقد استطاع عبد الله بن رواحة رضي الله عنه بحنكته وشجاعته أن يتخلص من أحد أعداء الإسلام والمسلمين، ويؤدي واجبه على أحسن وجه، دون أن يتكبد المسلمون أي خسائر، وكان معه في هذه السرية عبد الله بن أنيس وعبد الله بن عتيك، وهما خيرتا حرب العصابات في مدرسة النبوة، فابن عتيك وابن أنيس هما اللذان نفذتا عملية مقتل أبي رافع، وعند ابن عتيك الخبرة بلغة اليهود حيث يرطن بلغتهم، فكان من المناسب أن يكون أحد أفراد هذه السرية.

١٥ - كرز بن جابر القرشي الفهري :

هو كرز بن جابر بن حسيل ويقال ابن حسل بن لاحب بن حبيب بن عمرو بن شيبان بن محارب بن فهر بن مالك القرشي الفهري.

كان من رؤساء المشركين قبل أن يسلم، وأغار على سرح المدينة مرة في شهر جمادى الآخرة من السنة الثانية للهجرة، فخرج النبي صلى الله عليه وسلم في طلبه حتى بلغ سفوان وفاته كرز، وهذه هي غزوة بدر الأولى^(١)، ثم أسلم بعد ذلك، وحسن إسلامه، وقد استشهد في فتح مكة سنة ثمان للهجرة^(٢).

تأمير كرز بن جابر لمطاردة المفسدين من الأعراب:

كانت هذه السرية في شوال سنة ست من مهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم^(٣)، وكان سبب إرسال هذه السرية " أن ناسا من عريثة قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة، فاجتوؤها^(٤)، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن شئتم أن تخرجوا إلى إبل الصدقة فتشربوا من البائها وأبوالها، ففعلوا، فصحوا، ثم مالوا على الرعاة فقتلواهم^(٥)، وارتدوا عن الإسلام، وساقوا ذود رسول الله صلى الله عليه وسلم، فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم " ^(٦).

١ - ابن هشام، السيرة النبوية (١٨٠/٢).
 ٢ - انظر: ابن عبد البر، الاستيعاب (٤٠٦/١)، ابن الأثير، أسد الغابة (٣٢٧/٤)، ابن حجر، الإصابة (٥٨١/٥)، انساب الأشراف (٣٧٨/١)، ابن هشام، السيرة النبوية (١٨٠/٢).
 ٣ - الواقدي، المغازي (٤٠٢)، ابن سعد، الطبقات (٩٣/٢)، ابن هشام، السيرة النبوية عن ابن إسحاق (١٨٤/٤).
 ٤ - الجوى: دام يصيب الجوف، قال ابن فارس: اجتوت البلد إذا كرهت المقام فيه وإن كنت في نعمة، وقيد الخطابي بما إذا تضرر بالإقامة وهو المناسب لهذه القصة، انظر: الخطابي، أعلام الحديث، (٢٨٥/١)، ابن حجر فتح الباري (٣٥٩/١).
 ٥ - ذكر الواقدي وابن سعد: أنه راع على إبل الصدقة وذكروا أنهم قطعوا يده ورجله وعرزوا الشوك في لسانه وعينه حتى مات. انظر: المغازي: الواقدي (٤٠٣)، الطبقات (٩٣/٢).
 ٦ - البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب إذا حرق المشرك المسلم هل يحرق (٢٨٥٥)، وكتاب الحدود، باب المحاربين من أهل الكفر والزدة (٦٤١٧)، وأخرجه مسلم، واللفظ له، كتاب القسامة والمحاربين والقصاص والديات، باب حكم المحاربين والمرتدين (٤٤٤٥) (٤٤٤٦) (٤٤٤٧). وفي رواية البخاري أنهم قتلوا راعي رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وعلى وجه السرعة عندما وصل الخبر للنبي ﷺ جهز قوة من عشرين شابا أنصارياء، وأمر عليهم رجلا من فهر فكان أميرهم كرز بن جابر الفهري^(١).

" فأدركوهم فأحاطوا بهم وأسروهم، وربطوهم وأردفوهم على الخيل، فجاء بهم على رسول الله ﷺ، فأمر بهم فقطعت أيديهم وأرجلهم وسمر أعينهم ثم نبذهم في الشمس حتى ماتوا"^(٢).

وقد اختار النبي ﷺ كرز بن جابر لإمارة هذه السرية وهو صاحب مزايا قيادية كثيرة، فكان شجاعاً مقداماً، سريع الحركة، مندفعاً يحسن التعرض والمطاردة^(٣)، حيث خبره النبي ﷺ قبل الإسلام عندما هاجم سرح المدينة - كان كافراً - في بدر، فوظف النبي ﷺ هذه الصفات، التي تميز فيها قبل الإسلام، واستثمرها لصالح المسلمين، وهكذا نتعلم من الهدي النبوي كيف نختار الرجل المناسب للمكان المناسب، والمهمة المناسبة، ونفيد من أصحاب الكفاءات. .
ومن خلال هذه السرية نتعلم من الهدي النبوي أيضاً كيف نحفظ مقامات الرجال ونؤلف قلوبهم، فكرز بن جابر كان من رؤساء المشركين المعروفين في أيام الجاهلية، أفلا يؤمر في الإسلام ويكون له شأن كما كان حاله في الجاهلية.

١٦ - علي بن أبي طالب ﷺ:

أولاً: تأمير علي بن أبي طالب على سرية إلى بني سعد بن بكر بلذك^(٤)

حدد الواقدي وابن سعد تاريخ السرية في شعبان سنة ست من مهاجر رسول الله ﷺ^(٥)، وذكر ابن إسحاق خبرها مقتضباً في جملة السرايا، ولم يذكر لها تاريخاً محدداً، وإنما ذكرها بعد سرية غالب بن عبد الله الليثي إلى الميعة^(٦).

١ - الطبراني، المعجم الكبير رواه موصولاً عن سلمة بن الأكوع (٦/٧)(٦٢٢٣)، الواقدي، المغازي (٤٠٤)، الطبقات (٩٣/٢)، قلت: إسناده صحيح.

٢ - البخاري، كتاب الديات، باب القسامة (٦٥٠٣)، كتاب الجهاد والسير، باب إذا حرق المشرك المسلم هل يحرق (٣٠١٨)، ومسلم، كتاب القسامة والمحاربين، باب حكم المحاربين والمرتدين (٤٤٤٦). ابن هشام، السيرة النبوية عن ابن إسحاق (١٨٤/٤)، وأخرجه الطبري في التفسير (٢٠٦/٤-٢٠٨)، وانظر عيون الأثر (١١٩/٢-١٢١).

٣ - التعرض: هو الهجوم على العدو لمسحقه، ولا يتم الحصول على النصر إلا بالتعرض وحده. انظر: الرسول القائد هامش (٣١٢).

٤ - فذلك: فذلك اليوم تعرف بالحائط بينها وبين المدينة ست ليل. انظر: البكري، معجم ما استعجم (١٠١٥/٣)، الحموي، معجم البلدان (٢٣٨/٤) البلادي، علق بن عيث معجم معالم السيرة النبوية، دار مكة، ط١، ١٤٠٢هـ (٢٢٥).

٥ - الطبقات (٨٩/٢)، المغازي (٣٩٨)، وقد تابعه على ذلك أغلب من ذكر هذه السرية انظر: الطبري: التاريخ (٦٤٢/٢)، وابن القيم: زاد المعاد (٢٨٤/٢)، وابن كثير: البداية والنهاية (١٨١/٤)، وابن سيد الناس: عيون الأثر (١٤٤/٢)، والقسطلاني: المواهب (٤٨٠/١).

٦ - ابن هشام، السيرة النبوية، (١٦٦/٤).

وسبب هذه السرية أنه بلغ النبي ﷺ بواسطة العيون " أن بني سعد بن بكر يريدون أن يمدوا يهود خيبر ضد المسلمين^(١)، فلما سمع النبي ﷺ الخبر بعث إليه سرية مكونة من مائة رجل إلى بني سعد بن بكر بفدك وأمر عليها علي بن أبي طالب^(٢).

فانطلق علي بن أبي طالب ﷺ بسريته " فكان يسير الليل ويكمن النهار حتى انتهى إلى الهمج^(٣)، فأصاب عينا لبني سعد بعثوه إلى خيبر، يعرض على يهود خيبر نصرهم على أن يجعلوا لهم من ثمرهم كما جعلوا لغيرهم ويقدمون عليهم.

فقالوا له: فأين القوم؟ قال: تركتهم وقد تجمع منهم مائتا رجل ورأسهم وبز بن عليم. قالوا: فسر بنا حتى نكفنا، قال: علي أن تؤمنوني قالوا: إن دللتنا عليهم وعلى سرحهم أمناك، وإلا فلا أمان لك. قال: فذاك فخرج بهم ليلا لهم حتى ساء ظنهم به وأوفى بهم على فدافد وأكام^(٤) ثم أفضى بهم إلى سهولة فإذا نعم كثير وشاء. فقال: هذه نعمهم وشاؤهم، فأغاروا عليه... وساقوا النعم والشاء، اللعن خمسمائة بغير وألفا شاه^(٥).

وفي هذه السرية نرى حنكة أمير هذه السرية، أشهر أبطال قريش، فقد فكر بطريقة يستطيع بواسطتها أن يصل إلى هدفه، وذلك من خلال العين الذي اختارته بنو سعد بن بكر، ليكون رجلها الموفد والعسكري في إقامة التحالف مع يهود خيبر، وبالوقوف عليه وأسرره، أصبحت كل الأمور بيده، فاستطاع من خلال العين الاستدلال على الشاء والنعم، واستطاع من تحقيق هدف السرية.

^١ - قال الحلبي معلقا على قوله "يريدون أن يمدوا يهود خيبر": يقتضي بظاهره أن ذلك كان عند محاصرة خيبر أو عند إرادة ذلك، وفيه ما لا يخفى لما تقدم، والله تعالى أعلم: السيرة الحلبية (١٨٦/٣). قال العمري معقبا على هذا: الذي لا يخفى ولم يذكره الحلبي هو أن خيبر كانت في شهر جمادى الأولى سنة سبع، وما ذكره الواقدي وابن سعد أن تاريخ العربية في شعبان سنة ست يتنافى مع سياق الأحداث، حيث أن بين الغزوة والسرية ثمانية أشهر أو تسعة أشهر بحسب ما ذكرناه، وذلك وقت طويل جدا حدثت فيه أحداث مهمة من غزوات وسرايا وبعوث، وغير ذلك، فهل يمكن بعد ذلك القول بأن سبب هذه السرية هو منع أولئك الأعراب من بني سعد بن بكر من التحشد لنصرة أو إمداد يهود خيبر ضد المسلمين في ذلك الوقت المبكر؟ والذي ربما لم يعد فيه رسول الله ﷺ العزم بعد لغزو خيبر، لأنه كان في ذلك الوقت جل تركيزه نحو قريش وحلفائها، ولم تتغير تلك النظرة وتتحول نحو اليهود وحلفائهم في خيبر وما حولها إلا بعد الحديبية وعقد الهدنة مع قريش وحلفائها. انظر: السرايا والبعوث النبوية (١٢٠)، قلت: وعلى هذا يكون التاريخ المناسب لهذه السرية هو ما أشار إليه ابن إسحاق بعد سرية غالب الليثي، والله أعلم.

^٢ - انظر: الواقدي، المغازي (٣٩٨)، ابن سعد، الطبقات (٨٩/٢).

^٣ - الهمج: ماء وعيون عليه نخل الحموي: معجم البلدان (٤١٠/٥).

^٤ - الفدافد: الفلاة، والمكان الصلب الغليظ المرتفع. الأكمة: - النل من القف من حجارة واحدة، أو هي دون الجبال، أو الموضع يكون أشد ارتفاعا مما حوله، وهو غليظ لا يبلغ أن يكون حجرا. القاموس المحيط: الفدافد، الأكمة.

^٥ - الواقدي، المغازي (٣٩٩)، ابن سعد، الطبقات (٨٩/٣-٩٠)، البيهقي، دلائل النبوة (١٣٧/٤)، ابن سيد الناس، عيون الأثر (١٠٧/٢). أما أن الواقدي، وابن سعد، هما من أسهبوا في الحديث عن أحداث هذه السرية، بينما ذكرها ابن إسحاق بشكل مقتضب وموجز، لذلك كان الاعتماد على روايتيهما في سرد الأحداث على ما فيهما من الضعف، لحاجتنا إليهما، لأنهما تكلمان الإطار التاريخي للواقعة. والله تعالى أعلم. وراجع تفاصيل السرية في سيرة ابن هشام، ومغازي الواقدي.

ثانيا: تأمير علي بن أبي طالب على سرية إلى الفلّس^(١):

بعد أن استعلى الإسلام واندحر الشرك، وكسرت الأصنام، بقي صنم " الفلّس " في قبيلة طي التي لم تدخل في الإسلام، (بعث رسول الله ﷺ في شهر ربيع الآخر سنة تسع من الهجرة علي بن أبي طالب إلى الفلّس؛ ليهدمه في مائة وخمسين من الأنصار، ليس فيهم مهاجر واحد ومعهم خمسون فرسا وظهرا، فامتطوا الإبل وجنبوا الخيل وأمره أن يشن الغارات...

سار علي ﷺ إلى الفلّس فهدمه وخربه ووجد في بيته ثلاثة أسياف رسوب والمخزم، وسيفا يقال له اليماني ، وثلاثة أدراع وكان عليه ثياب يلبسونه إياها . وجمعوا السبي فاستعمل عليهم أبا قتادة، واستعمل عبد الله بن عتيك السلمي على الماشية والرثة^(٢)، ثم ساروا حتى نزلوا ركة^(٣) ، فاقتسموا السبي والغنائم وعزل للنبي ﷺ صفيا رسوبا والمخزم ثم صار له بعد السيف الآخر وعزل الخمس وعزل آل حاتم فلم يقسمهم حتى قدم بهم المدينة^(٤).

وبهذا استطاع علي بن أبي طالب ﷺ أن يقضي على معقل جديد من معاقل الوثنية، ويخلص الأمة من الأوثان، ويعود إلى المدينة وقد حقق مهمته على أحسن وأكمل وجه، ويضيف إليها السبي والغنائم، التي استولى عليها من قبيلة طي.

ثالثا: تأمير علي بن أبي طالب على سرية اليمن:

بعث رسول الله ﷺ عليا بن أبي طالب ﷺ إلى اليمن في رمضان سنة عشر فأمره رسول الله ﷺ أن يعسكر بقاء، فعسكر بها حتى تمام أصحابه، فعقد له رسول الله ﷺ لواء، وأخذ عمامة فلها مشية مربعة فجعلها في رأس الرمح ثم دفعها إليه، وقال: " هكذا اللواء"، وعممه عمامة ثلاثة أكوار وجعل ذراعا بين يديه وشبرا من ورائه، ثم قال: " هكذا العمة"، وقال له: "امض ولا تلتفت"^(٥). وقد أوصاه النبي ﷺ ، ووضع له الخطة التي سوف يسير عليها.

فخرج في ثلاثمائة فارس، فدعاهم إلى الإسلام فأبوا، ورموا أصحابه بالنبل والحجارة. فلما رأى أنهم لا يريدون إلا القتال حمل عليهم علي وأصحابه، فقتل منهم عشرين رجلا، فتفرقوا وانهزموا وتركوا لواءهم قائما، فكف عن طلبهم ودعاهم إلى الإسلام فسارعوا وأجابوا، وتقدم نفر من رؤسائهم فبايعوه على الإسلام، وقالوا: نحن على من وراعنا من قومنا ، وهذه صدقاتنا

^١ - الفلّس : وهو صلم طي . المغازي (٦٥٢).

^٢ - الرثة: رديء المتاع.

^٣ - ركة: محطة من محال سلمي، أحد جبل طيء، معجم البلدان (٢٧٩/٤).

^٤ - انظر: الواقدي، المغازي (٦٥٤)، ابن سعد، الطبقات (١٦٤/٢)، ابن سيد الناس، عيون الأثر (٢٤١/٢)، ابن القيم، زاد المعاد (٥١٧/٣)، الشامي، سبل الهدى والرشاد (٢١٨/٦)، هذا الخبر انفرد به الواقدي وابن سعد وهو ضعيف، ولكن يستأنس به تاريخيا.

^٥ - انظر: الواقدي، المغازي (٧٠٩)، ابن سعد، الطبقات (١٦٩).

فخذ منها حق الله... فكتب علي ﷺ إلى رسول الله ﷺ كتابا، مع عبد الله بن عمرو بن عوف المزني يخبره بما حصل^(١).

١٧- أبو بكر الصديق ﷺ :

تأمير أبي بكر على سرية إلى نجد قبل بني فزارة^(٢):

سبب هذه السرية هو النار لزيد بن حارثة، وتاديب بني فزارة، حيث بعث النبي ﷺ زيد بن حارثة على رأس سرية إلى وادي القرى لتاديب بني فزارة، فأصيبت هذه السرية وأصيب بها ناس من أصحابه، وانفلت زيد من بين القتلى. فلما قدم زيد بن حارثة، نذر أن لا يمسه رأسه غسل من جنابة حتى يغزوا فزارة^(٣).

فبعث النبي ﷺ سرية إلى بني فزارة في رمضان في السنة السادسة للهجرة^(٤) وأمر عليها أبا بكر الصديق ﷺ .

أخرج مسلم عن سلمة بن الأكوع ﷺ قال: " غزونا فزارة وعلينا أبو بكر أمرة رسول الله ﷺ علينا، فلما كان بيننا وبين الماء ساعة أمرنا أبو بكر فعرسنا^(٥)، ثم شن الغارة، فورد الماء، فقتل من قتل عليه، وسبى وأنظر إلى عئق^(٦) من الناس، فيهم الذراري فخشيت أن يسبقوني إلى الجبل، فرميت بسهم بينهم وبين الجبل، فلما رأوا السهم وقفوا، فجئت بهم أسوقهم وفيهم امرأة من بني فزارة عليها قشع^(٧) من آدم معها ابنة لها من أحسن العرب، فسقتهم حتى أتيت بهم أبا بكر، فنقلني أبو بكر ابنتها، فقدمنا المدينة وما كشفت لها ثوبا، فلقيني رسول الله ﷺ في السوق، فقال: " يا سلمة هب لي المرأة " فقلت: يا رسول الله، والله لقد أعجبتني وما كشفت لها ثوبا، فلقيني رسول الله ﷺ من الغد في السوق، فقال لي: " يا سلمة هب لي المرأة لله أبوك "

^١ - انظر التفاصيل: الواقدي، المغازي: (٧١١). ابن سعد، الطبقات (٢-١٦٩-١٧٠)، ابن سيد الناس، عيون الأثر (٣٤٤/٢)، سبل الهدى والرشاد (٢٨٦/٦)، وأخرج البخاري طرفا منها، كتاب المغازي، باب بعث علي بن أبي طالب وخالد بن الوليد إلى اليمن (٤٣٤٩).

^٢ - هم بنو بدر بن عدي بن فزارة، وفيهم كانت رئاسة بني فزارة في الجاهلية، وكانوا - أيضا - يرأسون جميع خطفان وتدين لهم قيس، وإخوانهم ثعلبة بن عدي، ومنهم حذيفة بن بدر صاحب الفرس المعروفة بالغبراء التي هاجت - بسببها وسبب الفرس داحس - الحرب الشهيرة المعروفة باسميهما، ومن بني بدر بنو أم قرفة التي ضرب بها المثل في العزة. انظر: المعارف: ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم (٨٣).

^٣ - انظر تفاصيل السرية في سرايا زيد بن حارثة.

^٤ - يفهم من رواية سلمة بن الأكوع: أنها قبل الحديبية لأن اتفاقية الحديبية اتفاقية صلح سوت الخلاف القائم ومن ضمنه موضوع الأسرى.

^٥ - التعريس: نزول المسافر آخر الليل للنوم والاستراحة.

^٦ - عئق من الناس: جماعة.

^٧ - قشع: النطم، وهو الغزو الخلق.

قلت: هي لك يا رسول الله، فوالله ما كشفت لها ثوباً، فبعث بها رسول الله ﷺ إلى أهل مكة ففدى بها ناساً من المسلمين كانوا أسروا بمكة^(١).

وهنا نجد أن الصديق ﷺ لأول مرة يترك الوزارة العظمى، وشؤون الدولة والأمة؛ ليكون أميراً على سرية متجهة لبني فزارة في نجد، وبنو فزارة هم قيادات بني غطفان، ولعل النبي ﷺ اختار أبا بكر الصديق لكبر حجم المهمة، حيث انتهت زعامة غطفان إلى عيينة بن حصن الفزاري، وهو سيد بني فزارة.

وقد نجحت هذه السرية في تأدية مهمتها ضمن التخطيط الذي رسمه الصديق، ﷺ حيث غزاهم مع خيوط الفجر، وقد وردوا الماء فقتل منهم من قتل، وفر منهم من فر، ليذهب إلى قومه فيحدثهم أن محمداً وأصحابه قد وصلت طلائعهم الفدائية إلى عقر دارهم، وأن النبي ﷺ لم يكن لينسى الهجوم الشرس الذي شارك به قائدهم عيينة بن حصن، وأنه لن يفلت من العقاب.

وأخذ بثأر المسلمين الذين قتلهم فزارة، وقتل أم قرفة، وكان قتلها هدفاً رئيسياً من أهداف السرية^(٢)، ونال من بني فزارة، وأعاد هيبة المسلمين إلى تلك المنطقة، ولقن بني فزارة درساً لن ينسوه أبداً؛ وذلك ليكونوا عبرة لغيرهم ممن تسول لهم أنفسهم الاعتداء على المسلمين من غطفان وغيرها.

١ - صحيح مسلم: كتاب الجهاد والسير، باب التنفيل وهداء المسلمين بالأمرى (٤٦٧٢). وذكر أهل المغازي المتقدمين، كابن إسحاق، والواقدي، وابن سعد، وابن عائد هذه السرية بتفاصيل أكثر، ولكنهم أجمعوا أن قائدها زيد بن حارثة - ﷺ، وأن سلمة بن الأكوع - ﷺ كان معهم في السرية، وأنه أصعب جارية جميلة من بني فزارة، وذكروا أنها بنت أم قرفة، وأن رسول الله ﷺ استوبها من سلمة، فوهبها له، فأهداها رسول الله ﷺ لخاله حزن بن أبي وهب. انظر: ابن هشام، السيرة النبوية، عن ابن إسحاق بدون سند (١٦٩/٤). ابن سعد، الطبقات (٩٠/٢)، الواقدي، المغازي، (٣٣٩-٤٠٠)، عيون الأثر: ابن سيد الناس، ذكره عن أبي الأسود عن عروة (١٤٢/٢). ولكن روايات أهل المغازي جميعها لا تخلو من مقال. ثم أنها مخالفة لرواية الصحيح في بعض تفاصيلها.

و قال ابن سيد الناس: "ذكر محمد بن إسحاق، ومحمد بن سعد: أن أمير هذه السرية زيد بن حارثة، وقد روينا في صحيح مسلم أن رسول الله ﷺ بعث أبا بكر إلى بني فزارة". ورجح السهيلي والزرقاتي أن الأمير أبو بكر الصديق وأنه فدى بها نفس أسروا في مكة - انظر: الروض الأنف (٥٢٨/٧) : شرح المواهب (١٦٤/٧). وهذا ما رجحه الحلبي انظر: السيرة الحلبية (١٨١/٣).

وحاول بعض المتأخرين من أهل المغازي الجمع، أو ترجيح إحدى الروايتين على الأخرى، فقد نقل الحلبي، والزرقاتي عن الشامي الجمع بين الروايتين حيث قال: "يحتمل أنهما سريتان، اتفق لسلمة بن الأكوع فيهما ذلك، أي إحداهما لأبي بكر، والأخرى لزيد بن حارثة، ويؤيد ذلك أن في سرية أبي بكر أن رسول الله ﷺ بعث بنت أم قرفة إلى مكة ففدى بها أسرى كانوا في أيدي المشركين، وفي سرية زيد وهبها لخاله حزن بمكة.

قال الحلبي: بل في هذا الجمع نظراً؛ لأنه يقتضي أن أم قرفة تحدثت، وأن كل واحدة كانت لها بنت جميلة، وأن سلمة بن الأكوع أسرها، وأنه ﷺ أخذها منه. وفي ذلك بعد، إلا أن يقال: لا تعدد لأم قرفة وتسمية المرأة في سرية أبي بكر أم قرفة وهم من بعض الرواة، ويدل عليه أن بعضهم أوردوها ولم يسم المرأة أم قرفة، بل قال: فيهم امرأة من بني فزارة معها ابنة لها من أحسن العرب. السيرة الحلبية (١٨٢/٣).

قال السهيلي: وفي توهيم رواية الصحيح بلا حجة، فإن تسميتها فيه من زيادة الثقة، فما في الصحيح أصح. شرح المواهب (١٦٤/٢). وانظر تفاصيل أكثر: الشرايا والبحوث النبوية (٥٥٠٣).

قلت: ربما وقع الوهم لأهل المغازي أن زيد بن حارثة عندما أصيب لفر أن يخرج إلى بني فزارة فبعثه النبي ﷺ تحت إمرة أبي بكر الصديق فاشتبه عليهم أنه هو الأمير ولعل النبي ﷺ لم يؤمره على هذه السرية نظراً لإصابته وربما كان هو الذي يساعد أبا بكر الصديق في قيادة المعركة، وهذا موافق لرواية الصحيح وما في الصحيح أصح. والله اعلم.
٢ - الزرقاتي، شرح المواهب: (١٦١/٢).

١٨- عمر بن الخطاب ؓ :

تأمير عمر بن الخطاب ؓ على سرية إلى ثربة^(١) :

" بعث رسول الله ﷺ سرية بإمرة عمر ؓ في ثلاثين رجلا إلى عجز^(٢) هوازن بتربة^(٣)، وذلك في شعبان سنة سبع من الهجرة، فخرج عمر ؓ ومعه دليل من بني هلال، فكانوا يسيرون الليل ويكمنون النهار، وأتى الخبر هوازن فهربوا، وجاء عمر محالهم فلم يلق منهم أحدا . وانصرف راجعا إلى المدينة"^(٤).

" فلما كان بالجدر قال الهلالي لعمر بن الخطاب ؓ هل لك في جمع آخر تركته من خثعم، جاؤوا سائرين قد أجدبت بلادهم ؟ فقال عمر لم يأمرني رسول الله ﷺ بهم إنما أمرني أصمد لقتال هوازن بتربة . فانصرف عمر راجعا إلى المدينة"^(٥).

لم يكن المسلمون هواة حرب وقتل، ولم يكن عندهم مبدأ الغزو الذي يسود العرب قبل الإسلام، ومن هذا المنطلق عرض الدليل الهلالي فكرة غزو قبيلة خثعم، حيث يمكن أن تعود السرية بالغنائم الكبيرة والقتل من رجالات هذه القبيلة، فرفض أمير السرية الأمر من جنوره، وأكد أنه جندي ينفذ أوامر قائده محمد ﷺ حيث وجهه إلى وجهة محددة وهي " تربة من هوازن" وخثعم لا علاقة لها بهوازن، فأي معنى يكمن في غزوها وسلبها وسبي أطفالها ونسائها.

إن هؤلاء الأمراء جبلوا على طاعة نبيهم ﷺ وحفظ وصاياه، وما كانوا ليخرجوا عن أوامره، ويسفكوا الدماء بغير وجه حق، فهذا الجيل يتربى على حرمة الدم، وحرمة المال، وحرمة العرض، وليس القتل والسلب والنهب هو الهدف، إنما الهدف هو حماية الدعوة من أعدائها، وحماية الدولة المسلمة من خصومها.

ولقد كانت مهمة السرية إعلامية أكثر منها حربية، وكان هدفها مباغطة العدو وإشعاره بالقوة الإسلامية والوجود على الساحة، ودب الرعب بالقبائل المجاورة، ويتضح لهم بأن سلطان الدولة الإسلامية قد تجاوز الحجاز إلى نجد.

ومن أجل هذا اختير لها شخصيات تاريخية، طارت شهرتها في الآفاق، وهو عمر بن

الخطاب، هو أشهر شخصيات هذه الدولة بعد رسول الله ﷺ وأبي بكر ؓ.

^١- تربة: موضع بناحية العلاء على أربع ليال من مكة طريق صنعاء نجران. ابن سعد، الطبقات(٨٥/٢).

^٢- عجز هوازن : بنو نصر بن معاوية، وبنو جشم بن بكر. انظر القاموس المحيط(١٨١/٢).

^٣- تربة: هي بناحية العلاء على أربع ليال من مكة طريق صنعاء ونجران. انظر: الطبقات (٨٥/٢).

^٤- الواقدي، المغازي(٤٩٣/١)، ابن سعد، الطبقات (١١٧/٢)، ابن سيد الناس، عيون الأثر (١٥٣/٢)، البيهقي، دلائل النبوة (٣٨٧/٤). سبل الهدى والرشاد (١٣٠/٦). الحديث ضعيف لإعضاله، و انفراد الواقدي به .

^٥- الواقدي، المغازي (٤٩٣-٤٩٤)، ابن سعد، الطبقات (١١٧/٢).

١٩- بشير بن سعد الأنصاري الخزرجي:

هو بشير بن سعد بن ثعلبة بن جلاس بن زيد بن مالك بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث الأنصاري. يكنى: أبا النعمان بابنه النعمان. كان يكتب بالعربية في الجاهلية وكانت الكتابة بالعربية قليلة في العرب.

شهد العقبة الثانية ثم شهد بدرًا وأحدا والخندق وعمره القضاء، وبعد انتقال النبي ﷺ إلى الرفيق الأعلى كان أول من بايع أبا بكر الصديق ﷺ يوم السقيفة، استشهد وهو مع خالد بن الوليد بعين التمر سنة اثنتي عشرة للهجرة^(١).

أمره النبي ﷺ على أكثر من سرية:

أولاً: تأمير بشير بن سعد على سرية إلى فذك:

في الشهر نفسه الذي خرجت فيه سرية عمر إلى تربة، اختار رسول الله ﷺ لأول مرة بشير بن سعد في مهمة قيادية إلى بني مرة من غطفان في فذك وذلك "في شعبان سنة سبع من الهجرة"^(٢).

لم توضح روايتنا الواقدي، وابن سعد وهما اللتان تحدثنا بتفصيل عن هذه السرية سبب بعث هذه السرية، ولكن من خلال سير الأحداث أظن أنها سرية استطلاعية وتعرضية في الوقت نفسه، حيث أراد النبي ﷺ من خلالها أن يستطلع أخبار بني مرة، ويأخذ أموالهم ومواشيهم في غفلة منهم، ويبين لهم أن قواته لا تتسى صنعهم بمشاركتهم في حلف الأحزاب، ويبين لهم أنهم هدف للمسلمين.

روى الواقدي عن عبد الله بن الحارث بن الفضيل عن أبيه قال: "بعث رسول الله ﷺ بشير بن سعد في ثلاثين رجلاً إلى بني مرة بفذك، فخرج قلبي رعاء الشاء فسأل أيسن الناس؟ فقالوا: هم في بواديهم، والناس يومئذ شاتون لا يحضرون الماء، فاستاق النعم والشاء وعاد منحدرًا إلى المدينة...، فخرج الصريخ^(٣)، فأخبرهم فأدركه الدهم^(٤)، وحمل المريون عليهم، فأصابوا أصحاب بشير وولى منهم من ولى. وقاتل بشير قتالا شديدا حتى ضرب كعبه وقيل قد مات ورجعوا بنعمهم وشاتهم"^(٥).

^١ - انظر: ابن سعد، الطبقات (٥٣١/٣)، ابن عبد البر، الاستيعاب (٥٢/١)، ابن الأثير، أسد الغابة (١٢٢/١)، ابن حجر، الإصابة (٣١١/١).

^٢ - الواقدي، المغازي (٤٩٤/١)، ابن سعد، الطبقات (١١٨/٢)، البيهقي، دلائل النبوة (٢٨٧/٤).

^٣ - الصريخ: الاستغاثة.

^٤ - الدهم: جمع دهماه، وهم عامة الناس.

^٥ - الواقدي، المغازي، (٤٩٤)، ابن سعد، الطبقات (١١٨-١١٩)، البيهقي، دلائل النبوة: عن الواقدي، (٢٩٥/٤)، وأخرجه البيهقي بسنده مقتضيا عن عروة، والزهرري، وموسى بن عقبة (٤٦٤/٥) هذا الخبر ضعيف حديثيا، ولكن يتقوى بعضه ببعض وخاصة أنه من مراسيل عروة، والزهرري، وموسى بن عقبة، وهم من أئمة المغازي الثقات المشهورين... والله أعلم.

ثانياً: تأمير بشير بن سعد على سرية يمن^(١) وجبار^(٢) نحو الجنب^(٣):

بعد ما أصيبت سرية بشير بن سعد في فذك ولم تحقق هدفها، علم النبي ﷺ بعد ثلاثة شهور من دليله إلى خيبر "حسيل بن ثويرة" أن عيينة بن الحصن اتفق مع جموع غطفان بالجنب، لقتال النبي ﷺ فدعا النبي ﷺ وزيريه أبا بكر وعمر، واستشارهما في هذا الأمر، فكان رأيهما مواجهة العدو بسرية مناسبة، ورأوا إعادة إرسال بشير بن سعد - بعد أن تماثل للشفاء - إلى الساحة نفسها التي أصيب فيها إلى ما بين فذك ووادي القرى، وإلى العدو نفسه غطفان التي أصيب معها ومع أخطر عدو وأكبر قائد للعدو، مع عيينة بن حصن الفزاري، ولكن كتيبة اليوم هي ثلاثمائة عوضاً عن ثلاثين.

وقد وقع الاختيار على هذا القائد؛ لما عرف عنه من قيادته الحكيمة، لأنه أعلم بمنطقته خيبر أكثر من غيره، وخاصة بأهل غطفان، الذين استطلع أخبارهم في السرية السابقة، تبعه النبي ﷺ إلى يمن وجبار في شوال في السنة السابعة للهجرة^(٤).

"دعا رسول الله ﷺ بشيراً فعد له لواء وبعث معه ثلاثمائة رجل، وأمرهم أن يسيروا الليل ويكمنوا النهار وخرج معهم حسيل بن ثويرة دليلاً، فساروا الليل وكمنوا النهار حتى أتوا أسفل خيبر فنزلوا بسلاح^(٥)، ثم خرجوا من سلاح حتى دنوا من القوم، فقال لهم الدليل: بينكم وبين القوم ثلثا نهار أو نصفه فإن أحببتم كمنتم وخرجت طليعة لكم حتى آتيكم بالخبر، وإن أحببتم سرنا جميعاً .

فتشاوروا فيما بينهم فاتفقوا على أن يقدموه، فقدموه فغاب عنهم ساعة، ثم كر عليهم فقال: هذا أوائل سرحهم فهل لكم أن تغيروا عليهم؟ فاختلف أصحاب النبي ﷺ فقال بعضهم: إن اغرنا الآن حذرنا الرجال والعطن. وقال آخرون: نغتم ما ظهر لنا ثم نطلب القوم^(٦).

وكان الرأي الثاني هو رأي الأمير وهو ما اتفقوا عليه، وهذا الدرس تعلمه أميرهم من سريته إلى فذك، حيث استاقوا النعم والشاء وعادوا إلى المدينة، فلحقهم عدوهم ورموهم بالنبل ولم ينج منهم إلا بشير بن سعد بعدما أصيب في كعبه، فكان الرأي في هذه المرة هو أخذ النعم، ثم مهاجمتهم في عقر دارهم، وبهذا يباغتونهم ولا يستطيعون اللحاق بهم .

١ - يمن: ماء لغطفان بين المدينة وفيد، الحموي، معجم البلدان (٥٢٤/٨).

٢ - جبار: ماء لقضاة بين المدينة وفيد، الحموي، معجم البلدان (٤٣/٣).

٣ - الجنب: من أرض غطفان، من ديار فزارة بين المدينة وفيد، الحموي، معجم البلدان (١٤١/٣).

٤ - الواقدي، المغازي (٤٩٧/١)، ابن سعد، الطبقات (١٢٠/٢).

٥ - سلاح: موضع أسفل من خيبر، معجم البلدان (١٠١/٥).

٦ - الواقدي، المغازي، اللفظ له، (٤٩٧)، وانظر: ابن سعد، الطبقات عن شيوخه بلفظ قالوا (١٢٠/٢)، البيهقي، دلائل النبوة بملته عن الواقدي (٤٠٠/٤)، عيون الأثر (١٥٧/٢)، مسيل الهدي والرشاد (١٣٤/٦). زاد المعاد (٣٦٣/٣) انفرد بتفاصيل هذا الخبر الواقدي وابن سعد، فالخبر ضعيف حديثاً حيث ذكره ابن سعد عن مجموع شيوخه، وشيوخه منهم الثقة والضعيف.

قائد بشير سريتين من سرايا النبي ﷺ أخفق في قيادة سرية الأولى حتى كاد يفقد حياته فيها، ونجح في قيادة سرية الثانية، فحقق أهدافه تحقيقاً كاملاً.

وما كان إخفاقه في قيادة السرية الأولى عن تقصير منه أو من أحد رجاله، فقد قاتل هو وأصحابه بعناد وبسالة لا مثيل لهما، حتى استشهدوا وكاد أن يستشهد معهم، ولكن إخفاقه كان بسبب صراع بين قوتين غير متكافئتين، فقد كان المسلمون في ثلاثين مجاهداً، وكان المشركون في حشود ضخمة جداً، وما كان بمقدور المسلمين أن يفعلوا أكثر من الثبات والقتال إلى آخر رمق، وعلى رأسهم أميرهم الشجاع، فغلبت الكثرة الكثيرة القلة القليلة بعد ثبات عجيب، وقاتل شديد وتضحية فائقة.

أما نجاحه في قيادة سرية الثانية، فكان بتأثير المباشرة بالزمان للمشركين، فقد كان المسلمون يسرون ليلاً ويكمنون نهاراً، فباغتوا أعداءهم، واستطاعوا تحقيق أهداف سريرتهم كاملة، وكان هذا عملاً بوصية نبيهم ﷺ.

"وهنا نتعلم من النبي ﷺ المنهج في التفكير والاختيار، فعلى الرغم من أن بشيراً أخفق في قيادة السرية الأولى وعاد بجراحه، إلا أن النبي ﷺ عاد واختاره على سرية أخرى، وهذا يدل على أنه لم يخفق نتيجة لنقص أو عجز في كفايته القيادية، بل لأن أحواله جعلته في موقف عصيب للغاية، وليس أمامه إلا الشهادة أو الهزيمة، فاخترت الشهادة دون تردد، وهذا دليل على شجاعته الفائقة، التي عرفها النبي ﷺ فهو أعلم الناس بأصحابه وأمرائه"^(١).

ومما نتعلمه من هذه السرية أنه لا يعني إذا أخفق قائد الجيش أو المسؤول في مكان عمله مرة أن نزله عن القيادة ونبعده عن دائرة القرار عقاباً له، كما يفعل أصحاب القرار في الدول العربية والإسلامية، فإذا أخفق قائد الجيش أو المسؤول أو المدير في عمله فسرعان ما يعزلونه من عمله أو ينقلونه إلى مكان آخر تأديباً له دون دراسة الدافع، فلنا في النبي ﷺ القدوة حيث كان يعطي أمراءه وولاته أكثر من فرصة؛ ليتعلموا من أخطائهم ويتلافوا ما وقعوا به في المرات القادمة ويكون لهم درساً للتقدم والنجاح.

يتضح من خلال هذه السرية، والسرايا التي قبلها، ذلك الترتيب الذكي الذي كان يتبعه القائد الملهم، الخبير بخبايا الحرب وأمورها ألا وهو الرسول ﷺ، وذلك من خلال اختياره الرجل المناسب للمهمة المناسبة في المنطقة المناسبة، فذلك الاختيار كان يتم وفق معايير خاصة تتعلق بقدرات الرجل المختار، وخبرته في المنطقة المبعوث إليها، ومعرفة التامة بها وبأهلها.

^١ - انظر: خطاب، قادة النبي ﷺ: (٣٨٤-٣٨٥).

قد اختار بشير بن سعد الأتصاري رضي الله عنه دون غيره من الصحابة؛ لأنه أعرف بمنطقة خيبر وما حولها، أكثر من غيره من الصحابة أولاً، وبناءً على ما كان يتمتع به من قدرات عالية أهدته؛ ليكون أميراً على أكثر من سرية من سرايا النبي عليه السلام.

ولهذه الأسباب أيضاً وقع الاختيار على أميرنا التالي غالب بن عبد الله الليثي رضي الله عنه.

٢٠- غالب بن عبد الله الكناني الليثي:

غالب بن عبد الله بن مسعر بن جعفر بن كلب^(١) بن عامر بن ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة الكناني الليثي، وقيل: غالب بن عبيد الله الليثي^(٢).

ولا يعرف متى وكيف وأين أسلم، وأول ما ورد ذكره كان في قيادة السرايا، ولسم يكن النبي صلى الله عليه وسلم يولي قيادة السرايا إلا لمن حسن إسلامه أولاً، ولمن يتطلى بالمزايا القيادية ثانياً، ولذوي الخبرة العملية في ميادين القتال ثالثاً وأخيراً، فلا بد وأن إسلام غالب كان قديماً، وأثبت وجوده عملياً في ميادين الجهاد؛ لكي يوليّه النبي صلى الله عليه وسلم المراكز القيادية في سراياه^(٣).

وقد أمره النبي صلى الله عليه وسلم، على أكثر من سرية:

أولاً: تأمير غالب بن عبد الله على سرية الميعة^(٤):

وكان سبب السرية وصول معلومات إلى النبي صلى الله عليه وسلم أخبره بها يسار مولاة عن تجمعات من بني عبد بن ثعلبة، يريدون غزو المدينة، فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا الخبر مأخذ الجِدِّ، وأعطاه ما يستحقه من اهتمام، فبعث غالب بن عبد الله إلى بني عوال وبني عبد بن ثعلبة، وهم بالميفة، في شهر رمضان سنة سبع من مهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم في مائة وثلاثين رجلاً وكان دليلهم يسارا مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم^(٥).

فباغت عدوه وانتصر عليهم، وقضى على مخططات بني ثعلبة، وفرق جمعهم، وهزمهم وكبدهم كثيراً من الخسائر، وعاد إلى المدينة منتصراً، وكان عند حسن ظن النبي صلى الله عليه وسلم.

ثانياً: تأمير غالب على سرية فدك (مصاب بشير وأصحابه):

^١ - ابن حجر، الإصابة: (٣١٦/٥) كلب بن عوف بن كعب بن عامر بن ليث.
^٢ - ابن سعد، الطبقات (٥٣١/٣)، ابن عبد البر، الاستيعاب (٢٨٧/١)، ابن الأثير، أسد الغابة (١٨٨٨/١)، ابن حجر، الإصابة (٣١٦/٥).

^٣ - خطاب، قادة النبي صلى الله عليه وسلم: (٢٨٨).

^٤ - الميفة: موضع وراء بطن نخل إلى النقرة بباحية نجد، بينها وبين المدينة ثمانية برد. ابن سعد، الطبقات (٨٦/٢).
^٥ - انظر: المغازي (٤٩٦)، ابن سعد، الطبقات (١١٩/٢)، الطبري، التاريخ (٤٨٣/٢)، فتح الباري (٧٥١٨)، والحديث إسناده ضعيف، ذكر ابن سعد أنه في هذه السرية قتل أسامة بن زيد رضي الله عنه نهيك بن مرداس الذي قال: (لا إله إلا الله)، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (ألا شققت عن قلبه فتعلم أصادق هو أم كاذب؟) والصحيح أن هذا ليس في هذه السرية. انظر تفاصيل الخبر: الطبقات الكبرى (١١٩/٢)، والشامي، سبل الهدى والرشاد (١٣١/٦).

بعد مصاب أصحاب بشير بن سعد بفدك، وبلوغ خبرهم للنبي ﷺ قرر أن يثار لهم؛ لأنه لو تركهم لضعفت سمعة المسلمين القوية في الجزيرة العربية، مما يغري بقية القبائل بالتمادي على سلطان الدولة الإسلامية، فكان الرد الحاسم "أن النبي ﷺ بعث سرية وأمر عليها الزبير بن العوام فقال له: " سر حتى تنتهي إلى مصاب أصحاب بشير فإن ظفرك الله بهم، فلا تبق فيهم ". وهيا معه مائتي رجل وعقد له اللواء^(١).

ولما قدم غالب بن عبد الله من سرية الميعة منتصرا، وأثبت الكفاءة المطلوبة، رأى النبي، ﷺ، أن غالب بن عبد الله هو الرجل المناسب لقيادة هذه السرية.

" قال رسول الله ﷺ للزبير بن العوام: " اجلس "، وبعث غالب بن عبد الله في مائتي رجل وخرج مع غالب عتبة بن عمرو أبو مسعود، وكعب بن عجرة، وأسامة بن زيد، وعطية بن زيد في السرية حتى انتهوا إلى مصاب بشير وأصحابه^(٢).

كان غالب قائدا ناجحا مجربا صقلته التجارب، فكان أول عمل قام به هو بعث الطلائع لاستطلاع أخبار القوم، ثم خرج بنفسه لاستطلاع ساحة المعركة، وخبرها قبل الدخول فيها، وخبر طبيعة عدوه، وقام أمير السرية بوضع خطة محكمة استطاع من خلالها الانتصار في هذه المعركة، وحقق هدف هذه السرية تحقيقا كاملا، فلم تضع دماء أصحاب بشير بن سعد هدرا دون مطالب، بل لقتن الذين أصابوهم من بني مرة درسا قاسيا وأثر في معنويات المعتدين فانهارت بعد هزيمتهم، ورفع معنويات المسلمين، وأعاد لهم حقوقهم، وبين من خلال هذه السرية أن النبي ﷺ لا يقبل أي اعتداء على أحد من أصحابه^(٣).

لقد اختار النبي ﷺ غالب بن عبد الله أميرا على هذه السرية وقدمه على الزبير بن العوام، فالنبي ﷺ هو أدري الناس بالرجال، وهو الأقدر على الاختيار والتمييز بينهم، ويعرف ما يتميز به كل واحد من أصحابه، فرأى أن أنسب الرجال لإمارة هذه السرية هو غالب بن عبد الله؛ وذلك لمعرفته التامة للمنطقة وبالذات منطقة فدك، وهو من أدري الناس معرفة بهؤلاء الأعراب، فيظهر من ذلك منهجية رسول الله ﷺ التخصصية حيث يرسل لكل منطقة ولكل قوم من هم خير ومتخصص بأحوالهم وغالبا ما يكون منهم

ثالثا: تأمير غالب على سرية إلى بني الملوّح بالكديد^(٤):

^١ - الواقدي، المغازي، (٤٩٤)، ابن سعد، الطبقات (١٢٦/٢)، ابن سيد الناس، عيون الأثر (١٦٣/٢).

^٢ - المراجع السابقة نفسها.

^٣ - لمطالعة تفاصيل السرية انظر: المغازي: الواقدي، (٤٩٥/١)، ابن سعد، الطبقات (١٢٦/٢) الطبري، التاريخ (١٠٤/٢) زاد المعاد (٣٦١/٣).

^٤ - الكندي: يُعرف اليوم باسم « الخمض » أرض بين عُسقان وخُلَيْص على (٩٠) كيلوا من مكة، انظر: البلادي، المعالم الجغرافية (٢٦٤).

سبب هذه السرية قيام الأعراب المحيطين بالمدينة بتحركات مشبوهة ومعادية للإسلام، وقطعهم الطريق أمام الدعوة الإسلامية، ومن ضمنهم بنو الملوخ، فأراد النبي ﷺ أن يودبهم ويجعلهم عبرة لغيرهم فبعث إليهم سرية تعرضية^(١) بهدف الغارة على بني الملوخ ومباغتتهم والقضاء على جموعهم.

ففي صفر من السنة الثامنة للهجرة^(٢)، بعث رسول الله ﷺ غالب بن عبد الله الليثي أميراً على سرية إلى بني الملوخ.

وقد نقل لنا خبر هذه السرية أحد المشاركين فيها، وهو جندب بن مكيب الجهني، قال: "بعث رسول الله ﷺ غالب بن عبد الله الكلبي، كلب بن عوف بن ليث في سرية كنت فيها، وأمره أن يشن الغارة على بني الملوخ، وهم بالكديد فخرجنا، حتى إذا كنا بقنيد لقينا الحارث بن مالك وهو ابن البرصاء الليثي فأخذناه فقال: "إني جئت أريد الإسلام ما خرجت إلا إلى رسول الله ﷺ" فقال له غالب بن عبد الله: "إن كنت إنما جئت مسلماً فلن يضيرك رباط ليلة وإن تك على غير ذلك كنا قد استوتقنا منك"، فأوثقه رباطاً، ثم خلف عليه رجلاً أسود كان معنا وقال له أمكث معه حتى نمرُ عليك إن نازعك فاحتز رأسه"^(٣).

ثم انطلقوا حتى وصلوا منطقة الكديد عند غروب الشمس، فكمنوا في الوادي وبعث أميرهم غالب بن عبد الله جندب بن مكيب الجهني^(٤) للاستطلاع، واستكشاف أحوال القوم^(٥).

"اختار النبي ﷺ غالب بن عبد الله الليثي لقيادة ثلاث سرايا من سراياه، وما هذا إلا لوجود السمات القيادية لغالب التي تميز بها، فكان يتوفر عنده عنصر الحذر واليقظة، وكان يحث رجاله على الجهاد، ويواخي بين أصحابه؛ ليكون التعاون وثيقاً بينهم قبل المعركة وفي

^١ - التعرض: هو التوجه بصورة عامة إلى طلب الخصم بقصد ملاقاته ومقاتلته وتدميره في ساحات القتال. انظر: كتاب الحرب: العقيد محمد صفا، دار النفائس، بيروت، ط٣، ١٤٠٧هـ. (٢١).

^٢ - الواهدي، المغازي (٥١١)، الطبقات (١٢٤/٢).

^٣ - أبو داود: السنن، أخرج طرفاً منه، كتاب الجهاد، باب في الأسير يوثق، وقال الألباني: ضعيف (٢٣٠٣)، الإمام أحمد، المسند وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده ضعيف، (٤٦٧/٣)، (١٦٩/٢٥-١٧١)، الطبراني، المعجم الكبير (١٧٩/٢)، الحاكم، المستدرک، كتاب الجهاد، وقال: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه بوثاقه الذهبي، (٢٥٧١)، ابن سعد، الطبقات (١٢٤/٢) البيهقي، دلائل النبوة، (٣٩٦/٤-٣٩٩) السنن (٨٨/٩-٨٩)، ابن هشام، المسيرة النبوية: من رواية ابن إسحاق (١٦٤/٤) وقال الهيثمي: رواه أحمد والطبراني ورجاله ثقات فقد صرح ابن إسحاق بالسماع في رواية الطبراني، مجمع الزوائد (٢٠٢/٦)، وقد قال عنه البنا: منده جيد، انظر: الفتح الرباني (١٢٩، ٢١). قلت الحديث مداره على ابن إسحاق، وقد صرح بالسماع وروايته مقولة إذا صرح بالسماع، كما أشار الهيثمي، ولكن الحديث فيه مسلم بن عبد الله الجهني وهو مجهول، فالحديث فيه مقال ولكن نستأنس به تاريخياً، والله أعلم.

^٤ - الربيع: الطليعة، الصحاح (٥٢).

^٥ - انظر تفاصيل السرية: ابن هشام، المسيرة النبوية (١٦٤/٤) ابن سعد، الطبقات (١٢٤/٢)، الطبراني، المعجم الكبير (١٧٩/٢).

أثنائها وبعدها، كما يأمر بالطاعة المطلقة، والابتعاد عن الخلاف والفتنة إذ لا نصر مع الخلاف ولا هزيمة مع الطاعة^(١).

٢١- ابن أبي العوجاء السلمي:

هو ابن أبي العوجاء السلمي من بني سليم^(٢)، وهو أبو العوجاء السلمي من بني سليم^(٣)، والأول أشهر؛ لأن أكثر المؤرخين أخذوا به.

بنو سليم: نسبة إلى سليم بن فهم بن غنم بن نرس بن عدنان بن عبد الله بن زهران بن كعب بن الحارث بن كعب بن عبد الله بن مالك بن نصر بن الأزد^(٤).
ولا يعرف له اسم، ولا شيء عن حياته الأولى، وقد أسلم قبل فتح مكة^(٥).

تأمير ابن أبي العوجاء على سرية إلى بني سليم:

استمرارا لمنهج الإسلام في الدعوة إلى الله ونشر الإسلام، وعلى الرغم مما أصاب الدعوة في صميم عملها بفقدان عدد من خيرة فرسانها في الرجيع وبئر معونة، فقد واصل رسول الله ﷺ بث الدعوة، ونشر الدعوة إلى الله في كل مكان يستطيع من خلاله تبليغ دعوة الإسلام مهما غلت التضحيات.

فبعث سرية دعوية بقيادة ابن أبي العوجاء السلمي في ذي الحجة سنة سبع للهجرة بعد رجوعه من عمرة القضاء إلى المدينة من مكة في خمسين رجلا، إلى بني سليم^(٦).
" فخرج إليهم ابن أبي العوجاء، وكان معه عين لبني سليم في السرية، دون أن يدري، فلما فصل من المدينة، خرج العين إلى قومه فحزروهم وأخبرهم بسرية ابن أبي العوجاء المتوجهة إليهم، فجمعوا جمعا كثيرا. وجاءهم ابن أبي العوجاء والقوم معدون له، فدعاهم إلى الإسلام فقالوا: لا حاجة لنا إلى ما دعوتنا، فتراموا بالنبل ساعة، وجعلت الأمداد تأتي بني سليم، حتى أحرقوا بالمسلمين من كل ناحية، فقاتل القوم قتالا شديدا حتى قتل عامتهم، وأصيب صاحبهم ابن

١ - انظر: خطاب، فداء النبي ﷺ (٣٩٩، ٣٩٨).

٢ - ابن سعد، الطبقات (٢٧٥/٤).

٣ - ابن الأثير، أسد الخابة (٢٤٨/٦).

٤ - جمهرة أنساب العرب (٣٧٦-٣٧٧).

٥ - انظر، ابن سعد، الطبقات (٨٩/٣).

٦ - انظر: الواقدي، المغازي (٥٠٥)، ابن سعد، الطبقات (١٢٣/٢)، دلائل النبوة (٤٥٠/٤).

أبي العوجاء جريحا مع القتلى، ثم تحامل حتى بلغ رسول الله ﷺ ققدموا المدينة في أول يوم من شهر صفر سنة ثمان الهجرية (١).

وفي رواية أخرى، أن ابن أبي العوجاء السلمي أصيب هو وأصحابه وقتلوا جميعا، فاستشهد ابن أبي العوجاء مع من استشهد من أصحابه (٢).

هذه السرية بعثها النبي ﷺ بعد عمرة القضية، والأصل أن سليما وهي من القبائل المجاورة للمدينة، أن يلين جانبها للإسلام بعد أن شهدت التطورات على الساحة الإسلامية، ولكون هذه القبيلة ذات وزن من بين القبائل، أراد رسول الله ﷺ أن يبعث إليها من يجدد الدعوة لها، وكان بين يديه صحابي ومسلم جديد من بني سليم وهو ابن أبي العوجاء ﷺ، فأراد أن يغزو بني سليم بهذا الدين، وأن يكون ابن سليم ابن أبي العوجاء الخبير بالأرض والقوم والناس هو صاحب هذه الدعوة، في محاولة لنشر الإسلام. (٣)

اختار النبي ﷺ ابن أبي العوجاء على سرية بني سليم؛ لأنهم قومه ويعرفهم ويعرف مداخلهم ومخارجهم، وأعرف بهم من غيره، وهم يعرفونه ويستجيبون له أكثر مما يستجيبون لغيره، فمنهجية النبي ﷺ التخصصية أن يرسل لكل منطقة ولكل قوم من هم خير ومتخصص بأحوالهم وغالبا ما يكون منهم.

٢٢ - شجاع بن وهب الأسدي :

هو شجاع بن وهب بن ربيعة بن أسد بن صهيب بن مالك بن كثير بن غنم بن دودان ابن أسد بن خزيمة الأسدي، حليف لبني عبد شمس من قريش. يكنى أبا وهب. كان من السابقين الأولين، وممن هاجر إلى أرض الحبشة الهجرة الثانية، شهد بدر، وسرية عكاشة بن محصن إلى الغمر، وأحدا والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، وقتل يوم اليمامة شهيدا سنة اثنتي عشرة وهو ابن بضع وأربعين سنة (٤).

١ - انظر: الواقدي، المغازي (٥٠٥)، ابن سعد، الطبقات (١٢٢/٢)، البيهقي، دلائل النبوة رواه عن موسى بن عقبة عن الزهري، وإسناده مرسل (٣٤٢/٤)، الطبري، التاريخ، عن ابن إسحاق رواه مقتضيا دون تفصيل (١٤٣/٢)، ابن سيد الناس، عيون الأثر (١٥٠/٢)، ابن كثير، السيرة النبوية (٤٤٤/٣)، قال العمري: خبر هذه السرية من مراسيل عروة من طريق موسى بن عقبة، وهو من مرسل الزهري عن طريق موسى بن عقبة، ورواه ابن إسحاق بل سند، كما رواه الواقدي... فالخير مداره على أهل المغازي وأئمتهم، وقد اختلفت طرقهم وأجمعوا عليه، ومرسل عروة وإن كان من طريق ابن لهيعة الذي اختلف بعد احتراق كتبه، لكن روايته هنا عن أبي الأسود، وهي في الغالب نسخة معروفة لمغازي عروة مما يقلل من خوفنا من عدم ضبطه.

كما أن الزهري وموسى بن عقبة إمامان لهما شأنهما في المغازي وإن كان مرسل الزهري ضعيفا ضد المحدثين، لكن الخير في مجمله تاريخي يمكننا أن نستأنس به لإجماع أئمة المغازي عليه مع اختلاف طرقهم... والله تعالى أعلم... انظر: السرايا والبحوث النبوية (٣٠١).

٢ - انظر: السيرة النبوية: ابن هشام عن ابن إسحاق (١٦٦/٤)، تاريخ خليفة بن خياط (٤٨/١)، المحبر: ابن حجر (١٢٢). وقد رجح محمود شيت خطاب هذه الرواية لانقطاع أخبار أبي العوجاء بعد هذه السرية.

٣ - انظر: خطاب، قادة النبي ﷺ: (٤٠٤).

٤ - انظر: ابن عبد البر، الاستيعاب (٢١٣/١)، ابن الأثير، أسد الغابة (١٨٨٨/١)، ابن حجر، الإصابة (٣١٦/٣).

تأمير شجاع بن وهب على سرية إلى بني عامر بالنسي:

شهد شجاع بن وهب سرية عكاشة بن محصن إلى الغمر، في السنة السادسة للهجرة، وكان له دور بارز فيها، حيث جعله عكاشة طليعة للسرية، فغنمت هذه السرية وعادت سالمة إلى المدينة، وشهد كثيرا من السرايا والغزوات مع النبي ﷺ وكان شجاعا وذا كفاءة عالية في المشاهد التي شهدها.

"أمره النبي، ﷺ، على سرية مؤلفة من أربعة وعشرين رجلا، في ربيع الأول سنة ثمان للهجرة، وجهها إلى جمع من هوازن إلى النسي^(١) من أرض بنسي عامر، وأمره أن يغير عليهم"^(٢).

"فخرج من المدينة على رأس سرية، فكان يسير الليل ويكمن النهار، حتى أصبحهم وهم غارون^(٣)، وقد أوعز إلى أصحابه قبل ذلك ألا يمعنوا في الطلب، فأصابوا نوما كثيرا وشاء، فاستاقوا ذلك كله حتى قدموا المدينة"^(٤).

وتعد هذه السرية من السرايا التعرضية التي بعثها النبي ﷺ إلى بني عامر، فنجحت وعادت مكلة بالنصر، حيث أغاروا على هوازن، ونفذوا التعليمات الموجهة إليهم في كمون النهار ومسير الليل، ولم يرههم أحد، فاستطاعوا أن يستاقوا النعم والشاء، وبثت الرعب والخوف في قلب العدو، فتيقن العدو أن يد محمد ﷺ باستطاعتها أن تصل إليهم.

أما أمير هذه السرية، فقد شارك في عدة سرايا، وقبلها كان أحد الرسل الستة الذين بعثهم الرسول ﷺ إلى الملوك والأمراء قبل تكليفه بهذه المهمة، فقد أرسله رسول الله ﷺ إلى الحارث الغساني، وإلى المنذر بن الحارث، وأدى كل مهمة توكل إليه بنجاح؛ لهذا كان موضع ثقة النبي ﷺ وتقديره واعتزازه، فما كان منه ﷺ إلا أن جعله أميرا على سرية إلى بني عامر.

^١ - النسي: موضع من أرض بني عامر ناحية ركة، وهي على خمس ليال من المدينة المنورة، الطبقات (١٢٧/٢) معجم البلدان (٢٠٣/٥).

^٢ - المغازي: الواقدي، رواه عن ابن أبي مبرة عن إسحاق بن عبد الله بن أبي فروة، عن عمر بن الحكم (٥١٢-٥١٣). ابن سعد، الطبقات (١٢٧/٢)، البيهقي، دلائل النبوة: (٣٥٣/٤) ابن سيد الناس، عيون الأثر (١٥٢/٢)، الشامي، سبل الهدى والرشاد (١٤٢/٦)، الحلبي، المسيرة الطليبية (١٩٨/٣). هذا الخبر انفرد به الواقدي وكلهم رووه عنه من الطريق نفسه وإسناده ضعيف جدا.

^٣ - غارون: غافلون.

^٤ - انظر تفاصيل الخبر: الواقدي، المغازي (٥١٢)، الطبقات (١٢٧/٢).

٢٣ - كعب بن عمير الغفاري:

من كبار الصحابة. كان قد بعثه رسول الله ﷺ مرة بعد مرة على السرايا، وهو الذي بعثه رسول الله ﷺ إلى ذات أطلاق، فأصيب أصحابه جميعاً حيث قتلهم قضاة في سرية ذات أطلاق في السنة الثامنة للهجرة^(١).

تأمير كعب بن عمير الغفاري على سرية ذات أطلاق^(٢):

بعثه النبي ﷺ مرة بعد مرة على السرايا - كما ذكر في ترجمته - ولكن لم يسجل أصحاب المغازي والسير له غير سرية واحدة وهي: "إلى ذات أطلاق في شهر ربيع الأول سنة ثمان من مهاجر رسول الله ﷺ"^(٣).

وكانت هذه السرية من السرايا الدعوية، وفي الوقت نفسه من أجل استطلاع أخبار هذه المنطقة والتعرف على طبيعة أهلها.

"فقد بعث رسول الله ﷺ كعب بن عمير الغفاري في خمسة عشر رجلاً حتى انتهوا إلى ذات أطلاق من أرض الشام، فوجدوا جمعاً كثيراً^(٤)، فدعواهم إلى الإسلام، فلم يستجيبوا لهم ورشقوهم بالنبل. فلما رأى ذلك أصحاب النبي ﷺ قاتلوهم أشد القتال حتى قتلوا، فأقلت منهم رجل جريح في القتلى، فلما برّد عليه الليل تحامل حتى أتى رسول الله ﷺ فأخبره الخبر، فسشق ذلك على رسول الله ﷺ وهم بالبعث إليهم، فبلغه أنهم قد ساروا إلى موضع آخر فتركهم"^(٥).

كانت نتيجة هذه السرية سلبية على المسلمين، حيث إنه لم ينج منهم إلا رجل واحد، على الرغم من أن أمير السرية، عمل بوصية النبي ﷺ.

وتعدّ هذه البعثة من البعثات الدعوية، ولكن الأعراب الذين كانت تمتلئ قلوبهم غلا وحقداً ضد المسلمين، لم يكونوا يدعوا فرصة البطش والفتك بالمسلمين تفلت من أيديهم،

١ - انظر: ابن عبد البر، الاستيعاب (٤١٠/١)، ابن الأثير، أسد الغابة (٩٣٨/١)، ابن حجر، الإصابة (٦٠٧/٥)، لا يوجد عن هذا الصحابي الجليل معلومات، حيث لم يكتب المؤرخون عن حياته شيئاً، ولم يذكروا عنه إلا أنه من كبار الصحابة، وهي منزلة عظيمة تدل على أنه من السابقين للإسلام.

٢ - ذات أطلاق: وهي موضع من وراء وادي القرى إلى المدينة، وهي من أرض الشام. ابن سعد، الطبقات (١٢٧/٢). الحموي، معجم البلدان (٢٨٧/١). قال أحمد عادل كمال: "ذات أطلاق موقع بإطراف الشام من وراء وادي القرى لم نستطع تحديد مكانه بدقة على الخريطة، غير أنه بلا ريب كان في لواحي مؤتة كما يفهم من الأحداث. انظر: الطريق إلى دمشق (١٤٤).

٣ - الواقدي، المغازي (٥١٣)، ابن سعد، الطبقات (١٢٧/٢)، ابن حجر، الإصابة (٦٠٧/٥).

٤ - في الاستيعاب (٤١٠/١) من قضاة، وفي الإصابة (٦٠٧/٥) البلقاء.

٥ - انظر: الواقدي، المغازي، رواه بسنده عن الزهري (٥١٣). ابن سعد، الطبقات، رواه عن الواقدي (١٢٧/٢)، البيهقي، دلائل النبوة (٣٥٧/٤)، الطبري، التاريخ (١٤٥/٢)، ابن سيد الناس، حيون الأثر (١٩٧/٢)، ابن هشام، المسيرة النبوية (١٦٩/٤). ابن كثير، المسيرة النبوية (٤٥٣/٣)، ابن حجر، الإصابة، من رواية موسى بن عقبة، عن ابن شهاب، وأبي الأسود، عن عروة (٦٠٧/٥). قلت: جميع طرق هذا الخبر لا تخلو من مقال، ولكن الخبر تاريخي، وأخرجه أغلب أهل المغازي مما يقوي الظن بقوله. والله أعلم.

فاستفروهم وقتلهم جميعا بلا هوادة ولا رحمة، وهم يعلمون أن هؤلاء قوم هداة جاؤوا لنشر الخير والسلام .

يقول أحمد عادل كمال: "ولم يكن بعث كعب وأصحابه للغزو، وإنما كان للدعوة، وقبول الدعاة بالسيف والنبل حتى استشهدوا"^(١).

وهكذا تتوالى قوافل الشهداء من أجل الدعوة ونشر الإسلام بدءاً بالرجيع وبئر معونة، ومروزا بسرية ابن أبي العوجاء السلمي الذين قضوا جميعهم شهداء، وهكذا كان موعد رجال سرية ذات أطلاح مع الشهادة كمن سبقهم من صحابة رسول الله ﷺ ، وتستمر التضحيات من أجل الدعوة إلى الله، إلى أن يرث الله تعالى الأرض ومن عليها.

٢٤ - عمرو بن العاص بن وائل^(٢):

هو عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم بن سعيد بن سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة القرشي السهمي، يكنى أبا عبد الله ويقال: أبو محمد، وأمه سلمى بنت حرملة، وتلقب بالنابغة وهي من عنزة، وأبوه العاص بن وائل من أشرف قريش، وأم العاص بن وائل: سلمى البلوية، من بلى من قضاة. أسلم عمرو بن العاص في صفر سنة ثمان قبل الفتح بستة أشهر، وتوفي بمصر سنة ثلاث وأربعين.

أولاً: تأمير عمرو بن العاص على سرية ذات السلاسل^(٣) :

كانت هذه السرية بعد غزوة مؤتة في شهر جمادى الآخرة من السنة الثامنة الهجرية^(٤). وكان سبب هذه السرية: أنها وصلت معلومات هامة إلى النبي ﷺ من خلال عيونه عن التحركات العدوانية التي تقوم بها قبيلة قضاة، واستعداداتهم للهجوم على أطراف المدينة فقام بتجهيز سرية قتالية للقضاء عليهم، وأسند قيادتها إلى قائد شجاع مجرب وهو عمرو بن العاص.

١ - أحمد عادل كمال، الطريق إلى دمشق، (١٤٥).

٢ - انظر: ابن سعد، الطبقات (٤٩٣/٧)، ابن عبد البر، الاستيعاب (٣٦٦/١)، ابن الأثير، أسد الغابة (٨٥٦/١)، ابن حجر، الإصالة (٦٥٠/٤).

٣ - ذات السلاسل: ماء بارض جذام، يقال له السلسل، وقيل ماء بارض بني غنزة، والقبيلتان متجاورتان، فديار عنزة كانت من وادي القرى (وادي العلا اليوم) إلى تبوك إلى تيماء، وتقرب من خيبر شمالاً. وديار جذام كانت بين تبوك والبحر، وهي اليوم شمال غرب المملكة العربية السعودية، شرق ميناءي الوجه وضبيبا، انظر الحموي، معجم البلدان (٦٠١/٥)، البلاذري، المعالم الجغرافية (١٣١).

٤ - انظر: ابن سعد، الطبقات (١٣١/٢).

وذكر محمود شيت خطاب: أن من أسبابها الأخذ بثأر المسلمين من القبائل التي اشتركت في غزوة مؤتة، ضدهم ومنها هذه القبائل ومن أجل فرض هيئة الدولة الإسلامية^(١).

قال ابن سعد: " لما بلغ رسول الله ﷺ أن جمعا من قضاة قد تجمعوا يريدون أن يسدوا إلى أطراف رسول الله ﷺ، فدعا رسول الله ﷺ عمرو بن العاص، فعقد له لواء أبيض وجعل معه راية سوداء، وبعثه في ثلاثمائة من سراة المهاجرين والأنصار، ومعهم ثلاثون فرسا، وأمره أن يستعين بمن يمر معه من بلى وعذرة وبلقين^(٢) " (٣).

وذكر ابن هشام: " أن رسول الله ﷺ بعث عمرو بن العاص؛ ليستنفر العرب إلى الإسلام، وذلك أن عمرو بن العاص كان ذا رحم بهم. كانت أم العاص بن وائل بلوية فأراد رسول الله ﷺ أن يتألفهم بعمرو^(٤) ".

فكانت مهمة السرية مهمة دعوية، وقاتلية في الوقت نفسه؛ لهذا اختار لها الرسول ﷺ بطلا مجربا، وداعية جديدا لدين الله، للجمع بين المهمتين، وهو عمرو بن العاص ﷺ " قال له النبي ﷺ: يا عمرو أشدد عليك سلاحك وثيابك والتني، ففعلت فجنته وهو يتوضأ، فصعد في البصر وصوبه وقال: يا عمرو إني أريد أن أبعثك وجها فيسلمك الله ويغنمك وارغب لك من المال رغبة صالحة قال: قلت: يا رسول الله إني لم أسلم رغبة في المال إنما أسلمت رغبة في الجهاد والكيونة معك. قال: يا عمرو نعما بالمال الصالح للرجل الصالح^(٥) ".

ولما عقد الرسول ﷺ لواء الجيش لعمرو بن العاص، أمره بالتوجه إلى ذات السلاسل، فسار إلى حيث أمره النبي ﷺ، فكان يسير الليل ويكمن في النهار.

ولما دنا عمرو بن العاص من القوم ونزل قريبا منهم تبين له أن عددهم كبير، وأن من معه من الرجال لا طاقة لهم بهم، فأرسل رافع بن مكيث الجهني إلى رسول الله ﷺ يخبره أن لهم جمعا كثيرا ويستمدده بالرجال.

١ - خطاب، الرسول القائد (٣٠٩).

٢ - القبائل الثلاثة بطون من قضاة، انظر: فتح الباري (٩٣/٨).

٣ - ابن سعد، الطبقات (١٣١/٢)، الواقدي، المغازي: (٥٢٢).

٤ - البيهقي، دلائل النبوة: ، عن ابن إسحاق بسند مرسل صرح فيه بالتحديث، و رواه بسنده عن عروة مرسل. ورواه عن موسى بن عقبة مرسل (٢٠-١٩/٥). الطبري، التاريخ (١٤٧/٣)، ابن هشام، الميرة النبوية عن ابن إسحاق بل مسند (١٧٣/٤)، قلت: على الرغم من أن في طريقه إرسال، إلا أنه من مرسل النقائت من أهل المغازي، فيتنوى بعضه ببعض.

٥ - رواه الإمام أحمد، المسند، وقال: شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم (٢٠٢/٤) (١٩٧/٤)، الحاكم، المستدرک على الصحيحين، كتاب البيوع، باب لا بأس بالغنى لمن اتقى، وقال صحيح على شرط مسلم ولم يخبراه (٢١٣٠)، الألب المفرد: البخاري، كتاب حسن الخلق، باب المال الصالح (٢٩٩)، فتح الباري (٩٥/٨)، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد، وقال: رواه الطبراني في الأوسط والكبير، ورجال أحمد وأبي يعلى رجال الصحيح (٣٥٣/٩). قلت خير إرسال النبي ﷺ لعمرو بن العاص أميرا على جيش ذات السلاسل ثابت في الصحيحين. صحيح البخاري (٤٣٥٨)، صحيح مسلم (٢٣٨٤) من طريق عمرو بن العاص.

وعندما سمع النبي ﷺ الخبر "بعث أبا عبيدة بن الجراح في المهاجرين الأولين، فيهم أبو بكر وعمر رضي الله عنهما ، وأمره رسول الله ﷺ أن يلحق عمرو بن العاص، وقال لأبي عبيدة حين وجهه: "لا تختلفا" (١)

اختار النبي ﷺ لهذه السرية عمرو بن العاص، فهو ولد قضاة عامة وولد بلي خاصة، حيث إن أم العاص بن وائل من بلي، فهو أدري بطبيعة أخواله من غيره؛ لهذا أمره النبي ﷺ أن يستعين بمن مر به من العرب، من بلي وعذرة وبلقين، وذلك أن عمرا كان ذا رحم فيهم، حيث استعان بأخواله من "بلي" في إمداده بالمعلومات الضرورية عن أعدائه، مما كان سببا في انتصاره عليهم.

يقول الشامي: "فإن عمرا كان أحد دهاة العرب، وكون العرب الذين أمر رسول الله ﷺ أن يستعين بهم أخوال أبيه، فهم أقرب إليه إجابة من غيره" (٢).

لقد نجح عمرو بن العاص في إمارة هذه السرية نجاحا باهرا؛ وذلك بفضل حنكته ودهائه، حيث حقق ثلاثة أهداف، أولا: قتال المحاربين الذين تأهبوا لغزو المدينة، ثانيا: تعبئة المسالمين معه ضدهم، وهم الذين استعان بهم من أقاربه من العرب وبلي وعذرة وبلقين ، وثالثا: الدعوة إلى الإسلام، فكان يستنفر العرب إلى الإسلام ويستأنفهم بقربهم منه.

قال ابن حجر: "وفي هذا الحديث جواز تأمير المفضول على الفاضل إذا امتاز المفضول بصفة تتعلق بتلك الولاية" (٣). لهذا أمره النبي ﷺ على أبي بكر وعمر وعلى المهاجرين لمصلحة رجحت لديه.

فالنبي ﷺ أقدر الناس على اختيار الرجل المناسب للمهمة المناسبة؛ لهذا كان يقول: «إني لأؤمر الرجل على القوم فيهم من هو خير منه، لأنه أيقظ عينا وأبصر بالحرب» (٤).

١ - ابن هشام، السيرة النبوية عن ابن إسحاق بل سند (١٧٢/٤). البيهقي، دلائل النبوة: ، عن ابن إسحاق بمسند مرسل صرح فيه بالتحديث، و رواه بسنده عن عمرو مرسلا. ورواه عن موسى بن عقبة مرسلا (٢٠٠-١٩/٥). الطبري، التاريخ (١٤٧/٣). قلت: على الرغم من أن في طرقه إرسالا، إلا أنه من مرسل النقات من أهل المغازي، فيتقوى بعضه ببعض. وراجع تفاصيل الخبر في المراجع نفسها.

٢ - الشامي، سبل الهدى والرشاد (٢٧٠/٢).

٣ - ابن حجر، فتح الباري (٧٥/٨).

٤ - البيهقي، دلائل النبوة، عن أبي معشر عن بعض شيوخه (٢٢/٥)، وهو ضعيف للجهالة.

ثانيا: تأمير عمرو بن العاص لتخطيم سواع^(١):

قال تعالى مخبرا عن قوم نوح: ﴿وَقَالُوا لَنَا تَذَرُنْ آلِهَتِكُمْ وَلَا تَذَرُنْ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾^(٢).

سواع المذكور ضمن هذه الأصنام: هو اسم صنم كان تقوم نوح عليه السلام ثم صار بعد ذلك لقبيلة هذيل المضربية^(٣).

وظل هذا الوثن منصوبا تعبده هذيل وتعظمه حتى فتحت مكة، ودخلت هذيل فيمن دخل في الإسلام.

بعث رسول الله ﷺ سرية بأمره عمرو بن العاص ﷺ إلى سواع لتخطيمه في السنة الثامنة من الهجرة بعد فتح مكة^(٤).

ويحدثنا أمير السرية عن مهمته، قال: "فانتهيت إليه وعنده الساندن فقال: ما تريد؟ قلت: أمرني رسول الله ﷺ أن أهدمه، قال: لا تقدر على ذلك، قلت: لم؟ قال: تمنع! قلت: حتى الآن أنت في الباطل! ويحك وهل يسمع أو يبصر! قال: فدنوت منه فكسرته وأمرت أصحابي فهدموا بيت خزائنه فلم يجدوا فيه شيئا، ثم قلت للسان: كيف رأيت؟ قال: أسلمت لله"^(٥).

٢٥ - أبو قتادة بن ربعي الأنصاري^(١):

هو الحارث بن ربعي بن بلدمة بن خناس بن سنان بن عبيد بن عدي بن غنم بن كعب ابن سلمة بن سعد بن علي بن راشد بن ساردة بن يزيد بن جشم بن الخزرج، أبو قتادة الأنصاري الخزرجي، من بني سلمة، وقيل: اسمه النعمان، والمشهور أن اسمه الحارث. وهو مشهور بكنيته.

شهد أحدا وحمراء الأسد وغزوة المريسيع، وغزوة بني قريظة وغزوة ذي قرد، وأبلى فيها بلاء حسنا حتى قال عنه الرسول ﷺ: "خير الفرسان أبو قتادة وخير الرجالة سلمة بن

^١ - يقع شمال مكة بـ ٨٥ كم. انظر: الحميري، الروض المعطار (٢٧٤).

^٢ - سورة نوح: الآية (٢٣).

^٣ - ابن هشام، السيرة النبوية (٨٩/١)، الجوهرى، الصحاح: باب العين، فصل السين.

^٤ - ابن سعد، الطبقات (١٤٦/٢)، ولم تحدد الرواية عدد هذه السرية.

^٥ - ابن سعد، الطبقات رواه عن جمع شيوخه (١٤٦/٢) الواقدي، المغازي، (٥٨٣)، الطبري، التاريخ: نقله عن الواقدي (٦٦/٣)، سبل الهدى والرشاد (٣٠٣/٦). السيرة الحلبية (٢٠٩/٣) وهذا الحديث ضعيف حديثا لأنه منقطع، وأنه من رواية الواقدي وهو ضعيف، ولكنه يدخل ضمن نطاق الأخبار التي ذكرت بعث النبي ﷺ ببعض السرايا لتخطيم الأصنام بعد الفتح، وسواع أحد هذه الأصنام، وبذلك يمكن الاستئناس بهذا الخبر تاريخيا. والله أعلم. انظر: السرايا والبعوث النبوية (٢٩٣).

^٦ - ابن سعد، الطبقات (١٥/٦) ابن عبد البر، الاستيعاب (٥٥٦/١)، ابن الأثير، أسد الغابة (٢٠٧/١)، ابن حجر، الإصابة (٣٢٧/٧).

الأكوع" (١) ومن يومها أصبح فارس النبي ﷺ، وشهد الحديبية، والقضية، ومؤتة، ثم شهد فتح مكة، وغزوة حنين وغزوة تبوك وكان على حرس النبي ﷺ، مات في المدينة المنورة سنة أربع وخمسين الهجرية.

أولاً: تأمير أبي قتادة على سرية خضرة (٢):

بعث رسول الله ﷺ خمسة عشر رجلاً إلى غطفان وأمر عليهم أبا قتادة (٣)، وكان ذلك في شعبان سنة ثمان من مهاجر رسول الله ﷺ وأمرهم النبي ﷺ أن يسيروا الليل، ويكمنوا النهار، أن يشنوا عليهم الغارة، ولا يقتلوا النساء والصبيان. (٤)

ويسوق لنا عبد الله بن أبي حدرد الأسلمي (٥)، أحد أفراد هذه السرية، ما حدث فيها، حيث جاء إلى النبي ﷺ وطلب منه أن يعينه على صداق امرأة من الأنصار، وكان صداقها مائتي درهم.

فقال له رسول الله ﷺ: " ما وافقت عندنا شيئاً أعينك به، ولكني قد أجمعت أن أبعث أبا قتادة في أربعة عشر رجلاً في سرية، فهل لك أن تخرج فيها؟ فبني أرجو أن يغملك الله مهر امرأتك ". فقلت: نعم. فخرجنا فكنا خمسة عشر رجلاً بابي قتادة وهو أميرنا، وبعثنا إلى غطفان نحو نجد فقال رسول الله، ﷺ: " سيروا الليل واكمنوا النهار، وشنوا الغارة، ولا تقتلوا النساء والصبيان " (٦).

فسارت السرية إلى حيث أمرهم نبيهم ﷺ وعندما اقتربوا من هدفهم، وضع لهم أميرهم خطة سير المعركة، وزودهم بالوصايا.... وهجمت السرية على الحاضر منهم، فأحاطت بهم، فقتلوا من أشرف لهم، واستاقوا الثعم، فكانت الإبل مائتي بعير والغنم ألفي شاة، وسبيوا سبباً كثيراً (٧).

١ - الواقدي، المغازي (٥٢٧)، ابن سعد، الطبقات (٣١٠/٤)، ابن حجر، الإصابة (٢٩٥/٢).
٢ - خضرة: هي أرض محارب بنجد، انظر الطبقات (١٣٢/٢)، ومعجم البلدان (٤٤٧/٣).
٣ - وذكر ابن هشام عن ابن إسحاق، أن أمير السرية عبد الله بن أبي حدرد، وأن هدف السرية قتل رفاعة بن قيس الجشمي، وساق القصة، السيرة النبوية (١٧٨/٤)، قلت: وهي رواية ضعيفة لأن فيها رجلاً مجهولاً، وقد خالفت رواية الصحيح، ثم أن الرواية الصحيحة عند مسلم توافق رواية الواقدي، والله أعلم.
٤ - الواقدي، المغازي (٥٢٧)، ابن سعد، الطبقات (١٣٢/٢).
٥ - عبد الله بن أبي حدرد، له ولأبيه صحبة. وقال ابن منده: لا خلاف في صحبته. وقال ابن سعد: أول مشاهدته الحديبية، ثم خيبر. وقال ابن عساکر: "روى عن النبي ﷺ، وعن عمر، وشهد الجابية مع عمر. وقال ابن البرقي: جاءت عنه أربع أحاديث، وتوفي سنة إحدى وسبعين". الطبقات (٣١٠/٤) الإصابة (٢٩٥/٢).
٦ - الواقدي، المغازي رواه بسنده عن عبد الله بن أبي حدرد الأسلمي (٥٢٧)، وانظر: ابن سعد، الطبقات (١٣٢/٢) وقد أخرج الإمام مسلم رواية مشابهة لهذه الرواية غير أنه لم يذكر اسم ابن أبي حدرد، ولم يفصل أحداث السرية. انظر: مسلم، كتاب النكاح، باب نذب النظر إلى وجه المرأة وكفيها لمن يريد تزوجها (٣٥٥١).
٧ - انظر تفاصيل الخبر: الواقدي، المغازي، (٥٢٧-٥٢٨)، ابن سعد، الطبقات (١٣٢-١٣٣)، عيون الأثر (١٦١/٢) الطبري، التاريخ، سرية أميرها أبي قتادة (٣٥-٣٤/٣).

ثانيا: تامير أبي قتادة بن ربعي الأنصاري على سرية إلى بطن إضم^(١)

في رمضان سنة ثمان من الهجرة^(٢)، ولما هم رسول ﷺ بغزو أهل مكة، قام بعملية تمويهية^(٣) القصد منها التعمية على غزوة فتح مكة وتحويل انتباه قريش وحلفائها عن خطته^(٤) فبعث النبي ﷺ أبا قتادة بن ربعي في ثمانية نفر سرية إلى بطن إضم، ليظن ظان أن رسول الله ﷺ توجه إلى تلك الناحية، ولأن تذهب بذلك الأخبار^(٥).

ويسوق لنا عبد الله بن أبي حنرد الأسلمي، أحد أفراد هذه السرية، ما حدث فيها قال: "بعثنا رسول الله ﷺ إلى بطن إضم، أميرنا أبو قتادة في تلك السرية وفيها محلم بن جثامة الليثي، وأنا فيهم فبينما نحن ببعض وادي إضم إذ مر بنا عامر بن الأضبط الأشجعي فسلم علينا بتحية الإسلام فأمسكنا عنه، وحمل عليه محلم بن جثامة فقتله لشيء كان بينه وبينه، وسلبه بعير له ومتاعا ووطيا^(٦) من لبن كان معه، فلما قدمنا على رسول الله ﷺ وأخبرناه الخبر نزل فينا القرآن^(٧)".

فمن خلال استعراض الغزوات والسرايا التي شارك أبو قتادة فيها أو السرايا التي قادها، نجد أنه أمضى معظم حياته مجاهدا في سبيل الله تعالى، تحت ظل القائد ﷺ جنديا وفارسا، بل وأميرا من أمراء النبي ﷺ على سريتين من سراياه، فمستطيع القول إن أبا قتادة كان قائدا ناجحا، يخطط قبل أن يفعل أي شيء، وكان يطبق مبدأ المباغثة، تطبيقا رائعا، وما السريتان اللتان قادهما إلا تطبيق لهذا المبدأ بشكل مثالي يدعو إلى الإعجاب.

٢٦ - خالد بن الوليد بن المغيرة^(٨):

هو خالد بن الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم القرشي المخزومي يكنى: أبا سليمان وقيل: أبو الوليد.

^١ - إضم: هو وادي المدينة إذا اجتمعت أوديتها الثلاثة - بطحان وقناة والحقيق - بين أحد والشراء يسمى الوادي «الخليل» إلى أن يتجاوز كثانة التي بنكرها «كثير» - وهي خير كثانة ذيقة - فيسمى الوادي «وادي الحمض» إلى أن يصب في البحر بين الوجه وأم لج - هذه أسماؤه اليوم، أما اسمه قديما، فكان يسمى إضما منذ اجتماع تلك الروافد إلى أن يصب في البحر. انظر: البلادي، المعالم الجغرافية (٣٢).

^٢ - الواقدي، المغازي، (٥٣٩)، ابن سعد، الطبقات (١٣٣/٢).
^٣ - الهجوم التمويه: هو استعراض للقوة القصد منها تضليل العدو وهو عادة هجوم محدود الهدف غير عميق، يقوم بتنفيذه جزء صغير من القوة الكلية، وهي عملية استعراضية لخداع العدو بعرض للقوات في منطقة لم يستقر عليها العزم. انظر: باهر عبد الهادي، مصطلحات عسكرية (٤٥).

^٤ - انظر: العمري، السرايا والبعوث النبوية (٢٧٠).
^٥ - الواقدي، المغازي، رواه عن محمد بن عبد الله، عن الزهري، محمد بن جبير بن مطعم (٥٣٩)، الطبقات (١٣٣/٢).
^٦ - معناه اللين خاصة. انظر الصحاح (٢٣٢).

^٧ - رواه الإمام أحمد، المسند، قال شعيب الأرنؤوط: إسناده محتمل للتحسين (١١/٦)، الواقدي، المغازي (٥٣٩)، ابن سعد، الطبقات (١٣٣/٢)، البيهقي، المنن الكبرى (١١٦/٩)، البيهقي، دلائل النبوة (٣٠٥/٤-٣٠٦)، ابن أبي شيبة، المصنف (٥٤٧/١٤)، الطبري، التاريخ (٢٢٣/٥)، قال الهيثمي: رجاله ثقات، مجمع الزوائد (٦٥/٧).
^٨ - انظر: ابن سعد، الطبقات (٣٩٤/٧)، ابن عبد البر، الاستيعاب (٤٢٧/٢)، ابن حجر، الإصابة (٢٥١/٢).

كان خالد رضي الله عنه يتحلى بالماضي المجيد، سواء أكان ذلك قبل إسلامه أم بعده، فقد اجتمع لخالد مجد المنبت الطيب، فهو من بني مخزوم، وهذا البطن من قريش قد انتهى إليه الشرف في الجاهلية، أسلم هو وعمرو بن العاص وعثمان بن طلحة بن أبي طلحة العبدري فلما رآهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه: " رمتكم مكة بأفلاذ كبدها"، توفي بحمص وقيل بالمدينة سنة إحدى وعشرين.

أمره النبي صلى الله عليه وسلم على كثير من السرايا والبعوث، على الرغم من تأخر إسلامه، وما ذلك إلا أن النبي صلى الله عليه وسلم وجد فيه الأمير القائد العبقري، الذي يستطيع أن يقوم بكل مهمة توكل إليه ويعود مكللاً بالفوز والنجاح، فأمره النبي صلى الله عليه وسلم على سرايا قتاليه، وأخرى دعوية، وأخرى لتحطيم الأوثان هي:

أولاً: تأمير خالد بن الوليد على سرية لتحطيم العزى^(١):

بعد أن استعلى الإسلام باندحار الشرك في الجزيرة العربية تدريجياً إلى أن توج ذلك بفتح مكة عاصمة الوثنية على أيدي المسلمين، جاء دور الإنكار الفعلي نحو تلك الأوثان فأزالها النبي صلى الله عليه وسلم من حول الكعبة، وبعد تطهير الكعبة من الأصنام كان لا بد من تطهير الجزيرة العربية من كل برائن الشرك والوثنية، فبعث النبي صلى الله عليه وسلم أمراءه لتحطيم هذه الأوثان واجتثاثها من الوجود ثم من العقول والقلوب.

وكانت أول سرية لتحطيم الطاغوت الأعظم منزلة ومكانة عند قريش وسائر العرب "العزى"، فبعث النبي صلى الله عليه وسلم سرية قوتها ثلاثون فارساً بإمرة خالد بن الوليد رضي الله عنه وكان ذلك لخمس ليالٍ بقيت من رمضان سنة ثمان للهجرة^(٢).

انطلق خالد بن الوليد رضي الله عنه وأصحابه؛ لإزالة ذلك الطاغوت من الوجود نهائياً، فعن أبي الطفيل رضي الله عنه قال: "لما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة بعث خالد بن الوليد إلى نخلة وكانت بها العزى، فأثامها خالد وكانت على ثلاث سمرات فقطع السمرات وهدم البيت الذي كان عليها ثم أتى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره فقال: "ارجع فإنك لم تصنع شيئاً". فرجع خالد فلما أبصرت به السدنة وهم حجبتها أمعنوا في الجبل وهم يقولون: "يا عزى خبيته، يا عزى عوريه". فأثامها خالد فإذا هي امرأة

^١ - العزى: اشتقوها من اسم الله تعالى العزيز سبحانه وتعالى عما يشركون، قالوا: العزى تأنيث الأعر، مثل الكبرى تأنيث الأكبر، والأعر بمعنى العزيز، والعزى بمعنى العزيزة "وكانت العرب وقريش تسمى بها عبد العزى". انظر: معجم البلدان (١١٦/٤)، شرح المواهب (٢٤٧/٢) وقد اختلف في صفتها وفي أصحابها فقيل: بيتا ببطن نخلة وقيل: كانت شجرة بنخلة لغطفان يعبدونها، وقال سعيد بن جبير: "العزى حجر أبيض كانوا يعبدونه، انظر فتح القدير: الشوكاتي (١٠٨/٥)، وقال ابن إسحاق وابن سعد: كانت سدنتها وحجابها بني شيبان من بني سليم، وإن آخر سدنتها دبية بن حرمي السلمي. انظر السيرة النبوية: (٥٠/٤)، ابن سعد، الطبقات (١٤٦/٢). وقال الواقدي: "هو صنم لبني شيبان، الطبري، التاريخ (٦٥/٣). وقال خليفة: كانت بيتاً عظيماً لقريش، وكثافة، ومضر كلها. تاريخ خليفة بن خياط (٨٨)، وقال البلاذري: وموقع العزى معروف اليوم في فرعة مقام أحد رواد حراض، وحراض هذا من رواد نخلة الشامية المعلم الجغرافية (٢٠٩).
^٢ - الطبقات (١٤٥/٢)، ابن هشام، السيرة النبوية، عن ابن إسحاق، حيث ذكرها بعد سرية جذيمة (٥٠/٤)، المغازي (٥٨٤).

عريانة ناشرة شعرها تحتن^(١) التراب على رأسها، فعممها بالسيف حتى قتلها ثم رجع إلى النبي ﷺ ، فأخبره فقال: " تلك العزى وقد بنمت أن تعبد في بلادكم أبدا" ^(٢).

ثانيا: تأمير خالد بن الوليد على سرية إلى بني جذيمة:

بعد فتح مكة بعث رسول الله ﷺ سراياه وبعوثه حولها؛ لإخضاع قبائل الأعراب الحليفة لقريش، والتي كانت تكوّن كتلة الأحابيش التي شاركت ضمن الجيوش القرشية التي خاضت بدرًا وأحدا والخندق ضد المسلمين؛ وذلك لإحكام قبضة المسلمين على المنطقة ونشر الدعوة فيها، وفتح الطريق أمامهم.

وكان من هذه البعث بعثة دعوية إلى بني جذيمة مكونة من ثلاثمائة وخمسين رجلا من المهاجرين والأنصار، ورجال من بعض القبائل العربية المسلمة كسليم، وبني مدلج بن مرة، وكان فيها بعض كبار الصحابة مثل عبد الرحمن بن عوف، وعبد الله بن عمر، وأبي قتادة، وسالم مولى أبي حذيفة، وكان أمير هذه البعثة سيف الله المسلول خالد بن الوليد وكان ذلك في شوال من السنة الثامنة للهجرة، قبل الخروج إلى حنين ^(٣).

قال ابن إسحاق وابن سعد: " بعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد حين افتتح مكة إلى بني جذيمة داعيا ولم يبعثه مقاتلا " ^(٤).

ولكن تحولت هذه السرية من سرية دعوة إلى سرية قتال ، ذهب فيها عدد من القتلى؛ وذلك بسبب طريقة بني جذيمة في استقبال السرية، وقد ساق لنا أحد أفراد هذه السرية خبرها وهو ابن عمر رضي الله عنه قال: " بعث النبي ﷺ خالد بن الوليد إلى بني جذيمة، فدعاهم إلى الإسلام، فلم يحسنوا أن يقولوا أسلمنا، فجعلوا يقولون صَبَانَا صَبَانَا ^(٥)، فجعل خالد يقتل منهم ويأسر، ودفع إلى كل رجل منا أسيرة، حتى إذا كان يوم أمر خالد أن يقتل كل رجل منا أسيرة قتل: والله لا

^١ - وفي رواية أبي يعلى "تحتو التراب".

^٢ - الفسائي، السنن الكبرى، كتاب التفسير، سورة النجم، (١١٥٤٧)، أبو يعلى، المسند، قال حسين سليم أسد: إسناده صحيح، (١٩٦/٢)، الأحاديث المختارة: للضياء المقدسي وقال المقدسي: إسناده صحيح بالمتابعة (٢١٩/٨) رقم (٢٥٨)، البيهقي، دلائل النبوة (٧٧/٥)، ابن هشام: السيرة النبوية (١٥٨/٤).

^٣ - ابن سعد، الطبقات (١٤٧/٢)، ابن هشام، السيرة النبوية عن ابن إسحاق (٤٤/٤ - ٤٥).

^٤ - المرجع السابق.

^٥ - صبا: يقال: صبا فلان: إذا خرج من دين إلى دين غيره، مأخوذ من قولهم: صبا ناب اليعير: إذا طلع، وصبأت النجوم: إذا خرجت من مطالعها، وكانت العرب تسمى النبي ﷺ الصابى، لأنه خرج من دين قريش إلى دين الإسلام. انظر: النهاية في غريب الحديث (٢/٣)، ولسان العرب (٢/٣٩٩).

أقتل أسيري ولا يقتل رجل من أصحابي أسيرة. حتى قديمتا على النبي ﷺ ، فنكرتاه قرع النبي ﷺ يديه، فقال: "اللهم اني أبرا إليك مما صنع خالد مرتين"^(١).

فلما رجعت السرية ذكروا ما حصل في هذه السرية لقائدهم ﷺ فأنكر على خالد فعله ولم يوافق عليه، وتبرأ من صنيعه أمام الله تعالى.

ثم بعد ذلك شاور النبي ﷺ أبا بكر فيما حصل في هذه السرية، فأشار عليه أن يبعث علي بن أبي طالب، فبعثه فودى لهم الدماء وما أصيب لهم من الأموال، وزادهم فوق ذلك إحسانا إليهم وتطيبيا لنفوسهم^(٢).

وحقيقة الأمر أنه أشكل على خالد بن الوليد، فلما رأى القوم مدججين بالسلاح مستعدين للقتال، ثم قالوا كلمتهم المشؤومة ظن أنهم ارتدوا عن الإسلام، وخاصة أنهم لم ينطقوا بالشهادتين.

قال الخطابي: "وقد يحتمل أن يكون خالد إنما لم يكف عن قتالهم بهذا القول من قيل أنه ظن أنهم عدلوا عن اسم الإسلام لأنه فهم عنهم أن ذلك وقع منهم على سبيل الأئمة من الاستسلام والانقياد فلم ير ذلك القول منهم إقرارا منهم بالدين فقتلهم متأولا قولهم"^(٣).

لهذا؛ لم يعاقبه النبي ﷺ ولم يحاسبه على فعلته تلك، ولكن أنكر عليه العجلة وترك الثبوت في أمرهم قبل أن يعلم المراد من قولهم صيانا؛ لأن المسألة تتعلق بأرواح أناس بتر منهم شبيهة تدرأ القتل عنهم^(٤).

ثالثا: تأمير خالد بن الوليد على سرية إلى أكيدر^(٥) دومة الجندل^(٦):

عندما خرج النبي ﷺ إلى غزوة تبوك ومكث فيها عشرين ليلة ولم يجد أثرا للحشود الرومانية ولا القبائل العربية، أراد أن يحقق بعض المكاسب ويؤمن حدود الدولة الإسلامية الشمالية فعقد المعاهدات مع الإمارات الواقعة في شمال الجزيرة العربية.

^١ - صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب بعث النبي ﷺ خالد بن الوليد إلى بني جذيمة (٤٠٨٤)، وكتاب الأحكام، باب إذا قضى الحاكم بجور أو خلاف أهل العلم فهو رد (٢٧٦٦).

^٢ - انظر: ابن هشام، السيرة النبوية (٤٦/٤)، وقد ذهب أهل المغازي بعيدا في تفسيراتهم للواقعة، فأخذوا يسوقون الروايات الضعيفة المشنعة بإدانة خالد ﷺ، وأنه فعل ذلك إبرا كما لثر قديم مع بني جذيمة. انظر الواقدي، المغازي (٥٨٧-٥٩٠)، ابن هشام، السيرة النبوية (١٥٣/٤-١٥٥).

^٣ - الخطابي، أبو سليمان، أعلام الحديث (١٧٦٥/٣). وانظر: فتح الباري (٥٧/٨).

^٤ - للفقهاء آراء في هذه المسألة: انظر التفاصيل: فتح الباري: (٢٧٤/٦) (١٨٢/١٣).

^٥ - أكيدر بن عبد الملك: من كنده، يدين بالنصرانية، ويخضع له رقل. انظر: الطبقات (١٦٦/٢).

^٦ - دومة الجندل: وهي قرية في الجوف، يشرف عليها حصن ملرد، حصن أكيدر الكندي، والجوف: منطقة زراعية شمال تيماء على [ص ١٢٨] قرابة ٤٥٠ كيلا. البلادي: المعالم الجغرافية (١٢٨).

ولكن بقيت هناك بعض القبائل الموالية للدولة البيزنطية والتي شاركت في غزوة مؤتة ضد المسلمين فأراد النبي ﷺ أن يؤدبها ومنها دومة الجندل التي كان يحكمها أكيدر.

"بعث النبي ﷺ خالد بن الوليد في أربعمئة وعشرين فارساً في رجب سنة تسع إلى أكيدر بن عبد الملك بدومة الجندل"^(١).

فلما عهد النبي ﷺ لخالد بإمارة هذه السرية، قال خالد: "يا رسول الله! كيف بدومة الجندل وفيها أكيدر، وإنما نأتيها في عصابة"^(٢) من المسلمين"^(٣).

فقال رسول الله ﷺ لخالد: "انطلقوا فإنكم تجدون أكيدر دومة خارجاً يقتنص الصيد فخذوه أخذاً"^(٤).

يتبين من إسناد النبي ﷺ إمارة هذه السرية لسيف الله خالد بن الوليد ﷺ ، مدى ما كان يتمتع به النبي ﷺ من حنكة وإبداع في اختيار الأمراء، فخالد بن الوليد ﷺ هو القائد المظفر، وبطل مؤتة ، ولا بد أنه أصبح معروفاً معرفة تامة لدى القبائل العربية المنتصرة التي واجهته في مؤتة، وعرفت مدى ما كان يتمتع به من ذكاء قيادي، وحنكة عسكرية، فأراد النبي ﷺ أن يستثمر هذا النجاح لخالد ضدهم، ويرميهم به ليتحصل على أفضل النتائج المرجوة بأقل قدر ممكن من الخسائر، بالإضافة إلى أن خالد بن الوليد من خلال قيادته للجيش في مؤتة أصبح على معرفة تامة بطبيعة هذه المنطقة وطبيعة أهلها، فيستطيع قيادة سرية بهذا الحجم أفضل من غيره ممن لا يعرفون المنطقة، وقد تبين لنا معرفته التامة بهذه المنطقة من خلال حوار مع النبي ﷺ ، عندما قال له أن دومة حصينة ولا نستطيع فتحها بهذا العدد القليل.

رابعاً: تأمير خالد بن الوليد على سرية إلى بني عبد المدان بني الحارث بنجران^(٥):

وتتوالى بعوث الدعوة إلى الله تعالى؛ لنشر الإسلام وإعلاء كلمته، ففي شهر ربيع الأول سنة عشر^(٦) بعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد في أربعمئة من المسلمين في مهمة دعوية جهادية إلى قوم كانوا يسكنون بنجران، ولم يقبل منهم أحد الإسلام وهم بنو الحارث، وبين له النبي ﷺ

^١ - الواقدي، المغازي (٦٧٦)، ابن سعد، الطبقات (١٦٦/٢)، تاريخ خليفة بن خياط (٩٢).

^٢ - العصابة: جماعة قليلة من الناس.

^٣ - البيهقي، دلائل النبوة (٢٥١/٥)، رواه من طريق يونس بن بكير عن ابن إسحاق، حدثنا يزيد بن رومان، قال عبد القادر حبيب الله المندي: هذا الإسناد حسن، مع إرساله. وقد صرح فيه محمد بن إسحاق بالسماع من شخصه. انظر: مرويات غزوة تبوك (٢٤٢).

^٤ - الحاكم، المستدرک علی الصحیحین: کتاب الفتن والملحوم، وقال حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه وتابعه الذهبي (٨٥٨٥)، البيهقي، دلائل النبوة (٢٥١/٥)، وعند النسائي "خذه ولا تقتلوه وإن لم تقتلوه على أخذه فاقتلوه" السنن الكبرى: النسائي، كتاب السير، عدد الترأيا (٨٨٣٦). وانظر: ابن سعد، الطبقات (١٦٦/٢-١٦٧). الواقدي، المغازي (٦٧٦-٦٧٨) ابن القيم، زاد المعاد (٥٣٨/٣).

^٥ - لجران: من مخاليف اليمن من ناحية مكة المكرمة، جنوب مكة ٩١٠ كم. انظر: الحموي، معجم البلدان (٢٦٦/٥)، الحميري، الروض المعطل (٥٧٢).

^٦ - ابن سعد، الطبقات (٣٣٩/١) وذكر ابن هشام عن ابن إسحاق أنها في شهر ربيع الآخر أو جمادى الأولى، ابن هشام، السيرة النبوية (١٥٢/٤).

المنهج الذي سوف يسلكه في دعوته كما هو دأبه في البعثات الدعوية، حيث أمره أن يدعوهم إلى الإسلام قبل أن يقاتلهم ثلاثاً فإن استجابوا قبل منهم، وإن لم يفعلوا قاتلهم^(١).

خرج خالد على رأس سرية حتى قدم عليهم فبعث الركبان في كل وجه يدعون إلى الإسلام " فاستجاب بنو الحارث بن كعب له ودخلوا فيما دعاهم إليه، ونزل بين أظهرهم يعلمهم الإسلام وشرائعه وكتاب الله وسنة نبيه ﷺ وكتب بذلك إلى رسول الله ﷺ وبعث به مع بلال بن الحارث المزني يخبره عما وطئوا، وإسراع بني الحارث إلى الإسلام، فكتب رسول الله ﷺ إلى خالد أن: بشرهم وأنذرهم وأقبل ومعك وفدكم"^(٢).

تبين وصية النبي ﷺ لخالد ﷺ سماحة الدين الإسلامي المتمثلة في إعطاء المدعويين فرصة التفكير فيما هم عليه من عقائد، وما يدعو إليه دين التوحيد وحرية الاختيار، وهذه الفرصة الطيبة نتج عنها اقتناع المدعويين بصحة دعوة المجاهدين، وبطلان عقيدة الشرك و لذلك أسلموا، ولا غرابة فهم يعرفون نسب صاحب الدعوة، وما أحرزه دينه من انتصارات على قادة الشرك والعقائد الأخرى الباطلة؛ وذلك لصدق الدعوة وسماحة صاحب الرسالة وكرمه.

وقد اختار النبي ﷺ لهذه السرية أميراً ذا صفات عسكرية، وفي الوقت نفسه يحمل صفات دعوية؛ ليتناسب ذلك مع مهمة السرية وطبيعتها، فمهمة السرية ذات جانبين: مهمة دعوية، ومهمة حربية، وحجمها كبير، فبلغت حوالي أربعمئة رجل، فكان لا بد أن يختار لها النبي ﷺ أحد أمرائه الكبار في الدعوة والجهاد، فاختار الرسول ﷺ خالد بن الوليد ﷺ لهذه المهمة الكبيرة التي قد تكون مفصلاً من مفاصل الإسلام ونقطة تحول كبيرة في الدولة الإسلامية.

فالنبي ﷺ كان حريصاً على الجبهة الجنوبية للدولة، و كان حريصاً أن تدخل قبائل اليمن في الإسلام، وظهر هذا الاهتمام في النتائج الباهرة التي حققتها الدعوة في كثرة الوفود التي كانت تتساقب من كل أطراف اليمن متجهة إلى المدينة، مما يدل على أن نشاط المبعوثين إلى اليمن كان متصلًا وبعيد المدى، وكانت سرايا رسول الله ﷺ تساند هذا النشاط الدعوي السلمي حيث بعث خالد بن الوليد مرة أخرى في هذا السياق^(٣).

^١ انظر: ابن سعد، الطبقات (٢٣٩/١)، والسيرة النبوية: ابن هشام، عن ابن إسحاق (١٥٣/٤).
^٢ - السيرة النبوية: ابن هشام، عن ابن إسحاق (١٥٣/٤)، الطبقات: رواه ابن سعد بسنده عن عبد الرحمن بن الحارث واللفظ له (٢٤٠-٢٣٩/١) الديهقي، دلائل النبوة، رواه عن ابن إسحاق. الطبري، التاريخ، من طريق ابن إسحاق عن عبد الله بن أبي بكر (١٩٤/٢)، سبل الهدى والرشاد (١٣٢/٦)، الروض الأنف (٤٧٣/٤)، قلت: الحديث ضعيف وإسناده مرسل، لكن نستأنس به تاريخياً لأنه: الخبر الوحيد الذي يغطي تفاصيل هذه السرية، وخاصة أن أغلب أهل المغازي أخرجوه مما يزيد قوة.

^٣ - خالد الفهداوي، الفقه السلمي للوثائق النبوية، دار صمار، ط١، ١٩٩٨م، (٢٣٠).

خامسا: تأمير خالد علي بعث إلى همدان^(١):

وبعد نجاح مهمة خالد بن الوليد إلى بني الحارث، بعثه النبي ﷺ في مهمة مشابهة إلى همدان.

فبعث البراء بن عازب، رضي الله عنه، قال: "إن النبي ﷺ بعث خالد بن الوليد إلى أهل اليمن يدعوهم إلى الإسلام، قال البراء: فكننت فيمن خرج مع خالد بن الوليد، فأقمنا ستة أشهر ندعوهم إلى الإسلام فلم يجيبوا، ثم إن النبي ﷺ بعث علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فأمره أن يقتل خالدًا وقال له: "مر أصحاب خالد من شاء منهم أن يعقب معك فليعقب، ومن شاء فليقبل".

قال البراء فكننت فيمن عقب مع علي، فلما دنونا من القوم خرجوا لنا فصلى بنا علي ثم صفنا صفا واحدا، ثم تقدم بين أيدينا وقرأ عليهم كتاب رسول الله ﷺ، فأسلمت همدان جميعا، فكتب علي إلى رسول الله ﷺ بإسلامهم، فلما قرأ رسول الله ﷺ الكتاب خر ساجدا، ثم رفع رأسه فقال: "السلام على همدان، السلام على همدان"^(٢).

وفيه رواية: "أن النبي ﷺ بعث عليا في جند، وبعث خالد بن الوليد في جند آخر وقال: "إن التقيتما فالأمير علي بن أبي طالب"^(٣).

وواضح تماما أن الهدف الرئيسي من هذه البعثات إلى اليمن، هو الدعوة إلى الله عز وجل فالأوامر صارمة بعدم اللجوء إلى القتال ما لم يقاتلهم العدو.

أمر النبي ﷺ خالد بن الوليد على كثير من السرايا على الرغم من تأخر إسلامه، فقد خيره النبي ﷺ في الجاهلية من الرجال الشجعان، والقادة العظماء، وهو من قادة قريش، فأراد النبي ﷺ أن الإفادة من هذه الصفات لصالح المسلمين، فاستثمر قدرات خالد بن الوليد لصالح الإسلام، وجعله أميرا على عدد من السرايا لخبرته بخالد وكفائته القيادية.

وهنا نتعلم المنهج النبوي في اختيار الرجال، واستثمار كل السبل من أجل إعلاء كلمة الإسلام.

ومن خلال هذه السرايا التي قادها خالد بن الوليد نتعلم من الهدي النبوي كيف نحفظ مقامات الرجال ونؤلف قلوبهم، فخالد بن الوليد كان من رؤساء المشركين المعروفين في أيام الجاهلية، أفلا يؤمر في الإسلام ويكون له شأن كما كان حاله في الجاهلية.

^١ - همدان أحد مخاليف اليمن، وهو ما بين الغائط وتهامة والمرأة في شمال صنعاء ما بينها وبين صنعاء. انظر معجم البلدان (٦٩/٥).

^٢ - صحيح البخاري كتاب المغازي، باب بعث علي بن أبي طالب عليه السلام وخالد بن الوليد إلى اليمن قبل حجة الوداع، رواه مختصرا (٤٣٤٩) وروى البخاري عن بريدة "أن النبي ﷺ بعث عليا إلى خالد ليقبض الخمس"، انظر: البخاري (٤٣٥٠). البيهقي، واللفظ له، السنن الكبرى (٣٦٩/٢)، دلائل النبوة (٤٩٢/٥)، معرفة السنن والآثار (٤٨٧/٣).

٢٧ - سعد بن زيد الأنصاري الأشهلي:

هو سعد بن زيد بن مالك بن عبد بن كعب بن عبد الأشهل بن جشم بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس بن حارثة، ويكنى أبا عبد الله.

أسلم قديما وشهد العقبة الثانية مع السبعين من الأنصار، وشهد بدرًا وأحدا وغزوة المريسيع، كما شهد غزوة بني قريظة وغزوة ذي قرد وقد أمره النبي ﷺ فيها على الفرسان وشهد غزوة الحديبية والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، وشهد سرية كرز بن جابر^(١).

تأمير سعد بن زيد على سرية لتحطيم مائة:

قال تعالى: ﴿ وَمَا التَّائِبَةُ الْآخِرَىٰ ﴾^(٢).

سبب السرية: بعد الفتح الأكبر، فتح مكة قرر النبي ﷺ إزالة كل معاقل الأصنام وتحطيم الأوثان، ومن ضمنها مائة بالمشلل^(٣)، وهي صنم للأوس والخزرج وغسان ومن دان بدينهم، كانوا يعظمونها ويهلون منها للحج، وقد بلغ من تعظيمهم إياها أنهم كانوا لا يطوفون بين الصفا والمروة تحرجا وتعظيما لها، حيث كان " ذلك سنة في آياتهم من أحرم لمناة لم يطف بسين الصفا والمروة"^(٤).

بعث الرسول ﷺ إلى مائة رجلا من أهلها سابقا من الذين كانوا يعظمونها في الجاهلية وهو سعد بن زيد الأشهلي ﷺ وقد اختاره النبي ﷺ؛ لما يتميز به من صفات قيادية، ولأنه من أهل المنطقة فيستطيع أن يتعامل معهم بما يتناسب مع طبيعتهم، فهو أدرى الناس بقومه.

" فلما كان يوم الفتح بعث رسول الله ﷺ سعد بن زيد الأشهلي إلى مائة في رمضان من السنة الثامنة الهجرية، فخرج في عشرين فارسا حتى انتهى إليها وعليها سادن، فقال السادن: ما تريد؟ قال: هدم مائة! قال: أنت وذاك!،

فأقبل سعد يمشي إليها، وتخرج إليه امرأة عريانة سوداء تائرة الراس تدعو بالويل وتضرب صدرها، فقال السادن: "مائة نونك بعض غضباتك! قضر بها سعد وقتلها.

^١ - انظر: ابن سعد، الطبقات (٤٣٩/٣)، (٦٣/٢)(٧٤/٢)، ابن عبد البر، الاستيعاب (٥٩٦/٢)، ابن الأثير، إسد الغابة (٤١٧/٢)، ابن حجر، الإصابة (٦١/٣).

^٢ - سورة النجم: آية (٢٠).

^٣ - المشلل: تنية تأتي أسفل قنيد من الشمال، إذا كنت في بلدة «صعبر» بين رايخ والقضيبة، كانت المشلل مطلع شمس مع ميل إلى الجنوب، وحررة المشلل هي التي تراها من تلك القرية، سوداء مدلهمة تشرق الشمس عليها، وفيها كانت مائة الطاغية، ومحلها معلوم، البلادي، المعالم الجغرافية (٣٠٢).

^٤ - مسلم، كتاب الحج، باب بيان أن السعني بين الصفا والمروة ركن لا يصح الحج إلا به (٣١٤٢) موقوف على عائشة، فتح الباري (١٨٩/٨).

وأقبل إلى الصنم معه أصحابه فهدموه ولم يجحوا في خزانتها شيئا وانصرف راجعا إلى رسول الله ﷺ، وكان ذلك لست بقين من شهر رمضان^(١).

وبهذا تم القضاء على معقل كبير من معاقل الوثنية، وعلى يد أمير من أمراء النبي ﷺ كان أحد العابدين لهذا الصنم ، فزال مائة من الوجود كما زال حبه من القلوب، وعاد الأنصار يعظمون شعائر الله تعالى، ويطوفون بين الصفا والمروة من غير جناح ولا حرج.

٢٨- أبو عامر الأشعري ﷺ :

هو عم أبي موسى الأشعري واسمه عبيد بن سليم بن حضار بن حرب بن عامر بن عنز ابن بكر بن عامر بن عنز بن وائل بن ناجية بن الجماهر . من ولد الأشعر بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ، وفي نسبه هذا بعض الاختلاف.

وهو من كبار الصحابة، شهد فتح مكة وحنين، استشهد يوم حنين أميرا لرسول الله ﷺ على سرية أوطاس^(٢).

تأمير أبي عامر الأشعري على سرية إلى أوطاس^(٣):

بعدما هزم الله تعالى جيش هوازن في غزوة حنين ، بعث النبي ﷺ في إثرهم سرية تعقبية بقيادة أبي عامر الأشعري؛ لمطاردة الفارين من هوازن وجشم الذين كان على رأسهم دريد بن الصمة ؛ وذلك للقضاء عليهم خوفا من أي تحشد لهم مضادا للمسلمين، وقد التقى الفريقان في وادي أوطاس، وهناك دارت معركة قوية بين الطرفين قتل فيها ابن الصمة وهزم الله أصحابه واستشهد فيها أمير السرية أبو عامر الأشعري.

ويحدثنا عن هذه السرية أحد أبطالها وهو أبو موسى الأشعري، ﷺ قال: " لما فرغ النبي ﷺ من حنين بعث أبا عامر على جيش إلى أوطاس، فلقى دريد بن الصمة، فقتل دريدا، وهزم الله أصحابه.

قال أبو موسى: وبعثني مع أبي عامر فرمي أبو عامر في ركبته رماء جشمي بسهم فأثبته في ركبته فأنتهيت إليه فقلت: يا عم من رماك؟ فأشار إلى أبي موسى فقال: ذاك قتالي

^١ - انظر: ابن سعد، الطبقات : ابن سعد الفرد به ابن سعد عن مجموع شيوخه بلفظ قالوا (٥١٤٦/٢) ، وذكر الواقدي وابن هشام الخبر مقتضيا ، المغازي(٥٨٣)، المسيرة النبوية (١٠٩/١)، وهذا الخبر ضعيف ، ولكن يمكن الاستئناس به تاريخيا حيث ذكر أهل المغازي أن رسول الله ﷺ أرسل بعض السرايا لتحطيم الأصنام في الجزيرة العربية، ولا يمكن استثناء مائة من ذلك لكونها من أكبر الطواغيت في الجزيرة . والله أعلم راجع: العمري، السرايا والبعوث (٢٨٨).

^٢ - ابن عبد البر، الاستيعاب (٥٤٦/١)، ابن الأثير، أسد الغاب (٧٣٦/١)، ابن حجر، الإصابة (٢٥٢/٧) ابن سعد، الطبقات (٣٥٧/٤).

^٣ - أوطاس: سهل يقع على طريق حاج العراق إذا أقبل من نجد قبل أن يصعد الحرة ، شمال شرقي مكة ، وشمال بلدة عشيرة ، وتبعد عن مكة قرابة (١٩٠) كيلا، انظر: البلادي، المعالم الجغرافية(٣٥).

الذي رماني، فقصدت له، فلقحته، فلما رأني ولي، فاتبعته وجعلت أقول له: ألا تستحيي إلا تثبت فكف، فاختلفنا ضربتين بالسيف فقتلته.

ثم قلت لأبي عامر: قتل الله صاحبك، قال: فانزع هذا السهم، فنزعتُه فنزا منه الماء^(١)، قال: يا ابن أخي أكرئ النبي ﷺ، وقل له: استغفر لي.

واستخلفني أبو عامر على الناس فمكث يسيرا ثم مات. فرجعت فدخلت على النبي ﷺ في بيته على سرير مرمل^(٢)، وعليه فراش قد أثر رمال السرير بظهره وجنبه فأخبرته بخبرنا، وخبر أبي عامر، وقلت له: قال: قل له: استغفر لي، فدعا بماء فتوضأ ثم رفع يديه فقال: "اللهم اغفر لعبيد أبي عامر"، ورأيت بياض إبطيه ثم قال: "اللهم اجعله يوم القيامة فوق كثير من خلقك أو من الناس" فقلت: ولي يا رسول الله، فاستغفر، فقال: "اللهم اغفر لعبد الله بن قيس ذنبه وأنخلة يوم القيامة مذخلا كريما"^(٣).

كان هدف هذه السرية مطاردة الفارين من هوازن وجشم الذين كان على رأسهم دريد بن الصمة، للقضاء عليهم قبل أن يحشدوا الجموع ضد المسلمين.

لقد كان أمير السرية عند حسن ظن النبي ﷺ به، وكان على قدر كبير من المسؤولية، حيث حقق هدف السرية قبل أن يستشهد، وكان حريصا على جماعته، فأمر عليهم أبا موسى الأشعري، وهو ينازعه الموت لتلا يختلفوا، وهذا يوضح مدى الحرص عند أصحاب النبي ﷺ على أهمية وجود الأمير.

٢٩ - عيينة بن حصن الفزاري الأعرابي^(٤):

عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر بن عمرو بن جوية بن لوزان بن ثعلبة بن عدي بن فزارة بن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان بن سعد بن قيس عيلان بن مضر الفزاري يقال كان اسمه حذيفة فلقب عيينة لأنه كان أصابته شجة فحفظت عيناه.

أسلم بعد الفتح، وقيل: أسلم قبل الفتح، وشهد الفتح مسلما، وشهد حنيئا و الطائف، وهو سيد غطفان ومن المؤلفة قلوبهم بعد إسلامه، حيث كان يتألفهم النبي ويتألف بهم قومهم.

^١ - نزا منه الماء: أي ظهر وارتفع ولم ينقطع. ، شرح النووي (٦٠/١٦).
^٢ - مرمل: أي معمول بالرمال وهي حبال الحصر التي تضفر بها الأمرة. فتح الباري (٥٢/٨).
^٣ - البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة أوطاس (٤٠٦٨). مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أبي موسى وأبي عامر الأشعريين رضي الله عنهما (٦٥٦٢).
^٤ - انظر: ابن عبد البر، الاستيعاب (١٤٤٩/٣)، ابن الأثير، أسد الغابة (٨٨٨/١)، ابن حجر، الإصابة (٤٦٧/٤)، ابن هشام، السيرة النبوية (١٣٣/٤).

أمره النبي ﷺ على سرية إلى بني تميم، وهذه هي المرة الأولى التي يولي فيها النبي ﷺ رجلا من الأعراب على سرية؛ وما ذلك إلا لأنه انتدب نفسه لهذه المهمة، وكان جميع أفراد السرية من الأعراب، ولم يكن فيها من السابقين الأولين أحد.

تأمير عيينة بن حصن على سرية إلى بني العنبر من بني تميم:

كان سبب خروج هذه السرية أن بني تميم أغاروا على ناس من خزاعة وأرادوا إجبارهم على الامتناع عن دفع الصدقة، وأشهروا سلاحهم ومنعوا عامل الصدقة من أخذ صدقات بني خزاعة، وهذا الأمر أغضب النبي ﷺ؛ لأنه عده من باب التدخل في شؤون المسلمين. ذكر الواقدي: "أنه لما بعث النبي ﷺ المصدقين لجمع الصدقات، جعل على صدقات بني كعب بسر بن سفيان، فلما أراد "بسر بن سفيان" جمع مواشي خزاعة وأخذ الصدقة منها، استكرت ذلك بنو تميم وقالوا: ما هذا؟ تؤخذ أموالكم منكم بالباطل! فتجيشوا، وتقلدوا القسي وشهروا السيوف فقال الخزاعيون: نحن قوم ندين بدين الإسلام، وهذا من ديننا. قال التميميون: والله لا يصل إلى بعير منها أبدا، فلما رآهم المصدق هرب منهم وانطلق موليا فقدم على النبي ﷺ فأخبره الخبر، فغضب النبي ﷺ وقال: "من لهؤلاء القوم الذين فعلوا ما فعلوا؟" (١).

"فانتدب أول الناس عيينة بن حصن الفزاري، فقال: أنا والله لهم، أتبع آثارهم ولو بلغوا يذرين" (٢) حتى أتيتك بهم إن شاء الله فترى فيهم راك أو يسلموا، فبعث النبي ﷺ عيينة بن حصن إلى بني تميم، فأغار عليهم وأصاب منهم ناسا، وسبى منهم سباء" (٣).

وكانت هذه السرية مكونة من خمسين شخصا ليس فيهم مهاجري ولا أنصاري، وكان هذا في المحرم سنة تسع للهجرة" (٤).

لقد استطاع عيينة أن يؤدي واجبه في قيادة هذه السرية، فكان عند حسن ظن النبي ﷺ والمسلمين به، فلحق بني تميم الذين اعتكوا على عامل الصدقة، وتدخلوا في شؤون الدولة

١ - المغازي: الواقدي، (٦٤٥-٦٤٦). ابن سعد، الطبقات، (٢٩٣/١).

٢ - يبرين: رمل معروف في ديار بني سعد من تميم، انظر معجم ما استعجم (٨٤٩).

٣ - انظر البخاري، كتاب المغازي، جعله في ترجمة الباب (٦٨) باب قال ابن إسحاق: "غزوة عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر بن العنبر من بني تميم بعثه النبي ﷺ إليهم فأغار وأصاب منهم ناسا وسبى منهم نساء. وانظر: ابن هشام، واللفظ له، السيرة النبوية رواه عن ابن إسحاق وصرح بالسماع (١٧٢/٤). و

٤ - ابن سعد، الطبقات (١٦٠/٢)، المغازي: الواقدي (٦٤٧)، ابن هشام، السيرة النبوية عن ابن إسحاق وصرح بالسماع (١٧٢/٤)، عيون الأثر (٢٣٤/٢)، زاد المعاد (٥٠٨/٣). قلت هذا الخبر لا تخلو جميع طرقه من مقال، ولكن نستأنس به تاريخيا، ويقويه أيضا إخراج البخاري له في ترجمة الباب، حيث أخرجه مقتضبا دون تفصيل.

الإسلامية وتعاليمها، درسا لا ينسونه أبدا، وكان لقيادة عيينة أكبر الأثر في انتصار سرية علي المتعاليين من بني العنبر من بني تميم^(١).

وبهذه السرية استطاع النبي ﷺ أن يوجه ضربة جديدة لكل من تسول له نفسه الخروج على الدولة الإسلامية، أو التدخل في شؤونها.

وقد اختار النبي ﷺ عيينة بن حصن لهذه المهمة؛ لأن هدف السرية تأديب بني تميم وهم من الأعراب فكان من المناسب أن يختار لهم رجلا أعرابيا مثلهم، وهو ليس من بني تميم ولكنه من غطفان وهو سيد غطفان مسموع الكلمة في قومه، مهيب الجانب من القبائل كافة، ويعرفون له مكانه ومكانته، وأهل غطفان هم من يعرفون التميميين معرفة تامة وذلك بحكم الجوار؛ لهذا كانت هذه السرية كلها من الأعراب، وليس فيها أحد من المهاجرين والأنصار، وهذا من الأسباب التي جعلت النبي ﷺ يختاره لهذه المهمة وهو من أصحاب الكفاءة العالية في الحروب، فقد خبره النبي ﷺ قائدا شجاعا مجريا قبل أن يدخل في الإسلام، حيث اشترك كقائد لقبيلة غطفان في كثير من الحروب ضد الإسلام، فمن كان أميراً وقائدا في قومه قبل إسلامه أفلا يكون أميراً وقائدا بعد إسلامه.

٣٠- الضحاك بن سفيان العامري الكلابي

الضحاك بن سفيان بن عوف بن كعب بن أبي بكر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة العامري الكلابي، يكنى: أبا سعيد.

أسلم وصحب النبي ﷺ، وهو معدود من أهل المدينة، وكان ينزل في باديتها، وكان ينزل نجدا، وولاه النبي ﷺ على من أسلم من قومه، وكان من عمال الصدقات^(٢).

وشهد الضحاك غزوة حنين فضم إليه النبي ﷺ بني سليم، فكانوا إليه ومعه، كما شهد حصار الطائف، ولما التحق النبي ﷺ بالرفيق الأعلى، ارتدت بنو سليم وتبعوا الفجاءة السلمي، فقال لهم الضحاك: "يا بني سليم، بنس ما فعلتم" وبالغ في وعظه، فشتموه وهموا به، فارتحل عنهم، فندموا وسألوه أن يقيم، فأبى، وقال: "ليس بيني وبينكم مودة"، وقال في ذلك شعرا ثم رجع مع المسلمين إلى قتالهم فاستشهد وكان ذلك في السنة الحادية عشرة للهجرة في حروب الردة^(٣).

^١ - انظر: قادة النبي ﷺ (٥٢٠).

^٢ - انظر: ابن عبد البر، الاستيعاب (٢٢٣/١)، ابن الأثير، أسد الغابة (٥٢٩/١)، ابن حجر، الإصابة (٤٧٧/٣).

^٣ - انظر: الواهدي، المغازي (٥٥٦)، ابن حجر، الإصابة (٤٧٦/٣).

تأمير الضحاك على سرية إلى بني كلاب:

كان سبب هذه السرية هو أن رسول الله ﷺ بعث كتابا مع رجل من عرينة يقال له عبدالله بن عوسجة إلى حارثة بن عمرو بن قريظ؛ يدعوهم إلى الإسلام، فأخذوا صحيفته فغسلوها، ورفعوا بها است دلوهم وأبوا أن يجيبوا، فأراد النبي ﷺ أن يؤدبهم. فلما سمع النبي ﷺ ما فعلوا قال رسول الله ﷺ: " ما لهم ؟ أذهب الله بعقولهم ؟ فهم أهل رعدة. وعجلة وكلام مختلط وأهل سقه " (١).

" في شهر ربيع الأول سنة تسع من مهاجر رسول الله ﷺ ، بعث رسول الله ﷺ جيشا إلى القرطاء (٢) وأمر عليهم الضحاك بن سفيان بن عوف بن أبي بكر الكلابي، ومعه الأصيد بن سلمة بن قرظ، فلقوهم بالزُّج (٣) فدعوهم إلى الإسلام فأبوا، فقاتلوهم، فهزموهم " (٤).

ويبدو أن عدد السرية كان كبيرا حيث عبر عنه أهل المغازي بالجيش، وقد كان أمير هذا الجيش، رجلاً من بني كلاب، اختاره النبي ﷺ؛ ليكون أميراً على هذه السرية لصفاته القيادية المتعددة التي كان يتميز بها من شجاعة وإقدام، وعقيدة راسخة، وتحمل للمسؤولية، فقد كان سيداً في قومه قبل الإسلام ووالياً على قومه بعد الإسلام، فاختاره النبي ﷺ على بني كلاب لأنه منهم؛ لذلك فهو أدرى من غيره بهم، وأدرى بصفاتهم وطبائعهم وأدرى بالمنطقة التي يسكنون بها.

لهذا؛ عندما لم يستجيب بنو كلاب لدعوة النبي ﷺ، ولم يحترموا كتابه الذي بعثه إليهم، اختار أميراً منهم ليؤدبهم به، وهو الضحاك بن سفيان أحد الأبطال الشجعان ، يعد وحده بمائة فارس، فنجح في قيادة سرية، وأدى واجبه على أكمل وجه، وأعطى درساً قاسياً للمشركين في منطقة نجد، ومن حولها من الأعراب، فأثر ذلك في معنوياتهم كثيراً، ففشا الإسلام فيهم، وانضموا إلى المسلمين.

ومما يضاف لصفاته أنه من أصحاب الدين القوي، ولقد ثبت هذا عندما ارتدت قبيلته عن الإسلام، فثبت وأخذ يدعوهم للثبات على الإسلام، فقد كان الأسوة الحسنة للمسلمين في كل زمان ومكان، وضرب لهم أروع الأمثلة في ثباته على دينه ، فضحى بروحه من أجل دينه، ولم يضح بدينه من أجل روجه.

١ - المغازي: الواقدي، (٦٥١).

٢ - القرطاء: بطن من بني بكر ، انظر شرح المواهب اللدنية (٥٧/٣).

٣ - الزج: موضع بناحية ضرية بجد. وفا الوفا (٣١٧/٢).

٤ - الواقدي، المغازي، (٦٥٠-٦٥١)، الطبقات، ابن سعد، واللفظ له عن مجموع شيوخه (١٦٣/٢، ١٦٢)، ابن سيد الناس، عيون الأثر (١٦٥/٢)، تاريخ الإسلام: (٦٢٣/٢)، قلت هذا الخبر انفرد به الواقدي وابن سعد عن مجموع شيوخه ، وشيوخ ابن سعد فيهم الضعيف وغيره، فالخبر ضعيف حديثاً ، ولكن يستأنس به تاريخياً ، لأنه الوحيد الذي يغطي تفاصيل هذه السرية.

٣١ - علقمة بن مجزّر المدلجي:

هو علقمة بن مجزّر بن الأعرور بن جعدة بن معاذ بن عتورة بن عمرو بن مدلج بن مرة الكناني المدلجي. وقد أطلق عليه بعض الرواة أنصاريًا بالمعنى الأعم.
أخوه وقاص بن مجزّر قتل في غزوة "ذي قرد" التي كانت في ربيع الأول من السنة السادسة الهجرية، فسأل رسول الله ﷺ أن يبعثه في أثار القوم الذين قتلوا أخاه في غزوة "ذي قرد" ليبدرك ثاره منهم^(١).

ولاه أبو بكر على بعض المناطق، وجعله عمر بن الخطاب واليا على جنوبي فلسطين في السنة الخامسة عشرة للهجرة، وفي سنة سبع عشرة أصبح واليا على فلسطين كلها^(٢).
وفي آخر حياته كان عاملا لعمر بن الخطاب ﷺ على حرب فلسطين، وفي سنة عشرين الهجرية بعث عمر علقمة في البحر لحرب الحبشة، فأصيب المسلمون في البحر، وهلكوا جميعا^(٣).

تأمير علقمة بن مجزّر على سرية إلى الحبشة:

سبب هذه السرية: ذكر ابن سعد أن سببها "أنه بلغ رسول الله ﷺ أن ناسا من الحبشة تراءواهم^(٤) أهل جدة^(٥)، فبعث في شهر ربيع الآخر من السنة التاسعة للهجرة علقمة بن مجزّر المدلجي في ثلاثمائة رجل حتى انتهى إلى جزيرة في البحر فخاض إليهم فهربوا منه ثم انصرف، هو وأصحابه ولم يلق كيدا^(٦). وانتهت مهمة هذه السرية.

وذكر ابن إسحاق أن سبب هذه السرية "أن وقاص بن مجزّر المدلجي كان قتل يوم ذي قرد، فأراد علقمة بن مجزّر أن يأخذ بثأره، فأرسله رسول الله ﷺ في أثار القوم ليبدرك ثاره فيهم^(٧).

وفي طريق عودتهم تعجل بعض القوم إلى أهلهم، واستأذنوا أميرهم في الانصراف فحصل معهم قصة غريبة، وقد ذكرها المحدثون بتفاصيلها، فعن أبي سعيد ﷺ قال: "بعث رسول الله ﷺ علقمة بن مجزّر على بعث أنا فيهم فخرجنا حتى إذا كنا على رأس غزاتنا، أو في بعض الطريق، استأذنته طائفة فأذن لهم، وأمر عليهم عبد الله بن حذافة السهمي، وكان من

^١ - ابن الأثير، أسد الغابة (٩٧٤/١)، ابن حجر، الإصابة (٥٥٩/٤)، ابن هشام، الميرة النبوية (١٨٤/٤).

^٢ - الطبري، التاريخ (٦١٠/٣).

^٣ - انظر: ابن الأثير، أسد الغابة (٩٧٥/١)، الطبري، التاريخ (١١٢/٤)، ابن حجر، الإصابة (٥٦٣/٤).

^٤ - تراءواهم: أي نظروهم ورأوهم، شرح المواهب اللدنية (٥٨/٣).

^٥ - جدة: بلد قديم على ساحل البحر الأحمر، وهي الآن مدينة رائعة العمران والتنسيق، وتعد الميناء الرئيسي للحجاز، ومطاراها أحد المطارات العالمية، تبعد عن مكة ٧٣ كيلا، انظر: البلادي، معجم معالم الحجاز (١٣٠/٢).

^٦ - الواقدي، المغازي (٦٥١)، ابن سعد، الطبقات (١٦٣/٢).

^٧ - ابن هشام، السيرة النبوية (١٨٤/٤)، وجمع ابن حجر بين السببين فقال: إنه بعثه في الأمرين معا. انظر: فتح الباري، (٧٣/٨).

أصحاب بدر وكانت فيه دعابة^(١)، فكنت فيمن رجع معه، فبينما نحن في الطريق نزلنا منزلاً، وأوقد القوم ناراً يصطلون بها أو يصنعون عليها صنيعاً لهم، إذ قال لهم عبد الله بن حذافة: أليس لي عليكم السمع والطاعة؟ قالوا: بلى؛ قال: فما أنا بأمركم من شيء إلا فعلتموه؟ قالوا: بلى، قال: قال: فإني أعزم عليكم بحقي وطاعتي إلا توائبتم في هذه النار قال: فقام ناس حتى إذا ظن أنهم واثبون فيها قال: أمسكوا عليكم أنفسكم إنما كنت أضحك معكم فلما قدموا على رسول الله ﷺ ذكروا ذلك له فقال رسول الله ﷺ: "من أمركم بمعصية فلا تطيعوه"^(٢).

وعلى الرغم من أن علقمة لم يؤمّره النبي ﷺ إلا على سرية واحدة إلا أننا نستطيع أن نحكم من خلالها أنه كان موضع ثقة النبي ﷺ الكبيرة؛ ليجعله أميراً على هذا العدد الكبير من المسلمين، حيث بلغ عدد أفراد سرية حوالي الثلاثمائة، وقد نجح في هذه السرية، فأدى مهمته على أكمل وجه واستطاع أن يجعلهم يهربون منه، ويلقنهم درسا لن ينسوه أبداً؛ لتلا يفكروا هم أو غيرهم بالاعتداء على البلاد الإسلامية.

وقد كان حريصاً على وحدة الجماعة، ويهتم بوجود أمير على أي جماعة صغرت أم كبرت ملتزماً بذلك بمنهج قائده ﷺ، فلما أراد أن يتعجل بعض الناس في سرية بعدما استأذنوه ترك لهم الخيار بالعودة، ولكنه لم يتركهم من غير إمرة فجعل عليهم أميراً وأمرهم بطاعته، وهذا يدل على إدراك الصحابة لأهمية وجود أمير على الجماعة المسلمة؛ ليتدبر أمرها ويقوم عليها.

وقد اختاره النبي ﷺ على هذه السرية لأن الحبشة لا يمكن الوصول إليها إلا من خلال البحر، وعلقمة بن مجزز من الذين يستطيعون ركوب البحر، حيث أشارت المصادر أنه ركب البحر مرتين مرة في هذه السرية، ومرة في عهد عمر بن الخطاب.

ولم يكن النبي ﷺ ليختاره على هذه السرية إلا لشجاعته وإقدامه، وصلاحيته لتولي الإمارة، وبعد النبي ﷺ ولاه أبو بكر وعمر على كثير من الأعمال الإدارية والعسكرية، وما هذا إلا لأنهم يتقون بمن اختاره سيدهم وقادتهم ﷺ، وما كان النبي ﷺ يولي رجلاً من أصحابه منصب القيادة، إلا إذا كان مستحقاً لهذا المنصب استحقاقاً كاملاً لا شك فيه.

^١ - الدعابة: المزاح واللعب. انظر: ابن منظور، لسان العرب (١/٩٨٠).

^٢ - البخاري، كتاب المغازي، باب: سرية عبد الله بن حذافة السهمي وعلقمة بن مجزز المدلجي، رقم (٤٠٨٥)، وكتاب الأحكام، باب السمع والطاعة (١٧٢٦) ومسلم، كتاب الإمارة، باب: وجوب طاعة الأئمة في غير معصية وتحريمها في المعصية، رقم (٤٨٧٢)، ابن حبان، واللفظ له، الصحيح، كتاب السير، باب طاعة الأئمة، وقال الأرنؤوط: إسناده حسن، (٤٥٥٨)..

٣٢- جرير بن عبد الله البجلي:

هو جرير بن عبد الله بن جابر بن مالك بن نضر بن ثعلبة بن جشم بن عوف بن حزيمة ابن حرب بن علي بن مالك بن سعد بن نذير بن قسر وهو مالك بن عبقر بن أنمار بن إراش بن عمرو بن الغوث البجلي . سيد قبيلة بَجيلة . يكنى أبا عمرو وقيل أبو عبد الله ، توفي في الكوفة سنة أربع وخمسين^(١).

تأمير جرير بن عبد الله إلى ذي الخلصة^(٢):

استمرارا لمنهج النبي ﷺ في تطهير البلاد من الأوثان والأصنام وعندما انتشرت الدعوة في بلاد خثعم، أراد النبي ﷺ أن يريح قلبه من معقل من معقل الشرك بتحطيم ذي الخلصة فانتدب لها رجلا من أشرفهم وأمره على جماعة من أحمس، وأسند إليهم مهمة القضاء عليه. "بعث رسول الله ﷺ، جريرا في السنة العاشرة للهجرة؛ لهدم ذي الخلصة وعقد له لواء، وطلب منه أن يريحه من ذي الخلصة والكعبة اليمانية^(٣) والشامية^(٤) .

روى قيس بن أبي حازم عن جرير بن عبد الله البجلي قال : قال لي رسول الله ﷺ: "ألا تريحني من ذي الخلصة"، فقلت: بلى. فانطلقت في خمسين ومائة فارس من أحمس وكانوا أصحاب خيل، وكنت لا أثبت على الخيل، فذكرت ذلك للنبي ﷺ ، فضرب يده على صدري حتى رأيت أثر يده في صدري وقال: "اللهم ثبته واجعله هاديا مهديا" قال: فما وقعت عن فرس بعد. قال: وكان ذو الخلصة بيتا باليمن لخثعم وبجيلة فيه نصب تعبد يقال له: الكعبة قال: فأتاها فحرقها بالنار وكسرها. قال: ولما قدم جرير اليمن كان بها رجل يستقسم بالأزلام فقبل له: إن رسول رسول الله ﷺ ها هنا، فإن قدر عليك ضرب عنقك. قال فبينما هو يضرب بها إذ وقف عليه جرير فقال: لتكسرنها ولتشهدن أن لا إله إلا الله أو لأضربن عنقك. قال: فكسرها وشهد ثم بعث جرير رجلا من أحمس يكنى أبا أرطاة^(٥) إلى النبي ﷺ يبشره، بذلك فلما أتى النبي ﷺ قال: يا رسول الله والذي بعثك بالحق ما جئت حتى تركتها كأنها جمل أجرب^(١). قال: فبرك^(٢) النبي ﷺ على خيل أحمس ورجالها خمس مرات^(٣).

^١ - ابن عبد البر، الاستيعاب (٧٠/١)، ابن الأثير، أسد الغابة (٤٠٩/١)، ابن حجر، الإصابة (٤٤٥/١)، ابن سعد، الطبقات (٤٧٥/١). طبقات ابن خياط (١٣٨/١).

^٢ - ذو الخلصة: اسم للبيت الذي كان فيه الصنم، وقيل اسم البيت الخلصة واسم الصنم ذو الخلصة، وموضع ذي الخلصة صار

مسجدا جامعاً لبلدة يقال لها العبلات من أرض خثعم. انظر فتح الباري (٨٩/٨).

^٣ - سموها بذلك مضاهاة للكعبة.

^٤ - ابن سعد، الطبقات (٣٤٧/١). وانظر: صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة ذي الخلصة، حديث رقم (٤٣٥٥).

^٥ - هو حصين بن ربيعة، كما وقع في رواية مسلم.

اختار النبي ﷺ لهذه المهمة جرير بن عبد الله؛ لأنها كانت في بلاد قومه وكان هو من أشرفهم؛
وذلك لاستمالة نفوس القوم بتأمير من هو منهم، ، فكان من منهج النبي ﷺ إسناد المهمات
الجسام لأشرف القوم وسادتهم؛ لأن هذا أدهى لعامة الناس بإتباع سادتهم ، فإن الناس في الغالب
يتبعون رأي حكامهم، ويميلون إلى آرائهم.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

^١ - الجمل الأجرى: هو كناية عن نزع زينتها وإذهاب بهجتها. وقال الخطابي: المراد أنها صارت مثل الجمل المطلى بقطران من جريه، إشارة إلى أنها صارت سوداء لما وقع فيها من تحريق. انظر: ابن حجر، فتح الباري (٩٢/٨).
^٢ - دعا لهم بالبركة.
^٣ البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة ذي الخلفة، واللفظ له (٤٠٩٨)، (٤٠٩٩)، صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل جرير بن عبد الله رضي الله تعالى عنه (٦٥٢٠)، (٦٥٢١).

المبحث الثاني

الإمارة على الجيوش

الجيش في اللغة: الثوران والغليان، جند يسيرون لحرب أو غيره، وقيل جماعة الناس في الحرب، ويقال: جيش جيشا أي جمع الجيوش^(١).

وفي أصل تسمية الجيش يقول السرخسي: "وسمي الجيش جيشا لأنه يجيش بعضه فسي بعض لكثرة عددهم"^(٢).

أما عن تعداد الجيوش ومسمياتها:

فذكر في "فقه اللغة": أن أقل العساكر الجريدة وهي "قطعة جردت من سائرها لوجه" ثم السرية، وهي من خمسين إلى أربعمئة ثم الكتيبة، وهي من أربعمئة إلى الألف ثم الجيش، وهو من ألف إلى أربعة آلاف، وكذلك الفيلق والجحفل ثم الخميس، وهو من أربعة آلاف إلى اثني عشر ألفا والعسكر يجمعها^(٣).

وقال المسعودي: "وقد ذكرنا عدة من نوي المعرفة بسياسة الحروب وتبدير العساكر والجيوش ومقاديرها وسماتها، وما زاد على الخمسمئة إلى دون الثمانمئة فهي المناسر، وما بلغ الثمانمئة فهو جيش، وهو أقل الجيوش، وما زاد على الثمانمئة إلى دون الألف فهو الخشخاش، وما بلغ الألف فهو الجيش الأزلم، وما بلغ الأربعة آلاف، فهو الجيش الجحفل، وما بلغ اثني عشر ألفا، فهو الجيش الجرار"^(٤).

ومن خلال كلام أهل المغازي في وصف البعوث النبوية، نجدهم يقولون سرية أو بعثا إذا كان عدد أفراد الجماعة قليلا، وإذا كان عدد أفرادها كبيرا فيقولون جيشا؛ لهذا كانوا يطلقون على بعث مؤتة، جيش مؤتة أو جيش الأمراء، وهذا ما أطلقوه على بعث أسامة بن زيد إلى أبينى.

فالنبي ﷺ لم يقتصر على إرسال سرايا محدودة العدد فحسب بل كان يرسل جيشا مكونا من عدد كبير من الأفراد ويجعل عليهم أميرا، وأحيانا كان يضع نائبا للأمير وذلك حسب طبيعة المهمة.

١ - ابن فارس، معجم المقاييس في اللغة، (٢٣٢)، البن منظور، لسان العرب، (١٥٨/٦)، القاموس المحيط: باب الشين فصل الجيم (١٢٧/٢).

٢ - الشيباني، شرح السرخسي: (٢٩/١).

٣ - الثعالبي، إسماعيل، فقه اللغة وسرّ العربية، (٢٢٠).

٤ - المسعودي، التنبيه والأشراف: (٢٨٠).

وقد كان النبي ﷺ إذا خرج بنفسه على جيش من الجيوش ينظم الجيش على شكل خماسي مكون من: مقدمة، ومؤخرة، وميمنة، وميسرة، وقلب، ويضع على كل شكل أمير، وكان أمير الجيش يقف في قلب الجيش حتى يشرف عليه ويوجهه في مراحل القتال كافة، فعن أنس ابن مالك رضي الله عنه قال: صبحنا خيبر بكرة فخرج أهلها بالمساحي فلما بصروا بالنبي ﷺ قالوا: محمد والله، محمد والخميس، فقال النبي ﷺ: "الله أكبر خربت خيبر إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين"^(١)، فقد سمي اليهود جيش المسلمين خميساً، لأنه كان مقسماً خمسة أقسام: قلب وميمنة وميسرة ومقدمة وساقة، وفي فتح مكة استخدم النبي ﷺ التنظيم الخماسي للجيش^(٢).

وفي هذا المبحث سأتناول الروايات الواردة في إمارة الجيوش، وسأذكر الروايات الواردة في الأمراء الذين كانوا في مهمة جماعية في أثناء المعركة، مثل عبد الله بن جبير وأمراء فتح مكة وأمراء بعض الغزوات.

١- أمراء جيش مؤتة:

تأمير زيد بن حارثة، وجعفر بن أبي طالب^(٣)، وعبد الله بن رواحة على جيش مؤتة:

بعث النبي ﷺ زيدا على جيش إلى مؤتة في جمادى الأولى سنة ثمان للهجرة، وكان سبب بعث هذا الجيش، أن رسول الله ﷺ، بعث الحارث بن عمير الأزدي أحد بني لهب إلى ملك بصرى بكتاب، فلما نزل مؤتة عرض له شرحبيل بن عمرو الغساني فقتله، ولم يقتل لرسول الله ﷺ رسول غيره، فبلغ رسول الله ﷺ الخبر فاشتد ذلك عليه، وندب الناس وأخبرهم بمقتل الحارث^(٤).

وأمر رسول الله ﷺ المسلمين بالتجهز للقتال، فاستجابوا للأمر النبوي، وحشدوا حشوداً لم يحشدوها من قبل، إذ بلغ عدد المقاتلين في هذا الجيش ثلاثة آلاف مقاتل^(٥)، واختار النبي ﷺ للقيادة ثلاثة أمراء على التوالي. وما ولي النبي ﷺ قبل مؤتة ولا ولى بعدها ثلاثة أمراء أو

١ - البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة خيبر (٣٩٦١).

٢ - انظر التفاصيل: الكتاني، عبد الحي، التراتيب الإدارية، باب في انقسام الجيش إلى خمسة أقسام (١، ٢٢٤)، خطاب، الرسول القائد (٢٣٠).

٣ - هو جعفر بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي القرشي الهاشمي. ابن عم رسول الله ﷺ وأخو علي بن أبي طالب لأبويه، يكنى: أبا عبد الله. وأمه: فاطمة بنت أسد، وهو من السابقين الأولين إلى الإسلام. وهو سفير النبي ﷺ إلى النجاشي ملك الحبشة، وأمير المهجرين إلى أرض الحبشة، وكان أشبه الناس برسول الله ﷺ خلقاً وخلقا. ابن حجر، الإصابة (٤٨٥/١).

٤ - الواقدي، المغازي (٥١٤)، ابن سعد، الطبقات (١٢٨/٢)، ابن سيد الناس، عيون الأثر (٢١١/٢)، الزرقاني، المواهب اللدنية (٥٤٩/١)، ابن القيم، زاد المعاد (٣٨١/٣)، ابن حجر، فتح الباري (١٠١/٧).

٥ - ابن هشام، السيرة النبوية، رواه عن ابن إسحاق عن عروة بن الزبير (٦/٤).

أميرين على سرية واحدة، ولكن بعد نظره ﷺ وتقديره لأهمية هذه السرية وخطورتها هو الذي جعله يتخذ فيها مثل هذا الاحتياط، وربما كان متوقفاً أن تحف الأخطار هذه الحملة لوجهتها البعيدة، ولعدم وقوع احتكاك سابق بمناطق تخضع لنفوذ دولة قوية كالإمبراطورية البيزنطية التي كانت قبائل الشام وأطرافها موالية لها سياسياً^(١).

روى البخاري عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: "أمر رسول الله ﷺ في غزوة مؤتة زيد ابن حارثة فقال رسول الله ﷺ: إن قتل زيد فجعفر وإن قتل جعفر فعبد الله بن رواحة"^(٢).
ومن رواية ابن سعد، قال رسول الله ﷺ: "أمير الناس زيد بن حارثة، فإن قتل فجعفر ابن أبي طالب، فإن قتل فعبد الله بن رواحة، فإن قتل فليرتض المسلمون بينهم رجلاً فيجعلوه عليهم"^(٣).

وعقد لهم رسول الله ﷺ، لواءً أبيض ودفعه إلى زيد بن حارثة، وأوصاهم رسول الله ﷺ، أن يأتوا مقتل الحارث بن عمير، وأن يدعوا من هناك إلى الإسلام، فإن أجابوا وإلا استعانوا عليهم بالله وقاتلوه، وخرج مشيعاً لهم حتى بلغ ثنية الوداع فوقف وودعهم، وزودهم بوصايا تتضمن آداب القتال في الإسلام، فقد أوصى رسول الله ﷺ أصحابه بقوله: "أوصيكم بتقوى الله وبمن معكم من المسلمين خيراً، اغزوا بسم الله..."^(٤).

"التقى المسلمون والمشركون فقاتل الأمراء يومئذ على أرجلهم فأخذ الراية زيد بن حارثة فقاتل، وقاتل المسلمون معه على صفوفهم، حتى قتل، ثم أخذ الراية جعفر بن أبي طالب فقاتل بها، حتى إذا الحمه القتال اقتحم على فرس له شقراء^(٥) فعقرها^(٦) ثم قاتل القوم حتى قتل، فكان جعفر أول رجل عقر في الإسلام، ثم أخذ اللواء عبد الله بن رواحة فتردد يسيراً ثم اندفع فقاتل حتى قتل فأخذ الراية ثابت بن أقرم^(٧)، ونادى في المسلمين أن يختاروا لهم أميراً فاختاروا

١ - انظر: العمري، أكرم ضياء، السيرة النبوية الصحيحة، مكتبة العبيكان، ط٤، ٢٠٠٣م الرياض، (٤٦٨/٢).
٢ - البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة مؤتة (٤٠١٣).
٣ - المغازي: الواقدي (٥١٤)، ابن سعد، الطبقات (١٢٨/٢).
٤ - انظر الواقدي، المغازي (٥١٤-٥١٥). ابن عساکر، تاريخ دمشق: وقال تعليقاً على الخبرين: هذان إسنادان مرسلان، والمحمول أن هذه وصية أبي بكر ﷺ (١٠/٢).
٥ - أي نزل عن فرسه وقاتل راجلاً.
٦ - عقرها: قطع حرقبها، انظر: الطبقات (١٢٩/٢).
٧ - ثابت بن أقرم البلوي: شهد بدرًا والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ ثم شهد مؤتة، فدفعته إليه الراية بعد قتل عبد الله بن رواحة، فدفعها إلى خالد بن الوليد، وقال: "أنت أطم بالقتال مني" وقد استشهد سنة ١١ هـ في حرب أهل الردة، قتله طلحة بن خويلد الأسدي. انظر ابن حجر، الإصابة: (١٩٧/١)، ابن عبد البر، الاستيعاب (١٩٩/١).

خالد بن الوليد، وقد أدرك خالد خطورة الموقف فأعاد تنظيم جيشه، وتمكن من القيام بانسحاب منظم لم يفقده إلا اليسير من جنده" (١).

"يعد جيش مؤتة من أهم جيوش النبي ﷺ، لأنها كانت على الروم في أرض الشام وحلفاتها من العرب الغساسنة النصارى، فكانت أول سرية تتعرض لدولة الروم، كما كانت أول سرية تنهض بتعرض خارجي على نطاق دولي لا على نطاق محلي قبلي، لذلك اهتم النبي ﷺ بهذه الغزوة، وحشد لها ثلاثة آلاف مجاهد من المسلمين وولى قيادتها أكفأ قادته: زيد وجعفر وعبد الله" (٢).

وكان أول أمير في هذا الجيش زيد بن حارثة حيث قدمه النبي ﷺ على ابن عمه جعفر بن أبي طالب - القائد الفذ الذي استعمله النبي ﷺ في أصعب المهام عندما بعثه إلى النجاشي ملك الحبشة - فرأى جعفر أنه أحق بالإمارة من زيد بن حارثة ففي حديث أبي قتادة ؓ أن جعفر قال: بأبي أنت يا نبي الله وأمي ما كنت أراهب أن تستعمل علي زيدا فقال رسول الله ﷺ: "امض فإني لا تدري أي ذلك خير" (٣).

وقد اختار النبي ﷺ زيدا أميراً على جيش مؤتة، لمعرفته الجيدة به فقد أمره النبي ﷺ على عدد من سراياه، وكان دائماً عند حسن ظن قائده ﷺ به، فقد سبر النبي ﷺ معادن الرجال وعرف أحوالهم فرأى أن هناك صفات كثيرة تجعل زيدا يتقدم على غيره في الإمارة.

قال شهاب الدين التوربشتي: "وكان رسول الله ﷺ قد بعث زيد بن حارثة أميراً على عدة سرايا وأعظمها على جيش مؤتة، وسار تحت رايته في تلك الغزوة خيار الصحابة منهم جعفر ابن أبي طالب ؓ، وكان خليقاً بذلك لسوابقه وفضله وقربه من النبي ﷺ" (٤).

وكان الأمير الثاني في الجيش جعفر ؓ وفي هذا دليل على كفايته القيادية وأنه قائد لا يشق له غبار فبعد عودته من الحبشة بمدة وجيزة أمره النبي ﷺ أميراً بعد زيد على مهمة من أصعب المهام على جيش مؤتة.

ثم الأمير الثالث عبد الله بن رواحة ؓ، الذي كان النبي ﷺ يتق به كثيراً؛ لهذا جعله من أمراء جيش مؤتة، وقد أثبت وجوده في هذا الجيش، وكان له الدور الأبرز فيه حيث شجع

١ - انظر: السيرة النبوية: ابن هشام، عن ابن إسحاق (٧/٤)، جوامع السيرة: ابن حزم (٢٢٠-٢٢٢). ولم يمسد ابن إسحاق قصة الواقعة سوى عفر جعفر بن أبي طالب لفرسه وخبر تردد ابن رواحة ثم إقامته حيث ساقهما بإسناد حسن، انظر العمري، أكرم ضياء، السيرة النبوية الصحيحة: (٤٦٨/٢).

٢ - انظر: الضبيان، التربية القيادية: (٤٤٥).

٣ - السنن الكبرى: النسائي، كتاب المناقب، باب فضائل جعفر بن أبي طالب (٨١٨٥)، رواه الإمام أحمد، المسند وقال شعيب الأرنؤوط: صحيح لغيره وهذا إسناد جيد من أجل خالد بن سمير (٢٩٩/٥) (٣٠٠/٥) (٣٧٧/٥)، ابن حبان، الصحيح، كتاب إخباره ﷺ عن مناقب الصحابة (٧٠٤٩)، الطبري، التاريخ (٤٠/٣)، البيهقي، دلائل النبوة (٣٧٦/٢)، وقال الهيثمي: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير خالد بن سمير وهو ثقة. مجمع الزوائد (١٥٦/٦).

٤ - انظر: القاري، علي بن سلطان محمد، مرآة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح: (٣٠٥/١١)، الفتح الرباني (٢٢١-٢٢٣).

المسلمين على لقاء الكفار بمقاتته المشهورة، وهذا يدل على أنه ذو كفاءة عالية، وأنه مسموع الكلمة عند رجاله.

يقول محمود شيت خطاب: "إن تشجيع عبد الله بن رواحة المسلمين على قتال الروم وحلفائهم، واستجابة المسلمين لهذا التشجيع، له دلالة لا يمكن أن يختلف فيها اثنان، هي أنه كان يتق ثقة عالية برجاله، وأن رجاله كانوا يتقون به ثقة مطلقة، والثقة المتبادلة بين القائد ورجاله من أهم مزايا القائد المتميز، ولا يمكن أن يتق الرجال بقائدهم ثقة مطلقة عفوا وبدون أسباب، كما أن النبي ﷺ كان لا يولي المراكز القيادية إلا لأشخاص لهم مؤهلات عالية، ومزايا واضحة المعالم، فقد كان عليه الصلاة والسلام يحرص أعظم الحرص على تولي الرجل المناسب للعمل المناسب، تطبيقاً لتعاليم الإسلام في الولاية"^(١).

وبعد استشهاد الأمير الثالث الذي أمره النبي ﷺ، أدرك الناس خطورة عدم وجود أمير يقود الجيش، فاصطلح الناس على خالد بن الوليد الذي استطاع بحنكته العسكرية أن يحول مجريات المعركة من هزيمة إلى انتصار، وتخليص الجيش من المازق الكبير الذي تعرض له في مؤتة، وهذا يدل على كفاءة خالد القيادية العالية.

وبعد النجاح الكبير الذي حققه، أشاد النبي ﷺ بكفاءة خالد بن الوليد وأثنى عليه، وحرص على الإفادة من كفاءته ومواهبه لصالح الإسلام، وجعله على قائمة أمرائه فكان كنزاً لتولي إمارة الكثير من سرايا النبي ﷺ، ثم أصبح قائداً للمعارك الحربية الكبرى في تاريخ الإسلام. الأولى: تشجيع هذا الرجل الذي ظهرت كفاءته؛ حتى يكون ذلك حافزاً له على العطاء المتواصل، والثانية: شحذ همم الآخرين إلى التفكير المثمر الذي يعود على جماعة المسلمين بالعزة والكرامة.

٤- أسامة بن زيد بن حارثة:

هو أسامة بن زيد بن حارثة، يكنى أبا محمد ويقال: أبو زيد، وأمه: أم أيمن حاضنة النبي ﷺ، مات في أواخر خلافة معاوية في المدينة، وصحح ابن عبد البر أنه مات سنة أربع وخمسين، وقد روى عنه من الصحابة أبو هريرة وابن عباس، ومن كبار التابعين أبو عثمان النهدي وأبو وائل وآخرون وفضائله كثيرة وأحاديثه شهيرة^(٢).

^١ - انظر: خطاب، القادة الشهداء: (١٨٢-١٨٣).

^٢ - انظر: ابن عبد البر، الاستيعاب (٢٤/١)، ابن الأثير، أسد الغابة (٤٠/١)، ابن حجر، الإصابة (٤٩/١).

تأمير أسامة بن زيد على جيش إلى أرض البلقاء (أبني):

قفل النبي ﷺ من حجة الوداع، فأقام بالمدينة بقية ذي الحجة والمحرم وصفر من العام العاشر، فبدأ بتجهيز جيش إلى الشام قوامه ثلاثة آلاف رجل^(١)، وأمر عليه أسامة بن زيد بن حارثة^(٢).

وكان سبب إرسال جيش أسامة: هو تأديب القبائل وأهل القرى، الذين شاركوا في غزوة مؤتة ضد المسلمين، والثأر لما أصاب زيد بن حارثة، وجعفر بن أبي طالب، وعبد الله بن رواحة.

فقد "أمره رسول الله ﷺ أن يغير على مؤتة، وعلى جانب فلسطين، حيث أصيب زيد بن حارثة، وجعفر بن أبي طالب، وعبد الله بن رواحة"^(٣).

وفي رواية ابن سعد أن رسول الله ﷺ قال له: (يا أسامة، سر على اسم الله وبركته حتى تنتهي إلى مقتل أبيك، فأوطنهم الخيل، فقد وليتك على هذا الجيش، فأغر صباحاً على أهل أبني وخرق عليهم، وأسرع السير تسبق الأخبار، فإن أظفرك الله فأقلل اللبث فيهم، وخذ معك الأدلاء، وقدم العيون والطلاع أمامك". وعقد لأسامة لواء بيده، وأمره أن يتوجه نحو البلقاء وفلسطين لغزو الروم.

ثم تجهز الناس وفيهم المهاجرون والأنصار، وكان منهم أبو بكر وعمر بن الخطاب، وأبو عبيدة وسعد بن أبي وقاص وسعيد بن زيد وقتادة بن النعمان وسلمة بن أسلم، وكان أسامة ابن زيد ابن ثمانى عشرة سنة، وتكلم البعض^(٤) في تأميره، وهو مولى وصغير السن على كبار المهاجرين والأنصار، وقالوا: يستعمل هذا الغلام على المهاجرين الأولين - فغضب رسول الله ﷺ غضبا شديداً - فخرج وقد عصب على رأسه عصابة وعليه قطيفة، فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: "أيها الناس فما مقالة بلغتني عن بعضكم في تأميري أسامة، ولئن طعنتم في إمارتي أسامة لقد طعنتم في إمارتي أباه من قبله، وأيم الله إن كان للإمارة لخليفاً، وإن ابنه من بعده لخليق للإمارة، وإن كان لمن أحب الناس إلي وإنهما لمخيلان لكل خير واستوصوا به خيراً فإنه من خياركم"^(٥)

^١ - انفرد الواقدي بذكر عدد الجيش، المغازي (٧٣٤).

^٢ - البخاري، كتاب المغازي، باب بعث النبي ﷺ أسامة بن زيد (٤١٩٩). عن عبد الله بن عمر ر.ه: "أن رسول الله ﷺ بعث بعثاً وأمر عليهم أسامة".

^٣ - البيهقي، دلائل النبوة (٢٠٠/٧-٢٠١)، تاريخ دمشق: ابن عساکر (٦٨٩/٢)، وهذا الخبر من مراسيل عروة، والزهرى، وموسى بن عتبة، وهم من أئمة المغازي الثقات، فيقوي بعضه بعضاً.

^٤ - ذكر ابن حجر منهم عواش بن أبي ربيعة المخزومي، انظر فتح الباري (١٩٠/٨).

^٥ - الواقدي، المغازي: (٧٣٢)، ابن سعد، الطبقات رواه عن شيوخه (١٩٠/٢) و انظر: فتح الباري (١٩٠/٨). وأخرج البخاري طرفاً منه في كتاب المغازي، باب بعث النبي أسامة في مرضه الذي توفي فيه (٤١٩٩).

وعن ابن عمر رضي الله عنهما: "أن رسول الله ﷺ بعث بعثا وأمر عليهم أسامة بن زيد، قطعن الناس في إمارته قيام رسول الله ﷺ، فقال: "أن تطعنوا في إمارته فقد كنتم تطعنون في إمارة أبيه من قبل، وأيم الله إن كان لخليفة للإمارة، وإن كان لمن أحب الناس إلي، وإن هذا لمن أحب الناس إلي بعده"^(١).

وقد كان من أسباب الطعن في تأمير أسامة بن زيد؛ لأنه صغير السن، حيث استعمله النبي ﷺ وهو ابن ثمانين سنة"^(٢).

وكذلك؛ لوجود بعض كبار الصحابة وأهل الفضل منهم تحت إمرته، فكانهم يتساعلون كيف يتأمر عليهم وهم أفضل سابقة، وأكبر سنا، وأقرب موقعا من النبي ﷺ كأبي بكر الصديق، وعمر بن الخطاب وأبي عبيدة بن الجراح .

وقيل: طعن في إمارته أهل الريب؛ لأنه مولى مع حداثة سنه، وكان ﷺ أسود الجلدة"^(٣). وقال شهاب الدين التوريشتي: "إنما طعن من طعن في إمارتهما؛ لأنهما كانا من الموالي، وكانت العرب لا ترى تأمير الموالي وتستكف عن إبتاعهم كل الاستكاف، فلما جاء الله عز وجل بالإسلام، ورفع قدر من لم يكن عندهم قدر بالسابقة، والهجرة، والعلم، والتقوى، عرف حقهم المحفوظون من أهل الدين، فأما المرتهنون بالعادة، والممتحنون بحب الرئاسة من الأعراب ورؤساء القبائل، فلم يزل يختلج في صدورهم شيء من ذلك، لا سيما أهل النفاق، فإنهم كانوا يسارعون إلى الطعن وشدة النكير عليه"^(٤).

وعلى الرغم من هذه الطعون إلا أن النبي ﷺ أصر على أن يكون أمير الجيش أسامة، وأصر على إرساله على رأس هذا الجيش.

وفي تولية أسامة بن زيد رضي الله تعالى عنهما على جيش مطعم بكبار الصحابة وفضلائهم، وهو في تلك المرحلة المبكرة من عمره، تبرز لنا عدة أمور مهمة:

أولا: الطريقة القويمة والرائعة التي كان المربي الأول ﷺ يربي عليها أصحابه، ومن بعدهم أمته على طاعة أولي الأمر منهم مهما كانوا.

ثانيا: كان في ذلك تأكيد وتوضيح على أن الإسلام يحو ما قبله من أنظمة وعادات وتقاليد جاهلية تختص بشروط الرئاسة والقيادة، فالسن، والشرف، والجاه، والمال، التي كانت تعد

^١ - البخاري، كتاب فضائل الصحابة، مناقب زيد بن حارثة (٣٥٢٤)، وكتاب المغازي، باب غزوة زيد بن حارثة (٤٠٠٤)، وباب بعث النبي أسامة في مرضه الذي توفي فيه (٤١٩٩)، و معلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل زيد بن حارثة وأسامة بن زيد (٦٤١٨).

^٢ - ابن سعد، الطبقات (٦٦/٤)، وقيل تسع عشرة سنة، وقيل: سبع عشرة سنة" انظر: السيرة الحلبية (٢٢٧/٣).

^٣ - السهيلي، الروض الأنف (٣٨٦/٤).

^٤ - انظر مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح: (٣٠٥/١١)، الساعاتي، الفتح الرباني: (٢٢٣-٢٢١/٢١).

شروطاً أساسية لا يمكن إغفال شيء منها فيمن يراد توليته، أصبح بدلاً عنها في الإسلام التقوى، وحب النبي ﷺ، والكفاءة القيادية، والنجابة، والحنكة القتالية.

ثالثاً: الاهتمام بالشباب باعتبارهم العنصر الأهم في المجتمع، حيث يوجه النبي ﷺ الحكام والمسؤولين من بعده على إيلاء الشباب الكثير من الاهتمام، وهذا من باب صناعة القادة من الشباب وإعطائهم فرصة لقيادة المجتمع، ومن ثم شعورهم بالمسؤولية تجاه أوطانهم.

رابعاً: الأدب الجَم العظيم الذي كان يتمتع به أصحاب النبي ﷺ، وحسن انقيادهم له، وطاعتهم وتوقيعهم لأمره حتى بعد وفاته. قال الحلبي: "كان عمر بن الخطاب ؓ حتى بعد أن ولي الخلافة إذا رأى أسامة ؓ قال: السلام عليك أيها الأمير. فيقول أسامة: غفر الله لك يا أمير المؤمنين. تقول لي هذا؟ فيقول: لا أزال أدعوك ما عشتُ الأمير. مات رسول الله ﷺ وأنت علي أمير" (١).

ومما يستفاد من هذا الخبر: كما قال ابن حجر: "جواز إمارة المولى، وتولية الصغار على الكبار، والمفضول على الفاضل؛ لأنه كان في الجيش - الذي كان عليهم أسامة - أبو بكر وعمر" (٢).

إمارة الأرتال:

وبعد ذكر إمارة الجيوش في عهد النبي ﷺ، واستكمالاً للموضوع فلا بد من الحديث عن الإمارة على الأرتال، وهم الذين أمرهم النبي ﷺ بمهمة داخل الجيش، وهو ما يسمى في المصطلحات العسكرية "أمير التعبئة" (٣) منهم:

١- عبد الله بن جبير الأوسي الأنصاري:

عبد الله بن جبير بن النعمان بن أمية بن امرئ القيس بن ثعلبة بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس الأنصاري. يكنى: أبا المنذر (٤).

أسلم قديماً وشهد بيعة العقبة الثانية مع مسلمي الأوس والخزرج، ثم شهد بدرًا وقتل يوم أحد شهيداً (٥).

١ - انظر: الحلبي، السيرة الحلبيّة (٢٣١/٣)، والمعري، السرايا والبعوث النبوية (٤٩٩).

٢ - ابن حجر، فتح الباري (٩٩/٧).

٣ - محمود أحمد عواد، الجيش والقتال في صدر الإسلام، مكتبة المنارة، الأردن ١٩٨٧م ويطلقون عليهم أمراء الأرتال، أو أمراء المجانب (١٩٢).

٤ - انظر: ابن سعد، الطبقات (٤٧٥/٣)، ابن عبد البر، الاستيعاب (٢٦٤/١)، ابن الأثير، أسد الغابة (٥٨٨/١)، ابن حجر، الإصابة (٣٥/٤).

٥ - ابن سعد، الطبقات (٤٧٥/٣)، ابن حزم، جوامع السيرة (١٢٨).

تأمير عبد الله بن جبير على الرماة في غزوة أحد:

شهد عبد الله بن جبير غزوة أحد، فأمره النبي ﷺ على الرماة، وعددهم خمسون رجلا، وجعل موضعهم على جبل عينين^(١)، وجعل النبي ﷺ أحدا خلف ظهره، واستقبل المدينة^(٢).

فعن البراء رضي الله عنه قال: "لقينا المشركين يومئذ، وأجلس النبي ﷺ جيشا من الرماة، وأمر عليهم عبد الله وقال لهم: "إن رأيتمونا تخطفنا الطير فلا تبرحوا مكاتكم هذا، حتى أرسل إليكم وإن رأيتمونا هزمتنا القوم وأوطاناهم، فلا تبرحوا حتى أرسل إليكم"^(٣).

وكان سبب هذه الهزيمة التي مئى بها المسلمون، هو مخالفة الرماة لأمر النبي ﷺ ومخالفة أميرهم الذي لم يقصر في نصح أصحابه الرماة، وفي وئذل قصارى جهده دفاعا عن موضع الرماة والباقيين منهم، وعن الإسلام والمسلمين، مما يدعو إلى أعمق التقدير والإعجاب به وبالثلة الباقية الملتزمة^(٤).

وقد اختار النبي ﷺ عبد الله بن جبير لإمارة الرماة؛ لما عرف عنه من الصفات القيادية التي أهلته لتولي قيادة الرماة في أخطر غزوة من غزوات النبي ﷺ، فمن الصفات التي كان يتمتع بها: مهارته في الرمي أولا، وشجاعته وإقدامه ثانيا، وطاعته المطلقة وشدة ضبطه ثالثا^(٥).

لقد كان الرماة الماهرون معروفين في صفوف المسلمين بأسمائهم وكفائتهم المتميزة بالرمي، وهم الذين نطلق عليهم اليوم في المصطلحات العسكرية الحديثة وصف: الهدفين، جمع هدف، وهو الرامي الماهر بالرمي.

وكان اعتماد النبي ﷺ في غزواته - وبخاصة غزواته الأولى - على الرماة الماهرين عظيما جدا؛ لأن المسلمين حينذاك كانوا يفتقرون إلى الخيول، بعكس المشركين الذين كانوا أغنياء بخيولهم، فكان المسلمون يعوضون بدقة الرمي عن نقص الخيول في صفوفهم، فلا بد أن يكون عبد الله بن جبير رضي الله عنه ماهرا بالرمي؛ ليتولى قيادة الرماة في تلك الغزوة، ويكون قدوة لرجاله، ويستطيع قيادتهم بكفاءة واقتدار.

١ - عينان: جبل بأحد. معجم ما استعجم (١٨٨).

٢ - الواقدي، المغازي (١٨٠)، ابن هشام، السيرة النبوية عن ابن إسحاق، بدون سنة (٢٠/٣).

٣ - البخاري، كتاب الجهاد والمير، باب ما يكره من التنارع ولاختلاف في الحرب، (٢٨٧٤)، وكتاب المغازي، باب غزوة أحد، (٣٨١٧).

٤ - راجع تفاصيل الخبر: الواقدي، المغازي (١٨٧)، ابن سعد، الطبقات (٤٧٦/٣).

٥ - انظر: خطاب، قادة النبي ﷺ (٧٠٠).

وبالإضافة إلى أنه من الرماة الماهرين، فقد كان شجاعا مقداما، ولعل أكبر دليل على شجاعته وإقدامه، ثباته العنيد مع عشرة من رجاله فقط، تجاه هجوم فرسان المشركين المؤلف من مائتي فارس بقيادة خالد بن الوليد، فكانت هذه المناوشة غير متكافئة، ومع ذلك ثبت ومن معه.

أما سجيته الثالثة، فهي طاعته المطلقة وشدة ضبطه المتين، مما كان ولا يزال وسيبقى مثالا رائعا للطاعة المطلقة، والضبط المتين لكل عسكري يعتدّ بشرفه العسكري قائدا وضابطا وجنديا^(١).

أمراء فتح مكة المكرمة:

٢- تأمير خالد بن الوليد المخزومي على الميمنة في فتح مكة:

كان خالد في غزوة فتح مكة أميرا على المجنبة^(٢) اليمنى لقوات المسلمين^(٣)، وكانت الميمنة مؤلفة من: أسلم وسليم وغفار ومزينة وجهينة وقبائل من قبائل العرب، وكان واجبه دخول مكة من أسفلها من الليط^(٤)^(٥) كما أمره النبي ﷺ، وهو أول يوم أمر فيه رسول الله ﷺ خالد^(٦).

٣- تأمير الزبير بن العوام على اليسرة في فتح مكة:

كان الزبير في غزوة فتح مكة أميرا على المجنبة اليسرى لقوات المسلمين^(٧)، حيث جعله على المهاجرين وخيلهم، وأمره أن يدخل من كدى من أعلى مكة، وأمره أن يغرز رايته بالحقون، ولا يبرح حتى يأتيه^(٨).

٤- تأمير أبي عبيدة على المقدمة في فتح مكة:

كان أبو عبيدة في غزوة فتح مكة أميرا على مقدمة موكب النبي ﷺ على البياذقة^(٩)، وبطن الوادي^(١٠).

١ - المرجع السابق (٢٠٣).

٢ - المجنبة: هي الكتيبة من الخيل التي تأخذ جانب الطريق الأيمن، وهما مجنبتان ميمنة وميسرة بجانب الطريق والقلب بينهما. انظر: شرح النووي (٣٤٥/١٢).

٣ - انظر: مسلم، كتاب الجهاد، باب فتح مكة (٤٧٢٤).

٤ - الليط: موضع أسفل مكة، وهو المشهل الذي ينتهي إليه ميل وادي طوى، وهو ما لُتمَّ به اليوم التَّنْضَبَاوِيّ أو الطَّنْبَدَاوِيّ، وقد أصبَحَ حَيًّا من أحياء مكة. البلادي، المعالم الجغرافية (٢٧٤)، الحموي، معجم البلدان، (٣٤٦/٧).

٥ - ابن سعد، الطبقات (١٣٦/٢)، الطبري، التاريخ، (٢٣٢/٢) ابن كثير، السيرة النبوية (٥٦٠/٣). ابن هشام، السيرة النبوية، من رواية ابن إسحاق عن عبد الله بن أبي نجيع (٢٩/٤).

٦ - خطاب، محمود شيت، خالد بن الوليد المخزومي: (٧٤).

٧ - انظر: مسلم، كتاب الجهاد، باب فتح مكة (٤٧٢٤).

٨ - ابن هشام، السيرة النبوية، من رواية ابن إسحاق عن عبد الله بن أبي نجيع (٢٩/٤).

٩ - البياذقة: هم الرجال، سموا بذلك لخفتهم وسرعة حركتهم، ووقع في بعض الروايات: الساقة: وهم الذين يكونون آخر العسكر، وقد يجمع بينه وبين البياذقة بأنهم رجاله وساقه، وفي رواية أن النبي ﷺ جعل أبي عبيدة على الحسر، والحصر هم رجاله لا دروع عليهم انظر النووي، شرح صحيح مسلم، (٣٤٦/١٢) شرح الحديث (٤٦٠٠). وفتح الباري (١٥/٨).

١٠ - انظر مسلم، كتاب الجهاد، باب فتح مكة (٤٦٠٠). جوامع السيرة (٢٣١/١).

٥- تأمير سعد بن عبادَةَ على كَتِيبَةِ الأَنْصَارِ:

بعث النبي ﷺ سعد بن عبادَةَ في كَتِيبَةِ الأَنْصَارِ في مَقْدِمَةِ رَسولِ الله ﷺ (١) "وعندما أُقْبِلت كَتِيبَةُ الأَنْصَارِ سأل أبو سَفِيانَ العباسَ عنها - لأنه لم يرَ مِثْلَها في الكَتائِبِ - فقال العباسُ: هؤلاء الأَنْصَارُ عليهم سعد بن عبادَةَ معه الرِايةُ، فقال سعد بن عبادَةَ: "يا أبا سَفِيانَ اليومَ يومَ المَلْحَمَةِ اليومَ تَسْتَحِلُّ الكَعْبَةَ" ولما بلغَ النبي ﷺ قولَ سعد قال: "كذبٌ" (٢) سعد، ولكن هذا يومَ بعَظَمِ الله فيهِ الكَعْبَةُ ويومَ تَكَسَى فيهِ الكَعْبَةُ" (٣).

وذكر الأُمويُّ في المِغازي أن أبا سَفِيانَ قالَ للنبي ﷺ لما حذاه: أمرتَ بقتلِ قومِكَ؟ قال: لا . فنَكرَ له ما قاله سعد بن عبادَةَ، ثم ناشدَه اللهُ والرَّحِمَ، فقال: "يا أبا سَفِيانَ اليومَ يومَ المَرْحَمَةِ، اليومَ يَعرِزُ اللهُ قَرِيشًا". وأرسلَ إلى سعد بن عبادَةَ فأخذَ الرِايةَ منه ثم دَفَعها إلى ابنِهِ قَيسٍ (٤).

وهكذا، انتصرَ الجِيشُ الإسلاميُّ وفتحتَ مَكَةُ، ولم يَصبِ أحدٌ من أمراءِ النبي ﷺ بِسوءٍ، وكانت أولَ مَرَّةٍ يُؤمَرُ فيها رَسولُ الله ﷺ خالدُ بنَ الوليدِ، وما ذلكَ إلا لِتأخُّرِ إسلامِهِ، فقد عَرفَ النبي ﷺ قُدْرَةَ خالدٍ في قِيادةِ الجِيشِ، وخبرَهُ في غزوةِ مُوتَةَ؛ لهذا أمرَهُ على مَجنِبَةِ مَجانِبِ الجِيشِ؛ لِمَعْرِفَتِهِ بِصِفاتِهِ القِيادةِ.

أما الزبيرُ بنَ العوامِ فقد أمرَهُ النبي ﷺ على مَجنِبَةِ الجِيشِ لِخِبرَتِهِ في ذلكَ حيثُ خَبرَهُ النبي ﷺ في غزوةِ بدرٍ، فعنَ النَّبِيِّ قال: "كانَ يومَ بدرٍ معَ رَسولِ الله ﷺ فارسانَ: الزبيرُ بنَ العوامِ على فرسٍ على المِيمَنَةِ، والمقدادُ بنَ الأسودِ على فرسٍ على المِيسِرَةِ" (٥).

وأما سعد بن عبادَةَ فقد اختارَهُ النبي ﷺ أميرًا على كَتِيبَةِ الأَنْصَارِ؛ لأنَّهُ سَيدٌ من ساداتِ الأَنْصَارِ وهو أَعْرَفُ النَّاسِ بِقَوْمِهِ، وخاصَّةً أن كَتِيبَةَ الأَنْصَارِ من أكبرِ الكَتائِبِ في هذا الجِيشِ.

١ - رواه موسى بن عقبه. انظر فتح الباري (١٤/٨).

٢ - كذب: أخطأ، فيه إطلاق الكذب على الإخبار بغير ما سيقع ولو كان قائله بناه على غلبة ظنه وقوة القرينة انظر: فتح الباري (١٣/٨).

٣ - انظر البخاري، كتاب المغازي، باب أين وكز رسول الله ﷺ رأيتَه يوم فتح مكة (٤٠٣٠).

٤ - الواقدي، المغازي (٥٦٣)، ابن سيد الناس، حيون الأثر (٢٢٣/٢)، ابن القيم زاد المعاد (٣٤٧/٣)، ابن حجر، فتح الباري (١٢/٨).

٥ - الطبراني، المعجم الكبير (١٠٥/١)، ابن كثير، السيرة النبوية (٣٨٨/٢).

المبحث الثالث

الإمارة على البلدان والقبائل

اتسعت رقعة الدولة الإسلامية الجديدة بعد صلح الحديبية، وخاصة بعد فتح مكة المكرمة، وكانت هناك حاجة لوضع تنظيمات إدارية جديدة، فالنظام جزء من هذا الدين، وداخل في كل أموره؛ لأن النظام يجمع الأشتات، وتتحقق به الأهداف والغايات، فالنظام سمة يتميز بها الإسلام منذ اللحظة الأولى، حيث يدخل في جميع جوانب الإسلام التصورية والشعائرية والتعبدية وفي الشرائع الحياتية كلها، فكان ﷺ كلما فتح منطقة وضع عليها أميراً، وكانت الوفود تأتي إلى رسول الله ﷺ، فيعين عليها أميراً من قبله، ثم يترك لهم من يعلمهم دينهم، ويرسل إليهم من يجمع صدقاتهم، وأرسل الكتب إلى حكام البلاد المجاورة يدعوهم فيها إلى الإسلام، ووجه الرسائل إلى عدد من أنواء اليمن ورؤسائها في الجنوب، كما أرسل إلى المنذر بن ساوى في البحرين، وإلى آل الجلندي في عُمان، وغيرهم يبين لهم أن من يدخل في الإسلام يبقية أميراً على ما كان عليه، بشرط الإصلاح، والنصح لله والرسول، وذلك بعد سبر أحوالهم من خلال رسله.

وكان يختار عماله من الصالحين وأولي العلم والدين، ومن المنظور إليهم من العرب وذوي الشخصيات المؤثرة في قبائلهم، فقد كان عامله على مكة عتاب بن أسيد، وعلى الطائف عثمان بن العاص، وبعث معاذاً وأبا موسى إلى اليمن، وأقر الرسول ﷺ في بعض الحالات أمراء وملوك القبائل التي أسلمت أو قبلت الجزية، ومنهم باذان الذي أقره الرسول ﷺ على اليمن بعد إسلامه وغيرهم.

وسأتناول في هذا المبحث الأحاديث التي الواردة في تأمير الأمراء على البلدان الإسلامية الجديدة، والأحاديث الواردة في تأمير الأمراء على من أسلم من أقوامهم، وعلى قبائلهم.

١- باذان الفارسي:

هو باذان ويقال باذام الفارسي من الأبناء^(١)، وهم من أولاد الفرس الذين سبهم كسرى أنوشروان مع سيف بن ذي يزن إلى اليمن لقتال الحبشة^(٢)، وبعد هزيمة جيش الحبشة ولى كسرى وهرز على الحبشة وبعد موته ولى ابنه المرزبان ثم مات، فولى ابنه التينجان ثم مات، فولى ابن التينجان على اليمن، ثم عزله وأمر باذان، فلم يزل باذان عليها حتى بعث الله محمدا النبي ﷺ^(٣)، وأسلم باذان لما هلك كسرى، وهو أول من أسلم من ملوك العجم وأول من أمر في الإسلام على اليمن^(٤).
تأمير باذان على اليمن^(٥):

بعد صلح الحديبية تفرغ النبي ﷺ للدعوة داخل وخارج الجزيرة العربية، فأخذ بإرسال الرسائل إلى القادة والملوك يدعوهم فيها إلى الإسلام، وكان من ضمنها كتابه إلى كسرى.
وعن ابن عباس ؓ قال: " إن رسول الله ﷺ بعث بكتابه إلى كسرى مع عبد الله بن حذافة السهمي فأمره أن يدفعه إلى عظيم البحرين، فدفعه عظيم البحرين إلى كسرى فلما قرأه مزقه فحسبت أن ابن المسيب قال: فدعا عليهم رسول الله ﷺ "أن يمزقوا كل ممزق"^(٦).
فكان ينظر كسرى إلى جميع العرب على أنهم عبيده، حيث اعتاد على أن يأتيه زعماءهم؛ ليقدموا له الولاء والطاعة.

فكتب كسرى إلى باذان عامله على اليمن، أنه قد بلغني أن رجلا من قريش خرج بمكة يزعم أنه نبي فسر إليه فاستتبه، فإن تاب، وإلا فابعث إلي برأسه^(٧).
بعث باذان إلى النبي ﷺ رجلين جليدين هما قهرمانه ورجلا آخر، وكتب معهما كتابا، فقدمتا المدينة فدفعنا كتاب باذان إلى النبي ﷺ، فتبسم رسول الله ﷺ ودعاهما إلى الإسلام وفرائصهما ترعد، وقال لهما: ارجعا عني يومكما هذا حتى تأتياني الغد فأخبركما بما أريد"^(٨).

^١ - الأبناء: هم الذين أرسلهم كسرى مع سيف بن ذي يزن لما جاء يستجدهم على الحبشة، فنصروه وملكوا اليمن وتزوجوا من العرب فقيل لأولادهم الأبناء، وغلب عليهم هذا الاسم. انظر، ابن هشام، السيرة النبوية (٤٤/١).
^٢ - ابن سعد، الطبقات (٥٣٣/٥)، ابن الأثير، أسد الغابة (٢٤٥/١)، ابن حجر، الإصابة (٣٣٨/١).
^٣ - ابن هشام، السيرة النبوية (٤٨/١).
^٤ - زاد المعاد (١٢٥/١).
^٥ - اليمن: تقع بين عُمان إلى نجران، إلى عدن إلى الشجر تضم حضرموت، قاعدتها صنعاء وسميت اليمن الخضراء لكثرة أشجارها وثمارها وزرعها. وفي الجاهلية قامت على أرض اليمن أقدم الحضارات معين وسبأ وحمير. انظر: معجم البلدان (٤٤٧/٥).
^٦ - البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب كتاب النبي ﷺ إلى كسرى وقيصر (٤١٦٢) و كتاب العلم، باب ما يذكر في المناولة وكتاب أهل العلم بالعلم إلى البلدان (٦٤).
^٧ - ابن هشام، السيرة النبوية، قال بلغني عن الزهري (٤٨/١)، البيهقي، دلائل النبوة (٣٩٠/٤) وانظر فتح الباري (١٦٠/٨) بلاغ ابن هشام معضل، وعن الزهري مرسل، فالحديث ضعيف لإعضاله. ولكن يقوى بوجود شواهد لمعناه.
^٨ - ابن سعد، الطبقات (٢٦٠/١).

وأتى الخبر رسول الله ﷺ من السماء بأن الله عز وجل قد سلط على كسرى ابنه شيرويه، فقتله في شهر كذا وكذا في ليلة كذا وكذا في ساعة كذا وكذا من الليل.

فدعاهما النبي ﷺ، وقال لهما: "أبلغا صاحبكما أن ربي تبارك وتعالى قد قتل ربك هذه الليلة"^(١) قال ابن سعد: لسبع ساعات مضت منها وهي ليلة الثلاثاء لعشر ليال مضين من جمادى الأولى سنة سبع^(٢).

"فقالا: هل تدري ما تقول؟ إنا قد نعمنا عليك ما هو أيسر من هذا، أفنكتب هذا عنك، وتخبره الملك؟

قال رسول الله: "نعم، أخبراه ذلك عني وقولا له: إن ديني وسلطاني سيبلغ ما بلغ ملك كسرى، وينتهي إلى منتهى الخف والحافر وقولا له: إن أسلمت أعطيتك ما تحت يديك، وملكتك على قومك من الأبناء"، فلما قدما على باذان وأخبراه الخبر فقال: "إن كان نبيا فسيكون ما قال". قال: فلم ينشب باذان أن قدم عليه كتاب شيرويه: فيه أنه قتل كسرى في تاريخ كذا وكذا، فلما وقف عليه قال: إن هذا الرجل لرسول، فأسلم وبعث بإسلامه وإسلام من معه من الفرس إلى رسول الله ﷺ، فأقره النبي ﷺ في موضعه"^(٣).

فقد دخل باذان في الإسلام، ودخل معه قومه فكان أول أمير من أمراء النبي ﷺ على اليمن ومخاليفها، وبعد إسلام باذان دخل كثير من أهل اليمن في الإسلام، وصار باذان أميرا على العرب والفرس معا، فصارت اليمن تدين لرسول الله ﷺ منذ السنة السابعة، ولم يكن سلطانه ﷺ قد تجاوز المدينة المنورة، وذلك من خلال هذا الوالي العظيم، وانتقلت الدعوة الإسلامية إلى كل بيت في اليمن، وأصبحت مجالس الناس العامة والخاصة تتحدث عن صاحب الرسالة وما يدعو إليه ومن ثم المقارنة بين عباداتهم المختلفة وبين الدين الإسلامي، وهذا بدوره هيا النفوس والأذهان لتقبل الدعوة الإسلامية الجديدة^(٤).

إن منهج النبي ﷺ كان مبنيا على تأمير من يجد فيه الكفاءة والقدرة من رؤساء القبائل بعد دخوله في الإسلام، ويقره على ما كان عليه، ويجعل كل ما تحت يده يدين للدين الجديد،

^١ - رواه الإمام أحمد، المسند، وقال شعيب الأرنؤوط: حديث صحيح (٤٣/٥)، ابن أبي شيبة، المصنف (٢٤٦/٧) ابن سعد، الطبقات (٢٦٠/١).

^٢ - ابن سعد، الطبقات (٢٦٠/١).

^٣ - ابن سعد، الطبقات (٢٦٠/١)، الطبري، التاريخ: من طريق محمد بن إسحاق عن يزيد بن أبي حبيب (١٣٣/٢، ١٣٥) ابن كثير، البداية والنهاية (٢٧٠/٤) وانظر: ابن هشام، السيرة النبوية، عن الزهري (١/١، ٤٩، ٤٨)، فتح الباري (١٦٠/٨) (٢٥٣/١٣)، عمدة القاري (٢٨/٢) (٢٠/٢٥). قلت: وهو حديث ضعيف لإرساله، ولكن الخبر يستأنس به تاريخيا.

^٤ - انظر: أحمد محمد العقيلي، الأثر والدلالات الإعلامية لرسائل النبي ﷺ إلى الملوك والقادة، مطابع الشرق الأوسط، الرياض، ط١، ١٩٩٣م (٥٦-٥٢).

فأبقى النبي ﷺ باذان على قومه؛ لأنه أعرف الناس بهم، وهو الأقدر على ضبطهم، فإن الناس في الغالب لا يدينون إلا لمن هو من قبيلتهم، ومن بني جلدتهم.

وكان النبي ﷺ يركز في دعوته على الملوك والأمراء؛ لأن اعتناقهم للإسلام سيكون سببا في إسلام شعوبهم، ويفسح مجالا للدعوة في أن تشرق طريقها بين عامة الناس وخاصتهم؛ وذلك لأن الناس تبع لقادتهم وحكامهم، فالشعوب ملتزمة بما يصدره الملوك والحكام من نظم وتوجيهات، ويتبعونهم مقلدين ومنفذين لأفعالهم وأعمالهم، فالناس على دين ملوكهم^(١)؛ لهذا كان النبي ﷺ يركز على القادة، ويحثهم على الدخول في الإسلام، ويبين لهم أنهم إذا أحسنوا وأطاعوا فإنه يبقوهم أمراء على بلدانهم تحت راية الإسلام.

ومن خلال هذا الخبر يتبين لنا إيمان الرسول ﷺ وثقته بانتشار الإسلام وأنه سيشمل ملك كسرى عندما قال لمبعوثي باذان: "وقولا إن ديني وسلطاني يبلغ ما بلغ ملك كسرى".

٢- شهر بن باذان:

أمر رسول الله ﷺ بعد موت باذان ابنه شهر بن باذان على صنعاء وأعمالها^(٢)، وبقي أميراً عليها حتى قتله الأسود العنسي حين تنبأ^(٣). حيث مات ولم يستمر طويلا على اليمن، فلم تشر الروايات إلى أخباره في مدة ولايته على اليمن.

٣- عتاب بن أسيد القرشي الأموي:

عتاب بن أسيد بن أبي العيص بن أمية بن عبد شمس القرشي الأموي، يكنى أبا عبد الرحمن وقيل: أبو محمد. وأمه: زينب بنت عمرو بن أمية بن عبد شمس. وأخوه خالد بن أسيد^(٤). أسلم يوم فتح مكة، بعد كشف النبي ﷺ ما دار بينه وبين أبي سفيان والحارث بن هشام من حديث دار بينهم عن النبي ﷺ^(٥).

^١ - انظر: إبراهيم إمام، الإعلام الإسلامي، المرحلة الشفوية: (٥٧)، مكتبة الأنجلو المصرية، ط١، ١٩٨٠م.
^٢ - زاد المعاد (١٢٥/١)، تاريخ ابن خلدون (٤٨١/٢) ولا يوجد تفاصيل حول تأميره على صنعاء.
^٣ - البداية والنهاية (١٨٠/٢). ابن جماعة، عز الدين الكتاني، المختصر الكبير في سيرة الرسول ﷺ: دار النشر: دار البشير - عمان - ١٩٩٣م، ط١، تحقيق: سامي مكي العاني (١٢٠/١).
^٤ - انظر: ابن سعد، الطبقات (٤٤٦/٥) ابن عبد البر، الاستيعاب (١٠٢٤/٣)، ابن الأثير، أسد الغابة (٥٧٥/٣)، ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة (٤٢٩/٤).
^٥ - ابن هشام، السيرة النبوية ذكره من غير إسناد (٣٤/٤) وكذلك ذكره ابن كثير في تفسيره (١٣٢/٣) من طريق ابن إسحاق من غير إسناد، انظر: فتوح البلدان: البلاذري (٤٦/٢).

تامير عتاب بن أسيد على مكة:

بعد أن دخلت مكة في الإسلام في السنة الثامنة للهجرة بعد الفتح الكبير، وأصبحت بذلك جزءاً هاماً من بلاد المسلمين، وتحت سيادة الدولة الإسلامية، أراد النبي ﷺ أن يختار لها أميراً، ليقوم على إدارة شؤونها ورعاية أهلها، فوقع الاختيار على عتاب بن أسيد وهو أحد شباب مكة الأكفاء.

"فبعد فتح مكة، خرج رسول الله ﷺ يريد لقاء هوازن، وكان معه ألفان من أهل مكة مع عشرة آلاف من أصحابه الذين خرجوا معه، ففتح الله بهم مكة، فكانوا اثني عشر ألفاً، واستعمل رسول الله ﷺ عتاب بن أسيد بن أبي العيص بن أمية بن عبد شمس على مكة أميراً على من تخلف عنه من الناس" (١).

كان منهج النبي ﷺ في اختيار الأمراء هو تولية زعامات القبائل المعروفة، فكان يوليهم على بلدانهم بعد دخولهم في الإسلام، وهذا ما فعله مع باذان الفارسي حيث أبقاه على زعامة اليمن، ومالك بن عوف بعد فتح مكة حيث أمره على من أسلم من قومه من قبيلة هوازن.

ولكن النبي ﷺ هذه المرة قد غير سياسته، فالأصل أن يكون أبو سفيان هو الزعيم الأول لقريش واليا لمكة، وكان أبو سفيان قد أعلن إسلامه قبل دخول مكة، وبجواره قادة جيشه الكبار، عكرمة بن أبي جهل، وسهيل بن عمرو، وصفوان بن أمية وخالد بن أسيد وغيرهم ممن أعلنوا إسلامهم.

ولكن النبي ﷺ أراد أن يختار أميراً لمكة من القيادات الشابة الفتية التي لا تحمل في صفحتها حرباً لله ولا لرسوله، ولا تحمل في قلوبها ضغائن على الإسلام والمسلمين، وكان المرشح لهذا المنصب عتاب بن أسيد ﷺ، وكان من أهم أسباب اختياره أيضاً أنه من خيارهم.

فاستعمله النبي ﷺ على مكة وقال له: "يا عتاب تدري على من استعملتك؟ استعملتك على أهل الله عز وجل، ولو أعلم لهم خيراً منك استعملته عليهم" (٢).

لقد كان اختيار عتاب بن أسيد لهذا الموقع الحساس، والذي يتطلب منه أن يقود أعتى الرجال من كل أنحاء مكة، الذين قد يثورون عليه في أية لحظة مبنياً على عدة أسس.

"لقد كان ابتداء من بني أمية حكام مكة، ومن أقرب الناس إلى أبي سفيان ﷺ فهو عتاب ابن أسيد بن أبي العاص بن أمية، وأبو سفيان بن حرب بن أمية، فهو من أبناء عمومته، ومن

١ - ابن هشام، السيرة النبوية، رواه عن ابن إسحاق بدون إسناد (٥٣/٤).

٢ - انظر: الفاكهي، محمد بن إسحاق بن العباس المكي أخبار مكة، تحقيق عبد الملك بن عبد الله بن دهب، مكتبة ومطبعة النهضة الحديثة - مكة، سنة ١٤٠٧ هـ (١٥٣/٢)، الواقدي، المغازي (٦٢٧)، ابن الأثير، أسد الغابة (٥٧٥/٣)، الحلبي، السيرة الحلبية (٥٩/٣)، الذهبي، تاريخ الإسلام (٦١٢/٢). إسناده ضعيف.

جهة ثانية: فزوجته بنت أبي جهل زعيم بني مخزوم وأخت عكرمة القائد المخزومي العظيم، إنها الحنفاء بنت أبي جهل. وهكذا سيقف الحيان الكبيران أمية ومخزوم بجوارهم، ومن جهة ثالثة: فهو فتى لم تتل عقد الجاهلية وزعامتها شيئا من قلبه، لقد تفتح قلبه للإسلام مع العبق النبوي للفتح، فأسلم بعد فتح مكة، ولم يكن متطلعا أبدا لهذه الزعامة أو هذه القيادة، فأخوه خالد ابن أسيد يمثل فرع أبي العيص بن أمية بين زعامات مكة وهو أكبر منه، ومن جهة رابعة: فهو يحمل مقومات القيادة والزعامة، فهو من بني أمية السادة الأذواد الأمجاد.

ومن جهة خامسة: فقد تفرس فيه رسول الله ﷺ الخيرية، فقال: "ولو أعلم لهم خيرا منك استعملته عليهم" فكان شديدا في الحق لا يخاف لومة لائم^(١).

ولم يلق هذا الاختيار ابتداء رضا في صف قريش، وأبدوا اعتراضهم على ذلك فعن أنس ؓ: "أن النبي ﷺ استعمل عتاب بن أسيد على مكة، وكان شديدا على المريب لينسا على المؤمنين وكان يقول: والله لا أعلم متخلفا عن هذه الصلاة في جماعة إلا ضربت عنقه، فإنه لا يتخلف عنها إلا منافق، فقال أهل مكة: يا رسول الله استعملت على أهل الله أعرابيا جافيا، فقال: "إني رأيت فيما يرى النائم أنه أتى باب الجنة فأخذ بحلقة الباب فقلقلها حتى فتح له ودخل"^(٢).

أمره النبي ﷺ لأنه كفة عبقرى عادل قوام، لهذا استمرت إمارته على مكة في حياة النبي ﷺ فلم يؤمر غيره، وبعد وفاة الرسول ﷺ أقره أبو بكر عليها إلى أن مات. وقد خلف النبي ﷺ معه معاذ بن جبل، يفقه الناس في الدين، ويعلمهم القرآن^(٣)، فكان الأمير الإداري عتاب بن أسيد والأمير الشرعي معاذ بن جبل.

٤ - الضحاك بن سفيان العامري الكلابي:

تأمير الضحاك بن سفيان على بني كلاب.

لما سار رسول الله ﷺ إلى حنين أمره على بني سليم، و كانوا تسعمائة فقال لهم رسول الله: "هل لكم في رجل يعدل مائة يوفيكم ألفا"، فوافقهم بالضحاك^(٤)، وكان رئيسهم وإنما جعله عليهم لأنهم جميعهم من قيس عيلان^(٥).

^١ - انظر: التربية السياسية: منير الغضبان (٢٩/٢، ٣٠).
^٢ - انظر: ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة (٤٣٠/٤). ونكره الذهبي في ميزان الاعتدال (٨٠/٤) وابن حجر في لسان الميزان (٢٧٠/٣) وقالوا فيه عبد الله بن الحارث وهو من بني لا أعرافه، فالحديث ضعيف للجهالة عبد الله بن الحارث..
^٣ - ابن هشام، السيرة النبوية، ذكره عن ابن إسحاق (٩٢/٤).
^٤ - ابن عساکر، تاريخ دمشق (٤١٦/٢٦)، ابن عبد البر، الاستيعاب (٢٢٣/١)، ابن الأثير، أسد الغابة (٤٨/٣). إسناده ضعيف للجهالة بعض رواته.
^٥ - ابن الأثير، أسد الغابة (٤٨/٣). السهيلي، الروض الأنف (٢٣٠/٤).

استعمله رسول الله ﷺ على الأعراب^(١)، وعلى من أسلم من قومه^(٢). وذلك بعد النجاح الذي حققه في سريره إلى بني كلاب، حيث خبره النبي ﷺ من خلال هذه السرية، وعرف أنه الرجل المناسب لتولي الإمارة على بني سلم، وعلى بعض الأعراب، الذين يدينون بالولاء لبني سليم، وكان سبب تأميره عليهم بالإضافة إلى كفاءته الإدارية والعسكرية؛ لأنه منهم ومن سادة بني كلاب وهو أدرى بطبائعهم من غيره، فالناس لا يدينون إلا لبني جدتهم.

٥- مالك بن عوف النصرى^(٣)

مالك بن عوف بن سعد بن يربوع بن وائلة بن دهمان بن نصر بن معاوية بن بكر بن هوازن النصرى، يكنى: أبا علي.

انهزم يوم حنين كافرين، وكان رئيس المشركين يومئذ، ولما انهزم المشركون لحق مالك ابن عوف بالطائف، فقال رسول الله ﷺ: "لو أتاني مسلماً لرددت عليه أهله وماله"^(٤). فأسلم وحسن إسلامه.

تأمير مالك بن عوف على هوازن^(٥):

بعد أن انتصر المسلمون في غزوة حنين وانهزم المشركون إلى الطائف فارين من الموت، وكان على رأسهم مالك بن عوف يجر أنياله الهزيمة التي نزلت به، وقد ترك نساءه سبايا بيد محمد ﷺ، فما نزل بهوازن نل مثل هذا الذل، فهلكت الأموال، وقتل الرجال، وبقي مالك حائراً، فماذا يفعل ورأسه مطلوبة لمحمد ﷺ، وبقي ينتظر واقع الموت الذي يتربص به^(٦).

وفي هذه الحال "جاء وفد هوازن إلى النبي ﷺ؛ لينقذوا شرف هوازن وأموالها، فأعلنوا إسلامهم وطلبوا من النبي ﷺ أن يرد إليهم ونساءهم وأبناءهم وأموالهم، وبعد التشاور رد إليهم النبي ﷺ أبناءهم ونساءهم"^(٧).

ولم يغب عن ذهن النبي ﷺ مالك بن عوف قائد هوازن، عدوه الذي قاد جيوش الكفر لحرب الإسلام، حيث أراد النبي ﷺ لهذا القائد الشاب الجريح، أن يمس قلبه نور الإيمان، فينضم إلى قافلة المهتدين، فسألهم عنه، فأخبروه أنه بالطائف.

١ - رواه الإمام أحمد، المسند وقال: شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح (٤٥٢/٣). الطبراني، المعجم الكبير (٢٩٩/٨)

٢ - ابن عبد البر، الاستيعاب (٢٢٣/١)، ابن الأثير، أسد الغابة (٥٢٩/١)، ابن حجر، الإصابة (٤٧٧/٣).

٣ - انظر: ابن عبد البر، الاستيعاب (١٣٥٦/٣) ابن الأثير، أسد الغابة (٤٤/٥)، ابن حجر، الإصابة (٧٤٢/٥).

٤ - ابن هشام، السيرة النبوية، رواه عن ابن إسحاق وصرح بالسماع (٨٣-٤).

٥ - قبيلة عدنانية كانت تقطن في نجد مما يلي اليمن، بينها وبين مكة المكرمة بضعة عشر ميلاً. انظر: الحميري، الروض المعطار (٢٢، ٢٠١).

٦ - راجع تفاصيل غزوة حنين في: ابن هشام، السيرة النبوية، (٥٣-٥١/٤).

٧ - انظر: رواه الإمام أحمد، المسند، قال شعيب الأرنؤوط: إسناده حسن، (١٨٤/٢، ٢١٨) ابن هشام، السيرة النبوية (٤-٨٣).

فقال رسول الله ﷺ لوفد هوازن " أخبروا مالكا أنه إن أتاني مسلما رددت إليه أهله وماله، وأعطيته مائة من الإبل"، "فخرج إليه ليلا من الطائف، فجلس على فرسه ولحق برسول الله ﷺ فأدركه بالجعرانة أو مكة فرد إليه أهله وماله وأعطاه مائة من الإبل، فأسلم وحسن إسلامه، فاستعمله رسول الله ﷺ على من أسلم من قومه، وتلك القبائل: ثمالة، وسلمة، وفهم^(١) وهنا تظهر حكمة النبي ﷺ، فقد عرف مالك بن عوف القائد المجرب، أمير هوازن، فلا بد من أن يستثمر قدرات هذا الشاب لخدمة الإسلام، فالنبي ﷺ يعد الرجال العظام للمهمات العظام، فما هو المكان المناسب لمالك الذي يتبعه عدد كبير من الناس.

فتكفل مالك للنبي ﷺ أن يكفيه ثقيفا فقال: يا رسول الله أنا أكفيك ثقيفا، أغير على سرحهم حتى يأتوك مسلمين، فاستعمله رسول الله ﷺ على من أسلم من قومه، والقبائل، فكان يغير على سرح ثقيف ويقاثلهم، ويضيق عليهم^(٢).

وقد استطاع مالك بن عوف أن يكون الأمير الذي يقض مضجع ثقيف؛ ليضطرهم للانضمام إلى ركب الإيمان، ويخرج من بينهم أمير جديد من أمراء النبي ﷺ، وهو عثمان بن أبي العاص ﷺ.

٦- عثمان بن أبي العاص الثقفي^(٣):

عثمان بن أبي العاص بن بشر بن عبد دهمان بن عبد الله بن همام بن أبان بن يسار بن مالك بن حطيظ بن جشم الثقفي، يكنى: أبا عبد الله، وأمه: بنت عبد الله بن زمعة الثقفي. قدم على رسول الله ﷺ مع وفد ثقيف، وكان أصغرهم سنا، فكانوا يخلفونه على رحالهم يتعاهدها لهم، فلما رجعوا من عند رسول الله ﷺ وناموا، وكانت الهاجرة، ذهب عثمان إلى رسول الله ﷺ فأسلم قبلهم سرا وكتهم ذلك، وكان حريصا على أن يتعلم القرآن الكريم لهذا أعجب به الرسول ﷺ.

بقي واليا على الطائف حياة رسول الله ﷺ، وخلافة أبي بكر وسنتين من خلافة عمر، واستعمله عمر سنة خمس عشرة على عُمان والبحرين، ثم سكن البصرة حتى مات بها في

^١ - ابن هشام، السيرة النبوية، رواه عن ابن إسحاق وصرح بالسماع (٨٣/٤). ابن سعد، الطبقات (٣١٢/١)، الطبراني، المعجم الكبير، عن ابن إسحاق (٣٠٢/١٩)، البيهقي، دلائل النبوة (١٩٨/٥)، الإصطبة: ابن حجر، ذكره من مراسيل موسى بن حبة وحرورة (٧٤٢/٥). وقال الهيثمي: رواه الطبراني ورجاله ثقات، مجمع الزوائد: (١٨٩/٦).

^٢ - ابن سعد، الطبقات، ابن سعد (٣١٣/١)، ابن هشام، السيرة النبوية: رواه عن ابن إسحاق (٨٤/٤)، إسناده مرسل.

^٣ - انظر: ابن سعد، الطبقات (٥٠٨/٥)، ابن الأثير، أسد الغابة (٦٠٠/٣)، ابن حجر، الإصطبة (٤٥١/٤).

خلافة معاوية قيل سنة خمسين وقيل سنة إحدى وخمسين، وهو الذي منع أهل الطائف من الردة بعد وفاة النبي ﷺ فأطاعوه.

تامير عثمان بن أبي العاص على الطائف^(١):

لما قدم وقد تقيف على النبي ﷺ وأعلنوا إسلامهم "كتب لهم رسول الله ﷺ كتابا، وأمر عليهم عثمان بن أبي العاص"^(٢).

لقد اختار النبي ﷺ عثمان بن العاص أميرا على تقيف على الرغم من أنه كان من أحدثهم سنا، لأنه كان من أحرصهم على التفقه في الإسلام وتعلم القرآن، فكان يعمد إلى الرسول ﷺ كل يوم يسأله عن الدين، وبقي على هذا الحال حتى فقه في الدين وعلم.

فمن حديثه أنه دخل على النبي ﷺ فقال له: "يا رسول الله، ادع الله أن يقهني في الدين، ويعلمني. فقال له رسول الله ﷺ: ماذا قلت؟ فأعاد عليه القول. فقال: لقد سألتني شيئا ما سألتني عنه أحد من أصحابك، اذهب فأنت أمير عليهم، وعلى من تقدم عليه من قومك"^(٣).

وقال عنه أبو بكر لرسول الله ﷺ: "يا رسول الله؛ إني قد رأيت هذا الغلام فيهم من أحرصهم على التفقه في الإسلام، وتعلم القرآن"^(٤).

الذي تميّز به عثمان بن أبي العاص عن غيره بالإضافة إلى كفاءته الإدارية، حبه لدينه وتضحيته من أجل عقيدته، وهذا ما يحتاجه أهل الطائف في هذه المرحلة هو أن يفهموا الدين الجديد ويقوموا بتطبيق تعاليمه، فكان من المناسب أن يختار لهم النبي ﷺ أميرا عليهم من أنفسهم يتقون به وينقادون لأمره، وعنده القدرة والاستطاعة على بيان وتوضيح متطلبات الإسلام وتشريعاته، فاختار لهم النبي ﷺ أميرا منهم عنده القدرة والكفاءة على ضبطهم أولا، وتعليمهم أمور الإسلام ثانيا.

وقد كان من سياسة النبي ﷺ في هذه المرحلة أن يؤمّر على البلدان والقبائل رجالا منهم بشرط الكفاءة؛ لأنهم الأقدر على معرفة طبائعهم وأحوالهم، ومن ثم يستطيعون أن يتعامل معهم ويسوسونهم بمقدرة وحكمة عالية، فقد كان عند النبي ﷺ أسلوب فذ وطريقة نادرة في الاختيار،

١ - الطائف: اسمها (وج) وادي بلاد تقيف، جنوب شرقي مكة المكرمة، بينها وبين مكة ٩٩ كم، وهي ذات مزارع، ونخل وأعناب، وسائر الفواكه وبها مياه جارية وأودية، جل أهلها تقيف وحمير وقوم من قریش. انظر: الحميري، الروض المعطر (٣٧٦)، الحموي، معجم البلدان (٩/٤).

٢ - ابن هشام، السيرة النبوية، رواه عن ابن إسحاق بدون إسناد (١١٧/٤) الطبراني، المعجم الكبير بسنده عن ابن إسحاق (٥٠/٩)، ابن سعد، الطبقات (٥٠٨/٥) سبل الهدى والرشاد: الصالحى وقال: رجاله ثقات (٢٩٧/٦)، ابن الأثير، أسد الغاب (٦٠٠/٣).

٣ - الطبراني، المعجم الكبير (٥١/٩)، وقال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح، مجمع الزوائد (٣٧٠/٩)، الشامي، سبل الهدى والرشاد وقال فيه: رواه الطبراني برجال ثقات (٢٩٧/٦).

٤ - ابن هشام، السيرة النبوية (١٧/٤)، الطبري، التاريخ (٣٦٥/٢)، البداية والنهاية (٣٨/٥). كلهم عن ابن إسحاق.

فالنبي ﷺ قد سبر معادن الرجال، وعرف بحكمته ومن خلال البحث والمشاورة أن عثمان بن أبي العاص، هو الشخص المؤهل إداريا وعلميا لقيادة قبيلة تقيف وأهل الطائف نحو خدمة الإسلام.

وبعد تأميره على تقيف « أَمْرًا أَنْ يَجْعَلَ مَسْجِدَ الطَّائِفِ حَيْثُ كَانَ طَوَّاعِيَّتُهُمْ »^(١).

وفي هذا استمرار لسياسة النبي ﷺ في تطهير جميع أنحاء الجزيرة العربية من الأوثان وبراءة الشرك، وإحلال المساجد بدلا منها، لكي يقتلع هذه العقيدة من قلوبهم، ويغرس العقيدة الإسلامية مكانها.

وقال له رسول الله ﷺ « يا عثمان تجوز في الصلاة فإن في القوم الكبير والضعيف والسقيم وذا الحاجة »^(٢)

وبهذه الوصايا وغيرها غادر عثمان المدينة مع الوفد إلى الطائف، أميرا للوفد، وأميرا للطائف، ولم يكن يدري أنه سيدخل على النبي ﷺ طالب علم ودين، ويخرج أميرا على قومه كلهم.

وقد كان عثمان بن أبي العاص عند حسن ظن قائده ونبيه ﷺ به، وليس أدل على ذلك من موقفه في مواجهة الردة، عندما رأى الناس تتعلم وتثور بعد وفاة النبي ﷺ، فوقف فيهم خطيبا وقال لهم: " يا معشر تقيف كنتم آخر الناس إسلاما، فلا تكونوا أول الناس ردة " ^(٣).

فامتنعوا عن الردة، بعدما ثبت الله قلوبهم بخطبته، وشرح صدورهم بالإسلام. وبقي عثمان أميرا على الطائف في حياة النبي ﷺ ، وبعد وفاته أقره أبو بكر وعمر، ثم استعمله عمر على عمان والبحرين فبقي أميرا حتى بعد وفاة النبي ﷺ ^(٤).

يقول محمود شيت خطاب: " بقي عثمان على عمله أميرا على الطائف في عهد أبي بكر، كما بقي سنتين في خلافة عمر بن الخطاب، وكان المسلمون حينذاك يسرون من نصر إلى نصر في العراق وبلاد الشام، وكان الخليفة بحاجة شديدة إلى رجال ذوي عقول وأحلام وكفاءة لقيادة الجيوش خارج الجزيرة العربية، لذلك أشار عليه الناس باستعمال عثمان على البحرين وعمان، ليقوم بإدارة تلك المنطقة الحيوية التي أصبحت القاعدة المتقدمة للفتح الإسلامي باتجاه

١ - أبو داود، السنن، كتاب الصلاة، باب في بناء المساجد، وقال الألباني: صحيح (٤٥٠)، ابن ماجه، السنن، كتاب المساجد والجماعات (٧٤٣)، البزار، المسند، البحر الزخار وقال: وهذا الحديث لا نعلمه يروى إلا ، عن عثمان بن أبي العاص بهذا الإسناد (٤٣٩/٢) ، الطبراني، المعجم الكبير (٤٩/٩) رقم (٨٣٥٥)، الحاكم، المستدرک على الصحيحين، كتاب معرفة الصحابة، باب ذكر عثمان بن أبي العاص (٦٥٩١). البيهقي، السنن الكبرى (٣١٤/٦).

٢ - صحيح ابن خزيمة، كتاب الإمامة في الصلاة، وقال الألباني: إسناده حسن صحيح (١٦٠٨) رواه الإمام أحمد، المسند، وقال الأرئوط: حديث صحيح وهذا إسناد حسن من أجل محمد بن إسحاق (٢١/٤).

٣ - ابن عبد البر، الاستيعاب (١٠٣٠/٣)، ابن حجر، الإصابة (٤٥٣/٤).

٤ - ابن سعد، الطبقات (٥٠٨/٥)، ابن الأثير، أسد الغابة (٦٠٠/٣).

أرض الفرس، ولتتحمل قسطه من الفتح الإسلامي، ولكن عمر تخرج من عزل عثمان، فأشار عليه الناس أن يطلب إلى عثمان أن يستخلف هو على عمله بالطائف، ويذهب إلى عمله الجديد، فاستخلف عثمان على الطائف أخاه الحكم بن أبي العاص... وسار إلى عمان^(١).

٧- جيفر وعبد ابنا الجندبي:

جيفر بن الجندبي بن المستكبر بن الحراز بن عبد العزى بن معولة بن عثمان بن عمرو بن غنم بن غالب بن عثمان بن نصر بن زهران الأزدي العماني، كان رئيس أهل عمان هو وأخوه عبد بن الجندبي، والملك منهم جيفر، أسلم على يد عمرو بن العاص لما بعثه رسول الله ﷺ إلى ناحية عمان، ولم يقدم على النبي ﷺ ولم يرياه^(٢).

تأمير جيفر وعبد ابني الجندبي على عمان^(٣):

كتب النبي ﷺ كتابا إلى ملك عمان جيفر وأخيه عبد^(٤) ابني الجندبي، يدعوهم فيه إلى الإسلام وبعثه مع عمرو بن العاص في ذي القعدة من السنة الثامنة للهجرة^(٥)، ونصه:

بسم الله الرحمن الرحيم : من محمد بن عبد الله إلى جيفر وعبد ابني الجندبي، سلام على من اتبع الهدى. أما بعد:

"فإني أدعوكم بدعاية الإسلام، أسلما تسلما، فإني رسول الله إلى الناس كافة لأتذر من كان حيا، ويحق القول على الكافرين، فإنكما إن أقررتما بالإسلام وليتكما، وإن أبيتما أن تقررا بالإسلام فإن ملككما زائل عنكما، وخيلي تحل بساحتكما وتظهر نبوتي على ملككما^(٦).

وقد بين النبي ﷺ لهما من خلال هذه الرسالة أن اعتناق الإسلام، والإقرار برسالة النبي ﷺ يتيح لملكي عمان الاحتفاظ بملكهما، وإذا لم يقرآ فسوف يزول ملكهما، وملك من يخالف دعوة الإسلام من أهل عمان وما حولها.

وبين لهم النبي ﷺ أيضا أن رسالته ستتصمر، وتظهر على جميع الديانات الأخرى، وتغطي شبه جزيرة العرب وتصل عمان، وهذا يدل على ثقة النبي ﷺ بأن الله سينصر دينه.

١ - خطاب، قادة فتح بلاد فارس: (٢٦٥).

٢ - انظر: ابن سعد، الطبقات (٣٣٧/١)، ابن عبد البر، الاستيعاب (٢٧٥/١)، ابن الأثير، أسد الغابرة (٤٥٧/١)، ابن حجر، الإصابة (٥٤٢/١).

٣ - عمان: كورة عربية تقع على ساحل بحر العرب، وهي سلطنة عمان اليوم وعاصمتها مسقط وبعض أهلها يعتقدون المذهب الإباضي. انظر: الحموي، معجم البلدان (١٥٠/٤) البلاذري، المعالم الجغرافية (٢١٦).

٤ - ذكر ابن هشام أن اسمه صباد. انظر: ابن هشام، السيرة النبوية (١٦٢/٤).

٥ - ابن سعد، الطبقات (٢٦٢/١)، ابن القيم، زاد المعاد (١١٦/١) وأغلب أهل المغازي ذكروها في أحداث السنة الثامنة. انظر: ابن كثير، السيرة النبوية (٧١٠/٣)، الطبري، التاريخ (١٤٥/٢، ١٧٧).

٦ - انظر: ابن سيد الناس، عيون الأثر (٣٢٤/٢)، ابن القيم، زاد المعاد (٦٩٢/٣).

إن في دعوة إلى جميع المسلمين في كل زمان ومكان للثبات على الدين العظيم، والثقة المطلقة بأنه سينتصر وتعلو رأيته، على الرغم من كيد الكائدين وحقد الحاقدين.

"وقد استطاع عمرو بن العاص بفطنته وذكائه أن يقنعهما في الدخول في الإسلام، فأسلما وصدقا النبي ﷺ، وأسلم معهما بشر كثير من أهل عمان، ثم بين لهم عمرو بن العاص أحكام الإسلام وبين لهم ما يترتب عليهم من الصدقات، فخليا بينه وبين الصدقة، وبين الحكم فيما بينهم، ووضع الجزية على من لم يسلم، وأعانوه على المخالفين"^(١).

٨ - المنذر بن ساوى العبدي:

المنذر بن ساوى بن الأخنس بن بيان بن عمرو بن عبد الله بن زيد بن عبد الله بن دارم التميمي الدارمي العبدي، أمير في الجاهلية والإسلام على البحرين. قيل: "أسلم قبل فتح مكة"، وقيل إنه أسلم بعد فتح مكة، وبعد إسلامه استمر في عمله واليا على البحرين، ولم يصح خبر وفوده على النبي ﷺ، مات بعد النبي ﷺ بقليل، قبل ردة أهل البحرين^(٢).

كان المنذر عامل كسرى على البحرين، وعندما أراد النبي ﷺ أن يبعث بكتابه إلى كسرى بعثه مع عبد الله بن حذافة السهمي، وأمره أن يدفعه إلى عظيم البحرين المنذر بن ساوى ليقوم هو بدفعه إلى كسرى^(٣).

تأمير المنذر بن ساوى على البحرين^(٤):

بعث رسول الله ﷺ مُنْصَرَفَهُ مِنَ الْجِعْرَانَةِ الْعَلَاءِ بْنِ الْحَضْرَمِيِّ إِلَى الْمَنْذَرِ بْنِ سَاوَى الْعَبْدِيِّ وَهُوَ بِالْبَحْرَيْنِ يَدْعُوهُ لِلْإِسْلَامِ وَكَتَبَ إِلَيْهِ كِتَابًا^(٥)، فنجح العلاء بن الحضرمي في مهمته فأعلن المنذر بن ساوى إسلامه، ثم مضى إلى قومه فقرأ عليهم كتاب رسول الله ﷺ، وحضهم على الإسلام، فاستجاب بعضهم ورفض بعضهم الآخر، حيث لم يأت الأمر إليه بأن يجبر أحدا على الإسلام.

١ قال ابن حجر: رواه عديان بإسناد صحيح إلى الزهري عن عبد الرحمن بن عبد القارئ- انظر: الإصابه (٥٤٢/١).
٢ - ابن الأثير، أسد الغابة (٢٨٠/٥)، ابن هشام، السيرة النبوية (١٠٩/٤)، ابن حجر، الإصابه (٢١٤/٦)، البلاذري، فتوح البلدان: (٩٠، ٨٨).

٣ - انظر: البخاري، كتاب المغازي، باب كتاب النبي ﷺ إلى كسرى وقيصر (٤١٦٢).
٤ - البحرين: فهو تثنية بحر في الأصل وهي بلدة مشهورة بين عمان جنوبا حتى البصرة والكريت شمالا، وهي جزر صغيرة تقع في الخليج العربي على بعد ٢٩ كلم من الساحل الشرقي للسعودية. عاصمتها المنامة. معجم البلدان (٣٤٧/١)، معجم معالم السيرة النبوية (٤٣).

٥ - ابن سعد، الطبقات، (٢٧٦/١)، الطبري، التاريخ (١٤٥/٢)، انظر فتح الباري (٢٦٢/٦)، وذكر الواقدي أن هذا كان بعد الحديبية. انظر: ابن سيد الناس، عيون الأثر (٢٣٩/٢)، فتح الباري (١٢٨/٨). ولم تنكر المصادر نص الكتاب.

فكتب إلى رسول الله ﷺ بإسلامه وتصديقه، وقال: "إني قد قرأت كتابك على أهل هجر فمنهم من أحب الإسلام وأعجبه ودخل فيه، ومنهم من كرهه، وبأرضي مجوس، ويهود، فأحدث إليّ في ذلك أمرك" (١).

وبهذا انتقلت هجر والبحرين لتكون منارا للإسلام وتقوم فيها دولته، ويكون فيها تعدد العقائد، ولكن وفق تعليمات الإسلام، فبعث إليه النبي ﷺ كتابا فيه: "بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى المنذر بن ساوى، سلام عليك، فإني أحمد الله الذي لا إله إلا هو، وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله، أما بعد: فإني أذكرك الله عز وجل فإنه من ينصح فإنما ينصح لنفسه، وإنه من يطع رُسُلِي، ويتبع أمرهم فقد أطاعني، ومن نصح لهم فقد نصح لي، وإن رسلي قد أثنوا عليك خيرا، وإني قد شغقتك في قومك فإترك للمسلمين ما أسلموا عليه، وعفوت عن أهل الذنوب فأقبل منهم، وإنك مهما تصلح فلن نغزك عن عملك، ومن أقام على يهوديته أو مجوسيته فعليه الجزية" (٢).

ونتيجة لتنفيذ أوامر الرسول الكريم من قبل المنذر وإيجابية هذا السوالي، وتعاونه المشرف مع مبعوثي النبي ﷺ، وإبلاغ المبعوثين النبي ﷺ بذلك، فقد ارتأى صاحب الدعوة ﷺ أن يشجع المنذر ويذكر له مواقفه المطمئنة، واستحسان طاعته للتعاليم الإسلامية، لذلك كتب له الرسول ﷺ رسالة مؤازرا بها موقفه وهي:

أما بعد "فإن رسلي قد حمدوك وإنك مهما تصلح أصلح إليك وأثبك على عملك وتنصح لله ولرسوله والسلام عليك" (٣)

وكتب رسول الله ﷺ إلى المنذر بن ساوى: "من صلى صلاتنا، واستقبل قبلتنا، وأكل ذبيحتنا فذلكم المسلم، له ذمة الله وذمة الرسول ﷺ" (٤).

وبعد قيام دولة الإسلام بإمرة المنذر بن ساوى، بين النبي ﷺ لأمره الخطوة الأولى التي سيسير عليها في كيفية التعامل مع العقائد الأخرى في الولاية الإسلامية الجديدة، وأوكل إليه لحكمته وحصافته أن يقوم هو بجمع الجزية من مواطنيه من اليهود والمجوس.

وكتب ﷺ كذلك كتابا عاما للدعوة الإسلامية إلى أهل هجر قال فيه: "بسم الله الرحمن الرحيم. من محمد رسول الله إلى أهل هجر سلمت أنتم فإني أحمد الله إليكم الذي لا إله إلا هو أما

١ - ابن سعد، الطبقات، عن شيوخه بلفظ قالوا (٢٦٣/١) زاد المعاد (٦٩٢/٢)، المسيرة الحلبية (٣٠٠/٣). الخبر ضعيف لجهالة بعض شيوخ ابن سعد.

٢ - ابن سعد، الطبقات (٢٦٣/١) عيون الأثر: ابن سيد الناس ذكره عن الواقدي بإسناد له من عكرمة قال: وجدت هذا الكتاب في كتب ابن عباس بعد موته، فتمسخته، (٢٣٩/٢). قلت الخبر ضعيف لإرساله، ولكن نمائس به تاريخيا وخاصة أن الكثير من المصادر ذكرت نص هذه الرسائل. انظر: مجموعة الوثائق العيسامية (٥٥ - ٦٢).

٣ - سبق تخريجه، ص.

٤ - البخاري، كتاب الصلاة، أبواب القبلة (٣٨٤)، الطبراني، المعجم الكبير (٣٥٥/٢٠) (٨٢٨).

بعد، فإني أوصيكم بالله وأنفسكم أن لا تضلوا بعد إذ هديتم ولا تغفروا بعد إذ رشدتم، أما بعد ذلك فإنه قد جاعني وفدكم فلم أت فيهم إلا ما سرهم ... أما بعد، فإنه قد أتاني الذي صنعت، وأنه من يحسن منكم لا أحمل عليه ذنب المسيء، فإذا جاعكم أمراؤكم فأطيعوهم وانصروهم على أمر الله، وفي سبيله، وأنه من يعمل منكم عملا صالحا فلن يضل له عند الله ولا عندي، أما بعد يا منذر بن ساوى فقد حمدك لي رسولي، وأنا إن شاء الله مثيبك على عملك^(١)

وكتب رسول الله ﷺ إلى المنذر بن ساوى بأن يعرض على مجوس هجر الإسلام، فإن أبوا أخذت منهم الجزية، وبألا تتكح نساؤهم، ولا توكل ذبائحهم^(٢).

وجعل النبي ﷺ العلاء بن الحضرمي أميرا على الصدقات، وكتب له كتابا ليبين فيه للناس فرائض الإبل واليقر والغنم والثمار والأموال، فقرأ كتابه على الناس وأخذ صدقاتهم^(٣).

أما الصدقات والزكوات فقد وزعت على فقراء المسلمين، وأما جزية اليهود والمجوس، فقد أصدر النبي ﷺ أوامره لواليه المنذر بن ساوى أن يبعث إليه فيها "وكتب رسول الله ﷺ إلى المنذر بن ساوى كتابا فيه: "أما بعد، فإني بعثت إليك قدامة وأبا هريرة، فادفع إليهما ما اجتمع عندك من جزية أرضك والسلام"^(٤).

"وكتب رسول الله ﷺ إلى العلاء بن الحضرمي: أما بعد، فإني قد بعثت إلى المنذر بن ساوى من يقبض ما اجتمع عنده من الجزية، فعجله بها، وابعث معها ما اجتمع عندك من الصدقة والعشور والسلام"^(٥).

فكان الأمير العام للبحرين المنذر بن ساوى، والأمير الشرعي العلاء بن الحضرمي فيصلي بالناس ويجمع الصدقات والزكاة ويوزعها وفق تعاليم الإسلام؛ لأنه أدري بتعاليم الإسلام منه.

تعرف النبي ﷺ على شخصية المنذر بن ساوى ﷺ من خلال رسله إليه، فحموه وأثروا عليه خيرا، لأنه ما أن لامست مسامحة كلمات النبوة، إلا ووجدت نفاذا إلى أعماقه، فأعلن إسلامه، وحض قومه على الإسلام؛ لهذا اختاره النبي ﷺ أميرا على البحرين، فهو أدري بقومه وبطبائعهم، فلو أدخل حاكما جديدا على البحرين من غير قبيلتهم لتحركت النعرة القبلية ونفرتهم

١ - ابن سعد، الطبقات (٢٧٦/١)، علي بن حسين الأحمدي، مكاتيب الرسول (٣٨٢).

٢ - ابن سعد، الطبقات (٢٦٣/١). وانظر: الأموال: لأبي عبيد، (٢٨).

٣ - انظر: ابن سعد، الطبقات، عن مجموع شيوخه (٢٧٦/١). قلت: هذا الخبر ضعيف حديثا حيث رواه ابن سعد عن مجموع شيوخه، وشيوخه منهم الثقة ومنهم الضعيف، ولكن للحديث عاضد قوي في صحيح البخاري، كتاب الخمس، باب ومن الدليل على أن الخمس لنواب المسلمين (٢٩٦٨) و باب ما أقطع النبي ﷺ من البحرين وما وعد من مال البحرين والجزية ولمن يقسم الفداء والجزية (٢٩٩٣)، عن جابر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "لو قد جاءني مال البحرين لقد أعطيتك هكذا وهكذا"، حيث كان ينتظر النبي ﷺ صدقات البحرين حتى يبعثها إليه أميره على البحرين المنذر بن ساوى. والله أعلم.

٤ - ابن سعد، الطبقات (٢٦٤/١).

٥ - المصدر السابق.

من الإسلام، وفي هذا استمرار لسياسة النبي ﷺ في جعل الأمراء من قبائلهم نفسها؛ لأن الدين لم يتمكن في قلوبهم بعد.

وقد نجحت الدعوة في البحرين نجاحاً مؤزراً وتحول الغالبية العظمى من أهالي البحرين إلى الإسلام، ويرجع هذا الأمر إلى حكمة الرسول ﷺ عندما أبقى المنذر بن ساوى واليا على قومه لأنه منهم، حيث سارع هذا الوالي إلى قبول الإسلام عن قناعة، مما طمأن قومه الذين أسرع العرب منهم إلى الدخول في الإسلام، ووافق المجوس واليهود طائعين على دفع الجزية، وتظهر هنا طريقة النبي ﷺ النادرة، وأسلوبه الفذ في الاختيار حيث أبقى المنذر بن ساوى أميراً على البحرين؛ فهو أقدر من غيره على ضبطهم.

٩- أبو موسى الأشعري:

هو عبد الله بن قيس بن سليم بن حضار بن حرب بن عامر بن عنز بن بكر بن عامر ابن عنز بن وائل بن ناجية بن الجماهر بن الأشعر، وهو نبت بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن كهلان بن سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان. وفي نسبه هذا بعض الاختلاف.

استعمله النبي ﷺ مع معاذ بن جبل على اليمن، واستعمله عمر على البصرة، فافتتح الأهواز ثم أصبهان، ثم استعمله عثمان على الكوفة، ثم كان أحد الحكمين بصفين، ثم اعتزل الفريقين، مات في ذي الحجة سنة أربع وأربعين، وقيل خمسين، وقيل سنة اثنتين وخمسين وهو ابن ثلاث وستين^(١).

كان من أحسن الناس صوتاً بالقرآن، قال فيه رسول الله ﷺ: « إن عبد الله بن قيس أو الأشعري أعطى مزاراً من مزامير آل داود»^(٢).

تأمير أبي موسى على اليمن "زبيد وعَدَن" (٣) والساحل:

لقد كانت اليمن كلها تحت إمرة باذان الفارسي ﷺ الأمير الأول على اليمن، لكن لا بد لليمن في اتساعها من إيصال الإسلام إلى أهلها في حملات عسكرية وأخرى دعوية، كما تم ذلك على يدي خالد بن الوليد، وعلي بن أبي طالب وخالد بن سعيد وغيرهم.

١ - انظر: ابن سعد، الطبقات (١٠٥/٤)، ابن عبد البر، الاستيعاب (١٧٦٢/٤)، ابن الأثير، أسد الغابة (٣٧٦/٢)، ابن حجر، الإصالة (٢١٢/٤).

٢ - البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب حسن الصوت بالقراءة بالقرآن (٤٧٦١)، مسلم، واللفظ له، كتاب صلاة المسافرين، باب استحباب تحسين الصوت بالقرآن (١٨٨٧).

٣ - عدن: مدينة عظيمة على ساحل بحر العرب المتصل بالمحيط الهندي، ولها خليج يُعرف بخليج عدن، يتصل رأسه الغربي برأس البحر الأحمر في مضيق باب المندب. انظر: الحميري، الروض المعطار (٤٠٨)، البلاذري، (٢٠١).

وفي هذه المرة وقع اختيار النبي ﷺ على شابين في مقتبل العمر؛ ليكونا واليمين على اليمن، وهما أبو موسى الأشعري، ومعاذ بن جبل.

ويحدثنا أبو موسى ﷺ كيف وقع اختيار النبي ﷺ عليه ليكون أميراً على اليمن فيقول: "أقبلت إلى النبي ﷺ، ومعني رجلان من الأشعريين أحدهما عن يميني والآخر عن يساري فكلاهما سأل العمل، والنبي ﷺ يستأق فقال: "ما تقول يا أبا موسى؟ أو يا عبد الله بن قيس؟" فقلت: والذي بعثك بالحق ما أظلمتني على ما في أنفسهما، وما شعرت أنهما يطلبان العمل، قال: وكأني أنظر إلى سواكه تحت شفته وقد قلصت فقال: "لن أو لا نستعمل على عملنا من أراد، ولكن اذهب أنت يا أبا موسى أو يا عبد الله بن قيس" فبعثتني ومعاذاً على اليمن^(١).

وهذه هي المفاجأة التي فاجأ بها النبي ﷺ أبا موسى الأشعري ﷺ، فقد جاء أبو موسى مع الرجلين، ولكنه لا يدري ما هو الأمر الذي يدور في خلدتهما حين رافقهما إلى النبي ﷺ، فتبين له من خلال رد النبي ﷺ أنهما من طلاب الدنيا، وطالب الإمارة لا يومر، ومباشرة أمره النبي ﷺ على خلاف من مخاليف اليمن، وأمر معاذاً على خلاف آخر.

ويوضح لنا الأمر أكثر ابنه أبو بردة فقال: "بعث رسول الله ﷺ أبا موسى ومعاذ بن جبل إلى اليمن قال: وبعث كل واحد منهما على خلاف، قال: واليمن مخلافان^(٢)، وكانت جهة معاذ العليا وجهة أبي موسى السفلى. وقال لهما النبي ﷺ: ادعوا الناس، يسرا ولا تعصرا، وبشرا ولا تنفرا، وتطاوعا ولا تختلفا"^(٣).

هذا هو كتاب التعيين لهذين الأميرين، والمهمات المطلوبة منهما هي التبشير وعدم التفسير، والتيسير وعدم التعسير، والتطاوع وعدم الاختلاف.

فهما مكلفان بمهمة فردية وجماعية في وقت واحد، فعليهما أن يتشاورا، ويتدارسا نتائج دعوتهما، ومدى تقيدتهما بالتعليمات الصارمة في الدعوة، بشرا ولا تنفرا، ويسرا ولا تعصرا، وتطاوعا ولا تختلفا، ثمار هذه الدعوة، فكانت لقاءاتهما منظمة، وهذه صورة من صور التشاور التي يتابع أبو بردة بن أبي موسى رضي الله عنهما نقلها لنا.

فما هي طبيعة عمل أبي موسى الأشعري وصاحبه معاذ بن جبل رضي الله عنهما، وما هي مخططات العمل الإداري في اليمن، ويوضحها لنا أبو بردة ﷺ فقال: "انطلق كل واحد منهما إلى عمله، وكان كل واحد منهما إذا سار في أرضه - وكان قريبا من صاحبه - أحدث

^١ - البخاري، كتاب الديات، باب حكم المرتد والمرتدة (٦٥٢٥)، صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب النهي عن طلب الإمارة والحرص عليها (٤٨٢٢).

^٢ - المخلاف: هو بلغة أهل اليمن وهو الكورة والإقليم والرياق، وكانت جهة معاذ العليا إلى صوب عدن، وكان من عمله الجند وله بها مسجد مشهور إلى اليوم، وكانت جهة أبي موسى السفلى انظر فتح الباري (٦١/٨).

^٣ - البخاري، كتاب المغازي، باب بعث أبي موسى ومعاذ بن جبل ﷺ إلى اليمن قبل حجة الوداع (٤٠٨٨).

به عهدا فسلم.... فسار معاذ في أرضه قريبا من صاحبه أبي موسى، فجاء يسير على بغلته حتى انتهى إليه وإذا هو جالس، وقد اجتمع إليه الناس، وإذا رجل عنده قد جمعت يداه إلى عنقه، فقال له معاذ: يا عبد الله بن قيس أيم هذا؟^(١) قال: هذا الرجل كفر بعد إسلامه، قال: لا أنزل حتى يقتل، قال: إنما جيء به لذلك، فانزل، قال: ما أنزل حتى يقتل، فأمر به فقتل، ثم نزل^(٢).
فهما أميران وداعيتان في وقت واحد، ينفذان شريعة الله، ويطبقان الحدود، ويقومان بالدعوة إلى الله عز وجل.

لقد اختار النبي أبا موسى الأشعري لهذه المهمة؛ لأنه كان عالما فطنا حاذقا، وكانت مهمته دعوية، فكان من المناسب أن يختار لها النبي ﷺ أميرا من أهل العلم. ومن أسباب اختياره أيضا أنه قائد شجاع من أصحاب الكفاءات العالية وقد خبره النبي ﷺ من خلال سرية عمه أبي عامر الأشعري، عندما قاد هذه السرية بعدما استخلفه عمه عليها، وكان فيها شجاعا حيث طارد قاتل عمه، فقتله وأخذ بثأر عمه، ورجع للنبي ﷺ، ونقل له وصية عمه إليه.

وأضا كان شابا في مقتبل العمر والنبي ﷺ في هذه المرحلة يعدّ الشباب لقيادة الأمة، حيث كان دائما يشجع الشباب ويهتم بأمرهم، فقد كان خروج آخر سرية من سرايا النبي ﷺ بقيادة أسامة بن زيد وهو لا يبلغ العشرين عاما.
بالإضافة إلى أن أبا موسى الأشعري من أهل اليمن، وهو أدري الناس بأهل اليمن من غيره.

وقد ترسّم الخلفاء الراشدون ﷺ خطى الحبيب المصطفى ﷺ وساروا على منهجه، ولذا كان أبو موسى محط تفتهم، كيف لا؟ وقد كان محط ثقة المعلم والموجه الأول ﷺ؛ لذلك ولاه أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي بعد وفاة النبي ﷺ، وقد كان عند حسن ظنهم جميعا.

١٠ - معاذ بن جبل الخزرجي الأنصاري:

معاذ بن جبل بن عمرو ابن أوس بن عائذ بن عدي بن كعب بن عمرو بن أدي بن سعد ابن علي بن أسد بن ساردة بن يزيد بن جشم بن الخزرج الأنصاري الخزرجي ثم الجشمي . يكنى أبا عبد الرحمن.

١ - أيم: أصلها أيماء، وهي استهفامية، وما بمعنى شيء، وحذفت الألف تخفيفا.
٢ - البخاري، كتاب المغازي، باب بعث أبي موسى ومعاذ بن جبل ﷺ إلى اليمن قبل حجة الوداع (٤٠٨٦)، كتاب استنابة المرتدين والمعاندين وقتالهم، باب حكم المرتد والمرتدة واستنابتهم (٦٥٢٥)، وكتاب الأحكام، باب الحاكم يحكم بالقتل على من وجب عليه دون الإمام الذي فوقه (٦٧٢٨)، مسلم، كتاب الإمارة، باب النهي عن طلب الإمارة والحرم عليها (٤٨٢٢).

وهو أحد السبعين الذين شهدوا العقبة من الأنصار، وشهد بدرًا وأحداً والمشاهد كلها مع رسول الله وأخى رسول الله ﷺ، أمره النبي ﷺ على اليمن، يعلم الناس القرآن، وشرائع الإسلام، ويقضى بينهم، وجعل إليه قبض الصدقات من العمال الذين باليمن. توفي بالطاعون في الشام سنة سبع عشرة، وقيل ثمانى عشرة. وهو ابن أربع وثلاثين سنة^(١). له مائة وسبعة وخمسون حديثاً^(٢).

تأمير معاذ بن جبل على اليمن (الجند)^(٣):

يعدّ معاذ أبرز الصحابة الذين وجههم النبي ﷺ إلى اليمن؛ ولذلك فقد أعطى لبعثته أهمية كبيرة، نظراً لحجم المهمة التي كلفه القيام بها، وقد اختلف في السنة التي بعثه النبي ﷺ فيها، والأرجح أن تكون بعثته في السنة التاسعة، وذلك بعد أن شارك مع رسول الله ﷺ في غزوة تبوك، وقبل ذلك في فتح مكة، ويشير الإمام البخاري إلى أن بعثته كانت قبل حجة الوداع^(٤) ومعاذ بن جبل هو شريك أبي موسى الأشعري على اليمن، فاليمن هي أكبر أقطار الجزيرة، التي كانت تهم النبي ﷺ لنقل الإسلام وبقائه إليه، ولم يجد النبي ﷺ خيراً من هذين الشابين، أبي موسى الأشعري، ومعاذ بن جبل رضي الله عنهما لإتمام هذه المهمة على أكمل وجه^(٥).

اختار النبي ﷺ معاذ بن جبل لهذه المهمة الإدارية الدعوية التعليمية، لما عرفه عنه من العلم والخبرة، قال رسول الله ﷺ: "أرحم أمتي بأمتي أبو بكر وأشدّهم في أمر الله عمر وأصدقهم حياءً عثمان وأعلمهم بالحلل والحرام معاذ بن جبل"^(٦).

وعن ابن أبي نجیح قال: كتب رسول الله ﷺ إلى أهل اليمن وبعث إليهم معاذًا وقال: "إني قد بعثت عليكم من خير أهلي وأولى علمهم وأولى دينهم"^(٧).

وبعد هذا الاختيار أوصاه النبي ﷺ وبين له طبيعة الناس المبعوث إليهم فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ لمعاذ بن جبل حين بعثه إلى اليمن: "إنك ستأتي قوماً أهل كتاب، فإذا جنتهم فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فإن هم

^١ - انظر: ابن سعد الطبقات (٣٨٧/٧)، ابن عبد البر، الاستيعاب (١٤٠٢/٣). ابن الأثير، أسد الغابة (٢٠٤/٥)، ابن حجر، الإصابة (١٣٦/٦).

^٢ - ابن عبد البر، الدرر (١٣٤/١). الشامي، سبل الهدى والرشاد (٣٠٩/١).

^٣ - الجند: من أعظم مخاليف اليمن وهي من أرض السكاسك، إلى شمال وصنعاء، وفيها مسجد بناه معاذ بن جبل ﷺ. انظر: معجم البلدان (١٦٩/٢).

^٤ - انظر: صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب بعث أبي موسى ومعاذ بن جبل ﷺ، إلى اليمن قبل حجة الوداع (٤٠٨٦).

^٥ - انظر: البعثات التعليمية إلى اليمن: أحمد الأنسي، رسالة ماجستير، جامعة اليوموك، (٥٢).

^٦ - الترمذي، السنن: كتاب المناقب، مناقب معاذ بن جبل (٣٧٢٧)، ابن ماجه، السنن، فضائل خباب ﷺ (١٥١) وقال: الألباني: حديث صحيح، وقال الأرئوط "إسناده صحيح على شرط الشيخين. ابن حبان: الصحيح، كتاب إخباره ﷺ عن مناقب الصحابة (٧١٣٧).

^٧ - ابن سعد، الطبقات (٥٨٥/٣)، ابن الأثير، أسد الغابة (٢٠٧/٥).

أطاعوا لك بذلك، فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم، فإن هم أطاعوا لك بذلك فإياك وكرائم أموالهم، واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينه وبينه وبين الله حجاب»^(١).

لقد جاء اختيار النبي ﷺ معاذًا أميرًا على اليمن؛ لأنه قائد شجاع من أصحاب الكفاءات العالية وقد خبره النبي ﷺ من خلال مشاركته في أغلب غزواته، حيث شهد المشاهد كلها مع النبي ﷺ، وكان من أصحاب الإيمان الراسخ، الذي ضحى بنفسه من أجله.

وأيضًا كان شابًا في مقتبل العمر والنبي ﷺ في هذه المرحلة يعدّ الشباب لقيادة الأمة، حيث كان دائمًا يشجع الشباب ويهتم بأمرهم فقد كانت آخر سرية من سرايا النبي ﷺ خرجت بقيادة أسامة بن زيد -كما أسلفنا- وهو لم يبلغ العشرين عامًا، وتأمير معاذ بن جبل وأبي موسى الأشعري على اليمن، ويوضح لنا إلى أي مدى كان يهتم النبي ﷺ بالشباب، حيث كان يصنع منهم قادة؛ ليقودوا أمتهم في المستقبل، وقد كان له ما أراد ﷺ.

وتعدّ هذه الإمارة ذات جانبين إدارية ودعوية تعليمية؛ لهذا اختار لها النبي ﷺ واحدًا من المراجع الأساسية في كتاب الله تعالى، قال رسول الله ﷺ: "خذوا القرآن من أربعة، من عبدالله بن مسعود، وسالم مولى أبي حذيفة، ومعاذ بن جبل، وأبي بن كعب"^(٢).

وهو أعلم الأمة بالحلال والحرام، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "أرحم أمتي بأمتي أبو بكر، ... وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل"^(٣). وقال النبي ﷺ: "يأتي معاذ يوم القيامة أمام العلماء"^(٤).

فكان من المناسب أن يكون الأميرُ على اليمن يحمل صفات مثل صفات معاذ بن جبل، وخاصة أن اليمن تعد من أهم ولايات الجزيرة، فمعاذ هو الرجل المناسب لولاية اليمن، عدا عن تقاربه مع أميرنا الأشعري في كثير من الصفات، وفي هذه المرة نرى أن النبي ﷺ ولى على اليمن معاذ بن جبل، وهو ليس من أهلها، وذلك لأن اليمن أصبحت من البلاد الإسلامية حيث انتشر الإسلام في جميع مخاليفها، ومن يدخل في الإسلام يطيع أي أمير يوليه النبي ﷺ.

١ - البخاري، كتاب الزكاة، باب أخذ الصدقة من الأغنياء وترد في الفقراء حيث كانوا (١٤٢٥) مسلم، كتاب الإيمان، باب الدعاء إلى الشهادتين (١٣٠).

٢ - البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب أبي بن كعب (٣٥٩٧). وباب القراء من أصحاب ﷺ (٤٧١٣)، مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل عبد الله بن مسعود (٦٤٨٨).

٣ - الترمذي، السنن، باب مناقب معاذ بن جبل وزيد بن ثابت وأبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنهما (٣٧٩١)، وقال حمزة صحيح، النسائي، السنن الكبرى، كتاب المناقب، أبي بن كعب (٨٢٤٢)، المقدمي، الأحاديث المختارة وقال إسناده صحيح (٢٢٦/٦) رقم (٢٢٤٠).

٤ - ابن سعد، الطبقات (٣٤٧/٢)، تاريخ دمشق: ابن عساکر (٦٠٦/٨)، الشامي، سبل الهدى والرشاد (٣٠٩/١)، والحديث ضعيف لإرساله.

١١ - قيس بن الحصين الحارثي:

قيس بن الحصين بن يزيد بن شداد بن قنان بن سلمة بن وهب بن عبد الله بن ربيعة بن الحارث بن كعب المذحجي الحارثي، يقال له: ابن ذي الغصّة.
وفد على رسول الله ﷺ، في سنة عشر فأسلم، فكتب له كتابا إلى قومه وأمره عليهم^(١).

تأمير قيس بن الحصين على قومه بني الحارث نجران^(٢).

كانت الوفود تسعى إلى المدينة؛ لتعلن إسلامها وتتضوي تحت سيادة الدولة الإسلامية، ويتعلموا ما شاء الله أن يتعلموه في المدينة قبل رجوعهم إلى موطنهم، وكان النبي ﷺ يرسل معهم من يعلمهم دينهم، وكان يبعث دعائه في شتى الجهات، ومن تلك القبائل التي أهتم النبي ﷺ بتعليمها مبادئ الإسلام وأحكامه قبائل اليمن، فقد انتشر أمر الإسلام في الجزيرة ومختلف أطرافها، وأصبحت الحاجة داعية إلى معلمين ودعاة ومرشدين يشرحون للناس حقائق الإسلام^(٣) لكي تنظف قلوبهم وتنقى صدورهم من أمراض الجاهلية وأدرانها الخبيثة، وامتنعت قبيلة بني الحارث بن كعب عن الدخول في الإسلام، فأرسل إليهم رسول الله ﷺ خالداً في سرية دعوية جهادية.

فاستجابت قبيلة بني الحارث لخالد بن الوليد ودخلوا في الإسلام فأقام فيهم خالد يعلمهم الإسلام وكتاب الله وسنة نبيه كما أمره رسول الله ﷺ، ثم كتب خالد إلى رسول الله ﷺ يعلمه بإسلامهم.

وبعد نجاح خالد بن الوليد ﷺ في مهمته إلى بني عبد المدان بنى الحارث بنجران ودخولهم في الإسلام، بعث إليه النبي ﷺ برسالة أمره بها أن يأتي بوفدهم إليه.
فقدم خالد إلى رسول الله ﷺ وأقبل معه وفد بني الحارث بن كعب، ومنهم قيس بن الحصين ذو الغصّة ويزيد بن عبد المدان، ويزيد بن المحجل وعبد الله بن قراد الزبيدي، وشداد بن عبد الله القناني، وعمر بن عبد الله الضبابي^(٤).

١ - ابن سعد، الطبقات (٥/٥٢٨) ابن عبد البر، الاستيعاب (٣/١٢٨٦)، ابن الأثير، أسد الغابة (٤/٤٤٣)، ابن حجر، الإصابة (٤٦٣/٥).

٢ - نجران: وهي مدينة عريقة عرفت منذ أن عرف للعرب تاريخ، تتكون من مجموعة مدن صغيرة في واد واحد، وهي واد كبير كثير المياه والزرع، يسيل من السراة شرقاً حتى يصب في الربع الخالي، وتقع على الطريق بين صعدة وأبها، على قرابة (٩١٠) أكيل جنوب شرقي مكة، في الجهة الشرقية من السراة، وترتبطها بكل من مكة والرياض وشروري في الربع الخالي - طريق معبدة، ولها مطار، وفيها آثار أهمها مدينة الأخدود - قد ذكرت - وما كان يعرف بكعبة نجران. كان قوام أهلها في الجاهلية وصدر الإسلام بنو الحارث بن كعب من مذحج، وقوام أهلها اليوم قبيلة يام الهمدانية. انظر البلادي، المعالم الجغرافية (٣١٦).

٣ - البوطي، محمد سعيد رمضان، فقه المسيرة (٢٢٢).

٤ - انظر التفاصيل في سرية خالد بن الوليد إلى بني الحارث.

فلما قدموا على رسول الله ﷺ فرأهم، قال: " من هؤلاء القوم الذين كأنهم رجال الهند" قيل: يا رسول الله، هؤلاء رجال بني الحارث بن كعب، فلما وقفوا على رسول الله ﷺ سلموا عليه، وقالوا: نشهد أنك رسول الله، وأنه لا إله إلا الله، قال رسول الله ﷺ: وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله" ثم قال رسول الله ﷺ: "أنتم الذين إذا زجروا استقدموا" فسكتوا، فلم يراجعهم منهم أحد، ثم أعادها الثانية، فلم يراجعهم منهم أحد، ثم أعادها الثالثة، فلم يراجعهم منهم أحد، ثم أعادها الرابعة، فقال يزيد بن عبد المدان: نعم يا رسول الله، نحن الذين إذا زجروا استقدموا، قالها أربع مرات، فقال رسول الله ﷺ: لو أن خالدًا لم يكتب إلي أنكم أسلمتم ولم تقاتلوا، لألقيت رؤوسكم تحت أقدامكم"، فقال يزيد بن عبد المدان: أما والله ما حمدناك ولا حمدنا خالدًا، قال: فمن حمدتم؟ قالوا: حمدنا الله عز وجل الذي هدانا بك يا رسول الله، قال: صدقتم، ثم قال رسول الله ﷺ: بم كنتم تغلبون من قاتلكم في الجاهلية؟ قالوا: لم تكن تغلب أحدًا، قال: بلى قد كنتم تغلبون من قاتلكم، قالوا: كنا تغلب من قاتلنا يا رسول الله إنا كنا نجتمع ولا نفرق، ولا نبداً أحداً بظلم، قال: صدقتم، وأمر رسول الله ﷺ على بني الحارث قيس بن الحصين.

فرجع وفد بني الحارث إلى قومهم في بقية من شوال، أو في صدر ذي القعدة، فلم يمكنوا بعد أن رجعوا إلى قومهم إلا أربعة أشهر، حتى توفي رسول الله ﷺ^(١).

إن الدارس لتصرفات رسول الله يجد أنه لا يوجد تصرف من تصرفاته عليه الصلاة والسلام، إلا وفيه غاية الحكمة، وبعد إمعان النظر فإننا نجد أن مواقفه ﷺ كلها تدل على حنكته وحكمته وبعد نظره السياسي، وإن كان العمل السياسي عنده عليه الصلاة والسلام غير منفصل عن غيره، فتجده يخاطب كل قوم بأسلوب ينسجم مع نفسياتهم، ويعامل كل إنسان بطريقة ترضي هذا الإنسان بالحق وهكذا، انظر إلى خطابه إلى وفد بني الحارث بن كعب تجده يختلف عن أي خطاب آخر خاطب به وفداً من الوفود لأن هذه القبيلة لها وضع خاص، حيث رفضوا الإسلام وفوق ذلك استعلوا وتحذثوا إلى النبي ﷺ بأسلوب غريب، فكان من المناسب أن يخاطبهم النبي ﷺ بأسلوب يناسب تصرفاتهم وكبرياءهم، ويبين لهم أن الإسلام فوق الجميع، وفوق جميع الأعراف والتقاليد.

وقد اختار النبي ﷺ قيس بن الحصين الحارثي، وأمره على من أسلم من قومه، لأنه أدري الناس بأهله، وليس لدينا أي تفاصيل عن كيفية تأميره، أو عن ما حصل معه في قومه لأن النبي ﷺ توفي بعد ذهابهم إلى اليمن بقليل.

^١ - الطبري، التاريخ، (١٩٤/٢)، البيهقي، دلائل النبوة (١١٥/٥). ابن سعد، الطبقات (٣٣٩/١-٣٤٠)، ابن هشام، السيرة النبوية عن ابن إسحاق (١٥٣/٤)، ابن سيد الناس، عيون الأثر (٢٧٩/٢)، ابن كثير، السيرة النبوية (١٨٩/٤)، البداية والنهاية، (٩٥ / ٥)، قلت: الحديث ضعيف و إسناده مرسل، لكن نستأنس به تاريخياً فهو الخبر الوحيد الذي يغطي تفاصيل هذه الواقعة.

وبعد ذهابهم بعث النبي ﷺ عمرو بن حزم الخزرجي الأنصاري إلى أهل نجران، ليفقههم في الدين ويعلمهم القرآن، ويأخذ صدقاتهم، وذلك سنة عشر، وكتب له كتابا فيه الفرائض والسنن والصدقات^(١).

وبهذا، كان الأمير الإداري قيس بن الحصين، وكان الأمير الشرعي عمرو بن حزم الأنصاري.

١٢ - فِرْوَةَ بِنُ مَسِيكٍ الْمَرَادِي:

فِرْوَةَ بِنُ مَسِيكٍ بِنُ الْحَارِثِ بِنُ سَلْمَةَ بِنُ الْحَارِثِ بِنُ نُؤَيْدِ بِنُ مَالِكِ بِنُ مَنبِهِ بِنُ غَطِيفِ ابْنِ عَبْدِ اللَّهِ بِنِ نَاجِيَةَ بِنِ يَحَابِرٍ، وَهُوَ مَرَادُ بِنِ مَالِكِ بِنِ أَدَدٍ، الْعُطَيْقِيُّ الْمَرَادِي. أَصْلُهُ مِنَ الْيَمَنِ مِنْ مَنَحَجٍّ، قَدِمَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ سَنَةَ تِسْعٍ، فَاسْلَمَ. وَقِيلَ: سَنَةَ عَشْرٍ^(٢).

تَأْمِيرُ فِرْوَةَ بِنُ مَسِيكٍ عَلَى مَرَادٍ، وَزَبِيرٍ، وَمَنَحَجٍّ:

رَحَلَ فِرْوَةَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ مَفَارِقًا لِمُلُوكِ كِنْدَةَ، وَكَانَ رَجُلًا لَهُ شَرَفٌ، إِضَافَةٌ إِلَى كَوْنِهِ شَاعِرًا، وَقَدْ أَنْزَلَهُ سَعْدُ بِنُ عَبَادَةَ عَلَيْهِ، ثُمَّ غَدَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ جَالِسٌ فِي الْمَسْجِدِ، فَاسْلَمَ عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ: "يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنَا لَمَنْ وَرَائِي مِنْ قَوْمِي، قَالَ: "أَيْنَ نَزَلْتَ؟" قَالَ: عَلَى سَعْدِ بِنِ عَبَادَةَ، قَالَ: بَارَكَ اللَّهُ عَلَى سَعْدٍ، وَقَدْ دَارَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّبِيِّ ﷺ حِوَارٌ حَوْلَ مَا أَصَابَ مَرَادًا مِنْ هَزِيمَةَ يَوْمِ الرِّدْمِ^(٣)، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "يَا فِرْوَةَ هَلْ سَاعَكَ مَا أَصَابَ قَوْمَكَ يَوْمَ الرِّدْمِ؟" قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ ذَا يَصِيبُ قَوْمَهُ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمِي يَوْمَ الرِّدْمِ لَا يَسُوؤُهُ ذَلِكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَهُ: "أَمَا إِنَّ ذَلِكَ لَمْ يَزِدْ قَوْمَكَ فِي الْإِسْلَامِ إِلَّا خَيْرًا"^(٤) وَكَانَ يَحْضُرُ مَجْلِسَ النَّبِيِّ ﷺ كَمَا جَلَسَ وَيَتَعَلَّمُ الْقُرْآنَ وَفَرَائِضَ الْإِسْلَامِ وَشَرَاتِعَهُ.

^١ - النعماني، السنن الكبرى: كتاب الصلوة، باب عقل الأصابع (٧٠٦٠). الطبري، التاريخ، (١٢٧/٣)، البيهقي، السنن الكبرى (٨٧-٨٠/٨)، دلائل النبوة (١١٥/٥)، ابن هشام، السيرة النبوية، (١٥٤/٤) والحديث إسناده مرسل.

^٢ - انظر: ابن سعد، الطبقات (٥٢٤/٥)، ابن عبد البر، الاستيعاب (١٢٦١/٣)، ابن الأثير، أسد الغابة (٣٨١/٤) ابن حجر، الإصابة (٣٦٨/٥).

^٣ - يوم الردم: كان قبيل الإسلام بين مراد وهمدان وقعة أصابت فيها همدان من مراد ما أرادوا، حتى أثلخوهم. انظر الروض الأنف (٣٦٤/٤).

^٤ - ابن سعد، الطبقات (٥٢٤/٥)، البيهقي، دلائل النبوة (٣٦٩/٥)، ابن عبد البر، الدرر في اختصار المغازي والسير (٢٧٢/١)، ابن سيد الناس، عيون الأثر (٢٨٩/٢)، ابن هشام، السيرة النبوية (١٤٦/٤)، ابن كثير، البداية والنهاية (٨٣/٥) والسيرة النبوية (١٣٦/٤)، الشامي، سبل الهدى والرشاد (٣٩٣/٦)، قلت الخبر ضعيف حديثا حيث انفرد به ابن إسحاق بإسناده مرسل، ولم يأت متصلا إلا من طريق الواقدي، والواقدي ضعيف عند أهل الحديث، ولكن يقوي هذا الخبر أنه ورد حديث صحيح بمعناه، عند الترمذي وأبي داود وأحمد.

ثم استعمله رسول الله ﷺ على مراد وزبيد ومنحج كلها، وبعث معه خالد بن سعيد بن العاص على الصدقات فلم يزل معه هناك حتى توفي رسول الله ﷺ (١).

وأراد فروة بن مسيك المرادي أن ينشر الإسلام في قومه وفي المناطق المجاورة فاستأذن النبي ﷺ في ذلك قال : "أتيت النبي ﷺ فقلت: يا رسول الله ألا أقاتل من أدبر من قومي بمن أقبل منهم؟ فأذن لي في قتالهم، وأمرني، فلما خرجت من عنده سألت عني ما فعل الغطيفي؟ فأخبرني أنه قد سرت، قال: فأرسل في أثري فردني، فأنتهته، وهو في نفر من أصحابه فقال: "ادع القوم فمن أسلم منهم فاقبل منه ومن لم يسلم فلا تعجل حتى أحدث إليك" (٢).

وفي رواية أخرى: "أنه أتى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إن لنا جيرة من سبأ أهل عز وملك وجبروت، فائذن لي أن أدعوهم إلى الإسلام، فإن أبوا فائذن لي أن أقاتلهم بقومي ومن أطاعني، فأذن له، ثم إن رسول الله ﷺ بدا له فقال : " إنك ذكرت من أمر سبأ ما ذكرت فادعهم إلى الإسلام فإن أجابوك فاقبل منهم، وأكف عنهم وإن أبوا فلا تعرض لهم حتى يأتوك أمري" (٣).

فقد كلف النبي ﷺ فروة بن مسيك المرادي بدعوة من لم يسلم من قومه إلى الإسلام، ولكن فروة المرادي أراد أن يوسع دائرة الإسلام في القبائل المجاورة؛ لهذا استأذن النبي ﷺ بدعوتهم، وطلب منه أن يقاتل من أدبر عن الإسلام ولكن النبي ﷺ طلب منه التريث بشأن قتالهم حتى يدرس أحوالهم ويتعرف على أهدافهم؛ ليقرر بعد ذلك موضوع القتال.

اختار النبي ﷺ فروة بن مسيك المرادي أميراً على مراد ومنحج لأنه من اليمن وهذه من قبائل اليمن وهو من أبناء هذه القبائل، بل هو من المقدمين فيها؛ لهذا اختاره النبي ﷺ أميراً على هذه البلاد فهو منهم وهو أعرف بهم وبمناطقهم وطبائعهم أكثر من غيره لهذا ناسب أن يكون أميراً عليهم؛ بالإضافة إلى أنه كان قائداً شجاعاً من أصحاب الكفاءات العالية.

وقد أجرى له النبي ﷺ اختباراً؛ ليتعرف على مدى حبه لقومه وقبيلته فسأله: هل ساءك ما أصاب قومك يوم الردم فقال له نعم، وهنا دخل النبي ﷺ إلى قلبه ليبين له أن الإسلام لا يعود على قومه وقبيلته إلا بالخير، وأن أفضل الأمور بالنسبة لقبيلته هي الدخول في الإسلام، وبهذا أعلن إسلامه بين يدي النبي ﷺ.

١ - انظر: المراجع السابقة نفسها.

٢ - الترمذي، السنن، تفسير القرآن، سورة سبأ قال أبو عيسى هذا حديث حسن غريب، وقال الألباني: حسن صحيح (٣٢٢٢)، مسند أبي يعلى، قال حمسين سليم أسد: إسناده صحيح (٢٥٠/١٢)، الطبراني، المعجم الكبير (٣٢٢/١٨)، ابن سعد، الطبقات (٤٥/١).

٣ - التخریج السابق..

ومن أسباب اختياره أيضا أنه كان حريصا على تعلم القرآن وفرائض الإسلام وشرائعه، وهذه المرحلة من مراحل الدعوة ناسب فيها أن يختار لها ﷺ أميرا من أصحاب الإيمان والعلم. لقد كان فروة بن مسيك المرادي عند حسن ظن النبي ﷺ به، فكان أميرا ناجحا وثبت على الإسلام عندما ارتد الناس، وكان له دور في محاربة أهل الردة حيث كان يُغير على من خالفه بمن أطاعه ولم يرتد كما ارتد غيره من الناس.

١٣- زياد بن الحارث الصدائي:

هو زياد بن الحارث الصدائي وقيل: زياد بن حارثة، نزل مصر، وهو حليف بنى الحارث بن كعب بن منجج، بايع النبي ﷺ وأذن بين يديه^(١).

تأمير زياد بن الحارث على صداء^(٢).

رحل إلى النبي ﷺ وأسلم وبايع، ولما بلغه أن النبي ﷺ يريد أن يرسل جيشا إلى قومه ذهب إلى النبي ﷺ وقال له: يا رسول الله جئتك وافدا على من ورائي، فاردد الجيش، وأنا لك بقومي، فقال النبي ﷺ: "افعل" وخرج الصدائي إلى قومه فقدم على رسول الله ﷺ وقد منهم بإسلامهم وطاعتهم، وكان على رأسهم زياد بن الحارث الصدائي، قال له النبي ﷺ: "يا أخا صداء إنك لمطاع في قومك" فقال: بل الله هداهم للإسلام، فقال رسول الله ﷺ: "أفلا أوامرك عليهم؟" فقال: بلى يا رسول الله. فقال زياد: فأمرني عليهم، وكتب لي كتابا بذلك، فقلت يا رسول الله مر لي شيئا من صدقاتهم قال: نعم فكتب لي كتابا آخر.

ثم قال: فلما صلى الفجر، أتى أهل المنزل يشكون عاملهم، ويقولون: يا رسول الله: حدثنا بما كان بيننا وبين قومنا في الجاهلية، فالتفت إلى أصحابه وأنا فيهم، فقال: "لا خير في الإمارة لرجل مؤمن"، فلما أصبحت قلت: يا رسول اقبل إمارتك فلا حاجة لي فيها. قال: ولم، قلت: سمعتك تقول: "لا خير في الإمارة لرجل مؤمن" وقد آمنت قال: "هو ذاك فإن شئت فخذ، وإن شئت فدع"، قلت: بل أدع^(٣).

١ - انظر: ابن سعد، الطبقات (٣٠٣/٧)، ابن الأثير، أسد الغابرة (٣١٩/٢)، ابن حجر، الإصابة (٥٨٢/٢)،

٢ - صداء: حي من عرب اليمن انظر: ابن القيم، زاد المعاد (٦٦٨/٣).

٣ - المعجم الكبير: الطبراني (٢٢٢/٥)، ابن سعد، الطبقات، رواه مختصرا (٣٢٦/١)، وأخرج جزء الحديث الأول أبو داود في السنن، كتاب الصلاة، باب رفع الصوت بالأذان، وقال الألباني: ضعيف، (٥١٤) وابن ماجة في السنن، كتاب الأذان (٧١٧). والترمذي في السنن، باب من أذن فهو يقيم (١٩٩) وقال: الإفريقي ضعيف عند أهل الحديث، ضعفه يحيى بن سعيد القطان وغيره. قلت: قال ابن حجر أن له طريقا أخرى من طريق المبارك بن فضالة عن عبد الغفار بن ميسرة عن الصدائي ولم يسمه وقال: إن البخاري أصح له حديثا في قصة إسلامه انظر: الإصابة (٥٨٢/٢).

قال ابن القيم : "وفي هذا الحديث جواز تأمير الإمام، وتوليته لمن سألته ذلك إذا رآه كفوًا، ولا يكون سؤاله مانعًا من توليته ولا يناقض هذا قوله في الحديث الآخر "إنا لن نولي على عملنا من أراد" فإن الصدائي إنما سألته أن يؤمره على قومه خاصة، وكان مطاعًا فيهم محببًا إليهم، وكان مقصوده إصلاحهم، ودعوتهم إلى الإسلام، فرأى النبي ﷺ : أن مصلحة قومه في توليته، فأجابته إليها، ورأى أن ذلك السائل إنما سألته الولاية لحظ نفسه ومصلحته هو فمنعه منها فولى للمصلحة، ومنع للمصلحة، فكانت توليته لله ومنعه لله.

وفيها جواز شكاية العمال الظلمة، ورفعهم إلى الإمام والقدر فيهم بظلمهم، وأن ترك الولاية خير للمسلم من الدخول فيها.

ومنها جواز إقالة الإمام لولاية من ولاه إذا سألته ذلك، ومنها استشارة الإمام لذي الرأي من أصحابه فيمن يوليه"^(١).

١٤ - سرد بن عبد الله الأزدي^(٢):

قال ابن حبان جرشي له صحبة، قدم على رسول الله ﷺ فأسلم وحسن إسلامه وكان ذلك في سنة عشر، توفي النبي ﷺ وهو أمير على جرش.

تأشير سرد بن عبد الله الأزدي على جرش^(٣):

قدم سرد بن عبد الله الأزدي في بضعة عشر رجلا من قومه، وقدا على رسول الله ﷺ، فنزلوا على قروة بن عمرو فحياهم وأكرمهم، وأقاموا عنده عشرة أيام^(٤). فأراد رسول الله أن يجعل عليهم أميرا منهم، وكان سرد أفضاهم وأفضلهم، وكان يحضر مجلس النبي ﷺ فأعجب رسول الله ﷺ به "فأمره على من أسلم من قومه، وأمره أن يجاهد بهم من يليه من أهل الشرك، من قبائل اليمن"^(٥). فخرج سرد بن عبد الله بأمر رسول الله ﷺ، حتى نزل جرش، وهي مدينة حصينة مغلقة، وبها قبائل من اليمن، قد تحصنوا فيها فدعاهم إلى الإسلام، فأبوا، فحاصروهم فيها قريبا من شهر، وامتنعوا فيها منه، ثم تتحى عنهم

١ - انظر: ابن القيم، زاد المعاد: (٢٦٧/٥-٢٦٩).

٢ - انظر: ابن سعد، الطبقات (٣٣٧/١)، ابن عبد البر، الاستيعاب (٧٣٧/٢)، ابن الأثير، أسد الغابة (١٨/٣)، ابن حجر، الإصابة (٤٢١/٣).

٣ - جرش: وهي من مخاليف اليمن، وهي مدينة عظيمة كانت قائمة إلى القرن الرابع، وفي عهد النبي كانت تعتبر من المدن المتطورة عسكريا إذ جاء أن بعض الصحابة كانوا بجرش أثناء حصار الطائف يتدربون على الدبابات والمجانيق، ثم اندثرت جرش، وتوجد آثارها اليوم قرب خميس مشيط، انظر: البلاذري، المعالم الجغرافية، (٨٢) وقيل إن جرش مدينة عظيمة وولاية واسعة باليمن من جهة مكة المكرمة، معجم البلدان (١٢٦/٢).

٤ - ابن سعد، الطبقات (٣٣٨/١).

٥ - ابن سعد، الطبقات، (٣٣٨/١)، ابن هشام، السيرة النبوية، رواه عن ابن إسحاق بدون سند (١٤٩/٤).

إلى جبل يقال له: شكر، فظنوا أنه قد انهزم، فخرجوا في طلبه، حتى إذا أدركوه عطف عليهم، فقتلهم قتلا شديدا^(١).

وقد أخبر النبي ﷺ الناس بما حدث وكان أهل جرش بعثوا إلى رسول الله ﷺ رجلين يرتادان وينظران، فأخبرهم رسول الله ﷺ بملئقاهم وظفر صرد بهم، فخرج الرجلان من عند رسول الله ﷺ راجعين إلى قومهما، فوجدا قومهما قد أصيبوا يوم أصابهم صرد في اليوم الذي قال فيه رسول الله ﷺ ما قال، وفي الساعة التي ذكر، فقصا عليهم القصة، فخرج وفدهم حتى قدموا على رسول الله ﷺ فأسلموا^(٢).

اختار النبي ﷺ صرد بن عبد الله، وأمره على قومه؛ لأنه من أفضلهم وأقضاهم وكان حريصا على حضور مجلس النبي ﷺ، وقد أثبت جدارته وأثبت أنه أمير وقائد شجاع من خلال إصراره على مقاتلة أهل اليمن عندما رفضوا الدخول تحت راية الإسلام.

وبهذا شمل الحكم الإسلامي عموم الجزيرة العربية، وتحدت أقليم الدولة الجديدة، وعين رسول الله ﷺ لكل قسم واليا لتولي إدارته، وتطبيق أحكام الإسلام فيه، وتم إلغاء النظم السابقة، وتبديل التقاليد والمفاهيم، وإحلال نظم وقيم جديدة أقرها الإسلام، وأحكم تطبيقها الرسول ﷺ بسنته الشريفة، بوصفه نبيا مرسلا وحاكما أعلى للدولة الإسلامية.

فعلى الرغم من نمط الحكم المركزي، الذي كان عليه الحال في الدولة الإسلامية، خلال المرحلة النبوية في الحكم، مُجَسِّداً في شخصية الرسول ﷺ إلا إن الرسول ﷺ لم يكن حاكما منفردا ولا مستبدا ولا متسلطا، وإنما كان المثال والقوة لجماعة الصحابة، ممن خبروا أساليب الحكم وتدريبوا على العمل في إطار الخبرة والسلوك النبوي، فحازوا فرص إثبات الحضور في الإدارة والحكم، وأسهموا في تحمل المسؤولية لإدارة مهام المسلمين، وقد أتاح لهم الرسول ﷺ المشاركة في الأداء والعمل إلى جانبه في شغلهم للمناصب القيادية في الدولة.

وكان على رأسها الإمارة العامة على المناطق المحلية، فبعد أن اتسعت الدولة الإسلامية بعد فتح مكة وانضواء الجزيرة العربية كلها تحت لواء الإسلام، كان هناك الحاجة لتأمير الأمراء والولاة على البلدان والمناطق الجديدة لتولي إدارتها وتطبيق أحكام الإسلام فيها، بالإضافة إلى العدد الكبير من رؤساء ومشايخ القبائل العربية ورؤسائها الأصليين الذين أقرهم النبي ﷺ ما داموا منضوين تحت مظلة حكم الدولة الإسلامية.

١ - ابن سعد، الطبقات، (٣٣٨/١) ابن هشام، المسيرة النبوية، رواه عن ابن إسحاق (١٤٩/٤).
٢ - انظر: الطبري، التاريخ (١٣٨/٣، ١٣٩)، البيهقي، دلائل النبوة (٣٧٠/٥) ابن هشام، المسيرة النبوية، (١٤٩/٤). كلهم عن طريق ابن إسحاق، وانظر: ابن سعد، الطبقات عن محمد بن عمرو (٣٣٩/١). (٥٢٦/٥)، والحديث إسناده مرسل.

وهؤلاء جميعا يمثلون الرسول ﷺ في حكمه بين الناس، فيقيمون الصلاة بينهم، ويؤدون الواجبات، ويأخذون الحقوق، ويمنعون الظلم والاعتداء ويصلحون من خلال القضاء بين الناس، ويحسمون المنازعات الحاصلة بينهم^(١).

وقد اعتمد الرسول ﷺ نظاما معيناً في التولية، حيث يكتب مع واليه أو عامله كتاباً لأهل المنطقة، مشيراً في فقراته إلى مهام الوالي، للعمل بالمعروف والنقوى والأخذ بالحقوق، ومعاملة الرعية بالحسنى.

وكان الرسول ﷺ ينتقى من الولاة والعمال، من يعرف بالقوة والأمانة والحرص على مصلحة الإسلام والمسلمين^(٢).

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

١ - انظر: موسوعة الإدارة الإسلامية (٢-١٣١-١٣٤).

٢ - وصياتي المزيد عن أسس الاختيار في الفصل الثالث من هذه الرسالة إن شاء الله.

المبحث الرابع

الإمارة على المدينة المنورة

تعد المدينة المنورة القاعدة الرئيسية للدولة الإسلامية، ففيها بدأت ومنها انطلقت، لهذا فقد كان النبي ﷺ يحرص على المدينة منذ اليوم الأول الذي تشكلت فيه دولته الإسلامية فيها، فلم تكن إدارة المدينة بعيدة عن إشرافه، حتى في الظروف الحساسة التي يستعد فيها للخروج للحرب، فعندما يكون في المدينة فإنه يباشر الإشراف عليها بنفسه، وعندما يغادر المدينة لسبب من الأسباب يعهد إلى ممثليه بالقيام بإدارتها، ويستخلف نوابا له يحرصون على أمن المدينة. وسأتناول في هذا المبحث الروايات الواردة في الأمراء الذين استخلفهم النبي ﷺ على المدينة عند خروجه منها.

ولا بد من الإشارة هنا إلى أن أغلب الروايات التي ذكرت الأمراء الذين استخلفهم النبي ﷺ على المدينة في كتب السير والمغازي، جاءت من غير إسناد، حيث ذكرت على سبيل المعلومة، وذلك لشهرتها وتواردها بين الناس.

١ - سعد بن عباد الأنصاري:

سعد بن عباد بن دليم بن حارثة بن حرام بن خزيمة بن ثعلبة بن طريف بن الخزرج ابن ساعدة بن كعب بن الخزرج الأنصاري. يكنى أبا ثابت وأبا قيس، هو صاحب راية الأنصار في المشاهد كلها، وكان وجيها في الأنصار ذا رئاسة وسيادة يعترف قومه له بها، شهد العقبة، وكان أحد النقباء الاثني عشر.

وقد شهد المشاهد كلها فيما بعد مع رسول الله ﷺ، وكان أحد مستشاري رسول الله ﷺ في غزوة الخندق، وكان من قادة جيش المسلمين في فتح مكة^(١). سعد بن عباد أمير المدينة المنورة في صفر على رأس اثني عشر شهرا من مهاجر رسول الله ﷺ في السنة الثانية للهجرة.

"استعمله الرسول ﷺ على المدينة في غزوة الأبواء"^(١)، وهي أول غزوة غزاها النبي

ﷺ^(١).

١ - انظر: ابن سعد، الطبقات (٣/٣١٦)، ابن عبد البر، الاستيعاب (٢/٥٩٤)، ابن الأثير، أسد الغابرة (٢/٤٢٢)، ابن حجر، الإصابة (١٥/٣).

٢ - الأبواء: (ودان) قرية من أعمال الفرع من المدينة، بينها وبين الجحفة مما يلي المدينة ثلاث وأربعون كيلا. وهي واد من أودية الحجاز النهامية، كثير المياه والزرع، يلتقي فيه وادي الفرع والقاحة فيتكون من التقائهما وادي الأبواء ويسمى اليوم «وادي الخريبة» انظر: الحموي، معجم البلدان (١/٧٩)، البلاذري، المعالم الجغرافية (١٨).

اختار النبي ﷺ سعد بن عبادة؛ ليكون أول أمير على المدينة المنورة، فهو من الخزرج ومن سادات الأنصار ، فكان من المناسب أن يختاره النبي ﷺ ، لأنه من أهل المدينة ومن أدرى الناس في الفئات والقبائل التي تعيش فيها، وبالإضافة لذلك فهو من أصحاب الكفاءات العالية.

٢- السائب بن عثمان القرشي:

السائب بن عثمان بن مظعون بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح القرشي الجمحي، وأمه: خولة بنت حكيم بن أمية بن حارثة.

أسلم في أول الإسلام وهاجر إلى الحبشة وشهد بدرًا والمشاهد كلها فيما بعد مع رسول الله ﷺ ، كان من الرماة المشهورين ، وقتل وهو ابن بضع وثلاثين سنة يوم اليمامة شهيداً^(١). السائب بن عثمان أمير المدينة المنورة في ربيع الأول على رأس ثلاثة عشر شهراً من الهجرة. استعمله الرسول ﷺ على المدينة في غزوة بواط^(٢).

اختار النبي ﷺ في هذه المرة أميراً من المهاجرين، وليس من الأنصار؛ ليبين للناس مدى التقارب الكبير بين المهاجرين والأنصار، ويشير بذلك إلى أن المدينة المنورة قد أصبحت بمثابة عاصمة الدولة ومركز قوتها، وأنها لجميع المسلمين وليست خاصة لفئة معينة، وفي هذا تدريب للناس على الإمارة.

٣- أبو سلمة بن عبد الأسد المخزومي:

أبو سلمة أمير المدينة المنورة في جمادى الأولى سنة ٢هـ.

استعمله النبي ﷺ على المدينة في غزوة ذات العُشَيْرَة^(٤) عدة أيام، وقيل شهراً^(٥).

٤- زيد بن حارثة:

أمير المدينة المنورة في جمادى الآخرة سنة ٢هـ في غزوة بدر الأولى^(٦) سقوان^(٦).

١ - ابن سعد، الطبقات : ابن سعد (٨/٢)، ابن هشام، السيرة النبوية من زوائده على ابن إسحاق (١٧٢/٢)، ابن القيم، زاد المعاد (١٦٤/٣).
٢ - انظر: ابن سعد، الطبقات (٤٠١/٣)، ابن عبد البر، الاستيعاب (٥٧٥/٢)، ابن الأثير، أسد الغاب (٣٨٠/٢)، ابن حجر، الإصابة (٢٤/٣).
٣ - ابن عبد البر، الدرر (٩٧/١)، ابن هشام، السيرة النبوية (١٧٧/٢)، المهيدي، الروض الأنف (٨٨/٣)، وذكر الواقدي و ابن سعد أنه استخلف سعد بن معاذ ابن سعد، الطبقات (٨/٢).
٤ - العُشَيْرَة: من ناحية ينبع بين مكة والمدينة، من أرض بني مدلج، انظر: معجم البلدان (١٢٧/٤).
٥ - ابن سعد، الطبقات (٩/٢)، الطبري، التاريخ (١٤/٢)، ابن عبد البر، الاستيعاب (٩٤٠/٣)، ابن هشام، السيرة النبوية (١٧٨/٢)، ابن حجر، فتح الباري (٢٧٩/٧).
٦ - سقوان: واد ناحية بدر. انظر: الحموي، معجم البلدان (٢٢٥/٣).

أغار كرز بن جابر على سرح المدينة، فخرج رسول الله ﷺ في طلبه، واستعمل على المدينة زيد بن حارثة^(١).

في المرة الأولى اختار النبي ﷺ أميرا من الأنصار وفي المرة الثانية والثالثة أميرا من المهاجرين وهذه المرة اختار مولا زيد بن حارثة، وهذا من باب الاهتمام بجميع فئات المجتمع، وفيه إشارة إلى أن التفاضل بين الناس بالإسلام، وليس بالأحساب والأنساب، وخاصة أن زيد بن حارثة كان موضع ثقة النبي ﷺ منذ نعومة أظفاره.

٥- أبو لبابة بن عبد المنذر الأنصاري^(٢):

بشير بن عبد المنذر بن زبير بن زيد بن أمية بن زيد بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك ابن الأوس الأنصاري أبو لبابة مشهور بكنيته، ومختلف في اسمه قيل اسمه بشير وقيل رفاعة بن المنذر، كان نقيبا من الاثني عشر نقيبا شهد أحدا، وما بعدها من المشاهد وكانت معه راية بني عمرو بن عوف في غزوة الفتح

"استخلف رسول الله ﷺ أبا لبابة بن عبد المنذر على المدينة ثلاث مرات: بدر القتال^(٣)، وبني قينقاع^(٤)، وغزوة السويق^(٥)"^(٦).

ففي غزوة بدر خرج أبو لبابة بن عبد المنذر والحارث بن حاطب مع رسول الله ﷺ إلى بدر، فرجعهما، وأمر أبا لبابة على المدينة وضرب له بسهمه مع أصحاب بدر^(٧).

وقال ابن هشام: استعمل رسول الله ﷺ ابن أم مكتوم على الصلاة بالناس، ثم رد أبا لبابة من الروحاء واستعمله على المدينة^(٨).

وخلف معه عاصم بن عدي، واستعمله على قباء وأهل العالية لشيء بلغه عنهم فضرب له بسهم وأجره فكان كمن شهدها^(٩).

١ - ابن سعد، الطبقات (٦٢/٢)، الطبري، التاريخ (١٤/٢)، ابن هشام، السيرة النبوية: (١٨٠/٢)، الحلبي السيرة الحلبية (٣٥٢/٢).

٢ - انظر: ابن عبد البر، الاستيعاب (١٧٤٠/٤)، ابن الأثير، أسد الغابة (٢٩١/١)، ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة (٣١٧/١).

٣ - ابن سعد، الطبقات (١٢/٢)، الطبري، التاريخ (٤٧٨/٢)، ابن هشام، السيرة النبوية (١٨٨/٢).

٤ - ابن سعد، الطبقات (٢٩/٢)، الطبري، التاريخ (٥١/٢)، ابن هشام، السيرة النبوية (٦/٣)، ابن سيد الناس، عيون الأثر (٣٥٤/١) وكانت محاصرته خمس عشرة ليلة.

٥ - ابن هشام، السيرة النبوية (٢/٣)، ابن سعد، الطبقات (٣٠/٢)، الطبري، التاريخ (٥٠/٢)، البيهقي، دلائل النبوة (١٦٥/٣)، عيون الأثر (٣٥٥/١)، السيرة الحلبية (٤٨٠/٢).

٦ - الواقدي، المغازي، (١٥٦) إسناده معضل.

٧ - ذكر هذا ابن إسحاق عن جماعة ولم يسمهم. انظر: ابن سعد، الطبقات (١٢/٢)، ابن عبد البر، الاستيعاب (١٧٤١/٤).

٨ - ابن هشام، السيرة النبوية (١٨٨/٢).

٩ - الحاكم، المستدرک علی الصحیحین، کتاب معرفة الصحابة، ذكر مناقب عاصم بن عدي الأنصاري (٥٧٧٠).

اختار النبي ﷺ في هذه المرة أبا لجابة أميرا إداريا على المدينة، واختار معه ابن أم مكتوم ليصلي بالناس، واختار عاصم بن عدي على قباء وأهل العالية، وهذا الاهتمام الكبير بأمر المدينة المنورة يدل على أن المدينة أصبحت بالنسبة للنبي ﷺ ذات شأن كبير، حيث حرص النبي ﷺ على إدارتها وحمايتها باعتبارها القاعدة الأمينة للدولة الإسلامية.

٦- سباع بن عرفطة الغفاري:

سباع بن عرفطة الغفاري ويقال له الكنانى، من كبار الصحابة^(١).

أمير المدينة المنورة سنة ٢هـ.

استخلفه النبي ﷺ في غزوة قرقرة الكدر (بنى سليم)^(٢)، ودومة الجندل^(٣)، وخيبر^(٤). وحجة الوداع^(٥).

عن أبي هريرة قال: لما خرج رسول الله ﷺ إلى خيبر، استعمل سباع بن عرفطة الغفاري على المدينة، فقدمنا فشهدنا معه صلاة الصبح، فقرأ في أول ركعة "كهيعص" وفي الثانية "ويل للمطففين" فقلت في نفسي: ويل لأبي فلان له مكيلان، يستوفي بواحد ويبخس بأخر، فأتينا سباع بن عرفطة فجهزنا فأتينا رسول الله ﷺ قبل الفتح بيوم أو بعده بيوم^(٦).

أمر النبي ﷺ سباع بن عرفطة على المدينة في عدة غزوات في بني سليم ودومة الجندل، وخيبر وتبوك.

- ١ - انظر: ابن سعد، الطبقات (٤٥٧/٣)، ابن عبد البر، الاستيعاب (٦٨٢/٢)، الإصطبة في تمييز الصحابة (٢٩٩/٣).
- ٢ - ابن هشام، السيرة النبوية (٣/٣)، وقال ابن هشام: استعمل على المدينة سباع بن عرفطة، أو ابن أم مكتوم وهذا ما ذكره ابن سعد، الطبقات (٣٥/٢).
- ٣ - الواقدي، المغازي (٢٩٩)، ابن سعد، الطبقات (٦٢/٢) ابن عبد البر، الاستيعاب (٦٨٢/٢)، الدرر (١٣٩/١) ابن هشام، السيرة النبوية (١٢٣/٣).
- ٤ - الحاكم، المستدرک على الصحيحين، كتاب المغازي والشرایا (٤٣٣٧)، الواقدي، المغازي (٤٤٣)، ابن حبان، الصحيح (١٠٣٩)، ابن سعد، الطبقات (١٠٦/٢)، ابن عبد البر، الاستيعاب (٦٨٢/٢)، الدرر (١٣٩/١)، وذكر ابن هشام أنه استعمل نميلة بن عبد الله انظر: ابن هشام، السيرة النبوية (٢٠٨/٣). والصحيح أنه استعمل سباع كما ذكر الإمام أحمد والحاكم من حديث أبي هريرة وهو ما رجحه ابن حجر، فتح الباري (٤٦٥/٧).
- ٥ - ابن هشام، السيرة النبوية (١٥٧/٤) وقال: استعمل أبا نجاة، ويقال سباع بن عرفطة.
- ٦ - رواه الإمام أحمد، المسند وقال شعيب الأرنؤوط: صحيح على شرط الشيخين. (٣٤٥/٢)، الحاكم، المستدرک على الصحيحين، كتاب المغازي والشرایا وقال الحاكم صحيح وتعبه الذهبي بقوله: صحيح (٤٣٣٧)، وكتاب البيوع (٢٢١٤)، صحيح ابن خزيمة، كتاب الصلاة، اب إيجاب سجنتي السهو على المسلم قبل الفراغ من الصلاة ساهيا والدليل أن هاتين المسجدتين إنما يسجدهما المصلي بعد السلام لا قبل، وقال الأعظمي: إسناده صحيح (١٠٣٩) مجمع الزوائد: الهيثمي وقال: رواه البزار ورجاله رجال الصحيح خير إسماعيل بن مسعود الجحدري وهو ثقة (٢٨٥/٧)، وذكر ابن هشام ومن تابعه: أنه استعمل نميلة بن عبد الله الليثي وهذا مردود بالخبر الصحيح.

٧- عثمان بن عفان^(١):

عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي الأموي القرشي، أمير المؤمنين، يكنى: أبا عبد الله وأبا عمر، أمه: أروى بنت كريب بن ربيعة بن حبيب.

أمير المدينة المنورة في (غزوة ذي أمر) في السنة ٢ هـ

استخلفه الرسول ﷺ على المدينة في غزوة ذي أمر (غطفان)^(٢) وغزوة ذات الرقاع^(٣).

٨- ابن أم مكتوم^(٤):

استخلفه النبي ﷺ على الصلاة بالناس في المدينة في العديد من سفراته وغزواته، وقد أسلم في مكة وهو ضريب، وهاجر إلى المدينة بعد بدر بيسير، وكان يؤذن للنبي ﷺ مع بلال، وكان يخطب الجمعة بجانب المنبر^(٥).

استخلفه النبي ﷺ على المدينة بضع عشرة مرة من غزواته في بدر الكبرى^(٦)، قرقر الكدر^(٧)، وغزوة الفرع^(٨)، وأحد^(٩)، وحمراء الأسد^(١٠)، وبني النضير^(١١)، والخندق^(١٢)، وبني قريظة^(١٣)، وغزوة بني لحيان^(١٤)، وغزوة الغابة (ذي قرد)^(١٥) والحديبية^(١٦)، وفتح مكة^(١٧) وغيرها^(١٨).

كان النبي ﷺ يستعمل ابن أم مكتوم على المدينة للصلاة بالناس، أما رعاية أمور الناس، فكان يستعمل رجلا آخر كما فعل في غزوة بدر عندما رد أبا لبابة بن المنذر واستعمله على

- ١ - ابن عبد البر، الاستيعاب (١٥٣٣/٤)، ابن الأثير، أسد الغابة (٦٠٦/٣)، ابن حجر، الإصابة (٤٥٦/٤).
- ٢ - ابن سعد، الطبقات (٣٥٢/٢)، ابن عبد البر، الاستيعاب (٦٨٢/٢)، الدرر (١٣٩/٩)، ابن هشام، السيرة النبوية (٥٠/٣). زاد المعاد (١٩٠/٣).
- ٣ - الواقدي، المغازي (٢٩٨)، ابن سعد، الطبقات (٦١/٢)، ابن هشام، السيرة النبوية، قال: استعمل أبا ذر الغفاري، ويقال عثمان (١١٦/٣). حيث اختلف في ولاية أبي ذر المدينة المنورة، والصحيح أنه لم يزل المدينة في عهد النبي ﷺ، لأنه رجع إلى قومه ولم يشهد بدرا ولا أحدا ولا الخندق.
- ٤ - ذكرته بالأمراء على المدينة مع أن ليس منهم، لأن استخلافه عليها ورد في كثير من المصادر.
- ٥ - ابن سعد، الطبقات (٨٤-٥٣/٣)، ابن عبد البر، الاستيعاب (٣٧٩/٣).
- ٦ - ابن هشام، السيرة النبوية (١٨٨/٢)، زاد المعاد (١٧٢/٣).
- ٧ - ابن هشام، السيرة النبوية (٣/٣)، الواقدي، المغازي (١٥٨)، ابن سعد، الطبقات (٣١/٢).
- ٨ - ابن هشام، السيرة النبوية (٥/٣)، ابن سعد، الطبقات (٣٦/٢).
- ٩ - ابن هشام، السيرة النبوية (١٨/٣)، ابن سعد، الطبقات (٣٩/٢).
- ١٠ - ابن هشام، السيرة النبوية (٥٠/٣)، الواقدي، المغازي (١٧٧)، ابن سعد، الطبقات (٤٩/٢).
- ١١ - ابن هشام، السيرة النبوية (١٠٧/٣)، ابن سعد، الطبقات (٥٧/٢).
- ١٢ - ابن هشام، السيرة النبوية (١٢٨/٣)، الواقدي، المغازي (٢٢١)، ابن سعد، الطبقات (٦٦/٢).
- ١٣ - ابن هشام، السيرة النبوية (١٣٨/٣)، الواقدي، المغازي (٣٥٧)، ابن سعد، الطبقات (٧٤/٢).
- ١٤ - ابن هشام، السيرة النبوية (١٧٠/٣)، الواقدي، المغازي (٢٨٣)، ابن سعد، الطبقات (٧٩/٢).
- ١٥ - ابن هشام، السيرة النبوية (١٧٤/٣)، الواقدي، المغازي (١٦٧)، ابن سعد، الطبقات (٨٠/٢)، وخلف معه سعد بن عباد في ثلاثمائة من قومه يحرسون المدينة.
- ١٦ - الواقدي، المغازي (٤٠٥)، ابن سعد، الطبقات (٩٥/٢).
- ١٧ - ابن سعد، الطبقات (١٣٥/٢).
- ١٨ - انظر تفاصيل ذلك: ابن سعد، الطبقات (٢٠٩/٤)، الطبري، التاريخ (٩٦/١)، (٩٧).

المدينة، وهذا يوضح سبب استخلافه على المدينة مع غيره من الأمراء، فكانت مهمته خاصة وهي الصلاة بالناس، وليس أميراً إدارياً.

قال الحلبي في معرض الكلام على تولية ابن أم مكتوم مع سباع بن عرفطة على المدينة: فاستخلاف ابن أم مكتوم إنما كان على الصلاة بالمدينة، دون القضايا والأحكام، فإن الضرير لا يجوز له أن يحكم بين الناس؛ لأنه لا يدرك الأشخاص، ولا يثبت الأعيان، ولا يدري لمن يحكم، ولا على من يحكم، أي فأمر القضايا والأحكام يجوز أن يكون فرضه ﷺ لسباع فلا مخالفة^(١).

فمن عائشة رضي الله عنها: "أن النبي ﷺ استخلف ابن أم مكتوم على المدينة يصلي بالناس"^(٢).

٩- عبد الله بن رواحة:

أمير المدينة المنورة سنة ٤هـ في غزوة بدر الموعد.

استخلفه النبي ﷺ على المدينة في غزوة بدر الموعد في شهر شعبان من السنة الرابعة للهجرة^(٣).

١٠- نميلة بن عبد الله الليثي:

نميلة بن عبد الله بن فقيم بن حزن بن سيار بن عبد الله بن كلب بن عوف بن كعب بن عامر بن ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة الليثي الكلبية^(٤).

استخلفه النبي ﷺ في غزوة بني المصطلق (المريسيع)^(٥) في شعبان سنة ست من الهجرة، واستخلفه يوم الحديبية^(١)، وفي غزوة خيبر^(٢).

^١ - الحلبي، السيرة الحلبية (٤٧٠/٢).

^٢ - ابن حبان، الصحيح، قال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرطهما (٢١٣٤)، أبو داود، السنن، كتاب الصلاة، باب إمامة الأعمى (٥٩٥).

^٣ - ابن سعد، الطبقات (٥٩/٢) ابن عبد البر، الاستيعاب (٦٨٢/٢)، الطبري، التاريخ (٨٨/٢)، الذهبي، تاريخ الإسلام، ذكره عن الواقدي (٢٥١/٢)، الذهبي، سير أعلام النبلاء، (٢٣١/١)، والفرد ابن هشام بقوله: استعمل عبد الله بن عبد الله بن أبي بن سلول، انظر: ابن هشام، السيرة النبوية (١٢١/٣).

^٤ - انظر: ابن عبد البر، الاستيعاب (١٠٣٧/٣)، ابن الأثير، أسد الغابة (٣٧٨/٥)، ابن حجر، الإصابة (٤٧٣/٦).
^٥ - ابن هشام، السيرة النبوية، وقال استعمل أبا ذر الغفاري وقيل: نميلة بن عبد الله (١٧٧/٣)، وذكر ابن سعد أنه استعمل زيد ابن حارثة، انظر: الطبقات (٦٣/٢). السيرة النبوية: ابن كثير (٢٧٩/٣)، وذكر ابن خياط أنه عوف بن الأصبط من بني الدئل تاريخ خليفة (١٤/١).

قلت: اختلف العلماء فيمن استخلف على المدينة في غياب رسول الله ﷺ في غزوة بني المصطلق. وأقوالهم تنحصر في أحد أشخاص أربعة: وهم: زيد بن حارثة بن شراحيل الكلبية، وأبو ذر الغفاري، ونميلة بن عبد الله الليثي، وجعل بن سراقبة الضمري، ولم أجد ما يرجح قول أحد على آخر، إذ هو مجرد قول بدون إسناد. غير أن الأكثر على أن الخليفة أبو ذر، أو نميلة ابن عبد الله الليثي. انظر: الدرر في اختصار المغازي والسير (٢٥٦/١)، الروض الأنف (١٣/٤)، أنساب الأشراف (٣٤٢)، وعيون الأثر (٩٢/٢)، وتاريخ ابن خلدون (٣٣/٢)، زاد المعاد (١٢٥/٢)، شرح المواهب اللدنية (٩٧/٢).

١١ - عوف بن الأضبط الدبلي^(٣):

عوف بن ربيعة، وهو الأضبط، بن أبيير بن نهيك بن جذيمة بن عدي بن الدؤل. أسلم عام الحديبية. هو الذي قالت له خزاعة لما اعتمر رسول الله هل لك إلى أعز بيت بتهامة فقسال رسول الله "لا تفزع نسوة عوف بن الأضبط إنه يأمر بالإسلام".
أمير المدينة المنورة في ذي القعدة سنة ٧هـ.

استخلفه النبي ﷺ على المدينة لما اعتمر عمرة القضاء^(٤).

١٢ - أبو رهم الغفاري^(٥):

كلثوم بن الحصين بن عبيد بن حلف بن قيس ابن أحمس بن غفار بن مقبل بن بكر بن ضمرة بن عبد مناة بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، مشهور باسمه وكنيته.

أسلم بعد قدوم النبي إلى المدينة، شهد بيعة الرضوان، وشهد أحدا فرمي بسهم في نحره فبصق فيه النبي ﷺ فبرأ فسمى المنحور.

أمير المدينة المنورة في فتح مكة في ١٠ رمضان سنة ٨هـ. وحنين والطائف.

واستخلفه النبي ﷺ على المدينة عام الفتح، فلم يزل عليها حتى انصرف رسول الله ﷺ

من الطائف^(٦).

١٣ - محمد بن مسلمة الأوسي الأنصاري:

أمير المدينة المنورة في رجب سنة ٩هـ في غزوة تبوك.

استعمل النبي ﷺ محمد بن مسلمة على المدينة عندما أراد غزو الروم في غزوة

تبوك^(١)

١ - ابن هشام، السيرة النبوية (١٩١/٣)، ابن سيد الناس، عيون الأثر (١١٣/٢)، السهيلي، الروض الأنف (٣٨/٤)، وذكر الواقدي، وابن سعد أنه استعمل ابن أم مكتوم، انظر: طبقات ابن سعد (٩٥/٢)، مغازي الواقدي (٤٧٢)، وذكر البلاذري: أنه استعمل أبا رهم كلثوم بن الحصين. وقال الزرقاني: "يحتمل أنه استخلف نميلة وأبا رهم على المصالح والإمام ابن أم مكتوم". انظر: شرح المواهب اللدنية: الزرقاني (١٨٠/٢).

٢ - انفرد بهذا القول ابن هشام. انظر السيرة النبوية (٢٠٨/٣).

٣ - ابن عبد البر، الاستيعاب (١٢٤/٣)، ابن الأثير، أسد الغابة (٣٣٦/٤) ابن حجر، الإصابة (٧٤٥/٤).

٤ - ابن عبد البر، الاستيعاب (١٢٤/٣)، ابن الأثير، أسد الغابة (٣٣٦/٤) ابن هشام، السيرة النبوية (٣/٤)، ابن كثير، البداية والنهاية، (٢٢٧/٤)، وذكر ابن سعد أنه استعمل أبا رهم الغفاري. الطبقات (١٢٠/٢).

٥ - ابن حجر، الإصابة (١٤١/٧)، ابن الأثير، أسد الغابة (١٢٥/٦) ابن عبد البر، الاستيعاب (١٦٥٩/٤).

٦ - الحاكم، المستدرک طی الصحیحین، کتاب معرفة الصحابة، ذكر أبي رهم الغفاري ﷺ وقال الحاكم: حديث صحيح (٦٥١٦) (٦٥١٧)، ابن هشام، السيرة النبوية، عن ابن إسحاق عن ابن عباس (٢٢/٤)، الطبراني، المعجم الكبير (٩/٨) (٧٢٦٤). وقال الهيثمي: رجاله رجال الصحیح غير ابن إسحاق وقد صرح بالسماع (٠). وذكر ابن سعد أنه استعمل ابن أم مكتوم، الطبقات (١٣٥/٢). قلت: استعمل ابن أم مكتوم للصلاة، وليس للإدارة. والله أعلم.

وفي هذه الغزوة أيضا "خلف رسول الله علي بن أبي طالب، في أهله، وأمره بالإقامة فيهم، فأرجف المنافقون بعلي بن أبي طالب، وقالوا: ما خلفه إلا استقالا له، وتخففا منه، فلما قال ذلك المنافقون، أخذ علي بن أبي طالب سلاحه، ثم خرج حتى أتى رسول الله وهو نازل بالجرف، فقال: يا نبي الله، زعم المنافقون أنك إنما خلفتني أنك استقلتني وتخففت مني، فقال: كذبوا، ولكني إنما خلفتك لما تركت ورائي، فأرجع فاخلفني في أهلي وأهلك"^(٢) وقال له: "أفلا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى؟ إلا أنه ليس نبي بعدي"^(٣).

حيث كان الأمير الحقيقي محمد بن مسلمة، وأما خلافة علي بن أبي طالب في غزوة تبوك خلافة خاصة، قال ابن القيم: "هذه خلافة خاصة على أهله ﷺ، وأما الاستخلاف العام فكان لمحمد بن مسلمة الأنصاري، ويدل على هذا أن المنافقين لما أرجفوا به، وقالوا خلفه استقالا، أخذ سلاحه ثم لحق بالنبي ﷺ"^(٤).

لهذا فقد جعل النبي ﷺ المدينة المنورة قاعدة أمينة للدولة الإسلامية، فكان يوليها عناية كبيرة باعتبارها مركز الدولة الحديثة؛ لهذا كان عندما يخرج منها يستخلف عليها رجلا من المسلمين وكان يختاره من أصحاب الكفاءات العالية، ولم يقتصر الاستخلاف على الغزوات التي كان يخرج بها خارج المدينة، وإنما كان يستخلف في الغزوات التي جرت في المدينة، وهي غزوة الخندق، وبنى النضير، وبنى قريظة، وهذا يدل على حرص النبي ﷺ على أهمية وجود الأمير للجماعة المسلمة الباقية في المدينة، لتولي مهمة إدارة شؤون الدولة، نيابة عن الرسول ﷺ، والتكفل بأمور الناس، وأداء الصلاة بهم في المسجد.

ونلاحظ أن الولاية على المدينة تختلف عن الحواضر والبلدان الجديدة التي دخل أهلها في الإسلام.

فالمدينة مركز الدولة، ومقر القائد الأعلى للدولة رسول الله ﷺ؛ ولذا فإن الولاية على المدينة من قبل غيره، حالة مؤقتة وعرضية، نتيجة لغيابه في بعض الأحيان عنها.

١ - هذا ما اتفق عليه ابن سعد وابن هشام، وقال ابن سعد: هو الثابت عندنا ممن قال استخلف غيره. انظر: ابن هشام، المسيرة النبوية (١٠٠/٤)، ابن سعد، الطبقات (١٦٥/٢)، ابن عبد البر، الاستيعاب (١٣٧٧)، ابن الأثير، أسد الغلبة (١١٦/٥)، ونكر عبد العزيز الدوري عن أبيه: أنه استعمل سباع بن حرفطة، انظر: المسيرة النبوية: ابن هشام (١٠٠/٤). وهذا ما ذكره ابن إسحاق انظر: الطبري، التاريخ، (١٨٣/٢).

٢ - الطبري، التاريخ، (١٨٣/٢) - ابن هشام، المسيرة النبوية (١٠٠/٤، ١٠١) كلاهما عن ابن إسحاق، المسيرة، ابن حبان (٣٦١).

٣ - صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة تبوك (٤١٥٤)، صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب فضائل علي بن أبي طالب (٦٣٧٠).

٤ - انظر: ابن القيم، زاد المعاد (٥٦٠/٣).

أما باقي البلدان والحواضر الجديدة، فقد كانت الولاية عليها إجراء ضروريا يستهدف استحداث مركز جديد، يمارس الإسلام سيادته من خلاله.

لهذا فإن بين الولاية على المدينة، والولاية على غيرها، اختلافا موضوعيا. ولعل ذلك هو السبب في أن كتاب السيرة والمحدثين والمؤرخين، كما هو واضح سابقا، قد أطلقوا على الإمارة على المدينة لفظ "الاستخلاف"، بينما نجدهم عبّروا عن الولاية على البلدان والحواضر الجديدة لفظ "الإمارة" أو "الولاية"، مما يؤكد على أن هنالك بعض الاختلاف بين الأمرين.

وهذا يعني أن المدينة أصبحت ذات شخصية سياسية، وذات سلطة واحدة، ولا يمكن أن يحصل فيها فراغ، أو تعطيل، وهي سلطة رئيس الدولة، ولم يعد لسلطة غير النبي ﷺ وجود، فهو يمارسها بنفسه في حال وجوده، ويمارسها من خلال خليفته في حال غيابه.

كما نلاحظ أن النبي ﷺ لم يقتصر على شخص واحد لإمارة المدينة بل كان يختارهم من عشائر متعددة، فبعضهم من الأنصار وبعضهم من مهاجري قريش، وبعضهم من مهاجري الحجاز، ومنهم عدد من أمراء السرايا والجيوش بالإضافة أن أغلبهم من السابقين للإسلام. ولعله أراد من ذلك تكوين خبرات قيادية وإدارية، عن طريق التجربة، والممارسة الفعلية للسلطة، تحت رقابته المباشرة، من أجل تربية القيادات الواعدة للمجتمع الجديد وللدولة الناشئة.

وكان من مقاصده أيضا اختبار الكفاءات الإدارية والقيادية عندما يختارهم لهذه المهمة السهلة نسبيا، ذات الأجل القصير؛ ليكون على دراية بمواهب الأشخاص وقدراتهم حين تدعو الحاجة إلى تكليفهم بمهام صعبة دقيقة وخطرة.

"ولم تذكر المصادر الأعمال المطلوبة من المستخلفين، أو تحدد صلاحياتهم إبان استخلافهم الذي كان في الغالب قصير المدة، ولم يكن الرسول ﷺ في معظم الأحيان بعيدا عن المدينة.

وكان هذه الصلاحيات كانت مقصورة على رعاية استمرار ما هو قائم، ولا تشمل الإقدام على تأسيس واستحداث عمل، أو إجراء جديد.

وهذا يعني إمامة الصلاة في الجماعة، وحفظ الأموال العامة، وحفظ النظام العام للحياة اليومية في المدينة من قبيل تيسير السلع في السوق، وما يتصل بذلك، ومراقبة الوافدين إلى المدينة، والخارجين منها، فيما يتعلق بالأمن، وتسلي العناصر المشبوهة، وفض النزاعات البسيطة بين السكان.

ولعل النظر في الأمور المهمة والأحكام وغيره كان يؤجل إلى عودة النبي ﷺ من سفره، فتعرض عليه الأمور بعد عودته، حيث كان لا يغيب عن المدينة طويلا^(١).

^١ - انظر: دولة الرسول ﷺ في المدينة: صالح أحمد علي (١٠٨، ١٠٩).

المبحث الخامس

الإمارة على الحج

الحج هو الركن الخامس من أركان الإسلام؛ لهذا كان النبي ﷺ يحرص على إنجازه، ولإنجاح الحج كان لا بد من وجود قائد يبين للناس أمور الحج ويصرهم بها؛ لهذا كان النبي ﷺ يؤمر الأمراء على الحج، فأمر في السنة الثامنة للهجرة عتاب بن أسيد على الحج بصفته أميراً على مكة فحج على ما كان يحج عليه الناس، وأمر في السنة التاسعة أبا بكر الصديق فحج بالناس، فرسخ التوحيد وألغى كل مظاهر الوثنية والشرك.

١ - عتاب بن أسيد أمير الحج في السنة الثامنة للهجرة:

لقد انتهى الشرك من مكة المكرمة، ومن جوار بيت الله الحرام إلى غير رجعة، وذلك بعد فتح مكة.

واكتفى رسول الله ﷺ بعمرة الجعرانة هذا العام بعد توزيع مغام حنين "قلما فرغ رسول الله من عمرته أنصرف راجعاً إلى المدينة، واستخلف عتاب بن أسيد على مكة، وخلف معه معاذ ابن جبل يفقه الناس في الدين، ويعلمهم القرآن، فكانت عمرة رسول الله في ذي القعدة فقدم المدينة في بقية ذي القعدة أو في ذي الحجة، وحج الناس تلك السنة على ما كانت العرب تحج عليه، وحج بالمسلمين في تلك السنة عتاب بن أسيد في سنة ثمان^(١).

فكان عتاب بن أسيد ﷺ أول من أقام للناس الحج من أمراء المسلمين، وحج بالناس تلك السنة على ما كانت عليه العرب في الجاهلية، وبهذا كان أول أمراء الحج^(٢).

٢ - أبو بكر الصديق أمير الحج في السنة التاسعة للهجرة:

في العام التاسع للهجرة بعث النبي ﷺ أبا بكر أميراً على الحج؛ ليقم للمسلمين حجهم، والناس من أهل الشرك على منازلهم من حجهم، فحج أبو بكر في ذي الحجة^(٣). وقد ذكر الواقدي وابن سعد عدد من حج معه فقال: إنهم ثلاثمائة من الصحابة، ومعهم عشرون بدنة^(٤).

١ - الطبري، التاريخ (١٧٧/٢) البيهقي، دلائل النبوة (٢٠٣/٥)، ابن هشام، السيرة النبوية (٩٢/٤)، كلهم من طريق ابن إسحاق.

٢ - الزرقاني، شرح المواهب اللدنية، وقال: هذا ما جزم به الماوردي وابن كثير والطبري (٥٨/٥).

٣ - ابن سعد، الطبقات، بإسناد صحيح إلى مجاهد (١٦٨/٢)، ابن هشام، السيرة النبوية عن ابن إسحاق (١١٩/٤).

٤ - الواقدي، المغازي (٧٠٧)، الطبقات (١٦٨/٢)، وانظر: فتح الباري (١٠٣/٨).

ولما خرج أبو بكر بالناس من المدينة نزلت سورة براءة، فأرسل النبي ﷺ علي بن أبي طالب بصدر سورة براءة؛ ليعلمها على الناس في موسم الحج يوم النحر، وهو العاشر من ذي الحجة وقال النبي ﷺ: " لا يؤدي عني إلا رجل من أهل بيتي" (١).

ولما رأى أبو بكر علياً سألته: "أمير أم مأمور؟ قال: بل مأمور، ثم مضياً، فأقام أبو بكر للناس الحج، والعرب إذ ذاك في تلك السنة على منازلهم من الحج، التي كانوا عليها في الجاهلية، حتى إذا كان يوم النحر، قام علي بن أبي طالب ﷺ، فأذن في الناس بالذي أمره به رسول الله ﷺ، فقال: أيها الناس، إنه لا يدخل الجنة كافر، ولا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان، ومن كان له عند رسول الله ﷺ عهد فهو إلى مدته، وأجل الناس أربعة أشهر من يوم أذن فيهم، ليرجع كل قوم إلى ما منهم أو بلادهم، ثم لا عهد لمشرك ولا نمة إلا أحد كان له عند رسول الله ﷺ عهد إلى مدة، فهو له إلى مدته" (٢).

وقد تضمن صدر سورة براءة مفاصلة مع الوثنية وأتباعها حيث منعت حج المشركين بعد التاسع وأعلنت الحرب عليهم، لكنها أمهلت المعاهدين منهم إلى انتهاء مدتهم، وأمهلت من له عهد إلى أجل غير محدود - أو إلى أجل محدود قد نقضه - أربعة أشهر متتابعة تبتدئ في العاشر من ذي الحجة وتنتهي في نهاية العاشر من ربيع الآخر وأمهل من لا عهد له من المشركين إلى انسلاخ الأشهر الحرم أي خمسين يوماً تنتهي بنهاية محرم، فإذا انتهت مدتهم صاروا في حالة حرب مع المسلمين (٣).

﴿ بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * فَسِيخُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ * وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ فَإِنْ تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابِ أَلِيمٍ ﴾ (٤).

فلم يحضر رسول الله ﷺ الحج هذا الموسم، وأرسل أبا بكر علي رأس الحجيج؛ ليقيم للناس الصورة المشروعة للحج، ويعلن لكل الحجاج أن هذا العام هو نهاية كل طقوس الشرك وتعاليمه، وصوره ومظاهره، إنه منهج تربية وليس منهج إبادة وعقوبة، وبعث رسول الله ﷺ علياً بصدر سورة براءة، ويكل ما فيها من تعليمات وأحكام وقوانين يبلغها ابن عم النبي ﷺ

١ - السنن الكبرى: النسائي (٤٥/٥) رقم (٨١٤٧)، المقدمي، الأحاديث المختارة: وقال إسناده حسن (١٧٢/٦) رقم (٢٢١٧)، ابن هشام، السيرة النبوية عن ابن إسحاق بإسناد حسن (١٢١/٤).

٢ - ابن هشام، السيرة النبوية عن ابن إسحاق بإسناد حسن لكنه من مرسل محمد بن علي الباقري (١٢١/٤)، تفسير الطبري (٦٥/١٠). وللحديث شواهد يتقوى بها.

٣ - الطبري، التفسير (٦٦/١٠).

٤ - سورة التوبة: الآيات (٣-١).

إشارة إلى أهميتها الخالصة، فأمر الحجاج العام أبو بكر الصديق رضي الله عنه له قيادة الحجاج جميعاً، وهو الذي يعلم الناس الصورة الصحيحة لهذه الشعائر نظرياً وعملياً، بينما يقوم علي رضي الله عنه بإبلاغ الحجاج إنهاء كافة أشكال الشرك برجالته وطقوسه وعاداته ومقدساته، ولو كانت مزية لقريش على العرب، فقد ألغيت هذه الامتيازات كافة^(١).

ومع نهاية هذا الحج أصبحت الكعبة صورة لما بنيت له، تمثل التوحيد الخالص البريء من الشرك وجميع مظاهره وأشخاصه، فلا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان^(٢) ولا يسمح بشعائر تتنافى مع الشعائر التي جاء بها إبراهيم عليه السلام لا للحمس^(٣) ولا لغيره.

اختار النبي صلى الله عليه وسلم عتاب بن أسيد أميراً على مكة في السنة الثامنة بصفته أمير مكة الفعلي، واستعمل أبا بكر الصديق على الحج في السنة التاسعة للهجرة بصفته الرجل الثاني في الدولة الإسلامية.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

١ - الغضبان، التربية السياسية (١٣٨/٢، ١٣٩).

٢ - الحمص: جمع أحمص والأحمص: المشند المتصلب في دبله، وهم أهل الحرم من قريش، أو من كانت أمهاتهم من قريش من قبائل العرب، ورأي الحمص هذا ابتدعه قريش جعلت لها حقاً في الحرم ليس لأحد من العرب مثل هذا الحق، ولا مثل منزلتهم، ووضعت قوانين حولت فيه الحج إلى احتكار تجاري كبير. انظر: السيرة النبوية: ابن هشام عن ابن إسحاق (١٦٥/١)، سيرة ابن إسحاق (٩٠/٢)، عمدة القاري (٣/١٠).

الفصل الثالث

الأحاديث الواردة في تعيين الأمراء وانتهاء ولايتهم.

المبحث الأول: أسس اختيار الأمراء.

المطلب الأول: الإسلام.

المطلب الثاني: الكفاءة.

المطلب الثالث: مراعاة صفات خاصة.

المبحث الثاني : الأحاديث الواردة في أساليب تعيين الأمراء وانتهاء ولايتهم.

المطلب الأول: الشفهي أو الكتابي.

المطلب الثاني : الاشتراط في الإمارة.

المطلب الثالث: التفويض والعهد.

المبحث الثالث: الأحاديث الواردة في طرق انتهاء ولاية الأمير.

المطلب الأول: عزل الأمير.

المطلب الثاني: استعفاء الأمير.

المطلب الثالث: الوفاة.

المبحث الأول

أسس اختيار الأمراء

قام الرسول ﷺ بتنظيم جهاز الحكم والإدارة في الدولة الإسلامية حسب متطلبات الأمور واحتياجات الدولة، إذ قسم الأعمال على الأشخاص الذين يختارهم لإشغال الوظائف السياسية والإدارية والعسكرية، وقد كان للنبي ﷺ طريقة نادرة، وأسلوب فذ في اختيار الرجل المناسب للمكان المناسب، وخاصة اختيار الأمراء.

فكان النبي ﷺ يختار أمراءه وفق أسس ومعايير مدروسة، حيث كان يعرف أصحابه معرفة دقيقة مفصلة، وكان يعرف ما يتميز به كل صحابي من مزايا، ويدرّس أحوالهم وقدراتهم، وكان يستثمر طاقاتهم وينتفع بها لمصلحة المجتمع الإسلامي الجديد؛ لهذا يجب أن نتبع منهج النبي ﷺ في اختيار كل من يتولى شؤون المسلمين من قادة وأمراء وولاة وقضاة وعلماء وفقهاء؛ لنجعل النبي ﷺ أسوة لنا حكما ومحكومين في اختيار المسؤولين في شتى المجالات الإدارية والعلمية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية والزراعية والصناعية، ليقود الأمة أفضل أبنائها بعيدا عن الوساطة والقرابة والمحسوبية.

وقد أرشد رسول الله ﷺ الحكام إلى المبادئ التي تراعى في تعيين الولاة والعمال، فعن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: " من استعمل رجلا من عصابة وفي تلك العصابة من هو أرضى لله منه فقد خان الله وخان رسوله وخان المؤمنين"^(١).

فيجب على ولي الأمر أن يولي على كل عمل من أعمال المسلمين أصلح من يجده لذلك العمل، فاختيار الفاسدين يعد من الخيانة لله ولرسوله وللمؤمنين، واختيار المفضول على الفاضل لغير سبب يعد خيانة وخسفاً لله والرسول ولجماعة المسلمين.

يشهد لهذا ما رواه ابن عباس عن النبي ﷺ قال: "من تولى من أمر المسلمين شيئا، فاستعمل عليهم رجلا، وهو يعلم أن فيهم من هو أولى بذلك وأعلم منه بكتاب الله وسنة رسوله، فقد خان الله ورسوله وجميع المؤمنين"^(٢).

١ - الحاكم، المستدرک علی الصحیحین، کتاب الأحکام، وقال هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ولم يتعبه الذهبي. (٧٠٢٣)

٢ - الطبراني، المعجم الكبير (١١/١١٤)، رقم (١١٢١٦)، وقال الهيثمي: رواه الطبراني وفيه أبو محمد الجزري حمزة، ولم أعرفه، وبقية رجاله رجال الصحيح، مجمع الزوائد (٥ / ٢١٢) .:

فقد أنكر النبي ﷺ على الأمة جعل السلطة بيد أحد الناس في حال وجود الأكفأ منه، وعد ذلك من الخيانة لله والرسول والمؤمنين؛ ليربي الأمة على وضع السلطة بيد أهل القدرة والصلاح، ، وقد حرصَ النبي ﷺ على مراعاة ذلك بنفسه، فكان يختار أمراءه وولاته بناء على أسس ومعاييرَ مدروسةٍ، منها ما هي عامة ومنها ما هي خاصة، ومن الأسس العامة التي توخى النبي ﷺ وجودها في الأمراء الإسلام، والبلوغ والعقل، والذكورة، وقد تركت الحديث عن بعض الأسس العامة للعلم بها واشتهارها، وتحدثت عن الإسلام كأساس من الأسس العامة في اختيار الأمراء، وعن الأسس الخاصة الأخرى التي حرص النبي ﷺ على وجودها فيمن يوليه منصب الإمارة، وهذا ما سيظهر إن شاء الله تعالى، من خلال المطالب الآتية:

المطلب الأول

الإسلام

قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾ (١).

بعد الإسلام أهم الأسس التي يجب مراعاتها في تصويب الأمراء والموظفين وأصحاب السلطة وهو الأساس الأول الذي اعتمده النبي ﷺ فيمن يوليه منصب الإمارة، فلم يؤمر على جماعة المسلمين إلا من كان مسلماً ومن أصحاب الإيمان القوي، لأنه لا يحق للكافر أن يتولى أمر المسلمين انطلاقاً من قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾ (٢).

فطاعة أولي الأمر واجبة ما داموا مطيعين لله تعالى وملتزمين لأمره، ولا تتحقق طاعة الله تعالى إلا بالإسلام، فلزم أن يكون الإسلام شرطاً في ولاية أمور المسلمين، ولا يحق للكافر أن يلي أمراً من أمور المسلمين، يشهد لهذا قوله تعالى ﴿ وَكَانَ يَجْعَلُ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴾ (٣).

والناظر في سيرة النبي ﷺ يجد أن أغلب أمرائه ﷺ هم من السابقين إلى الإسلام، وخاصة أمراء السرايا والجيوش، والأمراء الذين استخلفهم على المدينة، فكانوا من أهل العقيدة الراسخة، وكانوا على جانب عظيم من الإيمان العميق، وهم الذين ثبت إخلاصهم لعقيدتهم بشكل حاسم، وثبت التزامهم بها التزاماً قوياً، لذلك كان النبي ﷺ يضع ثقته الكاملة بهم، ويفضلهم على غيرهم من أصحابه في تولي الإمارة.

وبعد اتساع الدولة الإسلامية نجد أن النبي ﷺ كان يشترط الإسلام على الملوك وروساء القبائل؛ ليبقيهم أمراء على ولاياتهم، وذلك بعد السؤال عنهم ودراسة أحوالهم، ومعرفة أهليتهم وكفائتهم لتولي الإمارة.

فكان يرسل الرسائل إلى الملوك يدعوهم فيها للإسلام، ويبين لهم أن من يسلم ويدخل تحت راية الإسلام يبقى أميراً على ما كان عليه، كما فعل مع باذان الفارسي عندما بعث إليه

١ - سورة الأنعام: الأيتان (١٦٣، ١٦٤).

٢ - سورة النساء: الآية (٥٩).

٣ - سورة النساء: الآية (١٤١).

بكتاب وقال له: " إن ديني وسلطاني سيبلغ ما بلغ ملك كسرى، وينتهي إلى منتهى الخف والحافر، إن أسلمت أعطيتك ما تحت يديك، وملكتك على قومك من الأبناء".^(١)

فقد جعل النبي ﷺ إسلام باذان الفارسي شرطاً لتأميره على قومه، وهذا دليل على أن الإسلام يعد أساساً من الأسس التي اعتمدها النبي ﷺ لتولي منصب الإمارة. ويؤكد هذا ما فعله النبي ﷺ مع جيفر وعبد ابني الجلندي، حيث أرسل إليهما رسالة قال فيها: سلام على من اتبع الهدى. أما بعد:

"فإني أدعوكم بدعاية الإسلام، أسلما تسلما، فإني رسول الله إلى الناس كافة لأنذر من كان حيا، ويحق القول على الكافرين، فإتكما إن أقررتما بالإسلام وليتكما، وإن أبيتما أن تقررا بالإسلام فإن ملككما زائل عنكما، وخيلي تحل بساحتكما وتظهر نبوتي على ملككما"^(٢).

فقد جعل النبي ﷺ إسلام ابني الجلندي شرطاً لتأميرهما على ما تحت أيديهما؛ لأن الولاية في الإسلام لا تكون للكافر.

فعندما أراد النبي ﷺ أن يدخل البحرين في حوزة الإسلام بعث كتاباً إلى المنذر بن ساوى ملك البحرين مع العلاء بن الحضرمي دعاه فيه للإسلام، وبين له من خلال هذا الكتاب أنه درس حاله وسأل رسله عنه وعن كفاءته فوجده جديراً أن يكون أحد أمراء النبي ﷺ بعد دخوله في الإسلام كما أورد ابن سعد:

"كتب رسول الله ﷺ إلى المنذر بن ساوى: "أما بعد فإن رملي قد حمدوك، وإنك مهما تصلح أصلح إليك، وأثبك على عملك، وتتصح لله ولرسوله والسلام عليك"^(٣).

يظهر مما سبق أن الإسلام كان أساساً من الأسس التي اعتمدها النبي ﷺ لتولية الأمراء، وتثبيتهم على أعمالهم.

إذ كيف يمكن أن يتولى أمور الناس من لا يقر بالإسلام وتعاليمه، فالأمة التي يتولى الكفار إدارة شؤونها لا بد أن تقع فريسة لأعدائها، لذلك يجب علينا أن نتأسى بالنبي ﷺ ولا نجعل أمر المسلمين بيد الكفرة وأهل الضلال.

^١ - ابن سعد، الطبقات (٢٦٠/١)، الطبري، التاريخ: من طريق محمد بن إسحاق عن يزيد بن أبي حبيب (١٣٥/٢، ١٣٣) ابن هشام، السيرة النبوية، عن الزهري (١/٤٩، ٤٨)، وهو حديث مرسل. وانظر فتح الباري (١٦٠/٨) (٢٥٣/١٣)، صفة القاري (٢٨/٢) (٢٠/٢٥).

^٢ - ابن القيم، زاد المعاد: (٦٩٣/٣). انظر: ابن هشام، السيرة النبوية (١٦٢/٤).

^٣ - ابن سعد، الطبقات، (٢٧٦/١)، انظر فتح الباري (٢٦٢/٦).

المطلب الثاني

الكفاءة

قال الله تعالى: ﴿إِنْ خَيْرٌ مِّنْ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾^(١).

من الأسس التي يجب مراعاتها فيمن يتولى شؤون المسلمين الكفاءة، وهي من الأسس التي اعتمدها النبي ﷺ في اختيار أمرائه؛ لأن الأمير لا يبرز في عمله، ولا يستطيع خدمة مجتمعه، وتأدية واجباته، إلا إذا كان من أصحاب الكفاءات العالية، ولم يخرج النبي ﷺ في جميع أطوار حياته عن القاعدة التي استنها لأمته، وهي اتباع قاعدة الكفاءة في جميع الأمور؛ لهذا نجد أن جميع الأمراء الذين اختارهم النبي ﷺ هم من أصحاب الكفاءات العالية، وأكبر دليل على كفاءتهم هو النجاح الكبير الذي حققوه في جميع الأعمال والمهام المسندة إليهم.

فقد قضى الإسلام على تقاليد الجاهلية، حيث كانوا يختارون ولاتهم على السن، والأنساب والأحساب والعشائر والقبائل، فلما جاء الإسلام جعل التفاضل يخضع إلى الكفاءة.

ولعل الاختيار على الكفاءة كان واضحا في اختيار النبي ﷺ لأمرائه، حيث كان يختارهم لكفاءتهم بعيدا عن التفاضل بالأحساب والأنساب وغيرها.

ومن أسس الكفاءة التي توخى النبي ﷺ وجودها في الأمير:

أولا: الأمانة:

تعدّ الأمانة من الصفات التي توخى النبي ﷺ وجودها فيمن يؤمره على المسلمين، وذلك لما لهذه الصفة من أثر في تحقيق مصالح الأمة وحفظ الحقوق لأصحابها، وتحقيق السعادة والأمن والاستقرار لهم.

يقول محمد رشيد رضا: "من البين الواضح أن الأمم في رفاهتها وسعادتها والشعوب في راحتها وانتظام معيشتها محتاجة إلى دولة قوية عنيدة، وهذه الدولة لا تقوم إلا برجال أمناء أوفياء يلون أعمالها، ويقومون على مصالحها بكل أمانة وإخلاص، فإن تمت أمانة أولئك الرجال، وهم أركان الدولة، استقر أساس الحكم، وبسط ظلال الأمن، ورفع بنيان العز، وأما

^١ - سورة القصص: الآية (١٢٦).

إن خربت أمانتهم، وظهرت خيانتهم؛ فإن بناء السلطة يسقط، ونعمة الأمن تُسلب، وحقوق الرعية تُضيع»^(١).

ويقول القادري: "إن الأمانة من أهم الأسس التي إذا وجدت في ولي الأمر، في أي ولاية صغرت أم كبرت، سعد الناس بولايته، واطمأنوا إلى وصول حقوقهم إليهم، وإذا فقدت شقى الناس بولايته شقاء كاملاً، وإذا ضعفت فيه كان شقاؤهم بمقدار ذلك الضعف"^(٢).

ولما للأمانة من مكانة عظيمة في الحياة عظم شأنها القرآن الكريم كما عظم شأنها الرسول ﷺ في السنة المطهرة، وحث علماء المسلمين عليها وعلى التحذير من ضدها، وهي الخيانة.

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾^(٣).

قال الإمام القرطبي: والأمانة تعم جميع وظائف الدين على الصحيح من الأقوال وهو قول الجمهور^(٤).

وقد حث الله تعالى الإنسان على رعاية الأمانة وحفظها وأدائها، وحذره من إضاعتها بالجهل والظلم، وذلك يستدعي أن يكون الإنسان على علم وبصيرة بأسباب حفظها، فيجب عليه أن يتزود بالعلم حتى لا يضيع الأمانة وهو لا يدري، كما يجب أن يتصف بالعدل، حتى يؤدي الحقوق إلى أهلها، وهذا يخاطب فيه جميع الناس، فمن باب أولى أن يكون الخطاب لولاية الأمور.

وقد أكد الله تعالى فرض أداء الأمانات إلى أهلها، فقال: ﴿ إِنِ الْآلَةُ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾^(٥).

قال الإمام القرطبي: " هذه الآية من أمهات الأحكام تضمنت جميع الدين والشرع" ثم ذكر الخلاف في المراد بالمخاطب بها، ورجح العموم فقال: " والأظهر في الآية أنها عامة في

^١ محمد رشيد رضا، تفسير القرآن الكريم "تفسير المنار": (٥٢/٥).

^٢ - قادري، عبد الله بن أحمد، الكفاءة الإدارية في السياسة الشرعية، دار المجتمع، ١٩٨٦م، (٣٨).

^٣ - سورة الأحزاب: الآية (٧٢).

^٤ - القرطبي، محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين، الجامع لأحكام القرآن: (ت ٧١ هـ).

تحقيق: هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية، طبعة: ١٤٢٣ هـ / ٢٠٠٣ م، (٢٥٣/٥).

انظر: البحر المحيط: محمد بن يوسف الشهير بابي حيان الأندلسي، دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م، ط ١، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود - الشيخ علي محمد معوض (٢٨٩/٣).

^٥ - سورة النساء: الآية (٥٨).

جميع الناس، فهي تتناول الولاية فيما إليهم من الأمانات في قسمة الأموال ورد الظلمات والعدل في الحكومات وتتناول من دونهم " إلى أن قال: " فالآية شاملة بنظمها كل أمانة"^(١).

وذكر علي بن أبي طالب عليه السلام: أن الآية نزلت في الأمراء خاصة^(٢). وجاء في تفسير البحر المحيط أن هذه الآية نزلت في الأمراء، وأن واجبهم أن يؤدوا الأمانة فيما أئتمنهم الله عليه من أمر الرعية^(٣).

وقد عقب الألوسي على هذه الآية: " بأنها خطاب لولاية الأمر أن يقوموا برعاية الرعية، وحملهم على موجب الدين، والشريعة، وعدوا من ذلك تولية المناصب مستحقيها"^(٤) ومما يدل على أهمية الأمانة وكونها من أهم الأسس التي يجب أن تتوفر في ولاة الأمر جعلها مقارنة لصفة الرسالة التي اختص الله بها خيرة خلقه، وهم أنبيأوه ورسله، كما قال الله تعالى على لسان نوح وغيره من الرسل الذين جاؤوا من بعده: ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾^(٥).

وقال تعالى على لسان هود عليه السلام وهو يخاطب قومه مبينا كفاءته لقيانتهم: ﴿أَبْلَغُكُمْ رَسُولَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾^(٦).

يبين الله تعالى في هذه الآية الكريمة أن صفة الأمانة من دواعي قبول دعوة الرسل، وهذا دليل على أهمية الأمانة وضرورة توافرها فيمن يتولى أمور الناس.

وقد أبرز العفريت الذي أراد أن يتشرف بإحضار عرش بلقيس ملكة سبأ لنبي الله سليمان عليه السلام، أن الأمانة من أهم الصفات المؤهلة له للقيام بخدمة سليمان، فقال الله تعالى عنه:

﴿ قَالَ عَفْرَيْتُ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ﴾^(٧) وكما أمر الله تعالى بأداء الأمانة، وجعلها من الصفات الطيبة لمن يتحلى بها من الناس، فإنه حذر من إضاعتها ونهى عن الخيانة نهياً شديداً فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾^(٨). فالتحذير عام في كل من تسولى أمانة من الأمانات ومن ذلك الأمراء والحكام.

١- القرطبي، التفسير: (٢٥٦/٥).

٢- الطبري: التفسير (١٤٤/٥).

٣- انظر: ابن حبان، البحر المحيط، (٢٨٩/٣).

٤- الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله، روح المعاني: (٨٤/٥).

٥- سورة الشعراء: الآية (١٠٧، ١٤٣، ١٦٢).

٦- سورة الأعراف: الآية (٦٨).

٧- سورة النمل: الآية (٣٩).

٨- سورة الأنفال: الآية (٢٧).

"إذا فقدت الأمانة فقدت الثقة بين الناس، وقد الثقة يؤدي إلى الخوف من الخيانة وعدم الاطمئنان إلى صدق المعاملة في الأمور العادية، كالبيع والشراء، فكيف إذا فقدت الأمانة ممن يلي أمور المسلمين ويقضي في أنفسهم وأعراضهم وأموالهم؟ وإذا وجدت الأمانة اطمأن الناس إلى صاحبها وأمنوه على كل شيء في حياتهم، بل إن الأمانة قد تفقد في الناس، فإذا رأى الناس في بعض أفرادها ما يدل على أدنى أثر للأمانة مدحوه وأثنوا عليه بالعقل والجد والظرف، مع فقدته لأصل الإيمان الذي لا أمانة لفاقده إلا إذا تصنعها مضطرا إليها لقضاء حاجات مادية يستفيدها، بخلاف من ثبت الإيمان في قلبه عن علم بهدي الله فإن الأمانة تثبت في قلبه كثبات إيمانه"^(١).

وقد دل على هذه المعاني أيضا حديث حذيفة رضي الله عنه قال: حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثين رأيت أحدهما وأنا أنتظر الآخر: " أن الأمانة نزلت في جدر قلوب الرجال ثم نزل القرآن فعلموا من القرآن وعلموا من السنة " وحدثنا عن رفعها قال: " ينام الرجل النوم فتنقبض الأمانة من قلبه، فيظل أثرها مثل المغل^(٢)، فيظل أثرها مثل الوكت^(٣)، ثم ينام النوم فتنقبض الأمانة من قلبه فيظل أثرها مثل المغل^(٤)، كجمر دخرجته على رجلك فنقط فترأه منتبرا^(٥)، وتوس فيه شدة - ثم أخذ حصي فدخرجته على رجليه - فيصيح الناس يتبايعون لا يكاد أحد يؤدي الأمانة حتى يقال: إن في بني فلان رجلا أمينا ، حتى يقال للرجل ما أجده ما أظرفه ما أعقله وما في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان . وكفذا أتى على زمان وما أبالي أيكم بايغت لنن كان مسلما ليردته على دينه ولكن كان نصرانيا أو يهوديا ليردته على ساعيه وأما اليوم فما كنت لأبائع منكم إلا فلاتا وفلاتا"^(٦).

وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم أن الولاية أمانة يجب أداؤها، كما جاء في حديث أبي ذر الغفاري رضي الله عنه في طلب الإمارة: قال: قلت: يا رسول الله ألا تستعملني؟ قال فضرب بيده على منكبي ثم قال: « يا أبا ذر إنك ضعيف وإنها أمانة وإنها يوم القيامة خزي وندامة إلا من أخذها بحقها وأدى الذي عليه فيها»^(٧).

فقد بين النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث أن الذي يحرص على إشغال منصب الإمارة مع كونه ليس أهلا لإشغال هذا المنصب، فإنه سيجر نفسه الحسرة والندامة يوم القيامة بسبب تقصيره

١ - القادري، الكفاءة الإدارية: (١٣).

٢ - الوكت: أثر الشبه اليسير.

٣ - المغل: تنفط في اليد ونحوها من أثر عمل وغيره. انظر: النووي (١٦٨/٢).

٤ - منتبرا: مرتفعا. انظر: النووي (١٦٨/٢).

٥ - البخاري، كتاب الرقاق، باب رفع الأمانة (٦١٣٢)، كتاب الفتن، باب إذا بقي في حثالة من الناس (٦٦٧٥). مسلم، واللفظ له، كتاب الإيمان، باب رفع الأمانة والإيمان من بعض القلوب وعرض الفتن على القلوب (٣٨٤).

٦ - مسلم، كتاب الإمارة، باب كراهية الإمارة بغير ضرورة رقم (٤٨٧٣).

بالتقيام بأعباء هذا المنصب. فإنه لا يحفظ الأمانة إلا من توفرت فيه الصفات التي تعينه على حملها.

وفي هذا الحديث دلالة واضحة على أن الولاية أمانة عظيمة يجب تقليدها لمن يستحقها، ويكون قادرا على القيام بأعبائها؛ لذلك كان واجبا على من ولي شيئا من أمر المسلمين أن يستعمل في كل موضع أصلح من يقدر عليه، فإن عدل عن الأصلح إلى غيره، لأجل قرابة بينهما أو صداقة، أو موافقة بلد، أو مذهب، أو جنس أو منفعة، فقد خان الله ورسوله والمؤمنين^(١).

وقد أخبر النبي ﷺ أن إضاعة الأمانة من علامات الساعة وأن من أبرز علامات إضاعتها إسناد الأمور إلى غير أهلها، فعن أبي هريرة ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: "إِذَا ضُيِّعَتِ الْأَمَانَةُ فَاتَنْظُرِ السَّاعَةَ". قال: كيف إضاعتها؟ قال: "إِذَا وُضِعَ الْأَمْرُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ، فَاتَنْظُرِ السَّاعَةَ"^(٢).

وهذا الحديث موجه إلى كل ذي سلطان بأن يتقي الله تعالى في الأمانة الملقاة على عاتقه وأن يعمد إلى اختيار الأكفأ والأفضل لمن يرغب في تكليفه بعمل له علاقة بالمصلحة العامة التي يجب على الموظف الإهتمام بها ورعايتها.

وقد كان النبي ﷺ يحرص أشد الحرص على اختيار الأمراء الذين تتوفر فيهم صفة الأمانة؛ لما لهذه الصفة من أثر في تحقيق مصالح الأمة، فعن حذيفة بن اليمان ؓ قال: قال النبي ﷺ لأهل نجران: "لأبعثن عليكم أمينا، حق أمين، فأشرف أصحابه، فبعث أبا عبيدة ؓ"^(٣).
يبين النبي ﷺ في هذا الحديث أن صفة الأمانة كانت من دواعي اختيار أبي عبيدة والبا على أهل نجران.

وقد أتى النبي ﷺ على أبي عبيدة بن الجراح؛ لتميزه بصفة الأمانة، فعن أنس بن مالك ؓ أن النبي ﷺ قال: " إن لكل أمة أمين، وإن أمينا أيتها الأمة أبو عبيدة بن الجراح"^(٤).
الأمانة مفتاح الثقة بين الناس حكاما ومحكومين ودليل الصدق ومبعث الطمأنينة، وهي صفة عملية لا تظهر إلا بالممارسة ولا تعرف إلا عن طريق الآخرين، إذ لا يمكن لأحد أن

١ - روح الأمانة والعدالة في القرآن: عبد الحميد متولي (٦٧)..

٢ - البخاري: كتاب العلم، باب من سئل علما وهو مشغول في حديثه فاتم الحديث ثم أجاب السائل (٥٩)، وكتاب الرقاق، باب رفع الأمانة (٦١٣).

٣ - البخاري: كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب أبي عبيدة بن الجراح (٣٥٣٥)، مسلم، نفس الكتاب والباب (٦٤٠٧).

٤ - البخاري: كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب أبي عبيدة بن الجراح ؓ (٣٥٣٤)، مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل أبي عبيدة بن الجراح رضي الله تعالى عنه (٦٤٠٥).

يدعي بأنه أمين ما لم يؤيده عمله وتعامله مع الناس، فالأمانة صفة تطبيقية يصدقها أو يكذبها العمل.

لهذا لا تظهر أمانة أمراء النبي ﷺ إلا من خلال أفعالهم وتصرفاتهم؛ حيث كانوا يحرصون دائما على إتباع أوامر النبي ﷺ وعدم مخالفة أمره؛ لأنهم عرفوا أهمية الإمارة، وعلموا أن الإمارة أمانة يجب المحافظة عليها، فحفظوها وكانوا عند حسن ظن نبيهم ﷺ بهم، ويقوا على العهد حتى بعد وفاته.

لهذا يجب أن يكون ولي الأمر في وقتنا الحاضر في أي مؤسسة وفي كل مكان وزمان مثلا للاستقامة والأمانة اقتداء بالنبي ﷺ وبأمرائه الكرام، فيتوجب عليهم ألا يكتفوا بالكلام عن الأمانة والاستقامة ولكن عليهم أيضا أن يكونوا على قدر عال من الأمانة والاستقامة، وعليهم أن يودوا ويشددوا على الأمانة على المستوى الشخصي، وعلى المؤسسة كما يجب عليهم أن يقوموا بعمل تصحيحي عندما تحدث انتهاكات، وأن يعملوا على رفع مستوى الأمانة المؤسساتية طول الوقت، وعلى المسؤول أن يعمل دون كلال أو ملل بحيث يدرك كل فرد في المجتمع مدى التزامه بالقيم السائدة في العمل، وعليه أن يقوم فور توليه المسؤولية بالعمل بكل طريقة على إظهار مدى التزامه بالأمانة، إن الأمانة في الجماعات والمؤسسات لا يجوز أن تظل في سبات إلى حين حدوث أزمة، بل إن هذه الصفة يجب أن تكون متصلة ويجب أن نعمل باستمرار على غرسها وترسيخها في النفوس، ويجب أن تلقى الدعم من جميع القادة في جميع المؤسسات، فالأمانة من أهم صفات المسؤول على الإطلاق في كل موقع يعمل فيه^(١).

ثانيا: القوة والقدرة على التنفيذ:

قال الله تعالى: ﴿إِنْ خَيْرَ مَنْ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾^(٢).

من الأسس التي لا غنى عنها في الأمير والقائد أن يكون قويا في الحق ذا إرادة وعزم وإقدام على تنفيذ ما يجب تنفيذه، فلا يكون ضعيفا ولا مترددا فإن الضعيف والمتردد لا يصلحان لتولي الإمارة، لما في ذلك من تفويت الفرص المتاحة وما ينجم عنه من الضرر على الناس. فالقوي يجتاز العقبات، ويحطم المعوقات، ويجتهد في بلوغ الغاية، ما دامت محققة للمصلحة، والضعيف والمتردد يقدم رجلا ويؤخر أخرى حتى تفوت المصلحة أو تهجم المفسدة، لذلك كانت القوة من أهم الأسس التي يجب وجودها في الأمير^(٣).

^١ - انظر: تولى المسؤولية دليل صلي للقادة: بيبي م سميت، ترجمة عبد القادر عثمان (١٢٢).
^٢ - سورة القصص: الآية (١٢٦).

و قد وصف الله تعالى طالوت، وبين سبب اختياره عليهم بزيادته بسطة في العلم والجسم، قال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ ﴾^(٢).

فطالوت في مقام توليته كان يحتاج إلى القوة العلمية والقوة الجسمية، وفي ذلك دليل أنه قوي قادر على القيام بشأن الحرب.

ولما أراد العفرية أن يدلل لنبي الله سليمان عليه السلام على كفايته في القيام بما يسنده إليه من عمل:

﴿ قَالَ عَفْرِيَّةٌ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ﴾^(٣)
فبين لسليمان عليه السلام أنه قوي وأمين، وتعد هاتان الصفتان من أسس الكفاءة التي تزهله؛ ليقوم بالإتيان بعرش ملكة سبا.

وبين الرسول الكريم ﷺ أن المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، كما في حديث أبي هريرة ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: "المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كان كذا وكذا، ولكن قل قدر الله وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان"^(٤).

وإنما كان المؤمن القوي خيرا وأحب إلى الله؛ لوجود مزية فيه على غيره، وهي تلك القوة التي ينفذ بها أوامر الله، وأحوج الناس إلى القوة لتنفيذ أوامر الله هم ولاة الأمر من الأمراء والقادة، الذين أسندت إليهم القيادة، وتم اختيارهم للقيام على أمر الناس. فيجب على ولي الأمر أن يكون قويا وغير متردد في اتخاذ القرار؛ لأن الذي يتردد في الأمور ولا يبيت فيها ولا يتخذ القرار المناسب في وقته يخفق في عمله.

ومن مواقف النبي ﷺ الصارمة في اتخاذ القرار، وعدم التردد فيه موقفه من إمضاء صلح الحديبية مع المشركين الذي كان ظاهره الحيف بالمسلمين؛ لما في شروط الصلح من رجوع الرسول ﷺ وأصحابه عن البيت قبل أداء العمرة، وإرجاع من جاء من المشركين مسلما إليهم، وعدم إرجاع من جاء من المسلمين إلى المشركين، حتى أخذ عمر ؓ يصول ويجول ويراجع أبا بكر ؓ ثم رسول الله ﷺ، ويقول: "يا رسول الله أسنا على حق وهم على باطل؟ قال: « بلى ». قال أليس قتلنا في الجنة وقتلهم في النار؟ قال: « بلى »، قال: فقيم نعطي

^١ - القادري، الكفاءة الإدارية (٢٧).

^٢ - سورة البقرة: الآية (٢٤٧).

^٣ - سورة النمل: الآية (٣٩).

^٤ - مسلم، كتاب القدر، باب في الأمر بالقوة وترك العجز والامتعانة بالله وتفويض المقادير لله (٦٩٤٥).

الدنية في ديننا، ونرجع ولما يحكم الله بيننا وبينهم، فقال رسول الله: « يا ابن الخطاب إني رسول الله ولن يضيعني الله أبدا»^(١).

وكذلك موقفه ﷺ في الخروج إلى أحد حيث كان رأيه أولا عدم الخروج من المدينة، بل يبقى هو وأصحابه بها فإذا هاجمهم المشركون قاتلهم الرجال في الطرقات والنساء من على سطوح المنازل، ثم لما تنازل عن رأيه وعزم على الخروج ندم الذين طلبوا منه الخروج وطلبوا منه البقاء فأبى أن يتنازل بل عزم على الخروج وقال: «ما ينبغي لنبي أن يضع أدواته بعد أن لبسها، حتى يحكم الله بينه وبين عدوه»^(٢).

فمن أخطر الأمور الدالة على ضعف المسؤول كثرة التردد والشك في اتخاذ القرار في وقته المناسب، والإصغاء للمثبط بعد ظهور رجحان الإقدام في الأمر، فإن من تلك حاله يكون محلا لطمع الطامعين وتثييط المثيطين؛ ولذلك قال الله لرسوله ﷺ وهو قدوة أمته: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾^(٣).

فكان النبي ﷺ قويا وغير متردد في اتخاذ القرار؛ وكان يختار أمراءه ممن يتمتعون بالحزم وعدم التردد:

حيث يعد الحزم وعدم التردد أحد صفات القوة، التي ينبغي أن تتوافر فيمن يتولى إمارة المسلمين، ويقصد به: القدرة على البت في الأمور السريعة، عندما يتطلب الموقف ذلك. فالحزم وعدم التردد في اتخاذ القرار ضروري؛ لأن عامل الحسم مهم في الإدارة والحكم، فالمتردد لا يقتصر ضرره على نفسه فحسب، بل يتعدى الضرر لجماعة المسلمين.

وقد شبه العلماء القائد الحازم بالتاجر الحكيم، الذي لا يبذل ماله إلا فيما يعود عليه بالنفع، فقالوا: القائد الحازم كالتاجر الحائق إن رأى ربحا أئجر، وإلا تحفظ برأس ماله، ولا يطلب الغنيمة حتى يحرز السلامة^(٤).

وقد كان أمراء النبي ﷺ يتحلون بالحزم وعدم التردد وخير مثال على ذلك هو موقف أمير عمرو بن العاص ﷺ، عندما خرج أميرا على سرية ذات السلاسل فكان له عدة مواقف تبين أن عدم التردد كان سبب نجاحه في تحقيق أهداف السرية.

^١ - البخاري، أبواب الجزية والموادعة، باب إثم من عاهد ثم غدر (٣٠١١). مسلم، واللفظ له، كتاب الجهاد والسير، باب صلح الحديبية في الحديبية (٤٧٣٣).

^٢ - أبو داود، السنن، كتاب السنة، باب في التخيير بين الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وقال شعيب الأرنؤوط: رجاله ثقات (٤٦٦٨)، الحاكم، المستدرک على الصحيحين، كتاب قسم الفيء، وقال صحيح الإسناد، وتبعه الذهبي، (٢٥٨٨)، فتح الباري (٣/٣٤١)، زاد المعاد (٣/١٩٣).

^٣ - سورة آل عمران: الآية (١٥٩).

^٤ - انظر: ابن الأزرقي، بدائع السلك في طبائع الملك (٢٠٤/١)، سعيد حوى، فصول في الإمرة والامير (٤٤).

قدم رسول الله ﷺ من المهاجرين الأولين وأميرهم أبو عبيدة بن الجراح، قال عمرو: أنا الأمير، وإنما أرسلت إلى رسول الله ﷺ استمده وأمدني بكم، قال المهاجرون: أنت أمير أصحابك وأبو عبيدة أمير المهاجرين، فقال عمرو: إنما أنتم مدد مددت به فأنا الأمير، فلما رأى أبو عبيدة ذلك وكان رجلا حسن الخلق لين الشيمة قال: إن آخر ما عهد إلى رسول الله ﷺ أن قال: " إذا قدمت على عمرو فتطاوعا " ، وإنك والله إن عصيتني لأطيعنك فسلم أبو عبيدة لعمر بن العاص^(١).

وعمر بن العاص رضي الله عنه: " أن رسول الله ﷺ بعثه في ذات السلاسل، فسأله أصحابه أن يوقدوا نارا، فمنعهم، فكلوا أبا بكر فكلمه في ذلك، فقال: لا يوقد أحد منهم نارا إلا كذفته فيها، قال: فلقوا العدو فهزموهم، فأرادوا أن يتبعوهم فمنعهم، فلما انصرف ذلك الجيش نكروا للنبي ﷺ وشكوه إليه، فقال: يا رسول الله إني كرهت أن أذن لهم أن يوقدوا نارا فيرى عدوهم قلتهم وكرهت أن يتبعوهم فيكون لهم مدد فيعطفوا عليهم، فحمد رسول الله ﷺ صنيعه"^(٢).

فعندما أمره النبي ﷺ على سرية ذات السلاسل حدثت ثلاث مشكلات كانت تتطلب علجا سريعا وحاسما، فقابلها أمير السرية بحزم وقوة في إتخاذ القرار حتى استطاع القضاء عليها:

الأولى: مشكلة تعدد القادة، وهذه عالجها بإصراره على أن يكون هو القائد الوحيد للجيش لما تقتضيه مصلحة الجيش خاصة والإسلام وأهله عامة.

الثانية: مشكلة إيقاد النار وقد عالجها بإصراره على رأيه بمنع الجند من تحقيق مطلبهم حتى أنه توعد من أوقد نارا بقذفه فيها، مما جعل الجند لا يفكرون في هذا الأمر مطلقا. رغم وجود البرد القارص وحاجة الناس إلى الدفء، حتى أنه لم يستجب لرأي أبي بكر وعمر؛ لأنه كان صاحب قرار حازم وجريء فلو كان قائدا مترددا لما حقق الانتصار في ذات السلاسل.

الثالثة: مشكلة تتبع قلوب العدو بعد الانتصار عليهم، وقد عالجها بمنعهم من ذلك.

وبتدبير هذه المواقف واستخلاص العبر منها يتبين أن الحزم صفة ضرورية للقائد؛ لكي ينجح في عمله، وبدون التحلي بهذه الصفة ينتج ضرران كبيران هما:

الأول: أن تردد القائد يجعله يفقد ثقته في نفسه، فحين يصدر أمرا يعود فيلغيه ويستمر الأمر هكذا دون أن يستقر على رأي معين. وحينئذ ينهار الجيش؛ لأنه بحاجة إلى رأي سديد وخطة سليمة، وتصرف حكيم، وهذه الأمور مجتمعة لا تتحقق في القائد المتردد.

١ - ابن صباكر، تاريخ دمشق (٢/٢٤١)، ابن كثير، السيرة النبوية (٣/٥١٦)..
٢ - ابن حبان، صحيح ابن حبان، كتاب الجهاد، باب الرأي في الحرب، وقال قال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح (١٦٦٥)، الحاكم، المستدرک علی الصحیحین، من طریق آخر بنحو هذا اللفظ وقال هذا حديث صحيح الإسناد، وتابعه الذهبي (٤٣/٣).

الثاني: أن تردد الأمير أو القائد يفقد ثقة الناس فيه، حيث يجدونه غير مستقر على رأي واحد، وإنما يكون مترددا لا يعرف قرارا يتمسك به ولا يستطيع أن يصدر أمرا واحدا، وإنما تكون أوامره كثيرة يناقض بعضها بعضا^(١).

وهكذا كان النبي ﷺ يختار أمراءه من أهل القوة الحزم، وأصحاب القرار، وكان قوتهم في ذلك، ولعل النجاح الكبير الذي حققه في المهمات الموكلة إليهم خير دليل على وصفهم بالحزم وعدم التردد والقدرة على اتخاذ القرار في الوقت المناسب.

وقد طبق الفاروق عمر بن الخطاب ؓ قاعدة القوة، وكان دائما يقدم الأقوى، فقد ذكر الإمام الطبري: "أن عمر بن الخطاب استعمل عبد الله بن قيس على السواحل، وعزل شرحبيل، فقال له شرحبيل: أعن سخطة عزلتني يا أمير المؤمنين؟ قال: لا، إنك لكما أحب، ولكني أريد رجلا أقوى من رجل. قال: نعم، فاعزرنني في الناس لا تدركني هجنة^(٢) فقام في الناس فقال: أيها الناس، إنني والله ما عزلت شرحبيل عن سخطة، ولكني أردت رجلا أقوى من رجل"^(٣).

فالقوة من الأسس التي لا غنى لولي الأمر عنها، لأن الضعيف لا يستطيع أن ينفذ الحق الذي يدين به، وتنفيذ الحق هو الذي يظهر الحق ويثبتها ويجعل الناس يخضعون له، وليس مجرد الدعوة إليه وإظهاره بالكلام، وكم من ولاة لأمر الناس أساؤوا لدين الله بسبب سعيهم لتولي مناصب لا قدرة لهم على القيام بها، أو قبلوها وهم يعلمون من أنفسهم ذلك؟!^(٤).

ثم إنه لا يكفي توفر صفة الأمانة وحدها في الأمير أو القوة، بل لا بد من التلازم بين القوة والأمانة، فلا بد للأمير أن يكون قويا في الحق لا تأخذه في الله لومة لائم، أمينا على الناس، وأمينا على تنفيذ ما عهد إليه من أوامر، وهاتان الصفتان هما من الصفات التي ذكرهما رب العزة في محكم كتابه.

فأشار القرآن الكريم إلى هذا التلازم، قال عفریت سليمان مدلا على قوته وأمانته في القيام بما يسند إليه من عمل: ﴿قَالَ عَفْرَيْتُ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ﴾^(٥)

١ - انظر: الرشيد، عبد الله محمد، القيادة العسكرية في عهد النبي ﷺ، شركة الرياض، ط٢، ١٩٩٧م. (٣٥٤، ٣٥٤).

ومعارك الإسلام الحاسمة: (٣٩).

٢ - الهجنة من الكلام: ما يعيب. يريد: لنلا ثلوكني السنة الناس.

٣ - الطبري، التاريخ (٩٤٠/٢).

٤ - القلاري، الكفاءة الإدارية: (٣٥).

٥ - سورة النمل: الآية (٣٩).

وقالت ابنة الرجل الصالح صاحب مدين الذي لجأ إليه موسى عليه السلام قبل بعثته،
فارا من بطش فرعون، مبيئة لأبيها قوته وأمانته للقيام بالعمل ﴿ يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنْ
اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ﴾^(١).

حيث جمعت ابنة الرجل الصالح بين صفتي القوة والأمانة في العمل، كما جمع بينها
عفريت سليمان؛ لأن هذه من أهم أسس الاختيار، فكثيراً ما تقتصرن هاتان الصفتان إحداهما
بالأخرى؛ لأن القوة بلا أمانة فجور وطفغان، والأمانة بغير قوة ضعف وخذلان، وكلاهما أمر
غير محمود إذا انفرد، ويمثل سبباً للخروج عن الأسس الصحيحة لعملية الاختيار.

«الْقَوِيُّ غَيْرُ الْأَمِينِ قَدْ تَقْضَى بِهِ قُوَّتُهُ إِلَى الطُّغْيَانِ وَالِاسْتِبْدَادِ، فَانْعِدَامُ الْوِازِعِ الدِّينِيِّ
لَدَيْهِ، وَهُوَ الْعَاصِمُ مِنَ الشُّطُطِ، وَالْوَاقِي مِنَ الْإِتْحِرَافِ بِالسُّلْطَةِ، سَوْفَ يَجْعَلُ مِنْ هَذِهِ الْقُوَّةِ سَوْطَ
عَذَابٍ يَلْهَبُ ظُهُورَ النَّاسِ.

والأمين من غير قوة ضعيف لا سيطرة له على مرووسيه، ولا تأثير له عليهم، ولا قدرة
ولا طاقة له على أداء عمله، فاختياره ضرب من العبث، وآلية لتعطيل شؤون الإمارة التي أمر
عليها، وهذا يلحق الضرر بالأمة المسلمة»^(٢).

ولعل هذا كان السبب المباشر الذي لأجله رفض الرسول ﷺ أن يسند إلى أبي ذر
الغفاري الإمارة حين طلب منه ذلك، فعلى الرغم من قوة تقوى أبي ذر، وبالغ أمانته وورعه إلا
أنه لم تتوفر له القوة اللازمة لشغل منصب الإمارة، وقد بين له النبي ﷺ ذلك بقوله له: «يا أبا
ذر إنك ضعيف وإنها أمانة وإنها يوم القيامة خزي وندامة إلا من أخذها بحقها وأدى الذي
عليه فيها»^(٣).

حيث بين لأبي ذر أنه لا بد لمن يشغل منصب الإمارة أن تتوفر فيه الصفتان معا: القوة
والأمانة، وبين له أن فقدان صفة القوة يؤدي إلى ضياع الأمانة؛ فكان ذلك سبباً في عدم إسناد
أمر الولاية لأبي ذر ﷺ .

فالقوة والأمانة من الأسس التي يجب توافرها في الأمراء وقد أوجز شيخ الإسلام ابن
تيمية رحمه الله الكلام على هذين الأساسين، فقال: «فإن الولاية لها ركنان: القوة والأمانة كما
قال تعالى: ﴿ إِنَّ خَيْرَ مَنْ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ﴾^(٤)، وقال صاحب مصر ليوسف عليه

١ - سورة القصص: الآية (١٢٦).

٢ - مصطفى أبو زيد، القاهرة، فن الحكم في الإسلام، دار الفكر العربي ١٩٩٣م (١١٨).

٣ - مسلم، كتاب الإمارة، باب كراهية الإمارة بغير ضرورة (١٨٢٣).

٤ - سورة القصص: الآية (١٢٦).

السلام ﴿ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴾^(١)، وقال تعالى في صفة جبريل: ﴿ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ
* ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ * مُطَاعٌ ثَمَّ أَمِينٌ ﴾^(٢).

ثم قال: «القوة في كل ولاية بحسبها، فالقوة في إمارة الحرب ترجع إلى شجاعة القلب
وإلى الخبرة بالحروب والمخادعة فيها؛ فإن الحرب خدعة، وإلى القدرة على أنواع القتال: من
رمي وطعن وضرب وركوب وكرّ وفرّ، ونحو ذلك، كما قال تعالى ﴿ وَأَعَدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ
مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ ﴾.

والقوة في الحكم بين الناس ترجع إلى العلم بالعدل الذي دل عليه الكتاب والسنة، وإلى
القدرة على تنفيذ الأحكام.

والأمانة ترجع إلى خشية الله، وألا يشتري بآياته ثمنا قليلا وترك خشية الناس وهذه
الخصال الثلاث التي اتخذها الله على كل حكم على الناس في قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا تَخَضَعُوا لِلنَّاسِ
وَاخْشَوْنَ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾^(٣).

فيرى ابن تيمية أن القوة والأمانة ركنان لا بد من توافرها في كل من يتولى أمرا من
أمور المسلمين، وقد أصاب بهذا القول كبد الحقيقة، إذ كيف يمكن للضعيف العاجز القيام بما
أوكل إليه من المهمات الصعاب التي تحتاج إلى القوة والشجاعة، وكيف لمن لم تتوافر به صفة
الأمانة توفير الأمان لمن تحت يده من أبناء الأمة، فالضعيف يجر الأمة إلى الضعف والاستكانة
والضياع، ويدفع بها إلى سبل الهلاك والندامة.

وقد حرصَ النبي ﷺ على تولية أهل القوة والشجاعة، والمنتبع لسيرتهم في غزوات
النبي ﷺ أو من خلال تأميرهم على السرايا والجيوش والبلدان يجد أنهم أهل لتولي منصب
الإمارة، وأن النبي أحسن اختيارهم، ولعل أكبر دليل على قوتهم وشجاعتهم ما قدموه من
تضحيات بأموالهم وأنفسهم من أجل إعلاء كلمة الله تعالى، فقدموا حياتهم رخيصة في سبيل الله
تعالى وهذا أكبر دليل على قوتهم وإيمانهم العميق بالله سبحانه وتعالى.

ثالثا: العلم والخبرة والبصر بالعمل:

ينبغي لكل من تولى أمرا من أمور الأمة أن يكون ذا علم وبصيرة بالعمل والمهام
المسندة إليه؛ ليقوم بواجبه على النحو المطلوب الذي يحقق السعادة والنجاح لأبناء الأمة، فلا بد
من توفر الكفاية العلمية والخبرة بالأمر المسند إلى الأمير، فالذي لا خبرة له ولا علم بالأمر لا

^١ - سورة يوسف: الآية (٤٧).

^٢ - سورة التكوين: الآيات (٢١-١٩)، وانظر: السياسة الشرعية: ابن تيمية (٢٥).

^٣ - سورة المائدة: الآية ٤٤، وانظر: السياسة الشرعية: ابن تيمية (٢٥).

قدرة له على القيام به، وتكليفه القيام بذلك وإسناده إليه من الظلم له ولكل من له به علاقة، لذلك حرصَ النبي ﷺ على أن يكون من يلي أي أمر من أمور المسلمين على علم به؛ لتكون خطواته سائرة عن علم ودراية مودية إلى الهدف المرسوم؛ لأن الجاهل بالعمل يؤدي جهله به في الغالب إلى إخفاقه في وظيفته؛ لهذا كان العلم مهما في مقام التولية، وبحسب طبيعة المهمة، يشهد لذلك ما روى ابن إسحاق في معرض إسلام تقيف:

" فلما أسلموا، وكتب لهم رسول الله ﷺ كتابا، أمر عليهم عثمان بن أبي العاص، وكان من أحدثهم سنا؛ وذلك أنه كان أحرصهم على التفقه في الإسلام، وتعلم القرآن" (١).

فقد أمر النبي ﷺ عثمان بن أبي العاص على تقيف على الرغم من أنه أصغرهم سنا؛ لما توافر فيه من العلم والحرص على طلبه، فكانت الكفاءة العلمية من دواعي اختيار الأُمراء وتفضيلهم على غيرهم.

وقد جرى عمر الفاروق على سنة الرسول ﷺ في تولية أمراء الجيوش فكان يختارهم من أهل العلم. ذكر الطبري: " إن أمير المؤمنين، كان إذا اجتمع إليه جيش من أهل الإيمان، أمر عليهم رجلا من أهل الفقه والعلم" (٢).

ومن النصوص التي تدل على ضرورة وجود العلم والخبرة فيمن يلي أمور المسلمين، قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَدَّعَوْا بِهٖ وَكُوِّرَتْهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَ الَّذِينَ يُسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْكَأَ فَضَّلَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبِعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا ۝ ﴾ (٣).

حيث دلت الآية على أن عامة الناس، إذا نقل إليهم خبر أمر من الأمور الخطيرة، سواء تعلق بالأمن أو الخوف، فإنه لا ينبغي لهم أن يذيعوا الخبر قبل أن يعودوا إلى ولاة أمورهم، وعلى رأسهم الرسول ﷺ عندما كان حيا، لأن ولاة الأمر عندهم مقدرة على دراسة ذلك الأمر ومعرفة حقيقته عن طريق ذوي الخبرة به، فهم الذين يستطيعون أن يستنبطوا حكمه وهل الفائدة في إذاعته أو في كتمانها؟ فولاة الأمر لا بد أن يكونوا خبراء بما يتولونه، ولا يشترط أن يكون كلهم خبراء في كل أمر، بل قد يكون بعضهم ذا خبرة في شأن من شؤونهم وبعضهم فسي شأن آخر فيتشاورون ويتفقون على رأي بعد دراسته (٤).

١ - ابن هشام، السيرة النبوية (١١٧/٤)، زاد المعاد (٣/٥٠٠)، جوامع السيرة (١/٢٥٧).

٢ - الطبري، التاريخ: (٤/٥٥٧).

٣ - سورة النساء: الآية (٨٣).

٤ - انظر: الطبري، التفسير (٨/١٨٠) وما بعدها.

ولما طلب بنو إسرائيل بعد نبينهم موسى عليه الصلاة والسلام من أحد أنبيائهم أن يسولي عليهم ملكا يقودهم لقتال أعدائهم فأخبرهم بأن الله اختار لهم طالوت، وبين لهم أن سبب اختياره عليهم هو أنه مؤهل بالقوة الجسمية والعلم.

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ﴾^(١).

فولي الأمر الجاهل بما أسند إليه يكون محلا لازدراء الناس له واحتقارهم إياه، لأن الغالب على تصرفات الجاهل أن تكون غير سديدة، هذا بالإضافة إلى الضرر الذي يصيب الناس من تصرفاته الناشئة عن جهله^(٢).

قال الزمخشري: "وذلك أن الملك لا بد أن يكون من أهل العلم، فإن الجاهل مزدرى غير منتفع به"^(٣).

وقال محمد بن علي بن الأزرق: "السلطان أحوج الخلق إلى العلم لوجهين: أحدهما: إن افتقاره إليه في الأحكام تحوجه إلى المعرفة بها؛ ليكون على بصيرة في تنفيذ الفصل فيها وإلزام الوقوف عند حدودها.

الثاني: إن تحليته بالعلم من أعظم ما يتحجب به إلى الرعية؛ لما رسخ في النفس على الجملة من فضيلة العلم، ومحبة من انتسب إليه، وإذا عري منه أو فرط في العمل بمقتضى السؤال عنه، أخل بالسريرة الفاضلة، فينفرون، ويستوحشون منه"^(٤).

ومن الأمور المهمة والصفات الواجب توفرها في الأمير الخبرة والبصر بالعمل وقد كان النبي ﷺ يختار أمراءه ويفاضل بينهم حسب الخبرة والبصر بالعمل، فيستعمل قوما، ويدع أفضل منهم لأنهم أبصر وأكثر خبرة بالعمل الموكل إليهم من غيرهم ومن النصوص التي تشهد لذلك: قوله ﷺ: "إني لأؤمّر الرجل على القوم فيهم من هو خير منه لأنه أيقظ عينا وأبصر بالحرب"^(٥).

وقال رسول الله ﷺ: "إني لأستعمل الرجل وغيره أحب إلي منه لأنه أيقظ عينا، وأشد مكيدة"^(٦).

وقال ﷺ: "إني لأبعث الرجل وأدع من هو أحب إلي منه، ولكنه لعله أن يكون أيقظ عينا وأشد سفرا - أو قال مكيدة"^(٧).

١ - سورة البقرة: الآية (٢٤٧).

٢ - انظر: القلاري، الكفاية الإدارية (٢٣).

٣ - انظر: الزمخشري، الكشاف (٣٢٠/١)، الماوردي، النكت والعيون (٣١٦).

٤ - ابن الأزرق، بدائع السلك في طبائع الملك (٤٢٦/١).

٥ - الأبيهي، دلائل النبوة (٤٠٠/٤)، الشامي، سبل الهدى والرشاد (١٧٢/٦).

٦ - سنن سعيد بن منصور (٢٧٩/٢)، إسناده ضعيف لإرساله.

٧ - عبد الرزاق، المصنف (٢٢٢/١١) (٢٠٦٥٨). إسناده مرسل.

فكان للنبي ﷺ أسلوب فذ في اختيار الرجال ، حيث يفاضل بين أصحابه ويختار أمراءه من أهل الخبرة والبصر بالعمل.

فالتجربة والخبرة من الصفات المهمة الواجب وجودها في الأمير، قال ابن قدامة: "ويؤمر في كل ناحية أميراً، يكون ممن له رأي وعقل ونجدة، وبصر بالعمل، ومكابدة العدو"^(١). وتتجلى هذه المعاني في إيثار النبي ﷺ لعمر بن العاص، وخالد بن الوليد في إسناد القيادة لهما دون الصحابة الأكثر منهما تقى وعلماً بالدين كأبي بكر وعمر وعلي وغيرهم. وسبب ذلك أنهما من أدهى المسلمين وأكثرهم خبرة بالحرب وأساليب القتال.

فعن عبد الله بن بريدة عن أبيه رضي الله عنهما، قال: "بعث رسول الله ﷺ عمرو بن العاص في غزوة ذات السلاسل وفيهم أبو بكر وعمر رضي الله عنهما، فلما انتهوا إلى مكان الحرب أمرهم عمرو أن لا ينوروا نارا فغضب عمر وهم أن ينال منه، فنهاه أبو بكر ﷺ، و أخبره أنه لم يستعمله رسول الله ﷺ عليك إلا لعلمه بالحرب، فهذا عنه عمر ﷺ"^(٢).

فقد أمر النبي ﷺ عمرو بن العاص على أبي بكر وعمر على الرغم من جلالته قدرهما وعلو منزلتهما لأنه أكثر علما وخبرة في شؤون الحرب منهما.

وقد فهم أبو بكر الصديق ﷺ منهج النبي ﷺ في الاختيار، ووضع هذا الأمر لعمر بن الخطاب ﷺ، حيث بين له أن النبي ﷺ قدم عمرو بن العاص عليهما لخبرته بالحرب ولبصره بالعمل.

وقد استدل ابن حجر في هذا الحديث على جواز تأمير المفضل على الفاضل إذا امتاز المفضل بصفة تتعلق بتلك الولاية، وفيه منقبة لعمر بن العاص، حيث ولاء قيادة جيش فيه: أبو بكر وعمر رضي الله عنهما وهذا لا يقتضي أفضليته عليهما، لكن له الفضل عليهما في الخبرة العسكرية والبصر بشؤون الحرب^(٣).

وهذا لا يعني أن يكون العامل غير متصف بالقوة والأمانة والعلم والكفاية وغيرها من الصفات التي يستلزمها منطوق الاختيار، وإنما يقع التفاضل بين الصفات، ويكون الرجحان لما سماه النبي ﷺ "البصر بالعمل".

"وهذه القاعدة التي وضعها النبي ﷺ ما زالت متبعة حتى اليوم، في أرقى الدول، ذلك بأن المتدين الورع الخلق، إذا لم تكن له بصيرة في شؤون الحكم، قد يكون عرضة لخديعة

١ - المغني: ابن قدامة، (٢٠٢/٩). تحقيق محمود عبد الوهاب وعبد القادر أحمد عطا، مكتبة القاهرة، ط١١٣٨هـ.
٢ - الحاكم، المستدرک علی الصحیحین، المغازی والمترایا (٤٢٥٧) وقال صحیح الإسناد ولم یخرجاه، وقال الذہبی صحیح السنن الکبری : البیهقی (٤١/٩) ، وذكره ابن حجر في فتح الباری (٧٥/٨).
٣ - ابن حجر، فتح الباری: (٧٤/٨).

أصحاب الأهواء والمضللين. أما المحنك المجرب، فإنه يعرف من النظرة السريعة، معاني الألفاظ وما وراء معاني الألفاظ^(١).

وقد عرف أصحاب النبي ﷺ أهمية وجود الخبرة والبصر بالعمل عند الأمير، فهذا ثابت ابن الأكرم يقدم خالد بن الوليد على نفسه؛ لخبرته ولبصره بالعمل في غزوة مؤتة. قال ثابت بن الأكرم لخالد بن الوليد رضي الله عنهما: "أنت أعلم بالحرب مني"^(٢).

قال ابن قدامة: "ويؤمر من كل ناحية أميراً يقلده أمر الحروب، ويكون ممن له رأي وعقل ونجدة، ويصر بالحرب، ومكابدة العدو"^(٣).

ولا بد من الإشارة هنا إلى أن النبي ﷺ كان يستعمل أكثر من طريقة يفاضل بها بين أصحابه في الاختيار:

فكان يجري اختباراً لبعض الأمراء من خلال طرح الأسئلة، كما فعل مع معاذ بن جبل عندما بعثه على اليمن. فقبل مغادرته، أراد النبي ﷺ أن يختبر أهليته لهذه المهمة على الرغم من ثقته به، فعن معاذ رضي الله عنه قال: "لما بعثني رسول الله ﷺ إلى اليمن قال لي: "كيف تقضي إذا عرض لك قضاء؟" قلت: أكضي بكتاب الله. قال: "فإن لم تجد في كتاب الله؟" قلت: أقضي بما قضى به رسول الله ﷺ قال: "فإن لم يكن فيما قضى به الرسول؟" قلت: أجتهد رأيي ولا آلو، فضرب رسول الله ﷺ صدره وقال الحمد لله الذي وفق رسول الله لما يرضي رسول الله"^(٤).

ومن الطرق التي استخدمها النبي ﷺ في التفاضل بين الأمراء: إثبات الجدارة من خلال حسن التصرف في موقف معين، وهذا ما يمكن أن نطلق عليه اختبار الموقف، كما فعل في اختيار سعد بن أبي وقاص على سرية الخرار، فقد أبلى سعد في سرية عبيدة بن الحارث إلى رابع التي سبقت سرية الخرار بلاء حسناً، وكان أول من رمى سهماً في الإسلام وحقق فيها نجاحاً ملموساً، فلما علم النبي ﷺ بموقفه هذا وجده جديراً بأن يكون أميراً لإحدى السرايا فاختره لكفأته وحسن موقفه في هذه السرية.

١ - ظافر القاسمي، نظام الحكم في الشريعة والتاريخ الإسلامي (٤٤٢/١).
٢ - الذهبي، سير أعلام النبلاء: (٣٠٨/١). تحقيق شعيب الأرنؤوط، محمد نعيم العرقسوسي، ط ١٣١٤، ١٩٩٠، بيروت، مؤسسة الرسالة، (٣٠٨/١).
٣ - المغني: ابن قدامة، (٢٠٢/٩).
٤ - الدارمي، السنن، المقدمة، باب الفتيا وما فيه من الشدة، أبو داود، المنن، كتاب الأفضية، باب اجتهاد الراي في القضاء (٣٥٩٢). قال الألباني: ضعيف، وقال حسين سليم أسد: إسناده معضل.

وقد اختار النبي ﷺ خالد بن الوليد وعمرو بن العاص، وأمرهما على أكثر من سرية بعد أن رأى قدرتهما على القيادة من خلال مواقفهما قبل الإسلام وبعد الإسلام، فوظفهما النبي ﷺ لصالح المسلمين.

فعن عمرو بن العاص قال: "ما عدل بي رسول الله ﷺ وبخالد بن الوليد أحدا من أصحابه في حربه منذ أسلمنا"^(١).

ووقع الاختيار على كرز بن جابر وأمره النبي ﷺ على سرية لمطاردة المفسدين من الأعراب، حيث خبره النبي ﷺ قبل الإسلام عندما هاجم سرح المدينة في بدر عندما كان كافرا، فاستثمر النبي ﷺ هذه الصفة "المطاردة" التي تميز بها قبل الإسلام لصالح المسلمين، فقد خبرها النبي ﷺ فيه وهو كافر.

١ - الحاكم، المستدرک علی الصحیحین، ذکر مناقب عمرو بن العاص (٥٩١٧).

المطلب الثالث

مراعاة صفات خاصة

هناك مجموعة من الصفات التي كان يراعيها النبي ﷺ ويأخذها بعين الاعتبار عند اختيار أمرائه أو المفاضلة بينهم، وكانت مراعاته لهذه الصفات حسب الشخص وحسب طبيعة الناس، وحسب المهمة المطلوبة منهم.

أولاً: مراعاة التخصص

كان النبي ﷺ يفاضل بين أصحابه في التخصصات، وإن كانت المفاضلة لا تسدل على الأفضلية المطلقة للشخص على غيره في كل شيء، بل مفاضلة مقيدة بالتخصصات الفطرية أو المكتسبة؛ ليستفيد الناس من تلك التخصصات.

ويعلن الرسول ﷺ وثيقة تخصص الصحابة رضوان الله عليهم في قوله: "أرحم أمتي بأمتي أبو بكر، وأشدهم في أمر الله عمر، وأصدقهم حياء عثمان، وأقرؤهم لكتاب الله أبي بن كعب، وأفرضهم زيد بن ثابت، وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل، ألا وإن لكل أمة أميناً ألا وإن أمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح"^(١).

حيث كان النبي ﷺ يدرس أحوال أصحابه، ويعرف طبائعهم وقابلياتهم وتخصصاتهم، ثم يختار أمراءه حسب طبيعة المهمة المطلوبة.

فكان رسول ﷺ وهو ولي أمر المسلمين يحدد لأمرائه وعماله وظائفهم العامة والخاصة، وكان يبين لأمير الجماعة ما يجب عليه أن يفعل ويبين له اختصاصه.

بعث مع معاذ بن جبل أبا موسى الأشعري إلى اليمن، فجعل كل واحد منهما على خلاف، أحدهما من اختصاص معاذ بن جبل، والآخر من اختصاص أبي موسى الأشعري.

فمن أبي بردة قال بعث رسول الله ﷺ أبا موسى ومعاذ بن جبل إلى اليمن، قال: وبعث كل واحد منهما على خلاف قال: واليمن مخرقان، ثم قال: "يسرا ولا تصرا وبشرا ولا تنفرا" فانطلق كل واحد منهما إلى عمله وكان كل واحد منهما إذا سار في أرضه وكان قريباً من صاحبه أحدث به عهداً فسلم عليه^(٢).

١ - الترمذي، المنز، باب مناقب معاذ بن جبل وزيد بن ثابت وأبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنهم (٣٧٩١)، وقال حميد صحيح النسائي، المنز الكبرى، كتاب المناقب، أبي بن كعب (٨٢٤٢)، الأحاديث المختارة، وقال إسناده صحيح. (٢٢٦/٦) (٢٢٤٠).

٢ - البخاري، كتاب المغازي، باب بعث أبي موسى ومعاذ بن جبل رضي الله عنهما إلى اليمن قبل حجة الوداع (٤٠٨٦).

ففي هذا نجد أن النبي ﷺ جعل لكل واحد اختصاصاً، فكان اختصاص معاذ في النجود وما تعالى من بلاد اليمن، وعمل أبي موسى في التهام وما انخفض منها^(١).

ولما بعث الرسول ﷺ أبا بكر ﷺ أميراً للحج في السنة التاسعة من الهجرة، ثم أرفه بعلي ﷺ ليتلو على الناس سورة براءة، فلما لحق علي ﷺ بأبي بكر قال له أبو بكر: أمير أم رسول؟ قال: لا، بل رسول، أرسلني رسول الله ﷺ ببراءة أقرؤها على الناس في مواقف الحج^(٢).

فكان أبو بكر أمير الحج يعلم الناس مناسك الحج وكان علي بن أبي طالب يقرأ على الناس سورة براءة، فكل واحد له اختصاص، فلم يتجاوز أحدهما ما حده له الرسول ﷺ من العمل، بل التزم كل منهما بعمله.

وكان النبي ﷺ عندما يبعث أميراً على جيش أو سرية يختاره حسب اختصاصه، ويحدد له عمله، وأحياناً يرسم لهم خطة المعركة.

ففي غزوة أحد أمر النبي ﷺ عبد الله بن جبير على الرماة؛ لأنه كان من الرماة المشهورين، وأمر عبد الله بن عتيك على سرية لقتل سلام بن أبي الحقيق اليهودي لأنه كان يتقن العبرية بطلاقة لغة اليهود^(٣)، وأمر المنذر بن عمرو الساعدي على سرية القراء "بئر معونة" لأن طبيعة المهمة دعوية، وكان عمرو يكتب العربية قبل الإسلام^(٤) وكان من علماء الصحابة فتناسب تخصصه مع طبيعة هذه السرية.

وقد سار على هذا المنهج الخلفاء الراشدون فهذا عمر بن الخطاب ﷺ حينما ولي سعد ابن أبي وقاص جيش المسلمين إلى الفرس أرسل إليه رسالة يشير فيها إلى احترام التخصص في إسناد الأعمال بقوله: شاور طلحة الأسدي، وعمرو بن معد يكرب في أمر حريك، ولا تولهما من الأمر شيئاً، فإن كل صانع هو أعلم بصنعتة^(٥).

ثانياً: مراعاة البيئات:

قال ابن الأثير: "إن النبي ﷺ كان يقصد ألا يأمر في قبيلة بأمر إلا لرجل منها؛ لنفور طباع العرب من أن يحكم في القبيلة أحد من غيرها، فكان يتألفهم بذلك"^(٦).

١ - انظر: ابن حجر، فتح الباري (٦١/٨).

٢ - صحيح ابن حبان، ذكر وصف قراءة علي ﷺ سورة براءة على الناس (٦٦٤٥)، النسائي، السنن الكبرى، (٤١٦/٢)، (١٢٩/٥).

٣ - الواقدي، المغازي (٢٩١)، ابن حجر، الإصطبة (١٦٧/٤)، ابن عبد البر، الاستيعاب (٩٤٧/٣).

٤ - ابن سعد، الطبقات (٥٥٥/٣)، ابن عبد البر، الاستيعاب (٤٥٥/١)، ابن الأثير، أسد الغابة (٤١٨/٤).

٥ - مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، بيروت، دار الكتاب العربي، ط١، (١٤٣).

٦ - ابن الأثير، أسد الغابة (٢٠٤/١).

حيث كان النبي ﷺ يراعي في الأمير أن يكون من أهل القبيلة أو البلد الذي يؤمره عليه، فكان لا يؤمر أهل الوبر على أهل الحضرة^(١)، ولا أهل الحضرة على أهل الوبر، أي أنه لا يستعمل أعرابيا من أهل البادية على عربي من أهل المدينة، ولا العكس؛ "لهذا أمر على الطائف عثمان بن أبي العاص، ومالك بن عوف النضري، عثمان على أهل المدر، ومالك على أهل الوبر أعجاز هوازن"^(٢).

وقد أمر النبي ﷺ عيينة بن حصن على جماعة من الأعراب من أهل غطفان لأنه كان سيد غطفان؛ مسموع الكلمة في قومه، مهيب الجانب من القبائل كافة، يعرفون له مكانته وفضله^(٣).

وقد ولي ابن أبي العوجاء السلمي على سرية الدعوة إلى قومه بني سليم، لأنه أعرف بهم وبمداخلهم ومخارجهم، وأعرف بهم من غيره؛ لأنه منهم وإليهم، وهم قومه ويعرفونه ويستجيبون له أكثر مما يستجيبون لغيره^(٤).

وهذا ما فعله النبي في الأمراء الذين أمرهم على بلدانهم، فأمر بإذان الفارسي على اليمن؛ لأنه كان واليا عليها تحت إمرة الفرس فأبقاه النبي ﷺ؛ لأنه يعرف كيف يسوسهم، وهذا ما فعله مع المنذر بن ساوى عندما ولاه على بلده البحرين، وأمر عتاب بن أسيد على أهل مكة فهو ابن مكة وأعرف بأهل مكة من غيره، بالإضافة إلى الأسباب الأخرى التي قدمته على غيره ليكون أميراً على أهل مكة وغيرهم.

فكان النبي ﷺ يعين رئيس القبيلة عليها على الأغلب؛ مراعاة للنظم الاجتماعية في ذلك الوقت، وليوقروا في الصدور، وتكون لهم الهيئة في صدور الناس^(٥). فعندما بعث كتابه إلى بني جنبه "أهل مقنا"^(٦)، قال لهم: "وإن ليس عليكم أمير إلا من أنفسكم"^(٧).

ولا بد من الإشارة إلى أن مراعاة النبي ﷺ للبيئات عند الاختيار كان على الغالب، وفي بداية دخول الدعوة على البلدان والقبائل، ولكن بعد العام التاسع للهجرة قد تستثنى هذه القاعدة في الاختيار كما فعل عندما اختار معاذ بن جبل على اليمن وهو ليس من أهلها، وخاصة أن معاذاً كانت معه صفات أخرى تؤهله لإمارة أحد مخاليف اليمن.

١ - أهل الوبر هم ساكنو الخيام، وأهل المدر هم ساكنو المدن.

٢ - انظر: الطبري، التاريخ (٢٩٣/٢).

٣ - راجع سرية عيينة، الرسالة نفسها (٩٤)، خطاب، قادة الرسول: (١٥).

٤ - راجع سرية ابن أبي العوجاء، الرسالة نفسها ص ٧٩.

٥ - محمد كرد علي، الإسلام والحضارة العربية: (٩٦/٢).

٦ - مقنا: قرب أيلة، وهي مدينة على ساحل بحر القلزم مما يلي الشام. انظر معجم البلدان (١١/٢).

٧ - ابن سعد، الطبقات (٢٧٧/١).

وقد تبع عمر بن الخطاب نفس المنهج في تعيين الأمراء، فكان ينظر إلى بعض الخصائص والطباع والعادات والأعراف، فلقد عرف عنه أنه كان ينهى عن استعمال رجل من أهل الوبر على أهل المدر^(١).

وهذه نظرة اجتماعية سلوكية في آن واحد، فلكل من أهل الوبر والمدر طبائع وخصائص وأخلاق وعادات وأعراف مختلفة، ومن الطبيعي أن يكون الأمير عارفا للرعية بنفسه، وليس من العدل أن تولي رجلا جاهلا بها، فقد يرى المعروف منكرا، وقد يرى الطبيعي غريبا؛ فيؤدي ذلك إلى غير ما يتوخاه المجتمع من أهداف يسعى إلى تحقيقها^(٢).

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

١ - انظر: الطبري، التاريخ (٥٩٥/٣).
٢ - انظر: القاسمي، نظام الحكم في الشريعة والقانون: (٤٨٢، ٤٨٣/١).

المبحث الثاني

الأحاديث الواردة في أساليب تعيين الأمراء

تعددت أساليب النبي ﷺ في تعيين الأمراء، وتتوعدت حسب طبيعة المهمة، ونوع الإمارة المطلوبة، وكانت هذه الأساليب والوسائل تناسب طبيعة البيئة الإسلامية آنذاك وحسب تطور مراحلها، ونستطيع أن نبين المنهج النبوي في أساليب وأشكال التأمير من خلال ما يأتي:

المطلب الأول

الشفهي أو الكتابي

النبي ﷺ هو صاحب السلطة الوحيد الذي بيده تقدير الأسلوب الملائم لقرار تولية الأمير، وقد كان النبي ﷺ يختار قرار التولية حسب مكان التولية وطبيعة المهمة، وقد اتخذ أسلوب التعيين شكلين هما:

أولاً: الشفهي:

كان النبي ﷺ يستخدم الأسلوب الشفوي المباشر إذا كان الأمير قريباً منه في المكان نفسه، ففي هذه الحالة يصدر قرار التأمير مشافهة؛ لهذا نجد أن التأمير على السرايا والجيوش والحج والاستخلاف على بعض البلدان القريبة كان شفاهة^(١)؛ لوجود الأمير والناس في مكان التولية، فكان يستخدم عبارات صريحة في التأمير كأن يقول مثلاً: قد أمرتكم، أو استعملتكم، أو وليتكم، أو استخلفتكم، ونحوها

ومن المواقف التي استخدم فيها النبي ﷺ هذا الشكل، ما فعله مع أبي سلمة عندما أمره على سرية إلى بني أسد: قال له: " اخرج في هذه السرية، فقد استعملتكم عليها ". وعقد له لواء، وقال: " سر حتى ترد أرض بني أسد " (٢) .

فقد استخدم النبي ﷺ في تأمير أبي سلمة الأسلوب الشفهي، وقال له استعملتكم مباشرة دون كتابة؛ وذلك لقرب أبي سلمة من النبي ﷺ ووجوده في الحاضرة الإسلامية، فكانت وسيلة الاتصال هي التكليف المباشر له.

١ - وقد ذكر بعض الفقهاء أن القرار إذا صدر عن الحاكم أو خليفة المسلمين لا بد أن يصدر بحضور بعض رجال الدولة ليكونوا شهوداً عليه، فتحل شهادتهم في إثبات التولية محل الكتابة. انظر: برهان الدين بن فرحون، تبصرة الحكام في أصول الأقضية ومناهج الأحكام: (٢١).

٢ - سبق تخريجه، ص ٤٥ .

ولما أمر النبي ﷺ أسامة بن زيد قال له: " يا أسامة، سر على اسم الله وبركته حتى تنتهي إلى مقتل أبيك، فأوطنهم الخيل، فقد وليتك على هذا الجيش، فأغر صباحاً على أهل ابني وحرق عليهم، وأسرع السير تسبق الخير، فإن أظفرك الله فأقتل الثبث فيهم، وخذ معك الأدلاء، وقدم العيون أمامك والطلائع" (١).

فهنا نلاحظ أن النبي ﷺ قد قال لأسامة وليتك بأسلوب شفهي مباشر؛ لقربه منه وتمكنه من مخاطبته دون الحاجة إلى الكتابة.

وعندما دخل عثمان بن أبي العاص على النبي ﷺ، وقال له: يا رسول الله، ادع الله أن يفقهني في الدين، ويعلمني. فقال له رسول الله ﷺ: "ماذا قلت؟" فأعاد عليه القول، فقال: "لقد سألتني شيئاً ما سألتني عنه أحد من أصحابك، اذهب فأنت أمير عليهم، وعلى من تقدم عليه من قومك" (٢).

ومن الأساليب الشفهية في تعيين الأمراء سؤال النبي ﷺ عمن يرغب في الإمارة، فيؤمره إذا كان مناسباً للمهمة المطلوبة، كما فعل عندما أمر عيينة بن حصن على سرية إلى بني تميم لما منعوا صدقات أموالهم فقال النبي ﷺ: "من لهؤلاء القوم الذين فعلوا ما فعلوا؟" (٣). فانتدب عيينة نفسه فأمره النبي ﷺ على السرية.

ومن المشافهة في تعيين الأمراء انتداب النبي لبعض أصحابه، وتكليفهم بالإمارة بطريق المخاطبة المباشرة، كما فعل مع عبد الرحمن بن عوف عندما أمره على سرية إلى دومة الجندل، فقال له: "تجهز فإني باعثك في سرية من يومك هذا، أو من غد إن شاء الله" (٤).

ومن الممارسات العملية أيضاً عندما أمر عمرو بن العاص قال له: "يا عمرو اشدد عليك سلاحك وثيابك وانتني"، فلما جاءه قال له: "يا عمرو إني أريد أن أبعثك وجهاً فيسلمك الله ويغنمك وارغب لك من المال رغبةً صالحةً" قال: قلت: يا رسول الله إني لم أسلم رغبةً في المال إنما أسلمت رغبةً في الجهاد والكينونة معك. قال: "يا عمرو نعماً بالمال الصالح للرجل الصالح" (٥).

فجميع أمراء السرايا والجيوش كان يؤمرهم النبي ﷺ مشافهة؛ لقربهم منه، وكذلك الأمراء الذين استخلفهم النبي ﷺ على المدينة عاصمة الدولة الإسلامية فقد كان تعيينهم بقرار

١ - المغازي : الواقدي ، عن مجموع شيوخه (٧٣٢). وانظر: ابن حجر، وفتح الباري (١٩٠/٨)، انفرد به الواقدي، الخبر ضعيف.

٢ - سبق تخريجه، ص ١٢٠.

٣ - سبق تخريجه، ص ٩٤.

٤ - سبق تخريجه، ص ٥٨.

٥ - رواه الإمام أحمد، المسند، قال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم (٢٠٢/٤) (١٩٧/٤)، ابن حبان، الصحيح كتاب الزكاة، باب جمع المال من حله وما يتعلق بذلك، قال شعيب الأرنؤوط: إسناده قوي على شرط مسلم، (٣٢١١).

شفوي وبحضور مجموعة من الناس، وكأنه بذلك يعين نائباً له يقوم بتصرف الأمور حتى عودته.

وقد سار الخلفاء الراشدون على نهج النبي ﷺ في ذلك، فكانوا يعينون الأمراء والولاة عن طريق المشافهة، إذا كان الأمير في مجلس الخليفة.

كما فعل عمر بن الخطاب عندما أصدر قرار تولية زياد بن معاوية على إحدى الولايات، قال له: قم قد وليتك، فدل هذا على أن قرب أو بعد مكان المولى من المولى هو الفيصل في تحديد الشكل الذي يكون عليه قرار التولية كتابة أو شفاهة^(١).

ثانياً: الكتابي.

من الأساليب التي اتبعها النبي ﷺ في تعيين الأمراء، أن يكون قرار التعيين كتابة، وقد كان النبي ﷺ يلجأ إليه حينما يكون الشخص المراد تكليفه بالإمارة بعيداً عن مقر الدولة الإسلامية، أو يكون قريباً ويكون قرار التعيين كتابة؛ ليحمله إلى الناس ويثبت لهم أنه أمير عليهم.

ومن النصوص التي تبين أن النبي ﷺ استخدم الأسلوب الكتابي في التعيين، كتاب تأمير زياد بن الحارث الصدائي على صداء كما ذكرها الطبراني عنه: عن زياد بن الحارث قال: "فأمرني عليهم وكتب لي كتاباً بذلك، فقلت يا رسول الله مر لي بشيء من صدقاتهم قال: نعم فكتب لي كتاباً آخر"^(٢).

فمن خلال هذا النص نجد أن النبي ﷺ قام بتعيين زياد بن الحارث أميراً على قومه بموجب كتاب تكليف، ثم كتب كتاباً آخر للناس من أجل جمع الصدقات.

ومن الأمثلة على ذلك أيضاً: تأمير عثمان بن أبي العاص على تقيف عندما دخلوا في الإسلام، حيث أمره النبي ﷺ عليهم بموجب كتاب تكليف بعثه معهم، كما روى ابن إسحاق قال: "كتب لهم رسول الله ﷺ كتاباً، وأمر عليهم عثمان بن أبي العاص وكان من أحدثهم سنًا"^(٣).

حيث كتب النبي ﷺ إلى أهل تقيف كتاباً بين لهم فيه أن عثمان بن أبي العاص أصبح أميراً عليهم، وقد احتوى الكتاب على أمور أخرى تتعلق بالدعوة للدين الجديد، ودفع الصدقات وغيرها.

١ - أبو يونس، محمد باهي، الاختيار على أساس الصلاحية للوظيفة في النظام الإسلامي ط١، ١٩٩٩م (٢٢٥).

٢ - سبق تخريجه، ص ١٣٥.

٣ - الطبراني، المعجم الكبير (٥٠/٩). ابن هشام، السيرة النبوية، رواه عن ابن إسحاق (١١٧/٤)، الشامي، سبل الهدى والرشاد، وقال: رجاله ثقات (٢٩٧/٦).

فاستخدم النبي ﷺ الأسلوب الكتابي في التأشير على الرغم من وجوده عند النبي ﷺ ؛ لأن المقصود بالتكليف هم أهل تقيف.

ومن النصوص المكتوبة في التولية، والتي تسمى "عهدا" ما أملاه الرسول ﷺ على بعض كتابه متضمنة تسمية أمير أو وال على منطقة معينة، وهي موجهة إلى الناس، كما هي موجهة إلى الأمير^(١)، ومنها كتاب تولية الرسول ﷺ لعمر بن حزم حين بعثه واليا إلى أهل نجران: ما رواه ابن إسحاق، عن عبد الله بن أبي بكر، عن أبيه أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم، قال: هذا كتاب رسول الله ﷺ عندنا، الذي كتبه لعمر بن حزم حين بعثه إلى اليمن يفتيه أهلها ويعلمهم السنة ويأخذ صدقاتهم، فكتب له كتابا وعهدا وأمره فيه أمره^(٢). وقد سار الخلفاء الراشدون على نهج النبي ﷺ في ذلك، فكانوا يكتبون إلى ولايتهم خارج المدينة كتاب التولية، بل كانوا يكتبون أيضا كتبا تتضمن عزل وال، وتولية آخر بدلا عنه.

المطلب الثاني

الاشتراط في الإمارة

كان النبي ﷺ يحرص على وجود أمير للجماعة، ويحرص على توحيد قيادتها؛ لئلا تفترق كلمتها، ولشدة حرصه على أن لا تخلو الجماعة من أمير، كان يعلق الإمارة بشرط، و يولي عدة أمراء بالترتيب^(٣):

فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: أمر رسول الله ﷺ في غزوة مؤتة زيد بن حارثة، فقال رسول الله ﷺ: "إن قتل زيد فجعفر، وإن قتل جعفر فعبد الله ابن رواحة"^(٤).

فقد تنبه النبي ﷺ لخطورة الموقف في غزوة مؤتة إذا قتل الأمير، فاتبع سياسة جديدة، باشتراطه وجود نائب للأمير يخلفه على قيادة الجيش إذا استشهد أو أصيب.

وكان النبي ﷺ يحرص على توحيد قيادة المسلمين ولا يقبل بوجود أكثر من أمير على الجماعة؛ لأن وجود أكثر من أمير يؤدي إلى الفرقة والاختلاف؛ ولهذا نجد أن النبي ﷺ كان

١ - وهذه العهود شبيهة بالمراسم الملكية أو الجمهورية في هذه الأيام، وقد جمع محمد حميد الله في كتابه الوثائق السياسية أكثر هذه العهود.

٢ - النعماني، المعنى الكبير: (٢٤٦/٤)(٧٠٦٠)، البيهقي، المعنى الكبير (١٩٨/٩)، ابن هشام، المسيرة النبوية (١٤٥/٣)، الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله: (٣٦٩/٢).

٣ - انظر: فتح الباري، (٦٤٢/٧).

٤ - صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة مؤتة (٤٠١٣).

يوصي أمراءه وبشترط عليهم في حالة اجتماع أكثر من أمير في مكان واحد أن تجعل الإمارة لواحد منهم:

فلما بعث رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب إلى اليمن، وبعث خالد بن الوليد في جند آخر، قال لهما: " إذا اجتمعما فعلي الأمير وإذا تفرقتما فكل واحد منكما على عمله"^(١).

حيث اشترط أن تكون الإمارة لعلي بن أبي طالب ﷺ في حالة الاجتماع؛ لأن وجود أكثر من أمير على الجماعة يؤدي إلى النزاع والاختلاف.

وصدق الله العظيم حيث يقول: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾^(٢).

فقد نهى الله تعالى عن التنازع، ومن أبرز مظاهره: اختلاف الآراء التي تكون عاقبتها الخذلان والفشل.

ولا يحصل هذا إلا حين تتعدد القيادة بوجود أكثر من أمير، وقد ذكر العز بن عبد السلام أنه لا يجوز أن يجمع في الولاية العظمى بين والييين لما يؤدي إليه ذلك من الفساد، فيقول: "إذا شغل الزمان عن من له الولاية العظمى وحضر اثنان يصلحان للولاية، لم يجز الجمع بينهما، لما يؤدي إليه من الفساد باختلاف الآراء فتتعطل المصالح بسبب ذلك؛ لأن أحدهما يرى ما لا يرى الآخر، من جلب المصالح ودرء المفاسد"^(٣).

وجميع ما ذكره العز ينطبق على الإمارة بجميع أنواعها، فوجود أكثر من أمير يؤدي إلى الفساد واختلاف الآراء.

وقد حرص أمراء النبي ﷺ على توحيد قيادة الجماعة في كل سرية يخرجون فيها، ولعل ما حدث في سرية ذات السلاسل يوضح لنا أهمية توحيد القيادة، فعندما وصل المدد الذي بعثه النبي ﷺ للجيش، حدث خلاف حول تولي منصب الإمارة بين أمير المدد أبي عبيدة وأمير السرية عمرو بن العاص، فعندما اجتمع الفريقان اختلفوا حول الإمارة، فعرضت جماعة أبي عبيدة فكرتهم في هذا الأمر وهي أن يتولى قيادة المدد أبي عبيدة بينما يتولى عمرو قيادة السرية بحيث يصبح لهذا الجيش قيادتان في وقت واحد، ولكن عمرا ﷺ الذي كان يتصف بالحكمة وسداد الرأي رفض بشدة هذه الفكرة، فلا يمكن لجيش أن يكون بأمرين في وقت واحد^(٤).

١ - الطبراني، المعجم الأوسط: (١١٧/٥) رقم (٤٨٤٢) المعجم الكبير (١٢/٤) رقم (٣٤٩٦) ابن هشام، السيرة النبوية (٥٤/٤) الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله (٣١٤/٢).

٢ - سورة الأنفال الآية (٤٦).

٣ - ابن عبد السلام، عز الدين عبد العزيز بن أبي القاسم بن الحسن العلمي الدمشقي، لمقب بسلطان العلماء (٨٦٠هـ)، قواعد الأحكام في مصالح الأنام، تحقيق: محمود بن التلاميذ الشنقيطي، دار المعارف بيروت - لبنان، (٧٠/١).

٤ - انظر: خطاب، قادة فتح الشام ومصر، دار الفكر، بيروت (١٦٢). اللواء محمد فرج، شخصيات عسكرية إسلامية، ط٢- ١٩٧٦م، دار الفكر (٢٢٦، ٢٢٧).

قال ابن إسحاق: "خرج أبو عبيدة في مائتين، فساروا حتى لحقوا بعمر بن العاص فأراد أبو عبيدة أن يؤم الناس ويتقدم عمرا، فقال له عمرو: "إنما قدمت علي مددا لي"، وليس لك أن تؤمني، وأنا الأمير، وإنما أرسلك النبي ﷺ إلي مددا. فقال المهاجرون: كلا، بل أنت أمير أصحابك وهو أمير أصحابه، فقال عمرو: "لا، بل أنتم مدد لنا" (١).

وعن عامر قال: "بعث رسول الله ﷺ جيش ذات السلاسل فاستعمل أبا عبيدة على المهاجرين، واستعمل عمرو بن العاص على الأعراب، فقال لهما: تطاوعا، قال: وكانوا يؤمرون أن يغيروا على بكر، فانطلق عمرو فأغار على قضاة؛ لأن بكرا أخواله، فانطلق المغيرة بن شعبة إلى أبي عبيدة، فقال: إن رسول الله ﷺ استعملك علينا، وإن بن فلان قد ارتبع (٢) أمر القوم وليس لك معه أمر، فقال أبو عبيدة: إن رسول الله ﷺ أمرنا أن نتطاول فأنا أطيع رسول الله ﷺ وإن عصاه عمرو" (٣).

فلما رأى أبو عبيدة الاختلاف، ورأى إصرار عمرو بن العاص على إمارة السرية قبل أن يكون الأمير عمرو بن العاص و قال لتطمئن يا عمرو، وتعلمن أن آخر ما عهد إلي رسول الله ﷺ أن قال لي: "تطاوعا ولا تختلفا" وإنك إن عصيتني أطعتك (٤).

فشرح الله صدر أبي عبيدة، وقيل أن يكون الأمير عليهم جميعا عمرو بن العاص ﷺ؛ لأنه علم يقينا أن وجود قائدين على إمارة الجيش سيكون سببا في حدوث الارتباك وضياح المسؤولية بين الجند، وفي ذلك ضياح للجهد وتفريق للشمل، وإخلال بأهم مقومات النصر وهي وحدة الصف والتضامن (٥).

فاستطاع أبو عبيدة ﷺ أن يحل الخلاف ويحافظ على جماعة المسلمين ووحدتهم؛ لأنه يدرك أن الإمارة تكليف لا تشريف وليست مكافأة أو مغنما.

وهذا درس نتعلمه من أصحاب النبي ﷺ حيث كانوا دائما يقدمون المصلحة العامة على مصالحهم الشخصية بعيدا عن حب المناصب والمكاسب الدنيوية؛ لهذا يجب أن يستفيد القادة العسكريون والمدنيون من هذا الدرس فلا يجوز الاختلاف على الإمارة داخل جماعة المسلمين؛ لما يترتب عليه من تعريضها للفتنة والحروب الداخلية.

١ - ابن هشام، السيرة النبوية، (١٧٣/٤).

٢ - ارتبع: يقال: فلان ارتبع أمر القوم: أي إنه ينتظر أن يؤمر عليهم. انظر: لسان العرب (١١١٢/١).

٣ - رواه الإمام أحمد، المسند، قال شعيب الأرنؤوط: رجاله ثقافت رجال الصحيح إلا أنه مرسل (١٩٦/١)، الهيثمي، مجمع الزوائد: وقال هو مرسل ورجاله رجال الصحيح، والحديث بهذا الإسناد ضعيف لإرساله، لأن عامرا وهو ابن شراحيل الشعبي الهمداني إمام كبير تابعي ثقة حجة، ولكنه لم يدرك عمرو بن العاص، فمن باب أولى أن لا يكون قد أدرك أبا عبيدة، ولكنه حكى القصة فأرسلها (٢٠٦/٦).

٤ - صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب بعث أبي موسى ومعاذ بن جبل ﷺ ما إلى اليمن قبل حجة الوداع (٤٠٨٨).

٥ - الرشيد، عبد الله محمد، القيادة العسكرية في عهد الرسول ﷺ، (٤٠، ٥٤١).

المطلب الثالث

العهد والتفويض في اختيار الأمير

النبي ﷺ هو المخول باختيار أمرائه، ولكن قد تمر على الجماعة بعض الظروف الطارئة فيموت الأمير أو يصاب، وتكون الجماعة بعيدة عن مركز الدولة الإسلامية، وبعيدة عن النبي ﷺ فحفاظا على مصلحة الجماعة المسلمة؛ كان النبي ﷺ يعلم أصحابه كيف يتصرفون في هذه الواقعة، فكان يبين للناس أن من أساليب التعيين التي يصر إليها في هذه الأحوال، إما بتفويض جماعة المسلمين في اختيار رجل منهم، أو بالعهد والاستخلاف من أمير الجماعة.

أولا: تفويض الجماعة بتعيين الأمير:

في حال موت الأمير أو إصابته لا بد من وجود أمير يقود الجماعة بدلا منه ففي هذا الحال تفوض الجماعة باختيار أمير من بينهم، فالجماعة هي صاحبة الحق في اختيار من يتولى أمرها، وهذا ما نتعلمه من هدي النبي ﷺ:

ففي غزوة مؤتة أمر النبي ﷺ على الجيش أكثر من أمير بالتساوب، ثم بين لهم أن الطريق لاختيار أمير على الجماعة إذا مات الأمير هو اتفاق الناس على أمير من بينهم:

قال رسول الله ﷺ: "أمير الناس زيد بن حارثة، فإن قتل فجعفر بن أبي طالب، فإن قتل فعبد الله بن رواحة، فإن قتل فليترض المسلمون بينهم رجلا فيجعلوه عليهم"^(١).

فقد فوض النبي ﷺ أمر اختيار الأمير لجماعة المسلمين، وأمرهم باختيار من يرونه مناسبا ليكون أميرا عليهم؛ حتى لا تبقى الجماعة في فوضى وشتات.

كما يجوز لأحد أفراد الجماعة أن يُرشح للإمارة، ولكن لا يكون له الأمر حتى تتفق عليه الجماعة: روى البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: خطب رسول الله ﷺ فقال: "أخذ الراية زيد فأصيب ثم أخذها جعفر فأصيب ثم أخذها عبد الله بن رواحة فأصيب ثم أخذها خالد بن الوليد عن غير إمرة ففتح عليه"^(٢).

فقد تولى خالد بن الوليد إمرة جيش مؤتة بعد مقتل أمرائه الثلاثة، وكان ذلك من غير تأمير النبي ﷺ له، بل عن طريق اتفاق الناس عليه.

^١ - المغازي : الواقدي (٥١٤)، ابن سعد، الطبقات (١٢٨/٢).

^٢ - البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب من تلمز في الحرب من غير إمرة إذا خاف العدو، (٢٨٩٨).

قال ابن المنير: إن من تعين لولاية وتعدت مراجعة الإمام فإن الولاية تثبت لذلك المعين شرعا وتجب طاعته حكما، وهذا إذا اتفق الحاضرون عليه^(١).

فكان تأمير خالد بن الوليد على الجيش باتفاق من جماعة المسلمين فقد أخذ ثابت بن أقرم أحد بني عجلان الراية وقال: يا أيها الناس اصطلحوا على رجل منكم قالوا: أنت قال: ما أنا بفاعل. فاصطلح الناس على خالد بن الوليد^(٢).

فدللت النصوص أن تأمير خالد بن الوليد على الجيش كان باختيار جماعة المسلمين له، وهو أمر مشروع وجه النبي ﷺ الأمة إليه، فلم ينكر النبي ﷺ عليهم تأمير خالد بن الوليد بل أقره، وهذا دليل على أن للأمة تأمير من تراه مناسبا في حال تعذر مراجعة الحاكم والوقوف على رأيه في الأوقات الحرجة.

ثانيا: العهد والاستخلاف:

ومن الأساليب التي يصرار إليها في تولية الأمير ليقود الجماعة "العهد والاستخلاف"، وهو أن يعهد الأمير إلى رجل يختاره؛ ليقوم على أمر الجماعة من بعد وفاته حفاظا على مصلحتها، كما فعل أبو عامر الأشعري عندما أمره النبي ﷺ على سرية إسي وادي أوطاس، فحدث تناوش بين الطرفين، فأصيب أبو عامر وأوشك على الموت، فعهد بالإمارة من بعده لأبي موسى الأشعري.

يوضح لنا أبو موسى الأشعري كيف تم استخلافه أميرا على الناس: فعن أبي بردة عن أبي موسى ﷺ قال: "لما فرغ النبي ﷺ من حنين بعث أبا عامر على جيش إلى أوطاس، فلقى دريد بن الصمة، فقتل دريد، وهزم الله أصحابه. قال أبو موسى: وبعثني مع أبي عامر، فرمى أبو عامر في ركبته، رماه جشمي بسهم فأنبته في ركبته. فأنتهيت إليه فقلت: يا عم من رماك؟ فأشار إلى أبي موسى فقال: ذلك قاتلي الذي رماني، فقصدت له، فلحقته، فلما رأني ولي، فأنبته وجعلت أقول له: ألا تستحي، ألا تثبت فكف. فاختلنا ضربتين بالسيف فقتلته، ثم قلت لأبي عامر: قتل الله صاحبك. قال: فانزع هذا السهم، فزعه فزأ^(٣) منه الماء. قال: يا ابن أخي، أقرئ النبي ﷺ السلام وقل له: استغفر لي. واستخلفني أبو عامر على الناس. فمكث يسيرا ثم

^١ - فتح الباري، (٢١٧/٦).

^٢ - الطبري، التاريخ (٢١٧/٣)، ابن عساکر، تاريخ دمشق (١٠٧/١١)، الهيثمي، مجمع الزوائد، وقال: ورجاله ثقات (٢٣٣/٦).

^٣ - نزا: جرى ولم ينقطع. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (٤٢/٥)، لسان العرب (٢٢١/٣).

مات. فرجعت فدخلت على النبي ﷺ في بيته على سرير مرمل^(١)، وعليه فراش قد أثر رمال السرير بظهره وجنبيه، فأخبرته بخبرنا وخبر أبي عامر وقال: قل له استغفر لي، فدعا بماء فتوضأ، ثم رفع يديه فقال: "اللهم اغفر لعبيد أبي عامر"، ورأيت بياض إبطيه. ثم قال: اللهم اجعله يوم القيامة فوق كثير من خلقك من الناس". فقلت: ولي يا رسول الله فاستغفر. فقال: "اللهم اغفر لعبد الله بن قيس ذنبه، وأدخله يوم القيامة مدخلا كريما"^(٢).

فقد قام أبو موسى بقيادة السرية وكان تحت حسن ظن أميره به، فحققت السرية أهدافها بقيادته، وعاد إلى النبي ﷺ وبلغه وصية أميره، وبين له كيف مات أميره أبو عامر، ثم أخبر النبي ﷺ أن أبا عامر استخلفه على إمارة السرية.

فقد رضي النبي ﷺ عن صنيع أبي عامر الأشعري، وعهده بالإمارة لأبي موسى الأشعري من بعده ودعا لهما بالمغفرة والرحمة، وهذا دليل على أن للحاكم أو الأمير الحق في استخلاف من يقوم مقامه في حال مرضه بعد وفاته، وهو أمر مشروع أقره النبي ﷺ، ولم ينكر على فاعله حتى لا تخلو الجماعة من أمير يسوسها ويقوم بشؤونها.

فقد اختار النبي ﷺ أبا عامر الأشعري وجعله أميرا على هذه السرية؛ ليقوم بالمهمة الموكلة إليه، وفي الوقت نفسه من الواجب عليه الحفاظ على جماعته، فهو وليهم والأمين عليهم في حياته، ويتبع ذلك أن ينظر لهم بعد مماته، ويقم لهم من يتولى أمورهم، كما كان هو يتولاها.

^١ - مرمل: تقول: رمئت الحصير وأرملته فهو مرمل إذا نسجته وسففته، والمراد بذلك أنه كان السرير قد نسج وجهه بالسعف، ولم يكن على السرير غطاء غير الحصير. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (٢/٢٦٥).

^٢ - البخاري، واللفظ له، كتاب المغازي، باب غزوة أوطاس (٤٠٦٨)، وأخرجه في كتاب الجهاد، باب لزج السهم من البدن (٢٧٢٨)، وأخرجه في كتاب الدعوات، باب الدعاء عند الوضوء (٦٣٨٢). مسلم، في كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أبي موسى وأبي عامر الأشعريين رضي الله عنهما وفضلهما: استعملني أبو عامر على الناس (٦٥٦٢).

المبحث الثالث

الأحاديث الواردة في طرق انتهاء ولاية الأمير

يعد اختيار الأمير أمرا مهما وذلك لعظم المسؤولية الملقاة على عاتقه؛ لهذا كان النبي ﷺ يراعي مصلحة الجماعة عندما يختار الأمراء، وكان لا يعين للإمارة إلا من كان أهلا لها، كما جعل اختيار الأئمة شرطا أساسيا لتولي أي مسؤولية في السلم والحرب على حد سواء، كما ذكرنا سابقا.

ولكن قد تحدث أحوال تنتهي بسببها ولاية هذا الأمير، وقد يكون انتهاء ولاية الأمير بسبب خارج عن إرادة الحاكم كالموت أو المرض أو الجنون أو انتهاء مهمته، وقد يكون بالاختيار كالعزل من قبل الحاكم، أو الاستعفاء والاستقالة من قبل الأمير نفسه، وهذا ما سأوضحه من خلال المطالب الآتية:

المطلب الأول

عزل الأمير

لما كان تولي منصب الإمارة يتعين أن يراعى فيه المصلحة العامة حتى يقوم الأمير بتدبير أمر الجماعة على وجه يحقق المصلحة ويدفع المفسدة؛ لهذا فإن الإمام متى وجد سببا يقتضي عزل الأمير عن عمله وتولية من هو أكفأ منه، فإنه يجب عليه أن يصير إلى ذلك، إذ لا يصح بقاء من استحق العزل على تلك الولاية لما في ذلك من المفسدة^(١).

وقد ذكر العلماء ثلاث حالات للعزل، ينبغي لولي الأمر أن يضعها نصب عينيه عند قيامه بعزل أحد الولاة وتعيين آخر مكانه وهي:

الحالة الأولى: أن يعزله بمن هو دونه، لأي سبب يقتضي ذلك، ففي هذه الحالة لا يجوز عزله لما فيه من تفويت المسلمين المصلحة الحاصلة من جهة فضله على غيره وليس للإمام تفويت المصالح من غير معارض يوجب العزل.

الحالة الثانية: أن يعزله بمن هو أفضل منه، فينفذ عزله تقدما للأصلح على الصالح، لما فيه من تحصيل المصلحة الراجحة للمسلمين ودفع المفسدة عنهم.

الحالة الثالثة: أن يعزله بمن يساويه، فقد أجاز بعض العلماء ذلك؛ لكونه مخييرا عند تساوي المصالح، وكما يتخير ذلك في التعيين ابتداء. وذهب آخرون إلى أنه لا يجوز العزل في هذه الحال، لما فيه من كسر العزل، وعاره، بخلاف ابتداء الولاية^(٢).

وهذا ما فعله النبي ﷺ؛ ليرشد ولاة الأمر في الأمة الإسلامية إلى ما يحقق لها المصالح ويجنبها المضار، ففي طريقه لفتح مكة أمر النبي ﷺ بعزل سعد بن عباد عن قيادة كتيبة الأنصار عندما بلغه أن سعدا قال: (اليوم يوم الملحمة، اليوم تستحل الحرمة)^(٣)، وولي مكانه ابنه قيسا.

وقد عزله النبي ﷺ عن قيادة هذه الكتيبة لسببين:

الأول: مخالفة أوامر القائد الأعلى للجيش:

لما كانت طاعة أوامر القائد الأعلى وتنفيذها أمرا يجب أن يلتزم به قادة الجيش، فإن قول سعد ﷺ يعد مخالفة صريحة للخطة التي رسمها الرسول القائد ﷺ وهي أن تتم عملية فتح

١ - انظر: الرشيد، عبد الله محمد، القيادة العسكرية (٣٧).

٢ - انظر: ابن عبد السلام، قواعد الأحكام: (٦٩/١).

٣ - انظر: البخاري، كتاب المغازي، باب أين ركز رسول الله ﷺ رايته يوم فتح مكة (٤٠٣٠).

مكة وتحريرها دون حاجة إلى إراقة الدماء ونشوب الصدام المسلح مع أهلها إلا إذا دعت الضرورة إلى ذلك^(١).

الثاني: إزالة المخاوف التي علقت بذهن أبي سفيان وبعض المهاجرين:

لقد كان النبي ﷺ حريصا على حقن الدماء والتأليف على الإسلام؛ ولهذا أراد النبي ﷺ أن يزيل تلك المخاوف التي كانت قد علقت بأذهان بعض المهاجرين من قريش وأبي سفيان الذي كان لا يزال حديث عهد بالإسلام من أن يحدث من سعد ما لا تحمد عقباه، مما يتنافى مع الخطة التي رسمها وهي: استسلام قريش له دون قتال^(٢).

ثم إن النبي ﷺ لما عزل سعد بن عباد جعل مكانه ابنه قيس بن سعد، وبدل اختيار النبي ﷺ لقيس بن سعد؛ ليخلف أباه على طريقة النبي ﷺ الفذة في اختيار الرجل المناسب للمكان المناسب، فسعد بن عباد من سادات الأنصار، فلا يعقل أن يعزله النبي ﷺ من منصبه ويولي غيره ممن هو دونه، فاختار النبي ﷺ ابنه، وفي هذا إرضاء لسعد لأن الأب لا يحب أن يتقدم عليه أحد إلا ابنه، فكان اختيار قيس تطيبيا لنفسه بالإضافة لكفائه.

ولا بد من الإشارة هنا إلى أنه ليس لأجل كل خطأ يعزل الأمير، بل هذا الأمر متروك لإمام المسلمين يقدره حسب ما تقتضيه مصلحة الجماعة؛ لهذا لما بعث النبي ﷺ خالد بن الوليد على سرية إلى بني جذيمة داعيا، فارتكب خطأ عندما قتل أسراهم حسب اجتهاده، فلما علم النبي ﷺ بالحادثة أنكر عليه فعله ولم يعزله، فقال: "اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد"^(٣).

حيث كان من المتوقع أن يعزل النبي ﷺ خالد بن الوليد بسبب الخطأ الذي ارتكبه، ولكن النبي ﷺ لم يعزله؛ ليعلم الناس أننا بشر نصيب ونخطئ، وأن ما فعله خالد من سباب الاجتهاد الخطأ، فلا يحسن أن نعاقبه على خطأ لم يقصده، فكانت المصلحة هنا بعدم عزله، ويبين لنا أن العزل متروك لإمام المسلمين فهو الذي يقدر متى يعزل أميره ومتى يبقيه في مكانه. فكان النبي ﷺ يعزل لمصلحة ويولي لمصلحة.

فقد يعزل النبي ﷺ أميرا ويعين من هو أكفأ منه في ظرف معين؛ إذا اقتضت مصلحة الجماعة ومن هذا:

ما فعله ﷺ عندما عزل الزبير بن العوام ؓ عن سرية فدك، وأمر عليها غالب بن عبد

الله الليثي ؓ .

١ - انظر: محمد فرج، العبقريّة العسكريّة في غزوات الرسول ﷺ، ط ٣، ١٩٩٧م، دار الفكر العربي (٣٩).
٢ - انظر: خطاب، الرسول القائد: (٣٣٩). باشميل، محمد أحمد، فتح مكة: دار الفكر، ط ٢، ١٣٩٢هـ، (٢٢٨).
٣ - البخاري، كتاب المغازي، باب بعث النبي ﷺ خالد بن الوليد إلى بني جذيمة (٤٠٨٤).

"... هيا رسول الله ﷺ الزبير بن العوام فقال له: " سر حتى تنتهي إلى مصاب أصحاب بشير فإن ظفرك الله بهم، فلا تبق فيهم ". وهيا معه مائتي رجل وعقد له اللواء"^(١).

ولما قدم غالب بن عبد الله من سرية الكديد منتصرا، وأثبت الكفاءة المطلوبة، رأى النبي، ﷺ أن غالب بن عبد الله هو الرجل المناسب لقيادة هذه السرية، فاستبدل بالزبير بن العوام غالب بن عبد الله الليثي.

فقال رسول الله ﷺ للزبير بن العوام: " اجلس " وبعث غالب بن عبد الله"^(٢). حيث رأى النبي ﷺ أن المصلحة في تأمير غالب بن عبد الله على هذه السرية وليس، الزبير بن العوام.

وهذا ما فعله النبي ﷺ عندما نحى خالد بن الوليد عن سرية إلى اليمن، وجعل مكانه علي بن أبي طالب حيث رأى أن المصلحة أن يولي عليا على هذه السرية؛ لأن مهمة السرية دعوية وليست حربية، وعلي هو الرجل المناسب لقيادة هذه السرية.

فبعث البراء بن عازب، ﷺ: " أن النبي ﷺ بعث خالد بن الوليد إلى أهل اليمن يدعوهم إلى الإسلام، قال البراء: فكنيت فيمن خرج مع خالد بن الوليد فأقمنا ستة أشهر ندعوهم إلى الإسلام فلم يجيبوا، ثم إن النبي ﷺ بعث علي بن أبي طالب ﷺ فأمره أن يقلل خالدا وقال له: " مر أصحاب خالد من شاء منهم أن يعقب معك فليعقب، ومن شاء فليقبل".

قال البراء فكنيت فيمن عقب مع علي، فلما دنونا من القوم خرجوا لنا فصلى بنا علي ثم صفقنا صفا واحدا، ثم تقدم بين أيدينا وقرأ عليهم كتاب رسول الله ﷺ فأسلمت همدان جميعا، فكتب علي إلى رسول الله ﷺ بإسلامهم، فلما قرأ رسول الله ﷺ الكتاب خر ساجدا، ثم رفع رأسه فقال: " السلام على همدان، السلام على همدان " "^(٣).

فلما رأى النبي ﷺ أن السرية لم تحقق أهدافها بقيادة خالد بن الوليد غلب علي ظنه أن علي بن أبي طالب أهل لهذه المهمة الدعوية، فبعثه مكان خالد، فكانت النتيجة أن السرية حققت هدفها بعد هذا التغيير في منصب الإمارة.

لهذا ينبغي على ولاة الأمر أن يقتنوا بالرسول ﷺ في هذا الأمر، فمتى ظهرت المصلحة في عزل موظف وتعيين من هو أكفأ منه في ظرف معين أو سبب معين، فإن عليهم المسارعة إلى ذلك؛ من أجل تحقيق المصلحة العامة للإسلام وأهله.

١ - الواقدي، المغازي (٤٩٤)، الطبقات (١٢٦/٢)، عيون الأثر (١٦٣/٢)، سبل الهدى والرشاد (١٤٠/٦).

٢ - المراجع السابقة نفسها.

٣ - البخاري، كتاب المغازي، باب بعث علي بن أبي طالب عليه السلام وخالد بن الوليد إلى اليمن قبل حجة الوداع، رواه مختصرا (٤٠٩٢).

وقد كان منهج النبي ﷺ عزل الوالي المقصر في عمله وإبقاء الوالي المصلح في عمله، فكان يبعث بكتبه إلى أمرائه يبين لهم فيها أن من يخالف أو يقصر في الإصلاح فإنه عرضة للعزل، وأن من أصلح وعمل على خدمة الإسلام فإنه باق على ملكه، وهذا واضح من خلال كتاب النبي ﷺ إلى المنذر بن ساوى رضي الله عنه لبيان كيفية الحكم وبيان تعاليم الإسلام.

فكتب إليه رسول الله ﷺ: "إنك مهما تصلح فلن نعزلك عن عملك، ومن أقام على يهودية أو مجوسية فعليه الجزية، وكتب رسول الله ﷺ إلى مجوس هجر يعرض عليهم الإسلام فإن أبوا أخذت منهم الجزية، وبأن لا تنكح نساؤهم ولا تؤكل ذبائحهم"^(١).

فيظهر لنا من خلال هذا الكتاب أن عدم الإصلاح أو التقصير في العمل، مدعاة لعزل الأمير أو العامل، وهذا الأمر يجعل العامل حريصا على إتقان العمل، وعلى القيام بواجبه على أكمل وجه، بعيدا عن المصالح الشخصية، حيث يشعر دائما بوجود الرقابة عليه، وفي حالة التقصير فإنه يعرض نفسه للعزل.

فكانت هذه الطريقة، وهي استخدام أسلوب العزل، تجعل الأمراء والعمال حريصين على القيام بالواجبات الموكلة إليهم على أحسن وجه، وكامل إتقان، وتبعدهم عن التقصير وتقديم المصالح الشخصية.

^١ - سبق تخريجه، ص ١٢٤.

المطلب الثاني

استعفاء الأمير

من الطرق التي تنتهي بها ولاية الأمير الاستعفاء أو الاستقالة، وتعني الاستقالة: انتهاء ولاية الأمير بناء على رغبته، ولا تكون الاستقالة إلا بعلم وقبول من ولاة.

ومن هنا لا تكون الاستقالة أو الاستعفاء إلا بتوفر ركنين: التقدم بطلب الاستقالة إلى الجهة المختصة، وقبول هذه الأخيرة لها. وهذا ما يعبر عنه الفقهاء بقولهم: لا ينعزل القاضي باستعفائه، وإنما باستعفائه وإعفائه، ولا يتم بأحدهما دون الآخر^(١).

وقد حدثت في زمن النبي ﷺ أكثر من حادثة تدل على جواز طلب الاستعفاء، وعلى إقالة الإمام لولاية من ولاة ومن ذلك:

استقالة زياد بن الحارث الصدائي ﷺ: فقد روى الطبراني عن زياد بن الحارث بأنه قال: "أتى أهل قوم يشكون عاملهم، ويقولون: يا رسول الله: حدثنا بما كان بيننا وبين قومنا في الجاهلية، فالتفت إلى أصحابه وأنا فيهم، فقال: " لا خير في الإمارة لرجل مؤمن" فلما أصبحت قلت: يا رسول اقبل إمارتك فلا حاجة لي فيها. قال: ولم، قلت: سمعتك تقول: " لا خير في الإمارة لرجل مؤمن" وقد آمنت قال: "هو ذاك فإن شئت فخذ، وإن شئت فدع"، قلت: بل أدع" فقال لي رسول الله ﷺ: "فدلّني على رجل أؤمره عليكم" فدللته^(٢).

ولذلك؛ كان النبي ﷺ يحذر أصحابه من الحرص على الإمارة، ويبين لأصحابه خطر الإمارة ويحثهم على الابتعاد عنها؛ فهي مسؤولية عظيمة أمام الله تعالى، يجب أن لا يتطلع إليها إلا من عرف في نفسه القدرة على القيام بحقها أمام الله.

وفي هذا إعطاء فرصة للأمرء بمراجعة أنفسهم للتفكير بقدرتهم على القيام بأعباء الإمارة. مما جعل زياد بن الحارث يطلب من النبي ﷺ أن يعفيه من الإمارة بعد التحذير الذي وجهه لأصحابه.

وقد استتبط العلماء من هذا الحديث جواز قبول استقالة الأمير أو الوالي إذا وجد من يحل محله، قال ابن القيم: في هذا الحديث جواز إقالة الإمام لولاية من ولاة إذا سأل ذلك^(٣).

ومن الأمثلة على الإعفاء من الإمارة، ما فعله النبي ﷺ عندما أعفى أبا عبيدة بن الجراح ﷺ من الإمارة على سرية نخلة.

١ - الفراء، أبو يعلى، الأحكام السلطانية: (١٠٩)، وانظر: محمد باهي، الاختيار على أساس الصلاحية، (٢٤٣).
٢ - سبق تخريجه، ص ١٣٥.
٣ - انظر: ابن القيم، زاد المعاد: (٢٦٩/٥).

فمن جندب بن عبد الله ؓ قال: "بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَهْطًا وَاسْتَفْمَلَ عَلَيْهِمْ عَيْدَةَ ابْنِ الْحَارِثِ قَالَ فَلَمَّا انْطَلَقَ لِيَتَوَجَّهَ بِكِي صَبَابَةَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَبَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَكَانَهُ رَجُلًا يُقَالُ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَحْشٍ وَكَتَبَ لَهُ كِتَابًا"^(١).

فأبو عبيدة بن الجراح ؓ لم يستطع الاعتذار عن المهمة بالكلام تأديبا وخوفا من معصية خليفه رسول الله ﷺ الذي لم يكن يحب مفارقتة والبعد عنه، لكنه لم يتمالك نفسه فلما ذهب لينطلق بكى صبابَةَ^(٢) إلى رسول الله ﷺ حُبًّا فِيهِ وَجَزَعًا مِنْ مَفَارِقَتِهِ^(٣)، فأعفاه رسول الله ﷺ من الإمارة واستعمل عبد الله بن جحش ؓ بدلا منه.

وقد كان أصحاب النبي ﷺ يبتعدون عن الإمارة ورعا، وخوفا من الله، والحذر من خطر الإمارة.

المطلب الثالث

الوفاء

تعد الوفاة من الأمور البديهية لانتهاه ولاية الأمير، فهي ليست قضية تحتاج إلى تقرير من حيث انتهاء ولاية الأمير، ومع ذلك نجد أن الكثير من الدساتير المعاصرة تنص عليها لانتهاء الوظيفة أو الوزارة.

والذي يحتاج إلى تقرير، هو ما يجب عمله من ترتيبات إزاء هذه الحالة، وهذا ما نتعلمه من هدي النبي ﷺ .

فمن الطرق التي اتبعت في عهد النبي ﷺ في حالة موت الأمير أو في حالة توقع موته:

أولا: وضع نائب له يخلفه في عمله:

كما فعل النبي ﷺ في غزوة مؤتة حيث وضع ثلاثة أمراء يتناوبون على قيادة الجيش، وهذه هي المرة الأولى، في تاريخ غزوات النبي ﷺ وسراياه، يتم تولية أمراء بالترتيب، وما ولى النبي ﷺ قبل وقعة مؤتة ولا ولى بعدها ثلاثة قادة أو قائدين على سرية واحدة، ولكن يُعَدُّ نظره ﷺ وحسن تقديره لأهمية هذه السرية وخطورتها هو الذي جعله يولي ثلاثة قادة على سرية واحدة مرة واحدة فقط في حياته العسكرية كلها^(٤).

١- أبو يعلى، المسند، قال حسين سليم أسد: إسناده حسن، (١٠٢ / ٣)، رقم (٥٣٤)، الطبراني، المعجم الكبير (١٦٢/٢)

رقم (١٦٧٠)، البيهقي، السنن الكبرى (١١/٩). وقال الهيثمي: رواه الطبراني ورجاله ثقات، (٢٩٤/٦)

٢- الصبابة: الشوق أو قيل: رفته وحرارته. انظر ابن منظور، لسان العرب، والفيروز أبادي، القاموس مادة صبب (١٢٢/٤).

٣- النظر: العمري، السرايا والبعوث (٩٦).

٤- القادة الشهداء: محمود شيت خطاب (١١٤).

وربما كان ذلك احتياطاً منه ﷺ ؛ لما كان متوقفاً أن تحف الأخطار هذه الحملة لوجهتها البعيدة، ولعدم وقوع احتكاك سابق بمناطق تخضع لنفوذ دولة قوية كالإمبراطورية البيزنطية التي كانت قبائل الشام وأطرافها موالية لها سياسياً^(١).

وهكذا يربينا النبي ﷺ ويعلم الحكام وولاة الأمر كيف يحتاطون، فيضعون نائباً للعامل أو الموظف؛ يحل محله في حالة موته أو إصابته أو غيابه؛ كي لا تتعطل مصالح الناس.

ثانياً: ترك اختيار الأمير للجماعة:

ومن الطرق التي نتعلمها من هدي النبي ﷺ في حالة موت الأمير اتفاق الناس على أمير من بينهم؛ ليقود جماعتهم كما حصل في غزوة مؤتة حيث بين لهم أنه في حالة موت الأمراء يصطلحون على رجل منهم

قال لهم: "فإن قتل فليترض المسلمون بينهم رجلاً فيجعلوه عليهم"^(٢).

فجعل النبي ﷺ اختيار الأمير عائداً لاختيار الجماعة، وتعد هذه الطريقة المثلى؛ لتتصيب الحاكم في الدولة الإسلامية، فالأمة الإسلامية هي صاحبة الحق في اختيار من يتولى الخلافة، فإذا شغل منصب الخلافة ممن يشغله بالوفاة أو بالعزل أو بالاستقالة منه، فإن أهل الحل والعقد في الأمة ينظرون في اختيار من يخلفه.

فالاختيار من قبل الجماعة في تولية الأئمة هو الذي عليه جماهير الأمة قديماً وحديثاً^(٣).

ثالثاً: العهد والاستخلاف:

فمن الطرق التي اتبعت في اختيار الأمير في عهد النبي ﷺ "العهد والاستخلاف"، حيث أمر النبي ﷺ أبا عامر الأشعري على سرية إلى أوطاس، فاصيب بسهم فلما أوشك على الموت، استخلف على السرية أبا موسى الأشعري^(٤).

فقد بين أبو موسى للنبي ﷺ ما جرى من أحداث في هذه السرية، وبين له كيف تم استخلافه على السرية بعد موت أمير السرية أبي عامر الأشعري، وأقرهما النبي ﷺ على ما فعلا ولم ينكر عليهم ذلك، وهذا الموقف من أبي موسى وبلاؤه في هذه السرية فتح أمامه الطريق؛ ليكون أحد أمراء النبي ﷺ على أحد مخاليف اليمن، حيث أفاد النبي ﷺ بما تميز به أبو موسى لصالح الدعوة الإسلامية، و أعاده إلى بلده أميراً.

١ - العمري، الميرة النبوية الصحيحة: (٤٦٧/٢).

٢ - البيهقي، دلائل النبوة بمسند عن عروة بن الزبير. (٣٥٩/٤) والحديث: مسنده حمص إلى عروة، ولكنه مرسل، وقد تفرد يونس بن بكير بهذه العبارة من بين الرواة عن ابن إسحاق، وقد ذكر نحوه: الواقدي في المغازي (٥١٤) ، وابن سعد في ابن سعد، الطبقات عن شيوخه (١٢٨/٢).

٣ - أبو عبيد، عارف خليل ، نظام الحكم في الإسلام: دار النفائس، ط ١٩٩٦م (٨٨).

٤ - انظر تفاصيل الخبر، الرسالة نصها (٩٢).

وهذه هي الطرق التي استخدمت فيما بعد لتتصيب خليفة المسلمين:
قال الإمام الماوردي: " والإمامة تتعقد من وجهين: أحدهما: باختيار أهل العقد والحل،
والثاني: بعهد الإمام من قبل" (١)

وقال النووي: " حاصله أن المسلمين أجمعوا على أن الخليفة إذا حضرته مقدمات الموت
وقبل ذلك، يجوز له الاستخلاف ويجوز تركه، فإن تركه فقد اقتدى بالنبي ﷺ في هذا، وإلا فقد
اقتدى بأبي بكر ﷺ، وأجمعوا على انعقاد الإمامة بالاستخلاف" (٢).

ونستطيع القول إنه من خلال منهج النبي ﷺ في اختيار الأمراء فقد مارس الطريقتين في
تتصيب الأمراء، مرة بالفعل، ومرة بالإقرار.

ولكن لا بد من الإشارة إلى أن العهد والاستخلاف من الخليفة أو الأمير إلى شخص آخر
يفيد أن له الحق في ترشيح من سيخلفه، وأن هذا الترشيح ليس كافياً وحده، وإنما لا بد من رضا
الجماعة بهذا العهد.

وهذا هو قول كثير من العلماء السابقين واللاحقين، الذين صرحوا بأن ولاية العهد من
قبل الخليفة القائم بالسلطة إنما هو حق ترشيح فقط، وليس حقاً بتعيين الإمام من بعده (٣).

وحرصاً على وجود الأمير على البلدان المفتوحة؛ كان النبي ﷺ إذا مات أميرها، مباشرة
يؤمر مكانه، وهذا ما فعله النبي ﷺ عندما مات أمير اليمن باذان الفارسي، حيث جعل مكانه عدة
أمراء كما ذكر الطبري في تاريخه:

"كان رسول الله ﷺ جمع فيما بلغنا، لباذان حين أسلم وأسلمت اليمن عمل اليمن كلها،
وأمره على جميع مخاليفها، فلم يزل عامل رسول الله ﷺ أيام حياته، فلم يعزله عنها، ولا عن
شيء منها، ولا أشرك معه فيها شريكاً حتى مات باذان، فلما مات فرّق عملها بين جماعة من
أصحابه" (٤).

١ - الماوردي، الأحكام السلطانية: (٦).

٢ - النووي: شرح، (٢٠٥/١٥).

٣ - راجع تفاصيل طرق اختيار الحاكم في الدولة الإسلامية، أبو عبيد، كتاب نظام الحكم في الإسلام: (٨٨-١٢٩).

٤ - الطبري، التاريخ: (٢٤٧/٢).

الفصل الرابع: الأحاديث الواردة في حقوق الأمير وواجباته.

المبحث الأول: الأحاديث الواردة في حقوق الأمير.

المطلب الأول: حقه في الطاعة.

المطلب الثاني: بذل النصيحة له.

المطلب الثالث: حقه في النفقة.

المطلب الرابع: حقه في الإجلال والمناصرة وعدم الطعن.

المطلب الخامس: حقه في تنصيب معاونين.

المطلب السادس: حقه في الاجتهاد.

المطلب السابع: اتخاذ القرار النهائي وإلزام الناس به.

المبحث الثاني: الأحاديث الواردة في واجبات الأمير.

المطلب الأول: طاعة النبي ﷺ وحفظ وصاياه.

المطلب الثاني: العدل بين الناس.

المطلب الثالث: رعاية الناس والرفق بهم وإسداء النصيحة لهم.

المطلب الرابع: تطبيق الشورى.

المبحث الأول

الأحاديث الواردة في حقوق الأمير

تمهيد:

إن الهدف من تنصيب الأمير على الجماعة هو سياسة الناس وتدير شؤونهم على وجه يحقق المصلحة ويدفع المفسدة، ولكن هذا الغرض لا يتحقق إلا إذا أعطى الأمير جميع حقوقه، التي تمكنه من تنفيذ ما فوض إليه من المهام على أحسن وجه؛ لذا قرر الشارع الحكيم للأمير حقوقاً وأوجب على الناس القيام بها.

فأمر جماعة المسلمين بالسمع والطاعة لأمرهم لتتوحد كلمتهم وتتنظم أحوالهم، وجعل للأمير حقاً في النفقة من بيت مال المسلمين حتى لا يشغله طلب العيش عن القيام بما أسند إليه من الواجبات. وأمر ببذل النصيحة له وإجلاله وعدم الطعن به ومناصرتة؛ لما يحققه هذا الواجب من الفوائد الجمة في حياة الفرد والمجتمع، وجعل له حقاً في تنصيب معاونين؛ ليساعدوه في القيام بأعباء الإمارة، كما جعل له الحق في اتخاذ القرار المناسب وإلزام الناس به متى كان ذلك في مصلحة الجماعة وغيرها من الحقوق التي تسهل مهمته وتحقق الغاية من تنصيبه.

وهذا ما سوف أتأوله إن شاء الله تعالى في المطالب الآتية:

المطلب الأول

حقه في الطاعة

حَرَصَ الإسلام على إيجاد المجتمع المترابط الذي يسوده الأمن والنظام، وأوجب من أجل ذلك تنصيب القادة والأمراء وأمر بطاعتهم والتزام أمرهم، وحذر من عصيانهم ومخالفة أمرهم؛ للحيلولة دون فساد الجماعة وتشيت شملها، ولم يجعل طاعة ولاة الأمر طاعة مطلقة بل قيدها بحدود الشرع، وأمر بها ما دامت في غير معصية الله تعالى، وهذا ما سألنا تسليط الضوء عليه من خلال النقاط الآتية:

أولاً: وجوب الطاعة:

الطاعة في اللغة: الانقياد والموافقة، وهي اسم من "الطوع" وهي مصدر "طاع": أي لان واناقد^(١)، والطاعة لا تكون إلا عن أمر، كما أن الجواب لا يكون إلا عن سؤال^(٢).

وفي الاصطلاح: الاستجابة والانقياد لما يأمر به وينهى عنه ولي الأمر، وذلك بامتنال الأمر والنهي دون منازعة ومعارضة، سواء أمر بما يوافق الطبع، أو لم يوافق بشرط أن لا يأمر بمعصية^(٣).

حث الإسلام على طاعة الأمراء، وجعلها من طاعة الله تعالى وقد جاء كثير من النصوص تبين وجوب طاعة الأمراء والتزام أمرهم.

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾^(٤). وأولو الأمر: هم الأمراء والولاة^(٥). وهم أصحاب التصرف في شأن الأمة، الذين يملكون زمام الأمور ويدهم قيادة الأمة^(٦).

١ - ابن منظور، لسان العرب: (٢٤٠/٨).

٢ - المصباح المنير (٣٨٠/٢).

٣ - انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: (٢٦١/٥)، القاري، ومرفقة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح: (١٩٨-١٩٩/٧).

٤ - سورة النساء: الآية (٥٩).

٥ - انظر: الطبري، جامع البيان، (١٧٦/٥-١٧٩)، الشوكاني، فتح القدير، (٤٨١-١)، وقد اختلف أهل العلم من المفسرين وغيرهم في المراد بأولي الأمر على أقوال أشهرها خمسة:

أولاً: أنهم الأمراء، قاله جمع من السلف منهم أبو هريرة وابن عباس، ورجحه الطبري. انظر: تفسير الطبري (٥٠٢/٨). وقال النووي: وهو قول جمهور السلف والخلف، شرح النووي: (٢٢٣/١٢).

ثانياً: أنهم العلماء وبه قال جمع من السلف منهم جابر بن عبد الله، والحسن البصري، والنخعي، ثالثاً: أنهم أصحاب محمد ﷺ فهو رأي مجاهد، رابعاً: أنهم أبو بكر وعمر رضي الله عنهما وهو قول عكرمة: راجع تفسير الطبري (٥٠٢/٨، ٥٠٣).

خامساً: قال ابن كثير: والظاهر أنها عامة في كل أولي أمر من الأمراء والعلماء. انظر: تفسير ابن كثير (٥٣٠/١).

وتجدر الإشارة إلى أن لفظ أولي الأمر لا يقتصر على من لهم السلطة الرئاسية من الناحية الإدارية فحسب، وإن كان يشملهم، وإنما هو لفظ عام شامل يرجع في تفسيره إلى الأعراف السائدة في كل عصر ومصر إعمالاً للقاعدة الأصولية التي تقضي بأن ما ورد به الشرع مطلقاً ولا ضابط له فيه ولا في اللغة فالمرجع فيه إلى العرف. فيمتد هذا المفهوم ليشمل، كما يقول محمد عبده، كبار العلماء ورؤساء الجند، والقضاة، وكبار التجار، والزراع وأصحاب المصالح العامة، ومديري الجمعيات والشركات، وزعماء الأحزاب. انظر: الاختيار على أسس الصلاحية، (٢٩٠).

ويقول المدودي في هذا الشأن: " يتسع مفهوم أولي الأمر ليشمل بين جنبيه كل من يتولون مقاليد الأمور في المجتمع، سواء أكانوا علماء مفكرين، أم زعماء سياسيين أم محافظي أقاليم أم قضاة محاكم أم رؤساء مجالس مدن أو قرى، أم نواب

يقول ابن تيمية: " طاعة الله ورسوله واجبة على كل أحد، وطاعة ولاة الأمور واجبة، لأمر الله بطاعتهم، فمن أطاع الله ورسوله بطاعة ولاة الأمر لله فأجره على الله، ومن كان لا يطيعهم إلا لما يأخذه من الولاية والمال فإن أعطوه أطاعهم؛ وإن منعه عصاهم فما له في الآخرة من خلاق" (٢).

وقد حث النبي ﷺ على طاعة أمرائه، وعد طاعتهم فرضا من الفروض، وجعل طاعتهم من طاعة الله تعالى وطاعة رسوله، وجعل عصيانهم من عصيان الله تعالى وعصيان رسوله ﷺ. فعن أبي هريرة ؓ أن رسول الله ﷺ قال: " من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن أطاع أميرى فقد أطاعني، ومن عصى أميرى فقد عصاني" (٣). قال الإمام النووي: " في هذا الحديث الحث على السمع والطاعة في جميع الأحوال؛ وسببها اجتماع كلمة المسلمين، فإن الخلاف سبب لفساد أحوالهم في دينهم ودنياهم" (٤).

وفي الحديث دلالة على صحة الخلافة والنيابة قيل: كانت قريش ومن يليها من العرب لا يعرفون الإمارة ولا يدينون لغير رؤساء قبائلهم، فلما جاء الإسلام وولى عليهم الأمراء أنكروته نفوسهم وامتنع بعضهم من الطاعة، فقال هذا القول يحثهم على طاعة من يؤمرهم عليهم والانتقاد لهم إذا بعثهم في السرايا وإذا ولاهم البلاد، فلا يخرجوا عليهم؛ لئلا تفترق الكلمة و ليعلمهم أن طاعتهم مربوطة بطاعته، وعصيانهم منوطه بعصيانه؛ ليطيعوا من ولى عليهم من الأمراء (٥).

ومما يؤكد وجوب طاعة الأمراء ما روى عبد الله بن عمر: أن رسول الله ﷺ كان في نفر من أصحابه فقال: " أستم تعلمون أني رسول الله إليكم؟" قالوا: بلى نشهد أنك رسول الله، قال: " أستم تعلمون أنه من أطاعني فقد أطاع الله ومن طاعة الله طاعتي؟" قالوا: بلى نشهد أنه من أطاعك، فقد أطاع الله ومن طاعة الله طاعتك. قال: " فإن من طاعة الله أن تطيعوني، ومن طاعتي أن تطيعوا أمراءكم" (٦).

فقد عدّ النبي ﷺ طاعة الأمراء من طاعة الله تعالى وذلك لما لهذه الطاعة من الآثار الطيبة التي تعود على الأمة في الدنيا والآخرة.

برلمانيين. وباختصار شديد تجب طاعة كل من كان صاحب أمر بين المسلمين، وكل من لا يستقيم الخلل في حياة المجتمع بنزاعه ومخالفته بشرط أن يكون من المسلمين، الحكومة الإسلامية: أبو الأعلى المودودي (٧٥).

١ - عبد الله، الرياض، طاعة أولي الأمر: الطريقي، دار المسلم للنشر، ط١، ١٤١٤ هـ (١٢).
٢ - ابن تيمية، مجموع الفتاوى: (١٧/٣٥).

٣ - البخاري، كتاب الأحكام، باب قول الله تعالى: " أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم" رقم الحديث (٦٧١٨)، مسلم، كتاب الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية وتحريمها في المعصية رقم الحديث (٤٨٥).

٤ - النووي، شرح صحيح مسلم (٢٢٥/١٢).

٥ - انظر: ابن حجر، فتح الباري ونسب هذا القول للخطابي وللإمام الشافعي (١١٢/١٣).
٦ - صحيح ابن حبان، باب فرض متابعة الإمام (٢١٠٩)، رواه الإمام أحمد، الممسند، وقال عنه شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح رجاله ثقات رجال الشيخين غير عقبة بن أبي الصهباء (١٩٢/٢)، مسند أبي يعلى، وقال حسين سليم أسد: إسناده حسن. (٣٤٠/٩).

وكانت طاعة الأُمراء إحدى الأوامر الأساسية التي أكد المصطفى ﷺ على وجوب الالتزام بها.

فمن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "أمركم بثلاث وأنهاكم عن ثلاث: أمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً، وتعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا، وتطيعوا لمن ولاة الله أمركم، وأنهاكم عن قيل وقال، وكثرة السؤال وإضاعة المال"^(١).

فقد أمر النبي ﷺ بطاعة ولاة الأمر بعد أن أمر بالاعتصام بحبل الله وعدم التفرق؛ لما لطاعة الأُمراء من أثر في اجتماع الصف ووحدة الأمة وإبعادها عن أسباب الفرقة والاختلاف.

ثانياً: أهمية طاعة الأمير وخطورة معصيته:

فالطاعة ناموس فطري لا تستقيم أمور الحياة بدونها، ولهذا خلق الله البشر متفاوتين في عقولهم ومواهبهم وقدراتهم وأخلاقهم، وذلك لتنظيم الحياة بالتعاون والتناصر وفق ناموس الطاعة كما قال تعالى: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سَخِرِيًّا﴾^(٢).

ومن هنا شرعت طاعة الوالدين، وطاعة الزوجة لزوجها، وطاعة الرقيق لسيده، وطاعة التلميذ لأستاذه^(٣).

فلا يمكن أن تنتظم الحياة، وتحيا المجتمعات، وتنفذ الأحكام إلا من خلال طاعة ولاة الأمر، ويقول الغزالي: "إن الدنيا والأمن على الأنفس والأموال لا ينتظم إلا بسطان مطاع"^(٤). فتطبيق شرع الله عز وجل وحفظ الأنفس والأموال من الاعتداء عليها لا يتم للأمة إلا بوجود سلطة مطاعة.

فقد جعل النبي ﷺ السامع المطيع صاحب حجة يوم القيامة وجعل العاصي بلا حجة؛ ليبين للناس أهمية الطاعة وأثارها على الناس.

فمن معاوية عن النبي ﷺ قال: "إِنَّ السَّامِعَ الْمُطِيعَ لَا حُجَّةَ عَلَيْهِ وَإِنَّ السَّامِعَ الْعَاصِيَ لَا حُجَّةَ لَهُ"^(٥). فطاعة الله ورسوله وطاعة الأُمراء ولاة الأمر الذين يطبقون شرع الله عز وجل سبيل للنجاة يوم القيامة.

١ - صحيح ابن حبان: باب طاعة الأئمة، وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم (٤٥٦٠). البخاري، الأدب المفرد: (١٥٨/١) رقم (٤٤٢)، ابن مندة، كتاب الإيمان (٢٢٨/١)، رقم (١٤٨).

٢ - سورة الزخرف: الآية (٣٢).

٣ - انظر: العز ابن عبد السلام، قواعد الأحكام في مصالح الأنام (١٣٤/٢).

٤ - الغزالي، أبو حامد، الاقتصاد في الاعتقاد، مكتبة النهضة، القاهرة (١٣٥).

٥ - رواه الإمام أحمد، المسند، وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح (٩٦/٤)، الطبراني، المعجم الكبير (٣٦٦/١٩)، السنة: ابن أبي عاصم (٥٠٣/٢)، رقم (١٠٥٦).

ولأهمية الطاعة كان النبي ﷺ يكتب إلى البلدان الداخلة في الإسلام ويوصيهم بطاعة أمرائه، فقد بعث إلى أهل هجر بكتاب فيه: "أما بعد فاتنه قد أتاني الذي صنعتكم، وإنه من يحسن منكم لا أحمل عليه ذنب المسيء، فإذا جاءكم أمراي فأطيعوهم وانصروهم على أمر الله، وفي سبيله، وإنه من يعمل منكم صالحاً فلن تضل عند الله ولا عندي"^(١).

ولأهمية الطاعة في جمع الكلمة وحفظ الصف، كان أمراء النبي ﷺ يستحثون الناس لطاعتهم والتزام أمرهم، يشهد لذلك ما فعله غالب بن عبد الله عندما أمره النبي ﷺ على سرية فدك فقد قال للناس قبل الدخول في المعركة: "أما بعد فإني أوصيكم بتقوى الله وحده لا شريك له وأن تطيعوني ولا تعصوني ولا تخالفوا لي أمراً، فإنه لا رأي لمن لا يطاع"^(٢). حيث بين لهم أهمية الطاعة، وبين لهم أن الأمير الذي لا يطاع فإن النتيجة هي الخسران الكبير وخراب الصف.

فعندما يقوم الناس بحق الطاعة على الوجه المشروع يسود النظام بين جماعة المسلمين، وتتحقق الأهداف، وأما إذا ترك الناس القيام بهذا الواجب وعصوا ولاة أمورهم، فإنه ينعدم الضبط والربط، وتحل في جماعة المسلمين الفوضى والاضطراب، ويصبح من السهل على الأعداء تمزيق وحدة المسلمين وهزيمتهم والقضاء عليهم.

وإن ما حدث للمسلمين يوم أحد من الهزيمة في أول المعركة: لهو أعظم دليل على خطورة معصية الأمير بمخالفة أمره^(٣).

فلما انتصر المسلمون، في المرحلة الأولى، وولى المشركون هاربيين، رأى الرماة الغنائم في ميدان المعركة، فظنوا أن مهمتهم قد انتهت، فقالوا: "قد هُزم أعداء الله فما لعودنا هنا معنى، فنكّرهم أميرهم عبد الله أمر رسول الله ﷺ بإيهم بالطاعة وعدم المخالفة"^(٤)، ولكنهم انطلقوا يجمعون الغنائم ولم يعبؤوا بقول أميرهم^(٥).

وقد ذكر ابن عباس ؓ وصفا لحالة الرماة في ذلك اليوم، فقال: "قلما غنم النبي ﷺ وأباحوا عسكر المشركين، أكب الرماة فدخلوا في العسكر يتهبون، وقد التقت صفوف أصحاب رسول الله ﷺ فهم كذا، وشبك بين أصابع يديه، والتبسوا قلماً أخل الرماة تلك الخلة التي كانوا

١ - ابن سعد، الطبقات (٢٧٦/١). رواه بدون إسناد.

٢ - الواقدي، المغازي، (٤٩٥/١)، ابن سعد، الطبقات (١٢٦/٢) الطبري، التاريخ. رواه عن محمد بن إسحاق (١٠٤/٢)، ابن القيم، زاد المعاد (٣٦١/٣).

٣ - انظر: الرشيد، القيادة العسكرية (٤٤).

٤ - ابن عبد البر، الدرر في اختصار المغازي والسير (١٤٨).

٥ - الرشيد، القيادة العسكرية (١٥٦).

فيها ، دخلت الخيل من ذلك الموضع على أصحاب النبي ﷺ فضرب بعضهم بعضاً، والتبسوا وقتل من المسلمين ناس كثير^(١).

وكان سبب ذلك مخالفة الرماة لأمر القائد الأعلى للجيش النبي ﷺ ومخالفة أميرهم عبد الله بن جبير فأصيب المسلمون بخسائر كثيرة، ويحدثنا عن ذلك شاهد عيان هو البراء بن عازب، قال: "... فلما لقيناهم هربوا حتى رأيت النساء يشتددن في الجبل، رفعن عن سوقهن قد بدت خلاخلهن، فأخذوا يقولون الغنيمة الغنيمة، فقال عبد الله: عهد إلى النبي ﷺ أن لا تبرحوا، فأبوا، فلما أبوا صرفت وجوههم فأصيب سبعون قتيلًا"^(٢).

وهذا كما ذكر ابن حجر أعظم دليل على سوء عاقبة مخالفة الجنود لأمر قائدهم، حيث عمّ ضرر هذه المعصية من لم تقع منه^(٣).

وقد نزل القرآن الكريم يصور حال المؤمنين في ذلك اليوم، وذلك في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُشِيتُمْ وَمَتَجَاكِعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِمَّن بَعْدَ مَا آرَأْتُمْ مَا تَحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٤).

ففي هذه الآية تقرير لحالة الرماة وقد ضعف فريق منهم أمام إغراء الغنيمة، ووقع النزاع بينهم وبين من يرى الطاعة التامة للأمير، وقد انتهى الأمر بهم إلى العصيان، فلما أن ضعفوا وتنازعوا وعصوا صرف الله قوتهم وبأسهم وانتباههم عن المشركين، وصرف الرماة عن ثغرة الجبل، وصرف المقاتلين عن الميدان فلاذوا بالفرار^(٥).

وما حدث في غزوة أحد هو درس لكل مسلم نتعلم منه الكثير ومن ذلك أن النصر والظفر، وتحقيق المقاصد والغايات لا يكون إلا بإتباع أولي الأمر والتزام أمرهم، وأن الحياد عن ذلك وإهمال أوامرهم يشنت أمر الجماعة ، ويجلب للأمة الحسرة والندامة، وهذا لا يكون إلا إذا كان الأمراء من أهل التقوى والصلاح.

^١ - رواه الإمام أحمد، المسند، وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده حسن (٢٨٧/١)، الحاكم، المستدرک علی الصحیحین وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وقال الذهبي: صحيح (٤٢٢/٢) رقم (٣١٦٣)، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد، وقال: وفيه عبد الرحمن بن أبي الزناد وقد وثق على ضعفه، (١٤٦/٢).

^٢ - البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب ما يكره من التنازع والاختلاف في الحرب وعقوبة من عصى إمامه (٢٨٧٤)، كتاب المغازي، باب غزوة أحد (٣٨١٧).

^٣ - ابن حجر، فتح الباري، (٣٥٣/٧).

^٤ - سورة آل عمران الآية (١٥٢).

^٥ - سيد قطب، في ظلال القرآن، شرح الآية ١٥٢ (٤٦٩/١).

ثالثا: حدود الطاعة.

أمر الإسلام بتطبيق شرع الله عز وجل وأوجب من أجل ذلك طاعة ولاية الأمر، ولكنه لم يجعل هذه الطاعة طاعة مطلقة بل قيدها بحدود الشرع، فالإسلام لا يرتضى لهذا الكون بكل ما فيه ومن فيه حاكما إلا الله تعالى، ولا يرتضى لتنظيم العلاقات بين الإنسان وأخيه الإنسان إلا شريعته وأحكامه؛ لهذا لا يمكن أن يجعل حق الطاعة مطلقا دون قيد، بل أوجب طاعة الأمراء ما داموا ملتزمين بتطبيق أحكام الشرع.

وقد جاءت الأحاديث النبوية الشريفة مبيّنة حدود هذا الحق، حتى تكون الأمة على بينة من الأمر: فعن علي رضي الله عنه قال: "بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ سَرِيَّةً وَأَسْتَعْمَلَ عَلَيْهِمْ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ وَأَمَرَهُمْ أَنْ يَسْمَعُوا لَهُ وَيَطِيعُوا فَأَغْضَبُوهُ فِي شَيْءٍ فَقَالَ: اجْمَعُوا لِي حَطْبًا. فَجَمَعُوا لَهُ ثُمَّ قَالَ: أَوْقِدُوا نَارًا. فَأَوْقَدُوا ثُمَّ قَالَ: أَلَمْ يَأْمُرْكُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ تَسْمَعُوا لِي وَتَطِيعُوا، قَالُوا: بَلَى، قَالَ: فَادْخُلُوهَا، قَالَ: فَتَنَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ فَقَالُوا: إِنَّمَا قَرَرْنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنَ النَّارِ. فَكَانُوا كَذَلِكَ، وَسَكَنَ غَضَبُهُ وَطَفِئَتِ النَّارُ فَلَمَّا رَجَعُوا ذَكَرُوا ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ «لَوْ دَخَلُوهَا^(١) مَا خَرَجُوا مِنْهَا إِنَّمَا الطَّاعَةُ فِي الْمَعْرُوفِ»^(٢).

وفي رواية أخرى قال: " لا طاعة في المعصية إنما الطاعة في المعروف " ^(٣).

وقد قيل إن أميرهم كان فيه دعاية فأمرهم بهذا؛ ليختبرهم.

فعن أبي سعيد رضي الله عنه قال: " بعث رسول الله ﷺ علقمة بن مجزز على بعث أنا فيهم فخرجنا حتى إذا كنا على رأس غزاتنا، أو في بعض الطريق، استأذنته طائفة فأذن لهم ، وأمر عليهم عبد الله بن حذافة السهمي، وكان من أصحاب بدر وكانت فيه دعاية، فكانت فيمن رجع معه، فبينما نحن في الطريق نزلنا منزلا، وأوقد القوم نارا يصطلون بها أو يصنعون عليها صنيعا لهم، إذ قال لهم عبد الله بن حذافة: أليس لي عليكم السمع والطاعة ؟ قالوا: بلى ؛ قال: فما أنا بأمركم من شيء إلا فعلتمو ؟ قالوا : بلى، قال: قال : فإني أعزم عليكم بحقي وطاعتي إلا تَوَاتَبْتُمْ فِي هَذِهِ النَّارِ قَالَ : فقام ناس حتى إذا ظن أنهم واثبون فيها قال : أمسكوا عليكم أنفسكم إنما كنت

^١ - قوله ﷺ: "لو دخلوها ما خرجوا منها" وردت برواية أخرى هي: "ما خرجوا منها أبدا"، ووردت برواية ثالثة" فلم يزلوا فيها إلى يوم القيامة"، والمراد بهذه الروايات الثلاث: أن الدخول فيها معصية، والعاصي يستحق النار. ويحتمل أن يكون المراد: لو دخلوها مستحلين لما خرجوا منها أبدا، وعلى هذا: ففي العبارة نوع من أنواع البدع وهو الاستخدام ؛ لأن الضمير في قوله: "لو دخلوها" للنار التي أوقدوها، والضمير في قوله: "ما خرجوا منها أبدا" لنار الآخرة؛ لأنهم ارتكبوا ما نهوا عنه من قتل أنفسهم، ويحتمل وهو الظاهر: أن الضمير للنار التي أوقدت لهم أي ظنوا أنهم إذا دخلوا بسبب طاعة أميرهم لا تضرهم، فأخبر النبي ﷺ أنهم لو دخلوا فيها لاحترقوا فماتوا فلم يخرجوا، انظر: فتح الباري (٦٠/٨).

^٢ - البخاري، كتاب الأحكام، باب السمع والطاعة للإمام ما لم تكن معصية (٦٧٢٦)، مسلم، واللفظ له، كتاب الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية (٤٨٧٢) (٤٨٧١).

^٣ - البخاري، كتاب التمني، باب ما جاء في إجازة خير الواحد الصدوق في الأذان والصلاة والصوم والفرائض والأحكام (٦٨٣٠)، صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية (٤٨٧٣).

أضحك معكم فلما قدموا على رسول الله ﷺ ذكروا ذلك له فقال رسول الله ﷺ : " من أمركم بمعصية فلا تطيعوه " (١).

فهذا الحديث الشريف يرشدنا ويبين لنا أن الإسلام بعد طاعة أولي الأمر مقيدة، وبعد كل فهم يغير ذلك معصية، يدل على ذلك قوله ﷺ في حق من هموا بدخول النار امتثالاً لأمر الأمير: "لو دخلوها ما خرجوا منها أبداً"، وواضح أنهم لم يستحقوا ذلك إلا لأنهم فهموا من أمر الرسول ﷺ لهم بطاعة الأمير، وأن طاعته واجبة في كل ما يأمر به مهما كان.

فبين لهم أن هذا ليس على إطلاقه، حيث تجب طاعة ولاة الأمور في كل الأمور مما ليس بمعصية، قال الشوكاني: وهذا تقييد لما أطلق في الأحاديث المطلقة القاضية بطاعة أولى الأمر على العموم، ثم فسر قوله " إنما الطاعة في المعروف " : "فيه بيان ما يطاع فيه من كان من أولى الأمر، وهو الأمر المعروف لا ما كان منكراً، والمراد بالمعروف ما كان من الأمور المعروفة في الشرع، لا المعروف في العقل أو العادة؛ لأن الحقائق الشرعية مقدمة على غيرها على ما تقرر في الأصول" (٢).

وقال ابن القيم: " فهذه فتوى عامة لكل من أمره أمير بمعصية الله كائنا من كان، ولا تخصيص فيه البتة" (٣).

فالمسلم مطيع لله تعالى ولا يمكن أن يخضع لأمر فيه معصية لله تعالى مهما بلغ الأمر من المنزلة والسلطان، فتجب الطاعة حيث لم يأمروا بمعصية فإن أمروا بمعصية فلا سمع ولا طاعة، فعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: " لا طاعة لبشر في معصية الله جل وعلاه" (٤).

فلا طاعة للأمير أو الإمام إذا تجاوز الحد في أمره ولم يجعل ميزان الحق والعدل نصب عينيه، ويشهد لهذا ما روى عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: " السمع والطاعة على المرء المسلم فيما أحب وكره، ما لم يؤمر بمعصية، فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة" (٥).

يؤكد النبي ﷺ في هذا الحديث على وجوب طاعة ولي الأمر، ويبين أن هذه الطاعة ليست طاعة مطلقة بل مقيدة بإقامة شرع الله وعدم الأمر بالمعصية، فإذا تجاوز ولي الأمر ذلك

^١ - ابن حبان، الصحيح، كتاب السير، باب طاعة الأئمة، وقال الأرنؤوط: إسناده حسن، (٤٥٥٨).

^٢ - الشوكاني، نيل الأوطار (٢٣/٨).

^٣ - ابن قيم، إعلام الموقعين (٤٠٠/٤).

^٤ - ابن حبان، الصحيح كتاب السير، باب طاعة الأئمة (٤٥٦٨)، رواه الإمام أحمد، المسند وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين (١٢٩/١) أبو يعلى، المسند وقال حسين سليم أسد: إسناده صحيح (٢٤١/١) (٢٧٩).

^٥ - البخاري، كتاب الأحكام، باب السمع والطاعة للإمام ما لم تكن معصية (٦٧٢٥)، صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية (٤٨٦٩).

ولم يطبق شريعة الإسلام، وأمر الناس بفعل المعاصي فلا طاعة له في ذلك؛ لأن الغاية من تنصيب الأمير أو الإمام إقامة شرع الله والعدل بين الناس ورفع التظالم، ومن لا يحقق هذه الغاية لا تجب طاعته؛ لأن في طاعته هلاك الأمة وتشيت شملها، فالخليفة إذا أمر بمعصية لا تجب طاعته، فمن باب أولى أن لا يطاع أي ولي أمر مهما كانت ولايته إذا أمر بمعصية.

ويعلق سعدي أبو حبيب على هذا الحديث قائلاً: "يكشف لنا هذا الحديث الشريف عن جانب نفسي دقيق يتلمسه كل إنسان منا حين يتلقى الأوامر من السلطة.

إن الإنسان ليرحب بكل أمر يأتي وفق ما يهوى، وما يشتهي، فإن جاء على غير ذلك اشماز وسخط وفرق كبير بين هذا وذاك، إنه في الموقف الأول يندفع بكل ما أوتي من قوة؛ لتنفيذ هذا الأمر، أما في الموقف الآخر فإنه يفتش عن كل حيلة، ويسعى وراء كل وسيلة؛ ليتهرب من تنفيذ ذلك الأمر، ولكن التوجيه النبوي يوجب علينا الطاعة، سواء أجاه الأمر من أولي الأمر على ما نحب ونهوى، أم لم يكن كذلك، إن علينا في الحالين أن نمتثل ونقبل وننفذ كل ما يصدر عن السلطة، ما لم يكن فيه معصية، فإن كان فيه معصية، فقد فرض الإسلام علينا في هذا الحال أن نتخذ موقفاً يرضي الله تعالى وحده، وأن نطيع أمر الله، لا أمر أحد سواه^(١).

فحق الطاعة محصور في الأمر الذي لا يخالف أحكام الشريعة، ولا يخرج على مبادئها، لهذا لم يطع ابن عمر وأصحابه أميرهم خالد بن الوليد عندما أمرهم بقتل الأسرى لأنهم رأوا أن ذلك مخالف لأحكام الشريعة

فمن سالم عن أبيه قال: "بعث النبي ﷺ خالد بن الوليد إلى بني جذيمة، فلم يحسنوا أن يقولوا أسلمنا، فقالوا صباناً صباناً، فجعل خالد يقتل ويأسر، ودفع إلى كل رجل منا أسيره. فأمر كل رجل منا أن يقتل أسيره، فقلت: والله لا أقتل أسيري، ولا يقتل رجلاً من أصحابي أسيره. فذكرنا ذلك للنبي ﷺ فقال: "اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد بن الوليد". مرتين^(٢).

فابن عمر وأصحابه لم ينفذوا ما طلبه أميرهم، وخالفوه؛ لأنهم عدوا أن ذلك مخالف للدين، وما قاله النبي ﷺ يدل على أن النبي ﷺ لم يرض عن فعل خالد، وفي هذا إشارة إلى تصويب فعل ابن عمر ومن تبعه في تركهم متابعة خالد على قتل من أمرهم بقتلهم^(٣).

وقد سار الخلفاء الراشدون والصحابة الكرام رضي الله عنهم على نهج المصطفى ﷺ، ولم يأمروا الناس بطاعتهم طاعة مطلقة يشهد لهذا ما فعله أبو بكر الصديق ﷺ عندما تولى

^١ - انظر: سعدي أبو حبيب، دراسة في منهاج الإسلام السياسي، مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٩٨٥ م، (٣٠٨، ٣٠٩).
^٢ - البخاري، كتاب الأحكام، باب إذا قضى الحاكم بجور أو خلاف أهل العلم فهو رد (٦٧٦٦)، وكتاب المغازي، باب بعث النبي ﷺ خالد بن الوليد إلى بني جذيمة (٤٠٨٤).
^٣ - انظر: ابن حجر، فتح الباري (١٨٢/١٣).

منصب الخلافة، فقد صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه وقال: "أيها الناس إني قد وليت عليكم ولست بخيركم، فإن أحسنت فأعينوني وإن أسأت فقوموني، الصدق أمانة والكذب خيانة" (١).
 فقد بث أبو بكر الصديق الوعي في نفوس أصحابه، ولم يجعل طاعته طاعة مطلقة، وأرشدهم إلى الطاعة الواعية، وبين لهم أن طاعته واجبة إذا أحسن تطبيق شرع الله عز وجل وأعطى الرعية الحق بحسابته إذا أخل بذلك.

ولا بد في نهاية هذا المطلب أن أبين مسؤولية الأمير على أفعاله وتصرفاته:

الأمير مكلف من قبل النبي ﷺ، ومطلوب منه أن ينفذ أوامره وأن يقوم بالمهام والواجبات الموكلة إليه؛ لهذا فهو مسؤول عن أخطائه وتصرفاته سواء ما يتعلق منها بأموره الخاصة وعلاقته الشخصية أو ما يتعلق بأمور الناس، وكما أنه مسؤول عن تصرفاته الشخصية، فهو مسؤول أيضا عن ولاهم ممن هم تحت يده من موظفين وعمال إذا ما وقع منهم إهمال أو اعتداء أو تقصير أو سوء تصرف سواء أكان مقصودا أم غير مقصود، فلا بد من محاسبتهم على ما يفعلون.

ومسؤولية الأمير مزدوجة، فهو مسؤول أمام الله تعالى يوم الحساب والجزاء، فإن نصح وعدل وأدى ما عليه من واجبات وكان راعيا لأماناته وعهده جازاه الله أحسن الجزاء وأكرم مثواه يوم القيامة، وإن فعل غير ذلك كان عليه وزر هذه الأمانة يوم القيامة.

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: «أَلَا تَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَالْأَمِيرُ الَّذِي عَلَى النَّاسِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُمْ وَالْمَرَأَةُ رَاعِيَةٌ عَلَى بَيْتِ بَعْلِهَا وَوَالِدٌ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُمْ، وَالْعَبْدُ رَاعٍ عَلَى مَالِ سَيِّدِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُ، أَلَا فَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ» (٢).

وعن معقل بن يسار رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: "مَا مِنْ وَالٍ يَلِي رِعِيَةَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَيَمُوتُ وَهُوَ غَاشٍ لَهُمْ إِلَّا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ" (٣).

١ - ابن هشام، المصيرة النبوية، عن ابن إسحاق (٨٢/٤)، عبد الرزاق، المصنف، (٣٣٦/١١) رقم (٢٠٧٠٢).
 ٢ - البخاري، كتاب الأحكام، باب قول الله تعالى: "أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم" (٦٧١٩)، كتاب النكاح، باب "قروا أنفسكم وأهليكم نارا" (٤٨٩٢)، مسلم، واللفظ له، كتاب الإمارة، باب فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر والحث على الرفق بالرعية والنهي عن إدخال المشقة عليهم. (٤٨٢٨).
 ٣ - البخاري، كتاب الأحكام، باب من استرعى رعية فلم ينصح (٦٧٢٢)، مسلم، كتاب الإيمان، باب استحقاق الوالي الغاش لرعيته النار (٣٨٠).

وإلى جانب هذه المسؤولية الأخروية مسؤولية دنيوية أمام قائده ﷺ الذي كلفه بالإمارة، فقد كان النبي ﷺ يحاسب أمراءه وعماله في حالة تقصيرهم أو خطئهم أو مخالفتهم، ومن ذلك أن النبي ﷺ حاسب ابن اللثبية بسبب الهدايا التي كان يأخذها من الناس.

فمن أبي حميد الساعدي رضي الله عنه قال: استعمل رسول الله ﷺ رجلا من الأسد على صدقات بني سليم يدعى بن اللثبية فلما جاء حاسبه^(١).

وعن عدي بن عميرة الكندي قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "من استعملناه منكم على عمل فكتمنا مخطيا"^(٢)، فما فوقه كان غلولا يأتي به يوم القيامة" قال: فقام إليه رجل أسود من الأنصار كاتي أنظر إليه فقال: يا رسول الله أقبل عني عمالك قال: "ومالك" قال: سمعتك تقول كذا وكذا، قال: وأنا أقوله الآن: "من استعملناه منكم على عمل فليجيء بقليله وكثيره فما أوتى منه أخذ وما نهي عنه انتهى"^(٣)، حيث كان النبي ﷺ يحذر عماله ويبين لهم أنهم مسؤولون عن أعمالهم في الدنيا والآخرة.

وقد حاسب النبي ﷺ عمرو بن العاص رضي الله عنه عندما أمره على سرية ذات السلاسل كما ذكرنا سابقا - فلما عاد عمرو بن العاص، شكاه الناس إلى النبي ﷺ بسبب ما قام به من أعمال حيث منعهم من إيقاد النار على الرغم من البرد الشديد، ومنعهم من متابعة جنود الأعداء وصلى بالناس دون أن يغتسل من الجنابة بل غسل مغابنه وتوضأ.

فعقد له النبي ﷺ محاكمة ميدانية، فكان الرسول ﷺ هو القاضي فيها، وكان عمرو بن العاص هو الأمير المتهم فيها.

كما روى عوف بن مالك رضي الله عنه قال: "جنت النبي ﷺ وهو يصلي في بيته فقلت: السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته، وأخبرته بمنع عمرو رضي الله عنه للمسلمين من اتباع العدو، ومن إيقاد النار ومن صلاته بأصحابه وهو جنب. فلما قدم عليه عمرو كلمه ﷺ في ذلك، قال عمرو: كرهت أن يوقدوا نارا فيرى عدوهم قتلهم، وكرهت أن يتبعوهم فيكون لهم مدد فيعطفون عليهم، فحمد رسول الله ﷺ أمره. قال عمرو: وسألني عن صلاتي، فقال: يا عمرو صليت بأصحابك وأنت جنب؟ فأخبرته بالذي منعتني من الاغتسال، وقلت شيئا والذي بعثك بالحق إنني لو اغتسلت

^١ - البخاري، كتاب الزكاة، باب قول الله تعالى: "والعاملين طيبا" ومحاسبة المصدقين (١٤٢٩)، وكتاب الهدية وفضلها والتحرير طيبا، باب من لم يقبل الهدية لعلة: (٢٤٥٧)، صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب تحريم هدايا العمال (٤٨٤٣).

^٢ - مخطئا: إبرة. انظر: النهاية في غريب الحديث (٥٤٥/١).

^٣ - مسلم، كتاب الإمارة، باب تحريم هدايا العمال (٤٨٤٨).

لمت، لم أجد برداً قط مثله، وأني سمعت الله تعالى يقول: ﴿وَمَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾^(١)، فضحك رسول الله ﷺ «^(٢)».

وانتهت هذه المحاكمة بالبراءة بعد أن بين عمرو بن العاص الأسباب التي دفعته لفعل ما فعل.

و من ذلك لما بعث النبي ﷺ خالد بن الوليد على سرية إلى بني جذيمة داعياً فارتكب خطأ عندما قتل أسراهم حسب اجتهاده، فلما علم النبي ﷺ بالحادثة أنكر عليه فعله وقال: " اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد"^(٣).

ثم بعد ذلك بعث علياً بن أبي طالب، فودى لهم الدماء وما أصيب لهم من الأموال وزادهم فوق ذلك إحساناً إليهم وتطييباً لنفوسهم^(٤). وذلك من أجل التكفير عن خطأ خالد بن الوليد ﷺ.

وفي هذا بيان أن الدولة تتحمل ما يحصل من أخطاء الولاة والعمال. وكان أيضاً يحاسب الأمير على تصرفه من خلال عزله عن الإمارة كما فعل عندما عزل سعد بن عباد وأمر ابنه قيساً رضي الله عنهما^(٥) بسبب تصرفه الخطأ في فتح مكة.

١ - سورة النساء: الآية (٢٩).
٢ - ابن هشام، المسيرة النبوية عن ابن إسحاق (١٧٣/٤)، الواقدي، المغازي (٥٢٣). البيهقي، دلائل النبوة (١٩/٥). المسيرة الحلبية: (٢٠٠/٣)، سبل الهدى والرشاد: الصالحى (٢٦٥-٢٦٦).
٣ - البخاري، كتاب المغازي، باب بعث النبي ﷺ خالد بن الوليد إلى بني جذيمة (٤٠٨٤).
٤ - ابن هشام، المسيرة النبوية عن ابن إسحاق (٤٦/٤).
٥ - انظر: فتح الباري (١٢/٨)، عيون الأثر (٢٢٣/٢)، زاد المعاد (٣٤٧/٣).

المطلب الثاني

بذل النصيحة له

النصيحة من حقوق الأمير على جماعة المسلمين، فيجب عليهم توجيه النصح الأمين إلى ولي الأمر لكشف الأخطاء والانحرافات أولاً بأول حتى يمكن علاجها قبل أن تستفحل وتلحق الضرر بالمصلحة العامة، وعلى الأمة القيام بنصيحة ولاة الأمر سواء أطلبها هؤلاء أم لا، وقد أوجب النبي ﷺ التناصح بين أبناء الأمة الإسلامية؛ وذلك لما له من أثر في نشر الفضيلة بين أفراد الأمة الإسلامية، والقضاء على الفساد والانحلال الذي يعكر صفو الحضارة الإسلامية.

فمن تميم الداري أن النبي ﷺ قال: "الدين النصيحة" قلنا: لمن؟ قال: "الله، ولكتابه، ورسوله، ولأئمة المسلمين وعامتهم"^(١).

يؤكد النبي ﷺ في هذا الحديث على ضرورة التناصح بين أفراد الأمة ويبين أن ذلك لا ينحصر في فئة محددة، وإنما يشمل الأمة كلها حكاما ومحكومين، ولا يخفى ما للنصح لولاة أمر المسلمين من دور في حفظ حياة الأمة والسير بها نحو التقدم والازدهار.

فنصيحة ولاة أمر المسلمين وعامتهم واجب ولازم ولا يتم الإيمان إلا بها ولا يثبت الإسلام إلا عليه، فقد جعل النبي ﷺ النصيحة شرطا لا بد منه لدخول الإسلام^(٢):

فمن جرير بن عبد الله قال: "أتيت النبي ﷺ فقلت: أبايعك على الإسلام، فشرط علي.. والنصح لكل مسلم، فبايعته على هذا"^(٣).

وقد دخلت النصيحة في باب البيعة وصفقة اليد وثمره الفؤاد مع النبي ﷺ فعن جرير بن عبد الله قال: "بايعت رسول الله ﷺ على شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة والسمع والطاعة والنصح لكل مسلم"^(٤).

فقد كان النبي ﷺ يبائع الناس على النصح للمسلمين وذلك لما للنصح من دور بارز في إصلاح أحوال الأمة، ونشر الإسلام وتثبيت دعائمه والقضاء على أسباب الفساد والانحلال. فقد بلغت النصيحة في نظام الإسلام من المكانة شأوا كبيرا حيث جعلها بعد شهادة التوحيد، وفي مستوى الصلاة، والزكاة.

^١ - مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان أن الدين النصيحة (٢٠٥)، وقد جعل البخاري هذا الحديث في ترجمة الباب (٤٢) (٣٠/١).

^٢ - العيني، عمدة القاري (٣٢٢/١).

^٣ - صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب قول النبي ﷺ: الدين النصيحة لله ورسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم (٥٨).

^٤ - البخاري، كتاب البيوع، باب هل يبيع حاضر لباد بغير أجر وهل يعينه أو ينصحه (٢٠٤٩)، وكتاب الإيمان، باب قول النبي ﷺ: (الدين النصيحة لله ورسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم) (٥٧)، وكتاب الشروط، باب ما يجوز من الشروط في الإسلام والأحكام والمبايعات (٢٥٦٦)، مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان أن الدين النصيحة (٢٠٦).

وقد قرن النبي ﷺ بين السمع والطاعة وبين النصيح للمسلمين، فعن جرير رضي الله عنه قال: "بَايَعْتُ النَّبِيَّ ﷺ عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فَلَقَّنْتَنِي «فِيمَا اسْتَطَعْتُ» ، وَالنُّصِيحَ لِكُلِّ مُسْلِمٍ" (١). ولا شك أن النصيح للأمر من أنواع الطاعة لهم وفي إهمال ذلك تضييع لحقهم وتقصير في طاعتهم، لهذا كان من حقوقهم على الناس بذل النصيحة لهم. وقد جعل النبي ﷺ أيضا ترك مناصحة ولاة الأمر يستوجب مفارقة جماعة المسلمين، فعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم، ومن لم يصبح ويمس ناصحا لله ولرسوله ولكتابه ولإمامه ولعمامة المسلمين فليس منهم" (٢). فيحذر النبي ﷺ في هذا الحديث من تضييع حقوق الأئمة والأمراء والتقصير في نصيحهم، ويعد فعل هذا الأمر من الأمور التي تبعد المرء عن وصفه مسلما.

وقد عدّ النبي ﷺ النصيح لولاية الأمر من الأمور التي يرضاها الله عز وجل لعباده الصالحين. فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "إن الله عز وجل رضي لكم ثلاثا، وكره لكم ثلاثا رضي لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا، وأن تصحوا لمن ولاه الله أمركم، وأن تعصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا، وكره لكم قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال" (٣).

فبيّن النبي ﷺ في هذا الحديث أن النصيح لولاية الأمر من الأمور التي يرضاها الله تعالى لعباده؛ وذلك لما للنصيح لهم من دور في حفظ أمن الأمة واستقرارها.

وقد أكد النبي ﷺ أن بذل النصيحة لولاية الأمر تعد من الصفات التي لا تفارق المؤمن، فعن زيد بن ثابت أن رسول الله ﷺ قال: "ثلاث لا يغفل عليهن قلب امرئ مؤمن: إخلاص العمل لله، ومناصحة ولاة الأمر، ولزوم جماعة المسلمين، فإن دعوتهم، تحيط من ورائهم" (٤).

فالمؤمن الحق يحرص دائما على طاعة الأمراء ونصيحهم؛ ليجلب لنفسه ولمجتمعهم الخير والرشاد في الدنيا والآخرة.

١- البخاري، كتاب الأحكام، باب كيف يبايع الإمام الناس (٦٧٧٨)، مسلم، واللفظ له، كتاب الإيمان، باب بيان أن الدين النصيحة (٢١٠).

٢- الطبراني، المعجم الأوسط (٢٧٠/٧) رقم (٧٤٧٣)، الطبراني، المعجم الصغير (١٣١/٢) رقم (٩٠٧)، وقال البيهقي، رواه الطبراني في الأوسط والصغير وفيه عبد الله بن أبي جعفر الرازي ضعفه محمد بن حميد وثقه أبو حاتم وأبو زرعة وابن حبان، مجمع الزوائد، (١/ ٢٦٤)، وقال ابن حجر: صنوق يخطيء، وقال الذهبي: وثق، وفيه شيء.

٣- موطأ الإمام مالك، باب ما جاء في إضاعة المال وذوي الزوجين (١٧٩٦)، صحيح ابن حبان، كتاب الزكاة، باب المسألة والأخذ وما يتعلق به من المكافأة والثناء والشكر (٣٣٨٨). رواه الإمام أحمد، المسند وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم، (٣٦٠/٢) (٣٦٧/٣). الأدب المفرد، البخاري، وقال الألباني: صحيح. (١٥٨/١)

٤- ابن ماجه، السنن، باب من بلغ علما، قال الألباني: صحيح، (٢٣٠). الترمذي، السنن، كتاب العلم، باب ما جاء في الحث على تبليغ السماع (٢٦٥٨)، ابن حبان، واللفظ له، الصحيح، كتاب الرقائق، باب الفقر والزهد والقناعة وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح (٦٨٠)، أبو يعلى، المسند وقال حميد بن سليمان أسد: الحديث صحيح، (١٣ / ٣٣٥)، ومعناه: أن هذه الخصال الثلاث لا يحقد عليها قلب مسلم، بل يحبها ويرضاها.

وقد دعا أمير المؤمنين عمر بن الخطاب إلى نصيحة الأمراء، روى معمر عن الزهري عن السائب بن يزيد قال: قال رجل لعمر بن الخطاب: ألا أخاف في الله لومة لائم خير لي، أم أقبل على أمري؟ فقال: "أما من ولي من أمر المسلمين شيئا فلا يخف في الله لومة لائم، ومن كان خلوا فليقبل على نفسه ولينصح لأميره"^(١).

وقد كان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب يرى أن له حقا على الناس وهو النصيحة، فعن سلمة بن كهيل قال: قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "أيتها الرعية إن لنا عليكم حقا: النصيحة بالغيب، والمعاونة على الخير. وإنه ليس شيء أحب إلى الله، وأعم نفعاً من حلم إمام ورفقه، وليس شيء أبغض إلى الله من جهل إمام، وخرقة"^(٢).

فنصيحة ولاة الأمر فرض لا ينبغي تركه، وإدراك نافذة خير لا يدعها إلا من سفه نفسه، وترك موضع حظه^(٣). يقول ابن تيمية: "طاعة ولاة الأمور ومناصحتهم واجب على كل إنسان وإن لم يعاهدكم عليه كما يجب عليه الصلوات الخمس والزكاة والصيام وحج البيت وغير ذلك"^(٤).

وتكون النصيحة لأئمة المسلمين بمعاونتهم على الحق، وطاعتهم فيه، وأمرهم به، وتبئيرهم وتذكيرهم برفق ولطف، وإعلامهم بما غفلوا عنه ولم يبلغهم من حقوق المسلمين، وترك الخروج عليهم، وجمع الكلمة عليهم ورد القلوب النافرة إليهم^(٥).

" قال الخطابي رحمه الله: ومن النصيحة لهم الصلاة خلفهم، والجهاد معهم، وأداء الصدقات إليهم، وترك الخروج بالسيف عليهم إذا ظهر منهم حيف أو سوء عشرة، وأن لا يغفروا بالثناء الكاذب عليهم، وأن يدعى لهم بالصلاح.

وهذا كله على أن المراد بأئمة المسلمين الخلفاء وغيرهم ممن يقوم بأمر المسلمين من أصحاب الولايات وهذا هو المشهور^(٦)، فيدخل فيه الولاة والعمال وأمراء الجيوش والسرايا وغيرهم.

ويجب على الناصح أن يختار الوقت المناسب للنصح، وأن يتخير الأسلوب المناسب أيضاً؛ ولهذا أرشدنا النبي صلى الله عليه وسلم إلى الطريق الأقوم لنصح ذوي السلطان.

١ - عبد الرزاق، المصنف (٣٣٢/١١) (٢٠٦٩٣)، البيهقي، شعب الإيمان: (٥٧/١٠) (٧١٥٥)، وانظر: التمهيد لابن عبد البر، (٢٨٥/٢١).

٢ - الطبري، التاريخ: (٥٧٨/٢)، الخراج: لأبي يوسف (١٢).

٣ - من كلام الشافعي، انظر الرسالة: (٥٠).

٤ - ابن تيمية، مجموع الفتاوى: (٩/٣٥).

٥ - انظر: ابن حجر، فتح الباري (١٢٨/١). النووي، شرح صحيح مسلم (٣٨/٢).

٦ - انظر: النووي، شرح صحيح مسلم (٣٩، ٣٨/٢).

فمن عياض بن غنم قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "مَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْصَحَ لِسُلْطَانٍ بِأَمْرٍ، فَلَا يَبْدُ لَهُ عِلَابِيَّةٌ، وَلَكِنْ لِيَأْخُذَ بِيَدِهِ فَيَخْلُوَ بِهِ، فَإِنْ قَبِلَ مِنْهُ فَذَلِكَ، وَإِلَّا كَانَ قَدْ آدَى الَّذِي عَلَيْهِ لَهُ"^(١).
فنصيحة ولاة الأمر تكون في السر، ولا تكون أمام العامة؛ حفاظا على هيبة الأمير أمام الناس.

وقد قيل لأسامة بن زيد رضي الله عنهما: "لو أتيت فلانا فكلمته. قال: إنكم لترون أني لا أكلمه إلا أسمعكم، إنني أكلمه في السر دون أن أفتح بابا لا أكون أول من فتحه"^(٢).
وعند مسلم أنه قيل لأسامة بن زيد: "ألا تُنْخَلُ عَلَى عَثْمَانَ فَتُكَلِّمُهُ؟" فقال: "أَتُرَوْنَ أَنِّي لَا أَكَلِّمُهُ إِلَّا أَسْمِعُكُمْ، وَاللَّهِ لَقَدْ كَلَّمْتُهُ فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَهُ مَا دُونَ أَنْ أَفْتَحَ أَمْرًا لَا أَحِبُّ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ فَتَحَهُ وَلَا أَقُولُ لِأَحَدٍ يَكُونُ عَلَيَّ أَمِيرًا إِنَّهُ خَيْرُ النَّاسِ بَعْدَ مَا سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «يُؤْتَى بِالرَّجُلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُلْقَى فِي النَّارِ فَتَنْدَلِقُ أَقْتَابُ بَطْنِهِ فَيَدُورُ بِهَا كَمَا يَدُورُ الْحِمَارُ بِالرَّحَى فَيَجْتَمِعُ إِلَيْهِ أَهْلُ النَّارِ فَيَقُولُونَ يَا فُلَانُ مَا لَكَ أَلَمْ تَكُنْ تَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ فَيَقُولُ بَلَى قَدْ كُنْتُ أَمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَلَا آتِيهِ وَأَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ وَآتَيْهِ»"^(٣).

فواجب كل فرد من أفراد الأمة الإسلامية إذا رأى خلا أو قصورا في أميره أو مجتمعه أن ينصح، وأن يتابع النصيحة مع التلطف في التعريف بالعيب الذي يعلمه المنصوح من نفسه وهو يظمره، وذلك بالتعريض مرة والتصريح مرة أخرى، وأن يحتال؛ لإزالة الخلل والقصور وأن يبذل كامل الجهد للإقناع.

١ - رواه الإمام أحمد، المسند، وقال شعيب الأرنؤوط: صحيح لغيره دون قوله: من أراد أن ينصح لسلطان بأمر... فحسن لغيره (٤٠٣/٣)، المنلة: ابن أبي عاصم (٥٢١/٢) (١٠٩٦)، الأموال: القاسم بن سلام (١٠٩/١) (٩٨).
٢ - البخاري، كتاب بدء الخلق، باب صفة أبواب الجنة (٣٠٩٤).
٣ - مسلم، كتاب الزهد والرقائق، باب عقوبة من يأمر بالمعروف ولا يفعله وينهى عن المنكر ويفعله (٧٦٧٤).

المطلب الثالث

حقه في النفقة

من الحقوق التي أقرها الإسلام للأمرء حق النفقة فمن حق الأمير أن تكون نفقته على الدولة، ويفرض له راتباً يكفي مؤونته ومن يعول؛ لأنه قصر نفسه على مصلحة عامة المسلمين، والقيام بالمهام الموكلة إليه كالقيام على أمر الجيش وتبدير شؤونه وغير ذلك من المهام التي تتوقف عليها مصلحة الأمة من أجل ذلك فرض له الإسلام ما يكفيه لكي لا ينشغل بطلب الرزق عن القيام بواجبه.

وقد كان النبي ﷺ يفرض لولاته وعماله راتباً، ويجعل نفقتهم من بيت مال المسلمين ومما ورد في ذلك أنه لما استعمل عتاب بن أسيد على مكة جعل نفقته من بيت مال المسلمين كما ذكر ابن هشام: "و بلغني عن زيد بن أسلم أنه قال: لما استعمل رسول الله ﷺ عتاب بن أسيد على مكة رزقه كل يوم درهما، فقام فخطب الناس.

فقال: أيها الناس، أجاج الله كبد من جاع على درهم، فقد رزقني رسول الله ﷺ درهما كل يوم، فليست بي حاجة إلى أحد"^(١).

وكان النبي ﷺ إذا أمر أميراً، أو استعمل عاملاً جعل له ما يكفيه من المال وفرض له نفقة من بيت مال المسلمين؛ لكي لا يفكر أن يأخذ شيئاً من المال ليس من حقه، فعن عبد الله بن بريدة عن أبيه عن النبي ﷺ قال: "من استعملناه على عمل فزرقناه رزقاً فما أخذ بعد ذلك فهو غلول"^(٢).

وعندما أمر النبي ﷺ زياد بن الحارث على صداء، طلب زياد بن الحارث من النبي ﷺ أن يجعل له رزقاً يكفيه؛ لئلا ينشغل بالعمل عن أمر المسلمين.

فعن زياد بن الحارث قال: "أمرني النبي ﷺ عليهم وكتب لي كتاباً بذلك، فقلت: يا رسول الله مر لي بشيء من صدقاتهم قال: نعم، فكتب لي كتاباً آخر"^(٣).

١ - ابن هشام، المييرة النبوية (٩٢/٤)، ابن كثير، المييرة النبوية (٦٩٧/٣)، البداية والنهاية (٣٦٨/٤)، السهيلي، الروض الأنف: (٢٧٧/٤)، الشامي، سبل الهدى والرشاد (٤٠٧/٥)، الحلبي، السيرة الحلبيية (٦٠/٣).
٢ - أبو داود، السنن، كتاب الخراج والإمارة والفيء، باب في أرزاق العمال، وقال الألباني: صحيح (٢٩٤٣)، الحاكم، المستدرک علی الصحیحین، كتاب الزكاة وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه (١٤٧٢)، صحيح ابن خزيمة، باب فرض الإمام للعمال على الصدقة رزقاً معلوماً قال الأعظمي: إسناده صحيح، (٢٣٦٩).
٣ - المعجم الكبير: الطبراني (٢٦٢/٥)، زاد المعاد (٢٦٢/٥)، وفيه عبد الرحمن بن زياد بن أنعم وهو ضعيف. انظر: تهذيب التهذيب (١٥١/٦).

ومما يدل أيضا على مشروعية النفقة على العمال والولاية ما رواه الإمام البخاري بسنده عن السائب بن يزيد: أن حويطب بن عبد العزى أخبره "أن عبد الله بن السعدي^(١) أخبره أنه قدم على عمر في خلافته فقال له عمر: ألم أحدث أنك تلي من أعمال الناس أعمالا، فإذا أعطيت العمالة كرهتها؟ فقلت: بلى، فقال عمر: ما تريد إلى ذلك؟ فقلت: إن لي أفراسا وعبدا وأنا بخير، وأريد أن تكون عمالتي صدقة على المسلمين، قال عمر: لا تفعل، فإني كنت أردت الذي أردت، فكان رسول الله ﷺ يعطيني العطاء فأقول: أعطه أفقر إليه مني، حتى أعطاني مرة مالا فقلت: أعطه أفقر إليه مني، فقال النبي ﷺ: "خذه فتموله وتصدق به، - فما جاءك من هذا المال وأنت غير مشرف^(٢) ولا سائل - فخذه، وإلا فلا تتبعه نفسك"^(٣).

وفي هذا الحديث بيان أن النبي ﷺ كان يعطي عمر بن الخطاب أجرا إذا ولاء على عمل، وفيه أن عمر بن الخطاب كان على منهج النبي ﷺ في دفع الأجر إلى ولائه. وقد كان النبي ﷺ يفرض للعمال ما يفي بحاجتهم وحاجة عيالهم؛ ليبين للناس أن نفقة الأمراء والعمال ليست مطلقة بل مقيدة بمقدار الحاجة.

فمن المستورد بن شداد قال: سمعت النبي ﷺ يقول: "من كان لنا عاملا فليكتسب زوجة، وإن لم يكن له خادم فليكتسب خادما، ومن لم يكن له مسكن فليكتسب مسكنا". قال: وأخبرت أن النبي ﷺ قال: "من اتخذ غير ذلك فهو غال أو سارق"^(٤). وهذه هي الحاجات الرئيسية لولي الأمر في ذلك الوقت منعا لأخذ الرشوة، وهذه قاعدة قانونية جاء بها الإسلام قبل أن تثبتها القوانين الوضعية الحديثة في بنودها، وهي أن الهدية للحاكم رشوة صريحة^(٥).

فقد حذر النبي ﷺ في هذا الحديث ولاية الأمر من تجاوز الحد في الأخذ من بيت مال المسلمين، وعدّ فعل ذلك من الأمور المحرمة التي نهى عنها الشرع، فليس للأمير أن يتسلط على أموال العامة ويتجاوز الحد في الأخذ منها بل يأخذ ما يحتاج إليه ويغنيه عن سؤال الناس ويضمن له العيش بأمن واستقرار ويتفرغ للقيام بواجباته.

١ - عبد الله بن وقدان بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حمر بن عامر، وقيل السعدي؛ لأنه استرضع في بني سعد، وهو أحد ولاية صر بن الخطاب، وليس له في البخاري إلا هذا الحديث.
٢ - مشرف: قال الطيبي الإشراف الإطلاع على شيء، والتعرض له والمقصود منه الطمع أي والحال إنك غير طامع له. انظر: مرقاة المفاتيح (٣٠٧/٤)، ابن منظور، لسان العرب (١٧٢/٩).
٣ - البخاري، كتاب الأحكام، باب رزق الحكام والمعلمين عليها (٦٧٤٤)، وفي كتاب الزكاة، باب من أعطاه الله شيئا من غير مسألة ولا إشراف نفس (١٤٠٤)، مسلم، كتاب الزكاة، باب إباحة الأخذ لمن أعطي من غير مسألة ولا إشراف (٢٤٥٢).
٤ - أبو داود، السنن، كتاب الخراج والإمارة والقي، باب في أرزاق العمال، وقال الألباني، صحيح، (٢٩٤٥)، ابن خزيمة، الصحيح، باب إن الإمام للعامل بالتزويج واتخاذ الخادم والممسكين من الصدقة، وقال الأعظمي: إسناده صحيح (٢٣٧٠)، الحاكم، المستدرک على الصحيحين، كتاب الزكاة وقال: هذا حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه (١٤٧١).
٥ - انظر: منصور الحاربي، الدولة العربية الإسلامية، (٤٤).

ومما يدل على أن نفقة الوالي هي حق من حقوقه: أن أبا بكر حين ولى الخلافة، فرض له ولمن يعول راتباً من بيت مال المسلمين.

فمن عروة بن الزبير أن عائشة رضي الله عنها قالت: "لما استخلف أبو بكر الصديق قال: "لقد علم قومي أن حرفتي لم تكن تعجز عن مؤونة أهلي وشغلت بأمر المسلمين فسيأكل آل أبي بكر من هذا المال ويحترف للمسلمين فيه"^(١).

فقد بين لهم أبو بكر أنه كان يطعم عياله من كسب يده بالتجارة، فشغلته الخلافة ورعاية شؤون المسلمين عن الكسب، فبين لهم أنه سيأخذ أجره من بيت مال المسلمين؛ لعدم وجود الوقت للتجارة بسبب تفرغه لخدمتهم.

فدل هذا الأثر على وجوب التكسب وبذل الأسباب لكفاية مؤونة الأهل والعيال، وأن من ولى مصلحة من المصالح العامة للمسلمين، يجب أن يكفي من بيت مال المسلمين، مؤونة التكسب، حتى يتفرغ لما هو فيه من المصلحة.

قال الطيبي: "فائدة الالتفات: أنه جرّد من نفسه شخصاً كسوبا لمؤونة الأهل بالتجارة، فامتنع لشغله بأمر المسلمين عن الاكتساب، وفيه إشعار بالعلة، وأن من اتصف بالشغل المذكور حقيق أن يأكل هو وعياله من بيت المال"^(٢).

ولا يفهم مما سبق أن أبا بكر الصديق ﷺ تناعس عن الكسب وركن للأكل من بيت مال المسلمين بمجرد تولي الخلافة، بل سعى للكسب في اليوم التالي من تولي الخلافة ومنعه بعض الصحابة من ذلك؛ ليتفرغ لخدمة المسلمين ولا يتشغل بالكسب عنهم، وحددوا له مقداراً من النفقة تفي بحاجته وحاجة عياله يشهد لهذا ما رواه ابن سعد قال: "لما استخلف أبو بكر أصبح غادياً إلى السوق، وعلى رقبته أثواب يتجر بها، فلقبه عمر بن الخطاب وأبو عبيدة ابن الجراح، فقالا له: أين تريد يا خليفة رسول الله؟ قال: السوق، قالوا: تصنع ماذا وقد وليت أمر المسلمين؟ قال: فمن أين أطمع عيالي؟ قالوا له: انطلق حتى نفرض لك شيئاً، فانطلق معهما ففرضوا له كل يوم شطر شاة وما يكسوه في الرأس والبطن"^(٣).

فقد سار الصحابة رضوان الله عليهم على نهج النبي ﷺ وفرضوا لمن يتولى أمراً من أمور المسلمين مقداراً من المال يكفي به عن الاشتغال بالكسب وإهمال أمور العامة. فلأمير حق خاص في بيت مال المسلمين يفرض له ولأهله ما يكفيهم، وذلك مقابل قيامه بواجبه الذي كلف به؛ وذلك لكي يسخر وقته وجهده فيما نصيب له من مصلحة المسلمين.

١ - هذا الأثر أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب البيوع، باب كسب الرجل وعمله بيده (١٩٦٤).

٢ - انظر: فتح الباري (٤، ٣٠٥).

٣ ابن سعد، الطبقات (٣/١٨٤)، وهو إسناد مرسل، ورجاله ثقات. انظر فتح الباري (٤/٣٠٥).

المطلب الرابع

حقه في الإجلال والمناصرة وعدم الطعن

من الحقوق التي أقرها الإسلام للأمراء الإجلال والمناصرة وعدم الطعن فمن حق الأمير على الناس مناصرته وتأييده وبذل أقصى الجهد في مؤازرته ويجب عليهم تعظيم قدره فيعامل بما يجب له من الاحترام والإكرام وما جعل الله تعالى له من الإعظام.

وقد دعت السنة النبوية إلى احترام الأمراء وعدت فعل ذلك من الإجلال لله سبحانه وتعالى، فعن أبي موسى الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ: "إن من إجلال الله، إكرام ذي الشبهة المسلم، وحامل القرآن غير الغالي فيه والجافي عنه، وإكرام ذي السلطان المقسط"^(١).

فقد حث النبي ﷺ على توقيف ولادة الأمر واحترامهم، ونهى عن سبهم وتحقيرهم، وعد القيام بهذا الواجب من الإجلال لله تعالى؛ وذلك لما لهذا الأمر من دور بارز في تطبيق أوامر الله عز وجل.

وأمرنا النبي ﷺ باحترام الأمراء، وأمرنا بإنزال الناس منازلهم، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: "أمرنا رسول الله ﷺ أن ننزل الناس منازلهم" وفي رواية عنها أن رسول الله ﷺ قال: "أنزلوا الناس منازلهم"^(٢).

ولا شك أن للأمراء منزلة القيادة في الأمة، فينبغي احترامهم وتقديرهم وإنزالهم المنزلة الرفيعة التي يستحقونها، فهم من أولى الناس بالاحترام؛ ليكون لهم عظمة في نفوس الناس، ولذلك ورد النهي عن إهانة السلطان.

قال سهل بن عبد الله التستري: "لا يزال الناس بخير ما عظموا السلطان والعلماء، فإن عظموا هذين: أصلح الله دنياهم وأخراهم، وإن استخفوا بهذين: أفسدوا دنياهم وأخراهم"^(٣).

فبقاء الناس بخير مرهون باحترام الأمراء وأهل السلطة وذلك لما لطاعة الأمراء واحترامهم من دور في تنفيذ أوامر الله تعالى.

١- البخاري، الأدب المفرد: وقال الألباني: حسن (١٣٠/١) (٣٥٧)، أبو داود، السنن، كتاب الأدب، باب في تنزيل الناس منازلهم، (٤٨٤٢)، البيهقي، السنن الكبرى (١٦٣/٨) (١٦٤٣٥)، ابن أبي شيبة، المصنف، (٤٤٠/٤) (٢١٩٢٢).

٢- أبو داود، السنن، كتاب الأدب، باب في تنزيل الناس منازلهم وقال أبو داود: ميمون لم يترك عائشة وقال الألباني: ضعيف (٤٨٤٢). أبو يعلى، المسند، قال حسين سليم أمده إسناده ضعيف، (٢٤٦/٨) رقم (٤٨٢٦)، وقد ذكره مسلم في خطبة كتابه بالتمريض (٦/١)، وعقب عليه النووي بقوله: "فهذا بالنظر إلى أن لفظه ليس جازماً لا يقتضي حكمه بصحته، وبالنظر إلى أنه احتج به وأورده إيراد الأصول لا إيراد الشواهد يقتضي حكمه بصحته، ومع ذلك فقد حكم الحاكم أبو عبد الله الحافظ في كتابه معرفة علوم الحديث بصحته وأخرجه أبو داود في سننه بإسناده منفرداً به، وذكر أن الراوي له عن عائشة ميمون بن أبي شبيب، ولم يتركها قال الشيخ وفيما قاله أبو داود نظر فإنه كوفي متقدم قد أدرك المغيرة بن شعبة ومات المغيرة قبل عائشة، وعند مسلم التعاصر مع إمكان التلاقي كاف في ثبوت الإدراك فلو ورد عن ميمون أنه قال لم ألق عائشة استقلماً لأبي داود الجزم بعدم إدراكه وهبهات" انظر: النووي، شرح صحيح مسلم: (١٩/١).

٣- القرطبي، التفسير (٢٦٠/٥، ٢٦١).

وقد علمنا النبي ﷺ كيف نحترم أمراءنا، ونهانا عن إهانتهم أو ابتزازهم.

فعن عوف بن مالك الأشجعي ؓ قال: " قتل رجل من حمير رجلا من العدو، فأراد سلبه فمنعه خالد بن الوليد، وكان واليا عليهم، فأتى رسول الله ﷺ عوف بن مالك، فأخبره، فقال لخالد: " ما منعك أن تعطيه سلبه؟" قال: استكثرت، يا رسول الله ! قال: "ادفعه إليه" فمر خالد بعوف فجُر بردائه، ثم قال: هل أنجزت لك ما ذكرت لك من رسول الله ﷺ ؟ فسمعه رسول الله ﷺ فاستغضب، فقال: لا تعطه، يا خالد! لا تعطه، يا خالد! هل أنتم تاركون لي أمرائي؟ إنما مثلكم ومثلهم كمثل رجل استرعي إبلا أو غنما فرعاها، ثم تحين سقيها، فأوردها حوضا، فشرعت فيه، فشربت صفوه وتركت كدره، فصفوه لكم وكدره عليهم^(١).

وهذا موقف عظيم من النبي ﷺ في حماية القادة والأمراء من أن يتعرضوا للإهانة بسبب الأخطاء التي قد تقع منهم، فهم بشر معرضون للخطأ، ولذا فإنه فينبغي السعي في إصلاح خطئهم من غير تنقص ولا إهانة، فخالد حين يمنع ذلك المجاهد سلبه لم يقصد الإساءة إليه، وإنما اجتهد فغلب جانب المصلحة العامة، حيث استكثر ذلك السلب على فرد واحد، ورأى أنه إذا دخل في الغنيمة العامة تقع عددا أكبر من المجاهدين، وعوف بن مالك أدى مهمته في الإنكار على خالد، ثم رفع الأمر إلى رسول الله ﷺ حينما لم يقبل خالد قوله، وكان المفترض أن تكون مهمته قد انتهت بذلك؛ لأنه والحال هذه قد دخل في أمر من أوامر الإصلاح، وقد تم الإصلاح على يديه، ولكنه تجاوز هذه المهمة حيث حول القضية من قضية إصلاحية إلى قضية شخصية، فأظهر شيئا من التشفي من خالد، ولم يقره النبي ﷺ على ذلك، بل أنكر عليه إنكارا شديدا وبين حق الولاية على جنودهم، وكون النبي ﷺ أمر خالدًا بعدم رد السلب على صاحبه لا يعني أن حق ذلك المجاهد قد ضاع؛ لأنه لا يمكن أن يأخذ رسول الله ﷺ إنسانا بجريرة غيره، فلا بد أن ذلك المجاهد قد حصل منه الرضا، إما بتعويض عن ذلك السلب أو بتنازل منه أو غير ذلك فيما لا ينكر تفصيله في الخبر^(٢)، والله أعلم.

وقد أجاب الإمام النووي عن هذا الإشكال فقال: " وهذا الحديث قد يستشكل من حيث إن القاتل قد استحق السلب فكيف منعه إياه؟ ويجاب عنه بوجهين: أحدهما لعله أعطاه بعد ذلك للقاتل، وإنما أخره تعزيرا له ولعوف بن مالك؛ لكونهما أطلقا ألسنتهما في خالد ؓ، وانتهاكا

١- مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب استحقاق القاتل سلب القتيل (٤٦٦٩).
٢- انظر: الحميدي، التاريخ الإسلامي: (١٣٠/٧)، علي محمد الصلابي، السيرة النبوية (١٠٣٢).

حرمة الوالي ومن ولاه. والوجه الثاني لعله استطاب قلب صاحبه فتركه صاحبه باختياره وجعله للمسلمين. وكان المقصود بذلك استطابة قلب خالد ؓ للمصلحة في إكرام الأمراء^(١).

وفي هذا الحديث دعوة إلى تقدير الأمراء وتوقيرهم، وبيان للناس في أن الرعية يأخذون صفو الأمور، فتصلهم أعطياتهم بغير نكد، وتبتلى الولاة بمقاساة الأمور، وجمع الأموال على وجوها، وصرفها في وجوها، وحفظ الرعية، والشفقة عليهم، والذب عنهم، وإنصاف بعضهم من بعض. ثم متى وقع علقه، أو عتب في بعض ذلك توجه على الأمراء دون الناس^(٢).

وفي قوله ؓ: "هل أنتم تاركون لي أمرائي" وسام آخر يضاف إلى خالد ؓ حيث عد من أمراء الرسول ؐ، وهذه أول مرة يشارك فيها في قيادة الجيش حيث تأمر من غير إمرة وهذا من المنهاج النبوي الكريم في تقدير الرجال، وإعدادهم للمواقف القادمة، فيكون عندهم ثقة في أنفسهم.

وقد نهى أصحاب النبي ؐ عن سب الأمراء، وعصيانهم وعدوا هذا الأمر انتهاكا لحقوق الأمير.

فمن أنس بن مالك قال: نهانا كبارنا من أصحاب محمد ؐ عن سب الأمراء فقالوا: "لا تسبوا أمراءكم ولا تغشوهم ولا تعصوهم، واتقوا الله واصبروا فإن الأمر إلى قريب"^(٣).

وهذا نص صريح يبين أن أصحاب النبي ؐ كانوا يواظبون على احترام أمرائهم وإجلالهم امتثالا لأمر النبي ؐ في ذلك، ولعلمهم بأهمية احترام أهل السلطان، فكانوا يدعون بعضهم إلى طاعة الأمراء وإجلالهم، وعدم سبهم والظعن بهم؛ لأن احترام الأمير يحافظ على هيبة الجماعة ووحدة الأمة وعلو شأنها.

١- انظر: النووي، شرح على مسلم (٢٨٧/١٢).

٢- المرجع السابق (٢٨٨/١٢).

٣- الطبراني، المعجم الكبير (١٣٤/٨)، البيهقي، شعب الإيمان (٦٩/٦)، المنذرية، ابن أبي حاصم (٤٨٨/٢) (١٠١٥)، ابن عبد البر، التمهيد (٨٧/٢١).

المطلب الخامس

حقه في تنصيب معاونين

قال تعالى: ﴿ وَاجْعَلْ لِي وِزِيرًا مِّنْ أَهْلِي * هَارُونَ أَخِي * اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي * وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي ﴾^(١).

وقال تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا ﴾^(٢).

فقد أيد الله تعالى سيدنا موسى عليه السلام بمن يعاونه ويسانده في تنفيذ مهمته بأن جعل معه أخاه هارون وزيراً، وهذا دليل واضح على أن للأئمة وللأمراء الحق في اتخاذ الأعوان والأتصار الذين يساندونهم في القيام بالمهمات الموكلة إليهم.

فمن حق الأمير أن يكون له أعوان يساعدونه على القيام بأعباء المسؤولية ويتحملون معه بعض المهام الملقاة على عاتقه، وذلك اقتداء بالنبي ﷺ حيث كان يتخذ أعوانا يساعدونه على القيام بأعباء الحكم، ويحملون معه جانباً من المسؤولية، فكان وزيراً أبا بكر وعمر رضي الله عنهما، وكان ينصب الأمراء على البلدان والأقاليم والجيوش، ويستخلف على المدينة من يقوم بشؤونها إذا خرج منها، وينصب العرفاء، ويضع عمالاً لجمع الصدقات...

وقد حث النبي ﷺ ولاة الأمر على اتخاذ بطانة من أهل الخير، تكون إلى جانبهم وتساعدهم في القيام بأعمالهم، وحذرهم من بطانة الشر التي تقدم مصلحتها على مصلحة الأمة. فعن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال: "ما استخلف خليفة إلا له بطانتان^(٣) بطانة تأمره بالخير وتحضه عليه وبطانة تأمره بالشر وتحضه عليه والمعصوم من عصم الله^(٤)" وفي رواية عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال: "ما بعث الله من نبي، ولا استخلف من خليفة إلا كانت له بطانتان بطانة تأمره بالمعروف وتحضه عليه وبطانة تأمره بالشر وتحضه عليه فالمعصوم من عصم الله^(٥)".

١ - سورة طه: الآية (٢٩ - ٣٢).

٢ - سورة الفرقان: الآية (٣٥).

٣ - البطانة: الخاصة والأعوان المقربون، وبطانة الرجل: صاحب سره وداخلة أمره الذي يشاوره في أحواله. انظر: لعمان العرب (٥٥/١٣)، وقال ابن التين: يحتمل أن يكون المراد بالبطانتين الوزيرين. انظر: فتح الباري (٢٣٦/١٣).

٤ - البخاري، كتاب القدر، باب المعصوم من عصم الله (٢٢٣٧)، سنن النسائي، كتاب البيعة، باب بطانة الإمام (٤٤٠٢).

٥ - البخاري، كتاب الأحكام، باب بطانة الإمام وأهل مشورته البطانة الدخلاء (٦٧٧٣). قال الحافظ ابن حجر: "وقد استشكل هذا التقسيم بالنسبة للنبي؛ لأنه وإن جاز عقلاً أن يكون فيمن يداخله من يكون من أهل الشر، لكنه لا يتصور منه أن يصغى إليه ولا يعمل بقوله لوجود العصمة. وأجيب بأن في بقية الحديث الإشارة إلى سلامة ﷺ من ذلك، بقوله: "فالمعصوم من عصم الله تعالى" فلا يلزم من وجود من يشير على النبي ﷺ بالشر أن يقبل منه). انظر: فتح الباري (١٣/١٩٠).

يستشير النبي ﷺ في هذا الحديث هم الأمراء والحكام؛ لاتخاذ الأعوان والأنصار الذين يعينونهم على الحق ويحبسونهم عن الشر، وذلك لتسهيل مهمتهم في تطبيق أوامر الله تعالى وتحقيق مصالح الأمة على أكمل وجه.

فالأمير المخلص لدينه ولأمته، هو الذي يعصمه الله سبحانه من بطانة السوء وأعوان الفساد، وهذا المعنى جاء صريحا في قول النبي ﷺ .

فمن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: " إذا أراد الله بالأمير خيرا جعل له وزير صدق، إن نسي ذكره، وإن ذكر أعانه، وإذا أراد الله به غير ذلك جعل له وزير سوء إن نسي لم يذكره، وإن ذكر لم يعنه"^(١).

فحث النبي ﷺ الأمراء على اتخاذ الوزراء^(٢) الصادقين الذين يذكرونهم إذا نسوا، ويعينونهم على القيام بالمهام الموكلة إليهم، وحذرهم من اتخاذ الوزراء الفاسدين.

ومما يؤكد على ضرورة اتخاذ الأمراء أعوانا لهم ما جاء عن أبي هريرة ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: "ما من وال إلا وله بطانتان بطانة تأمره بالمعروف وتنهاه عن المنكر، وبطانة لا تألوه خبالا"^(٣)، فمن وقى شرها فقد وقى، وهو من التي تغلب عليه منهما^(٤).

فقد حث النبي ﷺ ولاة أمر المسلمين على اختيار الجلساء الصالحين؛ ليكونوا لهم عوناً على الخير، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وحذرهم من الجلساء الطالحين الذين يهدفون إلى الإفساد، وقد بين النبي ﷺ في هذا الحديث أن الأمير يصنف مع البطانة التي يتبعها، فإذا كانت بطانة الخير فهو من أهل الخير والسعادة، وبهم تنجو الأمة وتسود، وإذا كان مع بطانة الشر فهو من أهل الخسران وبهم تخبو الأمة وتضمحل.

و كان المصطفى ﷺ المثل الأعلى في اتخاذ الأعوان والأنصار فقد اتخذ علياً بن أبي طالب؛ ليقوم بمساعدته في رعاية شؤون المسلمين في بعض أسفاره.

١ - رواه الإمام أحمد، المسند، وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين (٢٣٧/٢). منن النسائي، كتاب البيعة، بطانة الإمام، قال الألباني: صحيح، (٤٢٠١)، أبو يعلى، المسند وقال حسين سليم أسد: إسناده حسن، (٣٠٧/١٠) (٥٩٠١)، المعجم الأوسط: الطبراني، (٢١٩/٣) (٢٩٦٧).

٢ - الوزير: مأخوذ من الوزر وهو النقل لأن الوزير يتحمل أقال الملك وأعباءه عند الإمام أو السلطان، وقيل: إنه مأخوذ من الوزر وهو الملجأ لأن الوزير يُلتجأ إلى تدبيره ومعونته. انظر: لسان العرب (٢٨٣/٥).

٣ - لا تألوه خبالا: لا تقصر في إفساد أمره لعملي مصلحتهم. فتح الباري (٢٣٥/١٣).

٤ - أبو داود، السنن، كتاب الخراج والإمارة والفيء، باب في اتخاذ الوزير (٢٩٣٢)، منن النسائي، كتاب البيعة، باب بطانة الإمام، قال الألباني: صحيح، (٤٢٠٤)، رواه الإمام أحمد، المسند، وقال شعيب الأرنؤوط صحيح (٧٠/٦)، أبو يعلى، المسند، قال حسين سليم أسد: إسناده حسن (٣٠٧/١٠)، المعجم الأوسط: الطبراني (٢٩٤/٤) (٤٢٤٠)، البيهقي، السنن الكبرى: ١١١/١٠ (٢٠١٠٦). قال الهيثمي رواه أحمد والبخاري ورجال الصريح، مجمع الزوائد (٢١٠/٥).

فمن سعد بن أبي وقاص قال خلف رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب في غزوة تبوك، فقال: يا رسول الله تخلفني في النساء والصبيان. فقال: "أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى غير أنه لا نبي بعدي"^(١).

فهذا دليل واضح على أن للإمام الحق في اتخاذ من يقوم ببعض أعماله ويشاركه في إدارة شؤون الأمة؛ كي لا تبقى عاصمة الدولة من غير أمير.

ويشهد لهذا أيضا اعتماد النبي ﷺ على أبي بكر وعمر في تدبير شؤون الدولة، فقد كان يستشيرهما في كثير من الأمور التي تهم مصلحة الأمة.

فمن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: "ما من نبي إلا له وزيران من أهل السماء، ووزيران من أهل الأرض، فأما وزيراي من أهل السماء فجبريل وميكائيل، وأما وزيراي من أهل الأرض فأبو بكر وعمر"^(٢).

وقد نصب النبي ﷺ معاونين له على الجيوش والأقاليم والبلدان — كما مرَّ سابقا — واتخذ من يعينه على القضاء، و على أمور الحكم بين الناس.

فمن مسروق قال: كان أصحاب القضاء من أصحاب رسول الله ﷺ ستة: عمر وعلي وعبد الله وأبي وزيد وأبو موسى رضي الله عنهم^(٣).

فقد أوكل النبي ﷺ لهؤلاء الصحابة مهمة القضاء بين الناس واتخذهم أعوانا له في ذلك، ويشهد لهذا أيضا ما جاء عن علي عليه السلام قال: "بعثني رسول الله ﷺ إلى اليمن قاضيا، فقلت: يا رسول الله ترسلني وأنا حديث السن، ولا علم لي بالقضاء. فقال: "إن الله سيهدي قلبك ويثبت لسانك، فإذا جلس بين يديك الخصمان فلا تقضين حتى تسمع من الآخر كما سمعت من الأول فإنه أحرى أن يتبين لك القضاء"، قال: فما زلت قاضيا أو ما شككت في قضاء بعد"^(٤).

فلم يكن النبي ﷺ ليتولى القضاء في جميع أنحاء الدولة الإسلامية؛ ولذلك فقد اتخذ القضاة على البلدان، وكان منهم علي بن أبي طالب عندما ولاء على اليمن قاضيا.

١ - البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة تبوك (٤١٥٤)، مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل علي ابن أبي طالب (٦٣٧١).

٢ - الترمذي، السنن، كتاب المناقب عن رسول الله ﷺ، وقال الترمذي هذا حديث حسن غريب، وقال الشيخ الألباني: ضعيف (٣٦٨٠)، الحاكم، المستدرک علی الصحیحین، کتاب التفسیر، من سورة البقرة، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه وتابعه الذهبي (٣٠٤٦). قلت الحديث ضعيف، فيه تلديد بن سليمان وهو رافضي ضعيف، وفيه أبو الجحاف وهو داود بن أبي عوف صدوق شيعي ربما أخطأ، انظر: التقريب: ابن حجر (٧٩٧) (١٨٠٥).

٣ - الحاكم، المستدرک علی الصحیحین، کتاب معرفة الصحابة، ذكر مناقب أبي بن كعب (٥٣١٥)، الطبراني، المعجم الكبير: ١٦٥/١ (٥٢٨)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: رجاله رجال الصحيح (٣١٢/٩).

٤ - أبو داود، السنن، كتاب الأفضية، باب كيف القضاء وقال الألباني: حسن (٣٥٨٢). الترمذي، السنن، كتاب الأحكام، باب ما جاء في لا يقضي القاضي بين خصمين حتى يسمع وقال: حديث حسن (١٣٣١)، رواه الإمام أحمد، المسند وقال شعيب الأرنؤوط: حسن لغيره (١٤٩/١)، البيهقي، السنن الكبرى (١٤٠/١) (٢٠٢٧٤). قلت الحديث حسن لغيره لأن له طرقا أخرى كما عند البزار (٣٠٧/٢) (٧٣٣).

و كان النبي ﷺ ينصب العرفاء^(١)، ليعاونوه على القيام بأعباء قبائلهم لأنهم أدري بأحوال قبائلهم من غيرهم.

فمن عروة بن الزبير أن مروان بن الحكم والمسور بن مخرمة أخبراه: " أن رسول الله ﷺ قال حين أذن لهم المسلمون في عتق سبي هوازن: " إني لا أدري من أذن فيكم ممن لم يأذن، فارجعوا حتى يرفع إلينا عرفاؤكم أمركم"، فرجع الناس فكلهم عرفاؤهم، فرجعوا إلى رسول الله ﷺ فأخبروه أن الناس قد طيبوا وأذنوا^(٢).

يبين لنا هذا الحديث أن النبي ﷺ كان من منهجه أن يعرف العرفاء على الناس؛ لأنه يحتاج إليهم ليعاونوه على القيام بتدبير شؤون الناس الذين دخلوا في الإسلام.

قال بن ابطال: في الحديث مشروعية إقامة العرفاء؛ لأن الإمام لا يمكنه أن يباشر جميع الأمور بنفسه، فيحتاج إلى إقامة من يعاونه ليكفيه ما يقيمه فيه، ثم قال: "والعرفاء هم نواب للإمام"^(٣).

وعن غالب القطان عن رجل عن أبيه عن جده أنه قال: قال رسول الله ﷺ "إن العرافة حق، ولا بد للناس من العرفاء، ولكن العرفاء في النار"^(٤)(٥).

فالناس بحاجة إلى من ينظر في أحوالهم ويرعى شؤونهم، ولا سبيل إلى ذلك إلا بإقامة عرفاء يكونون وسطاء بينهم وبين أميرهم أو قائدهم.

ومن أصناف المعاونين الذين اتخذهم النبي ﷺ الكتابة؛ ليساعدوه في القيام بأمر الكتاب، فقد اتخذ كتابا للوحي واتخذ من يكتب له المعاهدات والرسائل التي يبعثها للرسول والملوك ولبعض أمرائه.

فمن عبد الله بن الزبير رضي الله عنه: " أن النبي ﷺ استكتب عبد الله بن أرقم، فكان يكتب عبد الله بن أرقم وكان يجيب عنه الملوك، فبلغ من أمانته أنه كان يأمره أن يكتب إلى بعض الملوك فيكتب ثم يأمره أن يكتب ويختم ولا يقرأه لأمانته عنده، ثم استكتب أيضا زيد بن ثابت فكان يكتب الوحي ويكتب إلى الملوك أيضا وكان إذا غاب عبد الله بن أرقم وزيد بن ثابت واحتاج أن

١ - العرفاء: جمع عريف: القيم بأمر القبيلة والجماعة من الناس يلي أمورهم ويعرف الأمير منه أحوالهم. انظر: النهاية في غريب الحديث (٧١/٤). سمي بذلك لأنه يتعرف أحوالهم حتى يعرف بها من فوقه عند الاحتياج. انظر: ابن حجر، فتح الباري (١٦٩/١٣).

٢ - صحيح البخاري، كتاب الأحكام، باب العرفاء للناس (٦٧٥٥).

٣ - ابن حجر، فتح الباري (١٦٩/١٣).

٤ - العرفاء في النار: معناه: التحذير من التعرض للرياسة والتلميز على الناس لما في ذلك من المحنة، وأنه إذا لم يتم بحقها خيف عليه دخول النار. انظر: معالم السنن: الخطابي (٤/٣).

٥ - أبو داود، السنن، كتاب الخراج والإمارة والفيء، باب في العرافة، وقال الألباني: ضعيف (٢٩٣٤)، البيهقي، السنن الكبرى (٣٦١/١٦) رقم (٢٨٢٨)، ابن أبي شيبه، المصنف، ٣٤٢/٥ (٢٦٧١٧) كلهم من طريق القطان. قال الحافظ المنذري: " في إسناده مجاهيل، وغالب القطان قد وثقه غير واحد من الأئمة، واحتج به البخاري ومسلم في صحيحيهما" مختصر سنن أبي داود (١٩٦/٤).

يكتب إلى بعض أمراء الأجناد والملوك أو يكتب لإنسان كتابا يقطعه أمر جعفر أن يكتب، وقد كتب له عمر وعثمان وكان زيد والمغيرة ومعاوية وخالد بن سعيد بن العاص وغيرهم ممن قد سمي من العرب^(١).

ولا شك أن في اتخاذ النبي ﷺ للقضاة والكتاب والعرفاء والعمال والولاة وغير ذلك من معاونين، تأكيد على أن لأمرائه الحق في اتخاذ الأعوان والأنصار؛ ليعينوهم في تنفيذ أعمالهم، وتحقيق خططهم التي يرسمونها لإقامة الدولة الإسلامية ورفع شأنها. وقد سار أمراء النبي ﷺ على منهجه فكانوا ينصبون معاونين؛ ليساعدوهم على القيام بأعباء الإمارة.

١ - الطبراني، المعجم الكبير، ١٠٨/٥ (٤٧٤٨)، البيهقي، المنذرى الكبير ١٠٠/١٢٦ (٢٠١٩٢)، كلاهما من طريق محمد بن حميد الرازي وهو ضعيف كما ذكر ابن حجر: التقريب (٥٨٣٤). الإسناد ضعيف ولكن المتن قوي بشواهد وهي: عن ابن عمر وعن زيد بن ثابت وعن ابن عباس. فعن ابن عمر قال: "أتى النبي ﷺ كتاب رجل فقال لعبد الله بن الأرقم: أجب عني. فكتب جوابه ثم قرأه عليه، فقال: أصبت وأحسن اللهم وفقه فلما ولي عمر كان يشاوره"، رواه الحاكم في المستدرک (٥٤٤١) وقال: صحيح الإسناد ووافقه الذهبي. وعن زيد بن ثابت أكثر من حديث منها: قال زيد قال أبو بكر: إنك رجل شاب عاقل لا نتهمك وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله ﷺ فتتبع القرآن فأجمعه... وفيه قصة جمع القرآن، صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب جمع القرآن (٤٧٠١). وقال زيد: كنت أكتب لرسول الله ﷺ فقال: "اكتب لا يستوي القاعدون من المؤمنين" فجاء عبد الله بن أم مكتوم، صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب لا يستوي القاعدون من المؤمنين (٤٥٩٢)، صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب سقوط فرض الجهاد عن المعزورين (١٨٩٨). وعن ابن عباس قال: "إن رسول الله ﷺ بعث لمعاوية ل يكتب له...." أبو داود، المنذرى، (٢٧٤٦) بإسناد صحيح، وصححه الألباني في الإرواء (١٣٢/٨) رقم (٢٦٢٩)، وذكره ابن حجر في فتح الباري (١٨٤/١٣) وقال ذكره البيهقي بإسناد حسن.

المطلب السادس

حق الأمير في الاجتهاد

من الحقوق التي أقرها الإسلام للأمرء الحق في الاجتهاد، واتخاذ القرار الذي يحقق مصالح الأمة.

فلأمير الحق في الاجتهاد فيما لا نص فيه، وفي الأمور التي وضع فيها الإسلام قواعد عامة ولم يفصل في حكمها، على أن يكون هذا الاجتهاد وفق ضوابط الإسلام وتعاليمه.

وهذا ما أقره النبي ﷺ حين كان يبعث الأمراء إلى البلدان والأقاليم، فكان يختارهم من أهل العلم والأمانة وممن يستحقون ثقته، ولما كانوا في حكم إقامتهم في البلدان التي أرسلوا إليها بعيدين عن مقر الدولة الإسلامية، ويصعب عليهم الاتصال بالنبي ﷺ لمعرفة الحكم في كل واقعة تعرض عليهم، فقد أعطاهم الرسول الكريم ﷺ الحق في الاجتهاد فيما يعرض عليهم من الأمور، مثل تسيير الجيش، وإعلان الحرب، وقرض الضرائب وأخذ الصدقات... وغير ذلك.

يشهد لهذا ما كان النبي ﷺ يعلمه لولاته وأمرائه، فكان يعلمهم كيف يتصرفون إذا واجههم أمر من الأمور، ولعل هذا كان واضحا عندما أمر النبي ﷺ معاذا أميرا على اليمن، حيث أجرى له اختبارا تأهليا؛ ليتبين له أنه قادر على التصرف والاجتهاد في الأمور الطارئة، رغم ثقته به.

فعن الحارث بن عمرو قال: "أخبرنا أصحاب معاذ بن جبل: أن رسول الله ﷺ بعث معاذا إلى اليمن، فقال: كيف تقضي إذا عرض لك قضاء؟ قال: أقضي بكتاب الله. قال: فإن لم تجد في كتاب الله؟ قال: فبسنة رسول الله ﷺ. قال: فإن لم تجد في سنة رسول الله ﷺ ولا في كتاب الله؟ قال: أجتهد رأيي ولا آلو. فضرب رسول الله ﷺ صدره، وقال: "الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله لما يرضي رسول الله"^(١).

فقد عدَّ النبي ﷺ الاجتهاد في الأمور التي لا نص على حكمها في الكتاب والسنة من الأمور التي يرضاها الله ورسوله، فهذا يبين أن للأمرء الحق في الاجتهاد فيما لا نص فيه، ولا

^١ - أبو داود، السنن، كتاب الاقضية والفيء، باب الحكم بين أهل النمة، قال الألباني: ضعيف (٣٥٩٢)، الترمذي، السنن، كتاب الأحكام، باب ما جاء في القاضي كيف يقضي، وقال هذا حديث لا نعرفه إلا من هذا الوجه وليس إسناده بمتصل (١٣٢٧)، الطبراني، المعجم الكبير، ١٧٠/٢٠ رقم (٣٦٢)، البيهقي، السنن الكبرى (١١٤/١٠) رقم (٢٠١٢٦)، ابن أبي شيبة، المصنف، ٤٥٣/٤ رقم (٢٢٩٨٨)، كلهم من طريق شعبة عن أبي عون عن الحارث، قال ابن حجر الحارث: مجهول. انظر: لتقريب (١٠٣٩)، وقال الذهبي في الميزان، ١٧٤/٢ (١٦٣٧): تفرد به أبو عون محمد بن عبد الله الثقفي عن الحارث وما روى عن الحارث غير أبي عون فهو مجهول. وقال الحافظ جمال الدين المزني الحارث بن عمرو لا يعرف إلا بهذا الحديث انظر: عون المعبود (٣٦٩/٩)، وقال البخاري لا يصح حديثه ولا يعرف. انظر: التاريخ الكبير (٢٧٧/٧)، وقال ابن الجوزي: لا يصح وإن كان الفقهاء كلهم يذكرونه في كتبهم ويعتمدون عليه، وإن كان معناه صحيحا. انظر: الطل المقناهية (٧٥٨/٢). قلت: ضعفه الألباني وشيخ الأرنؤوط.

يخفى ما لاجتهاد الأمراء والعلماء من دور في تحقيق مصالح الأمة والحيلولة دون وقوعها في الحرج والمشقة.

وقد مارس أمراء النبي ﷺ الاجتهاد في حياته ﷺ ولم ينكر على أحد منهم، يشهد لهذا ما جاء عن جابر بن عبد الله ﷺ قال: "بعثنا رسول الله ﷺ وأمر علينا أبا عبيدة نلتقى عيرا لقريش، وزودنا جرابا من تمر لم يجد لنا غيره، فكان أبو عبيدة يعطينا ثمرة تمرة قال: فقلت كيف كنتم تصنعون بها، قال: نمصها كما يمص الصبي ثم نشرب عليها من الماء فتكفينا يومنا إلى الليل، وكنا نضرب بعصينا الخبط ثم نبله بالماء فنأكله، قال: وانطلقنا على ساحل البحر، فرغ لنا على ساحل البحر كهيئة الكثيب الضخم فأتيناها فإذا هي دابة تدعى العنبر، قال: قال أبو عبيدة: ميتة! ثم قال: لا بل نحن رسل رسول الله ﷺ وفي سبيل الله وقد اضطررتم.."^(١)

قال الإمام النووي: "فيها دليل على جواز الاجتهاد في الوقائع في حياة النبي ﷺ وإقراره على ذلك، لكن هذا كان في حال الحاجة إلى الاجتهاد وعدم تمكنهم من مراجعة النص. وقد اجتهد أبو بكر وعمر رضي الله عنهما بين يدي رسول الله ﷺ في عدة من الوقائع وأقرهما على ذلك، لكن في قضايا جزئية معينة لا في أحكام عامة وشرائع كلية؛ فإن هذا لم يقع بين يدي رسول الله ﷺ من أحد من الصحابة في حضوره ﷺ البتة"^(٢).

فقد اجتهد أميرهم وأباح لهم أكل الميتة، ولما أخبر النبي ﷺ بذلك لم ينكر عليهم، وأقره على صحة اجتهاده، وهذا دليل ظاهر على أن للأمير الحق في الاجتهاد في الأمور التي تعرض له.

ومما يشهد لذلك أيضا ما فعله عمرو بن العاص عندما أمره النبي ﷺ على ذات السلاسل فقد أصبح جنبا ذات يوم، فسأل المسلمين، وكلهم فقهاء في دين الله فأعلموه أن عليه الغسل من الجنابة، ولكنه فكر ورأى خطورة الاغتسال في تلك الليلة الباردة، ثم اجتهد فغسل مغابنه ثم تيمم ولم يغتسل، وصلى بالناس، وهو جنب، فأنكروا عليه ذلك ولما عادوا شكوه إلى رسول ﷺ فأقره على اجتهاده ولم يوبخه.

وخير من يحدثنا عن هذا الأمر أمير السرية عمرو بن العاص نفسه قال: "احتلمت في ليلة باردة في غزوة ذات السلاسل فأشفت إن اغتسلت أن أهلك، فتيمنت ثم صليت بأصحابي الصبح، فذكروا ذلك للنبي ﷺ، فقال: "يا عمرو صليت بأصحابك وأنت جنب" فأخبرته بالذي

^١ - البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة سيف البحر وهم يتلقون عيرا لقريش وأميرهم أبو عبيدة بن الجراح ﷺ (٤٠١٣) وفي كتاب الصيد والذباح، باب قول الله تعالى: {أحل لكم صيد البحر} (٥١٧٤)(٥١٧٥) و أخرجه مسلم، واللفظه، كتاب الصيد والذباح وما يؤكل من الحيوان، باب إباحة ميتات البحر (٥١٠٩).
^٢ - النووي، شرح صحيح مسلم (٨٦/١٣).

منعني من الاغتسال، وقلت: إني سمعت الله يقول: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾^(١) فضحك رسول الله ﷺ ولم يقل شيئاً^(٢).

فقد رضي النبي ﷺ باجتهاد عمرو بن العاص وأقره على اجتهاده، ولم ينكر عليه ما فعله على الرغم من خطورة القرار الذي اتخذه خصوصاً وأنه يتعلق بجميع من معه من المسلمين وليس به وحده، وهذا دليل على أن للأمير الحق في الاجتهاد واتخاذ ما يراه مناسباً. ومما يدل على أن للأمير الحق في الاجتهاد ما فعله عبد الله بن جحش حينما قام بمقاتلة المشركين في الأشهر الحرم التي لا يجوز القتال فيها، وكان هذا عندما أمره النبي ﷺ على سرية إلى نخلة، وكلفه باستطلاع أخبار قريش ولم يأمرهم بقتال.

فقد روى ابن إسحاق خير هذه السرية، فنكر أن عبد الله بن جحش ومن معه قد تعرضوا في أثناء أداء مهمتهم لقافلة من قوافل قريش، ووقع الخوف في قلوبهم من هذه القافلة فاجتمعوا أمرهم بعد المشاورة على قتالهم، وأخذ ما في أيديهم... قتلوا من قَدروا عليه منهم وأخذوا عيرهم وأسروا اثنين من رجالهم، وجاعوا بالعين والأسيرين إلى النبي ﷺ، فرفض أخذ العير والأسيرين وقال لهم: " ما أمرتكم بقتال في الشهر الحرام"^(٣).

وهذا الفعل أيضاً جعل قريش توجه اللوم والعتاب للمسلمين، وأخذت تبث الدعايات ضدهم، وانتهزت الفرصة للتشهير بمحمد ﷺ وبالمسلمين وإظهارهم بمظهر المعتدي الذي لا يراعي الحرمات.

وكثر الجدل والنقاش بين المسلمين أنفسهم، وأنكروا على رجال السرية القتال في الشهر الحرام، حتى ظن أهل السرية أنهم قد هلكوا.

فأنزل الله الآيات البيّنات؛ لترد على دعاية قريش المغرضة، وتقر أمير السرية وأصحابه على اجتهادهم، موضحة أنه وإن كان الشهر الحرام لا يحل القتال فيه، ولكن لا حرمة عند الله لمن هتك المحرمات وصد عن سبيله.

قال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا

١ - سورة النساء: الآية (٢٩).

٢ - رواه الإمام أحمد، المسند، وقال شعيب الأرنؤوط: حديث صحيح (٢٠٣/٤)، أبو داود، السنن، كتاب الطهارة، باب إذا خاف الجنب البرد أيتيم، وقال الألباني حديث صحيح (٣٣٤)، الحاكم، المستدرک علی الصحیحین، كتاب الطهارة، هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه (٦٢٨)، البيهقي، السنن الكبرى، ١/٢٠٩ (١١٠).

٣ - انظر: البيهقي، السنن الكبرى (٥٩/٥)، ابن هشام، السيرة النبوية (٢٨٣/٢).

يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَمَا كَانَ مِن قَوْمٍ
كَافِرٍ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١﴾.

لما نزل هذا قبض رسول الله ﷺ العير، وفادى الأسيرين، وفرج الله تعالى عن المسلمين ما كانوا فيه من غم (٢).

اجتهد عبد الله بن جحش وأصحابه، وكان اجتهادهم صحيحا وفي مكانه على الرغم من أنه في بداية الأمر كان يعتقد أنه خطأ حتى أقره الله تعالى على صواب ما فعل.

لم يكن ما فعله عبد الله بن جحش ومن معه خروجاً عن تعاليم الإسلام وأحكامه، وإنما كان خطوة إيجابية؛ لتحقيق عزة الإسلام وإعلاء شأنه، فهم على معرفة تامة بأن القتال لا يجوز في الأشهر الحرم، ولكنهم قدموا على هذا الأمر، واتخذوا القرار بمقاتلة القافلة اجتهادا منهم بأن هذا ردا على ما فعلته قريش بهم حين أخرجتهم من ديارهم واستولت على أموالهم، حيث أدركوا أن في هذا الأمر فرصة؛ لرد اعتبار المسلمين وإلحاق الأذى في أعدائهم.

ولا شك أن هذا الموقف الذي نزل فيه التأييد من الله تعالى تعليماً للأمة حكماً ومحكوماً على تسوية الاجتهاد في المواقف التي تظهر فيها مصلحة الأمة.

وهذا دليل على أن للأمير الحق في الاجتهاد، واتخاذ القرار إذا رأى في ذلك مصلحة تعود على المجتمع بالخير والرفعة، والله أعلم.

^١ - سورة البقرة: الآية (٢١٧).

^٢ - ابن هشام، السيرة النبوية (٢٨٣/٢).

المطلب السابع

اتخاذ القرار النهائي وإلزام الناس به

من حق الأمير أو القائد بعد أن يتوصل إلى القرار النهائي، سواء بعد اقتناعه الشخصي أو بعد مشاورة أهل الرأي والخبرة من الناس، أن يأخذ بهذا القرار ويلزم جماعته بالأخذ به؛ وذلك لأنه لا يجوز وجود أي اختلاف بين القائد وجماعته حتى لا تتصدع الأمة، ويتمزق شملها، فالأمير هو صاحب الكلمة وهو الذي يحسم الأمر إذا دب الخلاف بين جماعة المسلمين.

وقد ذكر الماوردي هذا الحق بقوله: "من حقه أن يفوضوا الأمر إلى رأيه ويكلوه إلى تدبيره؛ حتى لا تختلف آراؤهم فتنفك كلمتهم، ويفترق جمعهم، قال تعالى: ﴿وَكُونُوا لِلرَّسُولِ وَاللَّذِينَ أُولِيَ الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلَّ الَّذِينَ يُسْتَنْبِطُونَ مِنْهُمْ﴾^(١)، فجعل تفويض الأمر إلى وليه سببا لحصول العلم وسداد الأمر، فإن ظهر لهم صواب خفي عليه بينوه له وأشاروا به عليه؛ ليرجع بها إلى الصواب"^(٢).

يبين لنا الماوردي أن عامة الناس إذا نقل إليهم خبر أمر من الأمور الخطيرة، ينبغي لهم أن يعودوا إلى ولاية أمورهم ليعالجوه؛ لأن عندهم المقدرة على دراسة ذلك الأمر ومعرفة حقيقته، وبالتالي اتخاذ القرار المناسب.

و النبي ﷺ هو المثل الأعلى للأمراء والقادة من بعده في اتخاذ القرار المناسب وقت الحاجة إليه، فكان إذا واجهه أمر من الأمور يفكر بالأمر ويخطط له ثم يتخذ القرار المناسب؛ خوفا من اضطراب الصفوف.

ومن ذلك ما فعله النبي ﷺ في غزوة بدر، فقد خرج المسلمون للاستيلاء على عير المشركين القادمة من الشام، ولكن قريشا حينما علمت بهذا الأمر خرجت بكل ما تملك من قوة؛ لتدافع عن عيرها، فقدر الرسول ﷺ أن لو انسحب المسلمون فسيلحقهم من جراء ذلك ثلاثة أضرار: الأول: تعيير قريش المسلمين بالتخاذل والجبن.

الثاني: طمع يهود المدينة فيهم.

الثالث: ما يتركه هذا الانسحاب من أثر سيء على الدعوة الإسلامية الناشئة.

ودفعا لهذه الأضرار فقد قرر النبي ﷺ أن يمضي لقتال هؤلاء المشركين.

ولكنه لم يبيت في هذا الأمر الخطير، حتى يستظهر وجوه الرأي لدى أصحابه؛ لأنه

أدعى إلى ظهور شجاعتهم وثباتهم إذا شاركوا قائدهم في صنع القرار، وهذا الذي فعله النبي ﷺ

١ - سورة النساء: آية (٨٣).

٢ - الماوردي، الأحكام السلطانية: (٥١).

في هذا الشأن، وهو يُعد سبقا عسكريا توصلت إليه المدرسة العسكرية الحديثة، حيث جعلت اتخاذ القرارات الحاسمة الصائبة، وإلزام الناس بها أمرا مهما يمكن أن يُفرّق به بين القائد الناجح وغيره^(١).

ولا بد من أن يوقّق الأمير بين الشورى واتخاذ القرار المناسب، فيقوم بالمشاركة وبعد المشاورة لا بد من العزم على اتخاذ القرار، فاتخاذ القرار وتنفيذه أمر مصيري وجوهري للناس والأمراء؛ لأنه قد يؤثر على الأمة بأسرها، ومستقبل أجيالها، وأوطانها، فإن كان صوابا فثمرته النصر والتمكين، وإن كان فرديا ومبنيا على الهوى والمزاج الفاسد، ترتب عليه عواقب وخيمة وهلاك وضياع لمقدرات الأمة، فلا بد إذن من الشورى طاعة لله تعالى في كتابه الكريم: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾^(٢)، وإظهارا لشخصية الأمة وحريتها، وتمحيصا لجودة الرأي بين أفرادها، وكشفا للكفاءات، وتوزيعا للمسؤوليات، فإن تاريخ الأمة الإسلامية يصنع من خلال قيادتها وعلمائها ومفكرها، فلا يجوز تعطيلهم وتذويبهم في شخصية فرد واحد من الأمة، فالقائد إذا استبد برأيه ولم يستشر تأثر بهواه فابتعد عن الصواب، وقد حكم النبي ﷺ أمته بالعدل وسأسها بالشورى فكان قدوة لها في كل شيء^(٣)، قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾^(٤)، يقول أبو هريرة رضي الله عنه: "ما رأيت أحدا أكثر مشورة لأصحابه من رسول الله ﷺ" ^(٥)، أما إذا كانت الشورى وإعطاء الحرية بابا للفوضى وضياعا لجهود الأمة، فالشرع أعطى للحاكم المسلم الحق في إغلاق ذلك الباب، من باب سد الذريعة ومن باب السياسة الشرعية حفاظا على كرامة الأمة ووحدها، فالآية التي أمرت بالشورى، أمرت كذلك بالحزم عند العزم على اتخاذ القرار وتنفيذه، ودليل ذلك ما فعله النبي ﷺ حين شاور أصحابه يوم أحد في المقام والخروج، فرأوا له الخروج؛ فلما لبس لأمته وعزم، قالوا: أقم فلم يمل إليهم بعد العزم، وقال ﷺ: "لا ينبغي لنبي يلبس لأمته فيضعها حتى يحكم الله"^(٦)، فحسم الخلاف بين الصحابة، وسار بالمسلمين للمعركة وتحمل المسؤولية كاملة في قراره هذا.

١ - انظر: محمد جمال محفوظ المدخل إلى العقيدة والإستراتيجية العسكرية الإسلامية: مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب بالقاهرة (٣٠٤)، والقيادة العسكرية في عهد الرسول ﷺ (٤٩).
٢ - سورة آل عمران، آية (١٥٩).
٣ - انظر: محمد أبو فارس المدرسة العسكرية النبوية: (١٢٨ - ١٣٠).
٤ - سورة الأحزاب، آية (٢١).
٥ - الترمذي، المعنى، مكتب الجهاد، باب ما جاء في المشورة (١٧١٤). قال الألباني: ضعيف بزيادة في المتن.

٦ - رواه البخاري معنفا، في باب قوله تعالى "وأمرهم شورى بينهم" (٢٨١/٦).

المبحث الثاني

الأحاديث الواردة في واجبات الأمير

أن من عدل الإسلام وسماحته أن جعل لكل إنسان حقوقاً؛ ليتسنى له العيش بأمن واستقرار، وأوجب عليه مقابل ذلك مجموعة من الواجبات التي لا بد من القيام بها؛ لأداء الدور الذي كلفه الله تعالى به، ومن ذلك ما شرعه الإسلام للأمرء من حقوق وواجبات، فكما أعطاهم الحقوق التي تسهل عليهم القيام بمهماتهم، فقد أوجب عليهم مجموعة من الواجبات، وأول هذه الواجبات طاعة النبي ﷺ وحفظ وصاياه ثم القيام بما أوجبه عليهم الإسلام من واجبات تجاه أمتهم، وتتمثل بإقامة العدل بين الناس، ورعايتهم والرفق بهم وبذل النصيحة لهم، وتطبيق مبدأ الشورى، وغير ذلك من الواجبات التي سيتم تسليط الضوء عليها من خلال المطالب الآتية:

المطلب الأول

طاعة النبي ﷺ " وحفظ وصاياه

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾^(١).
قال تعالى: ﴿ وَمَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾^(٢).

فهذا خطاب من الله عز وجل للأمة الإسلامية كافة وحكاما ومحكومين، يأمرهم بطاعة النبي ﷺ ، وحفظ وصاياه ولا شك أن هذا الأمر شامل للأمراء وغيرهم.

وقد جاءت نصوص كثيرة من السنة النبوية أمرة بطاعة النبي ﷺ والتزام أمره.
فعن أبي هريرة ؓ أن رسول الله ﷺ قال: " من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله " ^(٣).

فهذا نص صريح في وجوب طاعة النبي والتزام أمره يبين فيه النبي ﷺ أن طاعة الله عز وجل لا تكون إلا بطاعة رسوله.

ومما يؤكد ذلك ما جاء عن عبد الله بن عمر ؓ : أن رسول الله ﷺ كان في نفر من أصحابه فقال: " أستم تعلمون أنني رسول الله إليكم؟" قالوا: بلى نشهد أنك رسول الله، قال: " أستم تعلمون أنه من أطاعني فقد أطاع الله، ومن طاعة الله طاعتي؟" قالوا: بلى نشهد أنه من أطاعك فقد أطاع الله، ومن طاعة الله طاعتك. ^(٤).

وقد حرص الصحابة ؓ على امتثال أمر النبي ﷺ وطاعته فكان النبي ﷺ يرسل أمراءه للدعوة إلى الله إلى أرجاء الجزيرة العربية كافة ، يدعون إلى عبادة الله تعالى، ويزيلون من طريق الدعوة كل العراقيل والقوى التي تقف في وجه الدعوة الإسلامية، وهم منضبطون وخاضعون للهدى النبوي، ومنفذون لكل الأوامر النبوية ، وملتزمون بكل وصاياه التي يمكن اعتبارها من خلال التطبيق أحد دعائم الدولة الإسلامية، وهي من أسمى ما وصل إليه البشر من فكر سياسي رفيع.

١ - سورة النساء: الآية (٥٩).

٢ - سورة العنكبوت: الآية (٧).

٣ - البخاري، كتاب الأحكام، باب قول الله تعالى: " أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم " (٦٧١٨)، مسلم، كتاب الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية وتحريمها في المعصية (٤٨٥٢).

٤ - رواه الإمام أحمد، المسند، وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح رجاله ثقات رجال الشيخين غير عتبة بن أبي الصهباء (١٩٣/٢) ، مسند أبي يعلى ، وقال حمدين سليم أسد: إسناده حسن. (٣٤٠/٩) رقم (٥٤٥٠)، ابن حبان، الصحيح باب فرض متابعة الإمام (٢١٠٩).

وقد أدهشت تلك التعاليم والوصايا النبوية للأمرء والجنود جميع المحليين على اختلاف مشاربهم ودياناتهم.

وقد سار هؤلاء الأمرء على الطريق نفسه الذي رسمه لهم قائدهم المصطفى ﷺ فكانوا يأخذون بوصاياهم، وينقلونها للناس حتى صارت تلك الأوامر والوصايا تتكرر على ألسنة الخلفاء من بعده.

ومن هذه الوصايا التي كان يوصي بها النبي ﷺ أمرءه قبل أن يبعثهم:

ما رواه بريدة رضي الله عنه عن أبيه قال: " كان رسول الله ﷺ إذا أمر أميراً على جيش أو سرية، أوصاه في خاصته بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيراً ثم قال: اغزوا باسم الله في سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله، اغزوا ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليدًا، وإذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى ثلاث خصال، أو خلال فأيتهم ما أجابوك، فاقبل منهم وكف عنهم، ثم ادعهم إلى الإسلام، فإن أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم ثم ادعهم إلى التحول من دارهم إلى دار المهاجرين، وأخبرهم أنهم إن فعلوا ذلك فلهم ما للمهاجرين وعليهم ما للمهاجرين، فإن أبوا أن يتحولوا منها فأخبرهم أنهم يكونون كأعراب المسلمين يجري عليهم حكم الله الذي يجري على المؤمنين، ولا يكون لهم في الغنيمة والفيء شيء إلا أن يجاهدوا مع المسلمين، فإن هم أبوا فسلمهم الجزية، فإن هم أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم، فإن هم أبوا فاستعن بالله وقاتلهم. وإذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تجعل لهم نعمة الله ونعمة نبيه فلا تجعل لهم نعمة الله ولا نعمة نبيه، ولكن اجعل لهم نمتك ونعمة أصحابك، فإنكم إن تخفروا نمتكم ونعم أصحابكم أهون من أن تخفروا نعمة الله ونعمة رسوله، وإذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تنزلهم على حكم الله فلا تنزلهم على حكم الله، ولكن أنزلهم على حكمك، فإنك لا تدري أتصيب حكم الله فيهم أم لا^(١).

فقد حرصَ النبي ﷺ على تلقين أمرء الجيوش ما يلزمهم من الوصايا التي تحقق الغاية من إرسالهم وتضمن للإسلام عزته وكرامته.

والناظر في وصايا النبي ﷺ يدرك تماماً كرم أخلاقه، وأنه جاء رحمة للعالمين، فلم يجعل النبي ﷺ الشيوخ والأطفال والنساء هدفاً للحرب بل نهى عن قتلهم وإيذائهم، ونهى عن الغدر والتمثيل بالقتلى والخيانة.

١ - مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب تأمير الإمام الأمرء على البعث ووصية إياهم بآداب الغزو وغيرها (٤٦١٩).

فمن صفوان بن عسال قال: بعثنا رسول الله ﷺ في سرية، فقال: "سيروا باسم الله وفي سبيل الله. قاتلوا من كفر بالله، ولا تمثلوا ولا تغدروا ولا تغلوا ولا تقتلوا وليدا"^(١).

ومما يؤكد ذلك أيضا ما جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "كان رسول الله ﷺ إذا بعث جيوشه قال: "اخرجوا باسم الله تقاتلون في سبيل الله من كفر، لا تغدروا، ولا تغلوا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا الولدان، ولا أصحاب الصوامع"^(٢).

وعندما بعث النبي ﷺ عبد الرحمن بن عوف إلى دومة الجندل وبعد أن عممه وسلمه السيف قال له: "اغزوا جميعا في سبيل الله، فقاتلوا من كفر بالله، لا تغلوا، ولا تغدروا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا وليدا، فهذا عهد الله وسيرة نبيكم فيكم"^(٣).

وقد حفظت لنا الأحاديث الشريفة أن من وصايا النبي ﷺ لأمرائه أن يكونوا مبشرين غير منفرين وميسرين غير معسرين، فعن أبي موسى ﷺ قال: "كان رسول الله ﷺ إذا بعث أحدا من أصحابه في بعض أمره قال: "بشروا ولا تفروا، ويسروا ولا تصسروا"^(٤).

فما أعظم هذه الوصية وما أكبر أثرها، فهي سبيل لاستمالة القلوب وتأليفها لصالح الإسلام وأهله.

ومن الوصايا التي أوصى بها النبي ﷺ أمراء السرايا والجيوش، الابتعاد عن قتال أهل البلاد التي يذكر فيها اسم الله ويرفع فيها الأذان، فعن ابن عسّام المزني عن أبيه قال: بعثنا رسول الله ﷺ في سرية فقال: « إذا رأيتم مسجدا أو سمعتم مؤذنا فلا تقتلوا أحدا »^(٥).

فقد نهى النبي ﷺ عن مقاتلة أهل البلاد التي تخيم عليها راية الإسلام، ولا شك أن في هذا استمالة لقلوب المشركين للدخول في الإسلام.

وقد اشتملت وصاياهم ﷺ إلى أمرائه من عسكريين ومدنيين وإداريين وعمال وولاة على عدة حقائق أهمها:

أولا: الحث الدائم على التبشير بالإسلام، وإعلام الناس بتعاليمه وأهم أركانه وخاصة: شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله.

١ - رواه الإمام أحمد، المسند، وقال شعيب الأرنؤوط: صحيح لغيره (٢٤٠/٤)، سنن ابن ماجه، كتاب الجهاد، باب وصية الإمام، قال الألباني: حسن صحيح (٢٨٥٨)، سنن الدارمي، كتاب السير، باب وصية الإمام في السرايا (٢٤٣٩)، السنن الكبرى: النسائي (٢٦٠/٥) رقم (٨٨٣٧).

٢ - رواه الإمام أحمد، المسند، وقال شعيب الأرنؤوط: حسن لغيره (٣٠٠/١). مسند أبي يعلى، وقال حسين سليم أسد: إسناده صحيح (٥٩/٥) (٢٦٥٠)، الطبراني، المعجم الكبير (١١/٢٢٤) (١١٥٦٢)، السنن الكبرى: البيهقي (٩٠/٩) (١٨٦١٨).

٣ - الحاكم، المستدرک على الصحيحين، كتاب الفتن والملح، وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه وتابعه الذهبي، (٨٦٢٣)، ابن سعد، الطبقات (٨٩/٢)، ابن هشام، السيرة النبوية عن ابن إسحاق (١٧٩/٤).

٤ - مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب في الأمر بالتبشير وترك التنفير (٦٤٢٢).

٥ - أبو داود، السنن، كتاب الجهاد، باب في دعاء المشركين وقال الألباني: حديث صحيح (٢٦٣٧)، السنن الكبرى: النسائي (٢٥٨/٥) (٨٨٣١)، البيهقي، السنن الكبرى (١٠٨/٩)، ابن أبي شيبة، المصنف، (٣٢٧/١٢) (٣٢٧٤٩).

ثانيا: الاهتمام بالعدل والصدق في القول والعمل، سواء مع المسلمين أو مع غيرهم قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَتَانُ قَوْمٍ عَلَىٰ مَا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾^(١).

ثالثا: الحث على الجهاد في سبيل الله؛ لأن الإسلام الذي يدعو لخير البشرية وفي سبيل نصرة هذا الدين لا بد من بذل الأنفس والأموال؛ لإعلاء كلمة التوحيد قال تعالى: ﴿اتَّقُوا خِيفَاتِهَا وَيُقَاتِلُوا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾^(٢).

ومع هذا أمر المصطفى ﷺ أمراءه بأمر حدهما لهم كما في قوله: "قاتلوا من كفر بالله ولا تغفروا ولا تمثلوا"، وأمر المجاهدين وأمراءهم بعدم الغرر قبل الدعوة والإنذار قبل القتال.

وجاء الإسلام بأسلوب جديد فيه سلام وأمن لمن يدعى من المشركين إلى التوحيد، حيث أعطاهم فسحة للتفكير: أما اعتناق الإسلام، وفي هذه الحالة سينالهم الأمن والسلام مثلهم مثل إخوانهم المسلمين سواء بسواء، وإما دفع الجزية أو القتال، وهي آخر ما دعا إليه الرسول من خصال، وهذه الأساليب لم تعهد لها الشعوب قبل الإسلام، إذ تعودوا على الغزو والقتال دون رحمة حيث تسبى الذراري، وتنتهك الأعراض، وتدمر الأوطان، ويقتل الرجال.

فجاء الإسلام بتعاليمه السمحة الصائفة حيث قضى على هذه الأساليب الوحشية، وأحل محلها أسلوب الحرية في التفكير، واختيار ما يناسب تفكير الشعوب ومستواها، وهذه أمور لم يألفها العالم من قبل؛ لأن شريعة حكام شعوب تلك الفترة كانت شريعة الغاب، وويل للمغلوب من الغالب.

رابعا: عدم استغلال نشوة النصر للتمثيل بالقتلى، أو الإجهاز على الجرحى أو هتك الأعراض أو قتل النساء والأطفال والعباد.

خامسا: الالتزام بأساليب التبشير مع عدم التنفير كما في قوله ﷺ: "بشروا ولا تنفروا ويسروا ولا تصروا".

بهذه الوصايا أقبل الناس على اعتناق الإسلام بسلام دون مزيد من إراقة الدماء، وذلك لما اشتمل عليه الإسلام من أمان وتوحيد؛ لأنهم غلبوا جانب التبشير على التشديد والتنفير، وكان الاعتماد على التبشير أكثر من الإنذار والتهديد، مما حدا بالناس على الإقبال على دين اليسر؛ وذلك لأن الإسلام لا يعرف حقا ولا ضغينة، ولا يريد شرا بأحد.

إن بهذه الأخلاق انتشر الإسلام وعم الخير في جميع أنحاء هذا الكون، ولكن عندما أقصي الإسلام عن واقع الحياة انتشر الفساد وعمت الفوضى، ثم أصبحنا لقمة سائغة لعدونا،

١ - سورة المائدة: الآية (٨).

٢ - سورة التوبة: الآية (٤١).

فتكالبت على الإسلام الأمم، وحاربوا المسلمين واحتلوا بلادهم واستخدموا كل أساليب الفتن والقتل والظلم باسم الديمقراطيات الزائفة والحريات المصطنعة.

ولو قارنا بين وصايا النبي ﷺ لقادته وأمراته، وبين وصايا أمم الكفر لوجدنا مفارقة عجيبة بين هذه وتلك، فالقتال في الإسلام كان من أجل تحقيق العدالة، ووصايا الحرب تلك كانت بمثابة تشريعات للحرب المقدسة التي كان يخوضها المسلمون ضد أعدائهم، والتي توضح بجلاء أي نوع من الحرب كان المسلمون يمارسونها ضد الأعداء باختلاف مشاربهم، وتعدد عداواتهم. لقد كانت بشهادة الأعداء قبل الأصدقاء - حربا فروسية بمعنى الكلمة، لم يشهد، ولن يشهد التاريخ لها مثيلا -، إن التأكيد في تلك الوصايا بالالتزام بالأخلاق الإسلامية السامية في التعامل مع الأعداء لأمر يثير الدهشة حقا.

المطلب الثاني

العدل بين الناس

من واجبات الأمير نحو الناس: العدل بينهم، والعدل من الصفات الإلهية التي ينبغي أن يتصف بها كل ولي أمر، فالعدل مدعاة لاستمرار الملك والقيادة، وينبغي مراعاة العدل في جميع أنواعه، العدل مع النفس وذو القربى، والعدل في السراء والضراء، والعدل في منح المزايا وإنزال العقوبات أو التكليف بالأعمال، وحتى مع الأعداء، يقول تعالى:

﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاَنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾^(١).

وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾^(٢).

وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾^(٣).

إن هذه الآية الكريمة الأخيرة تعدّ من أمهات آيات الأحكام تضمنت جميع الدين والشرع، والمخاطب بها هم الحكام بين الناس من أمراء وولاة ونحورهم، وبهذا قال علي بن أبي طالب، ومحمد بن كعب، وزيد بن أسلم، وشهر بن حوشب^(٤).

وذكر ابن تيمية أنه قول العلماء^(٥)، وبه أخذ الطبري الذي قال في معنى الآية: "إن الله يأمركم، يا معشر ولاة أمور المسلمين، أن تؤدوا ما ائتمنتكم عليه رعييتكم من قيتهم، وحقوقهم، وأموالهم، وصدقاتهم إليهم، على ما أمركم الله بأداء كل شيء من ذلك إلى من هو له، بعد أن تصير في أيديكم، لا تظلموها أهلها، ولا تستأثروا بشيء منها، ولا تضعوا شيئاً منها في غير موضعه، ولا تأخذوها إلا ممن أذن الله لكم بأخذها منه قبل أن تصير في أيديكم، ويأمركم إذا حكمتم بين رعييتكم أن تحكموا بينهم بالعدل والإنصاف، وذلك حكم الله الذي أنزله في كتابه، وبيّنه على لسان رسوله، لا تعنوا ذلك فتجوروا عليهم"^(٦).

وقال سيد قطب: "فأما الحكم بالعدل بين الناس، فالنص يطلقه هكذا عدلاً شاملاً بين الناس" جميعاً، لا عدلاً بين المسلمين بعضهم وبعض فحسب، ولا عدلاً مع أهل الكتاب، دون

١ - سورة المائدة: الآية (٨).

٢ - سورة النحل: الآية (٩٠).

٣ - سورة النساء: الآية (٥٨).

٤ - تفسير القرطبي (٢٥٥/٥-٢٥٦)، تفسير الطبري (٩٢/٥)، تفسير ابن كثير (٥١٦/١).

٥ - العياض الشريفة: ص ٤.

٦ - تفسير الطبري (٩٢/٥).

سائر الناس، وإنما هو حق لكل إنسان بوصفه "إنساناً"، فهذه الصفة - صفة الناس - هي التي يترتب عليها حق العدل في المنهج الرباني، وهذه الصفة يلتقي عليها البشر جميعاً: مؤمنين وكفاراً، أصدقاء وأعداء، سوداً وبيضاً، عرباً وعجماً. والأمة المسلمة قيمة على الحكم بين الناس بالعدل - متى حكمت في أمرهم - هذا العدل الذي لم تعرفه البشرية قط - في هذه الصورة - إلا على يد الإسلام، و في حكم المسلمين، و في عهد القيادة الإسلامية للبشرية، والذي افتقدته من قبل ومن بعد هذه القيادة، فلم تنق له طعماً قط، في مثل هذه الصورة الكريمة التي تتاح للناس جميعاً، لأنهم "ناس" لا لأية صفة أخرى زائدة على هذا الأصل الذي يشترك فيه "الناس"¹، وذلك هو أساس الحكم في الإسلام؛ كما أن الأمانة - بكل مدلولاتها - هي أساس الحياة في المجتمع الإسلامي"².

فالعدل هو الأساس في إسعاد الأمة، لهذا رتب عليه الله تعالى الثواب الأوفى يوم القيامة، وقد أكدت السنة النبوية على أهمية العدل وفضله، للحاكم والمحكوم، وعدته من أسباب النجاة يوم القيامة.

فعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: "سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: الإمام العادل، وشاب نشأ في عبادة ربه، ورجل قلبه معلق في المساجد، ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه، ورجل طلبته امرأة ذات منصب وجمال فقال إني أخاف الله، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه"³.

والإمام العادل: "هو كل من إليه نظر في شيء من مصالح المسلمين من الولاية والحكام وغيرهم، وبدأ به لكثرة مصالحه، وعموم نفعه"⁴.

وقال النووي: "إن هذا الفضل إنما هو لمن عدل فيما تقلده من خلافة، أو إمارة، أو قضاء، أو حسبة، أو نظر على يتيم، أو صدقة، أو وقف، وفيما يلزمه من حقوق أهله وعياله، ونحو ذلك. والله أعلم"⁵.

يستحث النبي ﷺ في هذا الحديث همم ولاية الأمر من حكام وأمراء وغيرهم من أفراد الأمة على العدل فيما تولوه من مسؤولية؛ وذلك لما للعدل من ثمرة طيبة تعود على الأمة بالخير في الدنيا والآخرة، وتحقق السعادة للبشرية، فالعدل سبيل للقضاء على العداوة والبغضاء بين

¹ - في ظلال القرآن: (١٨٩/٢).

² - البخاري، كتاب الجماعة والإمامة، باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة وفضل المسجد (٦٢٩)، مسلم، كتاب الزكاة، باب فضل إخفاء الصدقة (٢٤٢٧).

³ - شرح النووي، (١٢١/٧).

⁴ - المرجع السابق، (٢١٢/١٢)، وانظر: فتح الباري (١٤٥/٢).

أبناء الأمة؛ لأن الناس إذا أحسوا بإقامة العدل في مجتمعهم تستقر نفوسهم وتطمئن قلوبهم ويزدهر مجتمعهم ويعمهم الخير والاستقرار.

وعن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ "إن المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن عز وجل وكلتا يديه يمين، الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا"^(١).

فقد بين النبي ﷺ في هذا الحديث منزلة ولاة الأمر الذين يحكمون بالعدل بين رعيته عند الله تعالى وأنهم على منابر من نور بين يدي الله تعالى، وهذا دليل على أهمية هذا الواجب وعلى ضرورة تطبيقه على الناس.

وقد مدح النبي ﷺ الإمام العادل، وجعله مجاب الدعوة، وحذر من الظلم ومن دعوة المظلوم، فليس بينها وبين الله حجاب.

فمن أبي هريرة ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: "ثلاثة لا ترد دعوتهم: الإمام العادل، والصائم حتى يفطر، ودعوة المظلوم يرفعها الله دون الغمام يوم القيامة، وتفتح لها أبواب السماء، ويقول بعزتي لأصرنك ولو بعد حين"^(٢).

فلنحظ هنا أن النبي ﷺ يستشير هم الأمراء والولاة للعدل بين الناس، وفي الوقت نفسه يحذرهم من دعوة المظلوم التي لا يردها الله تعالى أبداً.

وعن عوف بن مالك الأشجعي ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: "إن شئتم أنباتكم عن الإمارة وما هي" قال: فقمت، فناديت بأعلى صوتي ثلاث مرات، فقلت: وما هي يا رسول الله؟ قال: "أولها ملامة، وثانيها ندامة، وثالثها عذاب يوم القيامة، إلا من عدل"^(٣).

يبين النبي ﷺ في هذا الحديث الشريف أن العدل بين الناس يعد من أقدس واجبات الأمير؛ وذلك لأنه السبيل للنجاة من الملامة والندامة والخزي يوم القيامة، فالأمير الذي يتترك العدل بين الناس لا بد من أن يتعرض للوم العباد بسبب ما يشعرون به من الظلم، وشعوره بهذا

^١ - مسلم، كتاب الإمارة، باب فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر والحث على الرفق بالرعية والنهي عن إدخال المشقة عليهم (٤٨٢٥). منن النسائي، كتاب آداب القضاء، باب الحاكم العادل في حكمه (٥٣٧٩)، فتح الباري (١٤٥/٢).

^٢ - الترمذي، المنن، كتاب الدعوات، باب في العفو والعافية (٣٥٩٨) وفي كتاب صفة الجنة، باب ما جاء في صفة الجنة ونعيمها (٢٥٢٦)، ابن ماجة، المنن، كتاب الصيام، باب في الصائم لا ترد دعوتهم (١٧٥٢)، صحيح ابن حبان، كتاب الصوم، باب فضل الصوم (٣٤٢٨)، رواه الإمام أحمد، المسند (٣٠٤/٢)، البيهقي، المنن الكبرى (٣٤٥/٣) (١١٨٦)، المعجم الأوسط: الطبراني، ١٤٥/٧ (٧١١١). قال الترمذي: حديث حسن. وقال الشيخ الألباني: صحيح، وقال: شعيب الأرناؤوط: صحيح بطرقه وشواهده.

^٣ - الطبراني، المعجم الكبير، ٧١/١٨ (١٣٢) المعجم الأوسط: الطبراني ٢٦/٧ (٩٧٤٧)، مسند البزار ١٨٨/٧ (٢٧٥٦)، الأحاد والمثنائي: ابن أبي عاصم (٢/٣) (١٢٨٤). قال الهيثمي في مجمع الزوائد: (٢٠٠/٥): رجاله رجال الصحيح، وقال المنذري في الترغيب والترهيب (١١٣/٣): رواه رواة الصحيح. قلت: الحديث فيه معاوية بن صالح قال عنه الحافظ في التقریب: (٦٧٢٦): صدوق له أوهام، وقد تابعه زيد بن واقد، قلت: فالحديث صحيح لغيره.

الظلم يعرضه للندم على ما قدم من ظلم للرعية وبالتالي يستحق عذاب الله عز وجل؛ لهذا لا تكون النجاة من الملامة والندامة والعذاب يوم القيامة إلا بالعدل بين الناس.

وقد ذكر الماوردي أن من واجب الأمير: " أن لا يمالئ من ناسبه أو وافق رأيه ومذهبه، على من باينه في نسب أو خالفه في رأي ومذهب، فيظهر من أحوال المباينة ما تفرق به الكلمة الجامعة تشاغلا بالتقاطع والاختلاف"^(١).

فالعدل من أهم مبادئ الإمارة في الإسلام، لهذا يجب أن يكون ولي الأمر عادلا مع الجميع؛ لما له من آثار طيبة بين الناس في الدنيا والآخرة.

فمن قام بالعدل في الدنيا ملك سرائر رعاياه، ومن قام فيهم بالجور والظلم لم يملك إلا الأجساد مع اختلاف القلوب عليه، وذلك أن السرائر تتطلب من يملكها بالإحسان^(٢).

وقد بين النبي ﷺ منافع العدل في الآخرة، وأنه يفك صاحبه يوم القيامة من ذلك الغل الذي في عنقه.

فمن سعد بن عبادة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "ما من أمير عشرة إلا يؤتى به يوم القيامة مغلول لا يفكه من ذلك الغل إلا العدل"^(٣).

وهناك آثار سيئة تنتج عن ترك العدل بين الناس في الدنيا والآخرة، فمن آثار ترك العدل في الدنيا:

أولا: خذلان الرعية للأمير عند حاجته إليهم وإفساد قلوبهم. قال الشيخ مصطفى السيوطي: "ولا يميل الأمير مع قريبه وذو مذهبه، فتتكسر قلوب غيرهم فيخذلوه عند الحاجة، ولأنه يفسد القلوب"^(٤).

فالأمير الذي لا يراعي العدل بين الناس، ويميل عن الحق يزرع في قلوب الرعية الحقد والكراهية له ولغيره ممن مال معهم، فيتركون عونه ومساعدته إذ احتاج إليهم وتنتشر بينهم العداوة والبغضاء.

ثانيا: فوات الطاعة والمحبة، ومما قيل في هذا الشأن: "إذا رغب الملك عن العدل رغبته الرعية عن الطاعة، وأعلم أن المحبة لا تنقاد إلا للعدل"^(٥).

١ - الأحكام السلطانية: الماوردي (٣٧)، والأحكام السلطانية: أبي يعلى (٤١).

٢ - انظر: بدائع السلك في طبائع الملك (٢٣٢/١).

٣ - رواه الإمام أحمد، المسند (٢٨٥/٥) وبنحوه (٣٢٢/٥، ٣٢٧)، المعجم الكبير: الطبراني، ٢٢/٦ (٥٣٨٩)، ابن أبي شيبه، المصنف ٤٢٠/٦ (٣٢٥٥٣). قال شعيب الأرنؤوط: صحيح لغيره، والحديث منده ضعيف لجهالة الراوي عن سعد ولكن له شاهد من حديث أبي هريرة عند أحمد والدارمي والبخاري.

٤ - انظر: مطالب أولي النهى: مصطفى السيوطي (٥٧٢/٢).

٥ - بدائع السلك في طبائع الملك (٢٣٤/١). وانظر: القيادة العسكرية في عهد النبي ﷺ: ص ٨٦، ٨٧.

فالأمر الذي يقيم سياسته على الظلم والجور، يعرض نفسه لتمرّد الرعيّة وعصيانهم، ولا يخفى لما لذلك من أثر في اختلال الأمن والنظام.

ومن مضار ترك العدل في الآخرة: أن ولي الأمر الجائر يبقى مغلولاً بسبب ظلمه لأمهم، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله قال: "ما من أمير عشرة إلا يؤتى به يوم القيامة مغلولاً لا يفكه إلا العدل أو يوبقه الجور". وفي رواية: "فإن كان مسينا زيد غلا إلى غله" (١).

يبين النبي صلى الله عليه وآله في هذا الحديث أن الظلم والجور من الأمور التي يهلك بها الأمراء يوم القيامة.

وقد ربي المصطفى صلى الله عليه وآله أصحابه وأمرأه على العدل وعدم الجور، فكان إذا بعث أميراً أوصاه بتقوى الله تعالى، وحثه على العدل والابتعاد عن الظلم.

يشهد لهذا أن الرسول صلى الله عليه وآله أوصى معاذ بن جبل رضي الله عنه حين بعثه إلى اليمن فقال: "إنك ستأتي قوماً أهل كتاب، فإذا جنتهم فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فإن هم أطاعوا لك بذلك، فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات فسي كل يوم ولية، فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم، فإن هم أطاعوا لك بذلك فإياك وكرائم أموالهم، واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينه وبين الله حجاب" (٢).

فقد حذر النبي صلى الله عليه وآله معاذ من ظلم الرعيّة، ولا شك أن ترك العدل بين الناس من أعظم صور الظلم وأشكاله.

^١ - رواه الإمام أحمد، المسند وقال: شعيب الأرنؤوط: إسناده قوي. (٤٣١/٢). ، سنن الدارمي، كتاب الجهاد، باب التشديد في الإمارة رقم (٢٧٢٢)، البيهقي، السنن الكبرى، ١٢٩/٣ (٥١٢٨)، مسند أبي يعلى (٤٤٣/١١) رقم (٦٥٧٠)، كشف الاستار عن زوائد البزار على الكتب الستة: الهيثمي، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، ط١، ١٢٩٩ هـ، مؤسسة الرسالة، بيروت، كتاب الإمارة، باب أحوال الأمراء في الآخرة ٢/٢٥٣، وقال الهيثمي: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح. مجمع الزوائد (١٩٢/٤)، وقال المنذري: رواه أحمد بإسناد جيد رجاله رجال الصحيح. الترغيب والترهيب: (١٢١/٣).

^٢ - البخاري، كتاب الزكاة، باب أخذ الصدقة من الأغنياء وترد في الفقراء حيث كانوا (١٤٢٥).

المطلب الثالث

رعاية الناس والرفق بهم وإسداء النصيحة لهم

تعد رعاية شؤون الناس والرفق بهم، وإسداء النصيحة لهم من أهم الواجبات الملقاة على عاتق الأمير، فواجب عليه أن يرعى شؤونهم ويقضي حوائجهم ويرفق بهم، وأن لا يفرط في أمر رعيته.

وقد حمل المصطفى ﷺ الأمراء مسؤولية الرعية، وحثهم على القيام بشؤونهم على أكمل وجه، فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: « أَلَا كُنْتُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَالْأَمِيرُ الَّذِي عَلَى النَّاسِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُمْ وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ عَلَى بَيْتِ بَعْلِهَا وَوَلَدِهِ وَهِيَ مَسْئُولَةٌ عَنْهُمْ، وَالْعَبْدُ رَاعٍ عَلَى مَالِ سَيِّدِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُ، أَلَا فَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ »^(١).

ففي هذا الحديث خطاب للأمة جميعاً، يبين فيه الرسول ﷺ أن كل إنسان راع ومسؤول عن رعيته، والراعي هو الذي يقوم على الشيء، ويرعى مصالحه فيهيئها له، ويرعى مفسده فيجنبه إياها، كراعي الغنم ينظر ويبحث عن المكان المربيع حتى يذهب بالغنم إليه وينظر في المكان المجدب فلا يتركها في هذا المكان، هكذا بنو آدم كل إنسان راع ومسؤول عن رعيته فالأمير راع ومسؤول عن رعيته، والأمراء يختلفون في نفوذهم وفي مناطق أعمالهم، فقد يكون هذا الأمير أميراً على قرية صغيرة وتكون مسؤوليته صغيرة، وقد يكون أميراً على مدينة كبيرة فتكون مسؤوليته كبيرة، وقد يكون مسؤولاً عن أمة كالأمير الذي ليس فوقه أمير في منطقتة، وقد يكون أمير جيش أو سرية، أو أي جماعة فالأمير مسؤول أمام الله تعالى عن رعاية من تحت إمرته^(٢).

وقد حذر المصطفى ﷺ الأمراء من التقصير في حق الرعية، فعن معقل بن يسار قال: سمعت النبي ﷺ يقول: "ما من وال يلي رعية من المسلمين فيموت وهو غاش لهم إلا حرم الله عليه الجنة"^(٣).

^١ - البخاري، كتاب الأحكام، باب قول الله تعالى { أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم } (٦٧١٩)،، كتاب النكاح، باب { قوا أنفسكم وأهليكم نارا } (٤٨٩٢)، وانظر: (٢٢٧٨)، (٢٤١٩)، (٢٦٠٠)، (٤٩٠٤)، صحيح مسلم، واللفظ له، كتاب الإمارة، باب فضيلة الإمام العادل وصوبة الجائر (٤٨٢٨).

^٢ - انظر: شرح رياض الصالحين: ابن عثيمين، (٢١٨).

^٣ - قوله ﷺ "حرم الله عليه الجنة" فيه تأويلان: أحدهما أنه محمول على المعتدل والثاني حرم عليه دخولها مع الفاسقين السابقين. انظر: النووي، شرح صحيح مسلم (١٦٦/٢). وانظر الحديث في: البخاري، كتاب الأحكام، باب من استرعى رعية فلم ينصح (٦٧٢٢)، مسلم، كتاب الإيمان، باب استحقاق الوالي الغاش لرعيته النار (٣٨٠).

وفي رواية عنه أن النبي ﷺ قال: " ما من عبد يسترعيه الله رعية فلم يحطها بنصحها إلا لم يجد رائحة الجنة " (١).

فالأمير مكلف بالقيام بما يصلح الرعية ويحقق لها السعادة، ومن ترك هذا فهو غاش لهم وحرام عليه دخول الجنة.

وفي رواية عنه أن النبي ﷺ قال: " ما من أمير يلي أمر المسلمين، ثم لا يجهد لهم وينصح إلا لم يدخل معهم الجنة " (٢).

فبيّن هذا الحديث أن من ولاة الله تعالى على الناس يجب عليه أن يديم لهم النصيحة، وأن لا يغشهم حتى يموت على ذلك، وأنه إذا قلب القضية فترك نصيحتهم واستمر في غشهم استحق أن يعاقب يوم القيامة (٣). وفيه وعيد شديد للذين يضيعون رعيّتهم أو يخونونهم أو يظلمونهم.

فالأمير مسؤول عن تصرفاته أمام الله تعالى يوم الحساب، فإن التزم بأحكام الشرع في أعماله وتصرفاته وكان راعياً لأمانته وعهده جزاءه الله أحسن الجزاء، وأكرم مثواه يوم القيامة، وإن ظلم وغش وتجاوز حدود الله تعالى، كان عليه وزر ذلك يوم القيامة.

قال القاضي عياض: "معناه بين في التحذير من غش المسلمين، لمن قلده الله تعالى شيئاً من أمرهم، واسترعاه عليهم، ونصبه لمصلحتهم في دينهم أو دنياهم، فإذا خان فيما أوّمن عليه، فلم ينصح فيما قلده، إما بتضييعه تعريفهم ما يلزمهم من دينهم وأخذهم به، وإما بالقيام بما يتعين عليه من حفظ شرائعهم، والذب عنها لكل متصدّ؛ لإدخال داخلية فيها أو تحريف لمعانيها، أو إهمال حدودهم، أو تضييع حقوقهم، أو ترك حماية حوزتهم ومجاهدة عدوهم، أو ترك سيرة العدل فيهم، فقد غشهم، وقد نبه ﷺ على أن ذلك من الكبائر الموبقة المبعدة عن الجنة، والله أعلم" (٤).

وقد كان النبي ﷺ المثل الأعلى في رعاية شؤون الناس، وتحقيق مصالحهم، وقضاء حوائجهم.

١ - البخاري، كتاب الأحكام، باب من استرعى رعية فلم ينصح، رقم (٦٧٣١). مسلم، كتاب الإيمان، باب استحقاق الوالي الغاش لرعيته النار (١٢١). وفي الإمارة باب فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر، بلفظ "ما من عبد يسترعيه الله رعية يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته إلا حرم الله عليه الجنة". رقم (٤٨٣٤).

٢ - مسلم، كتاب الإيمان، باب استحقاق الوالي الغاش لرعيته النار (٢٨٣)، وكتاب المغازي، باب فضيلة الإمام العادل، وعقوبة الجائر، والحث على الرفق بالرعية والنهي عن إدخال المشقة عليهم (٤٨٣٦).

٣ - انظر: فتح الباري (١٥٨/١٣).

٤ - النووي، شرح صحيح مسلم (١٦٦/٢).

يشهد لهذا ما جاء عن أنس بن مالك رضي الله عنه: " أن امرأة كان في عقلها شيء، فقالت: يا رسول الله إن لي إليك حاجة، فقال: "يا أم فلان انظري أي السكك شئت حتى أقضي لك حاجتك، فخلا معها في بعض الطرق حتى فرغت من حاجتها"^(١).

فلم يحتجب النبي صلى الله عليه وسلم عن الناس ويجعل بينه وبينهم حاجزا، وهذا الأمر يظهر واضحا من خلال سيره مع هذه المرأة التي قصدته في حاجتها، فلم يتوانى النبي صلى الله عليه وسلم عن مساعدتها وقضاء حاجتها.

وكذلك كان النبي صلى الله عليه وسلم يدعو الولاة إلى قضاء حوائج الناس، وعدم الاحتجاب عنهم. فعن أبي مريم الأزدي رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " مَنْ وَكَّاهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ شَيْئًا مِنْ أَمْرِ الْمُسْلِمِينَ فَاحْتَجَبَ دُونَ حَاجَتِهِمْ وَخَلَّتِهِمْ وَفَقَرِهِمْ احْتَجَبَ اللَّهُ عَنْهُ دُونَ حَاجَتِهِ وَخَلَّتِهِ وَفَقَرِهِ". قال: فجعل رجلا على حوائج الناس"^(٢).

يبين النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث أن من واجب الأمير قضاء مصالح الناس وعدم الاحتجاب عنهم، ويبين أيضا أن منع الناس من عونه ومساعدته لهم سبب في حرمانه عون الله تعالى. وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم القدوة للناس ولولاة الأمر من بعده في رعاية الناس والاهتمام بشؤونهم، فكان إذا تولى قيادة الجيش يولي جنده كل رعايته واهتمامه. فإذا سار معهم تارة يكون في المقدمة، وتارة يكون في الساقة^(٣)، حتى يساعد المتأخر ويعين الضعيف.

يشهد لهذا ما جاء عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: "كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَتَخَلَّفُ فِي الْمَسِيرِ فَيُزْجِي^(٤) الضَّعِيفَ، وَيُرْدِفُ وَيَدْعُو لَهُمْ"^(٥).

يبين لنا هذا الحديث كرم خلق النبي صلى الله عليه وسلم ورحمته بأصحابه، فلم يتوانى عن مساعدة الضعفاء وأصحاب الحاجة، وهذا خلق رفيع يجب أن يتحلى به كل من يتولى شؤون المسلمين من القادة والأمراء.

وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يمرض الجرحى من أصحابه، ومن أمثلة ذلك: اهتمامه بشأن زياد بن السكن رضي الله عنه لما أثبتته الجراح يوم أحد حيث وسده صلى الله عليه وسلم قدمه حتى مات عليها.

^١ - مسلم، كتاب الفضائل، باب قرب النبي من الناس وتبركهم به (٦١٨٩).

^٢ - أبو داود، السنن، كتاب الخراج والإمارة والقيء، باب فيما يلزم الإمام من أمر الرعية والحجبة عنه، قال الألباني: (٢٩٥٠)، الحاكم، المستدرک، كتاب الأحكام، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه وإسناده شامي صحيح، وتابعه الذهبي (٧٠٢٧)، الطبراني، المعجم الكبير، ٣٣١/٢٢ رقم (٨٣٢)، البيهقي، السنن الكبرى، ١٠١/١٠ رقم (٢٠٧٥٥) شعب الإيمان (٩ / ٤٨٩) رقم (٧٠٠٠)..

^٣ - الساقة: مؤخرة الجيش. انظر: لسان العرب (٢/٢٤٢).

^٤ - يزجي: يقال: زجي الشيء وأزجاه: ساقه سوفا لنا، والمعنى: أنه صلى الله عليه وسلم كان يسوق الضعيف ليلحقه برفاقه. انظر: لسان العرب (١٣/٢).

^٥ - أبو داود، السنن، كتاب الجهاد، باب في لزوم الساقة، قال الألباني: صحيح، (٢٦٤١)، البيهقي، السنن الكبرى / ٥ رقم (١٠٦٥٢).

فمن يزيد بن السكن، أن رسول الله ﷺ لما لحمه^(١) القتال يومئذ - يعني يوم أحد - وخلص إليه، وكان رسول الله ﷺ قد ثقل، وظاهر بين درعين يومئذ ودنا منه العدو، فذنب عنه مصعب بن عمير حتى قتل، وأبو دجانة سماك بن خرشة حتى كثرت فيه الجراحة، وأصيب وجه رسول الله ﷺ وتلمت ربايعيته وكلمت شفته وأصيبت وجنته، فقال عند ذلك: " من رجل يبيع لنا نفسه؟" فوثب فتية من الأنصار خمسة فيهم: زياد بن السكن فقتلوا حتى كان آخرهم زياد بن السكن، فقاتل حتى أثبت، ثم ثاب إليه ناس من المسلمين فقاتلوا عنه حتى أجهضوا عنه العدو، فقال رسول الله ﷺ: " أدن مني"، وقد أثبتته الجراحة، فوسده رسول الله ﷺ قدمه حتى مات عليها وهو زياد بن السكن^(٢).

يبين لنا هذا الحديث ما كان يتمتع به النبي ﷺ من الصفات الكريمة والأخلاق النبيلة، وذلك من خلال موقفه مع أحد أفراد جيشه زياد بن السكن حيث وسده قدمه حتى مات عليها. ولم يقتصر النبي ﷺ على رعايته للناس فحسب، بل دعا الولاة والأمراء إلى الرفق بالرعية والقيام بما يصلحها.

فمن عبد الرحمن بن شماسه، قال: أتيت عائشة أسألها عن شيء، فقالت: ممن أنت؟ فقلت: رجل من أهل مصر، فقالت: كيف كان صاحبكم لكم في غزاتكم هذه؟ فقال: ما نعلمنا منه شيئاً، إن كان ليموت للرجل منا البعير فيعطيه البعير، والعبد فيعطيه العبد، ويحتاج إلى النفقة فيعطيه النفقة، فقالت: أما إنه لا يمنعني الذي فعل في محمد بن أبي بكر أخي أن أخبرك ما سمعت من رسول الله ﷺ يقول في بيتي هذا: "اللهم من ولي من أمي شيئاً فاشق عليهم فاشق عليه، ومن ولي من أمي شيئاً فرفق بهم فارفق به"^(٣).

قال النووي: "هذا من أبلغ الزواجر عن المشقة على الناس، وأعظم الحث على الرفق بهم"^(٤)، فقد دعا النبي ﷺ لكل من رفق برعيته أن يرفق الله به، ومن أدخل عليهم المشقة والعنت أن يشق الله عليهم. وفي دعائه على من يشق على رعيته دليل على أن هذا الوالي ارتكب أمراً محرماً، ولا سبيل إلى سلامته من عواقب تلك الدعوة إلا إذا رعى شؤون من ولاه الله أمرهم بالرفق.

وقد دعا النبي ﷺ إلى الرفق في كل شيء، وبين أن الرفق من الصفات التي يحبها الله تعالى، ويحب فاعلها حتى مع الأعداء للضرورة.

١ - لحمه القتال: اشتباك الحرب بينه وبين عدوه، ولزوم بعضهم بعضاً. انظر: لسان العرب (٣/٣٥٢).
 ٢ - بن المبارك، عبد الله، كتاب الجهاد: تحقيق، نزيه حماد، دار التونسية، تونس، ١٩٧٢م (٨٨) والإصابة (١/٥٣٩).
 ٣ - مسلم، كتاب الإمارة، باب فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر والحث على الرفق والنهي عن إدخال المشقة عليهم (٤٨٢٦).
 ٤ - النووي، شرح صحيح مسلم، (٢١٣/١٢).

فمن عروة بن الزبير أن عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ قالت: دخل رهط من اليهود على رسول الله ﷺ فقالوا: السام عليكم. قالت عائشة: فهمتها فقلت: وعليكم السام واللعنة، قالت: فقال رسول الله ﷺ: "مهلا يا عائشة إن الله يحب الرفق في الأمر كله" فقلت: يا رسول الله لم تسمع ما قالوا. قال رسول الله ﷺ: "قد قلت وعليكم"^(١).

وعن أنس عن النبي ﷺ قال: "ما كان الرفق في شيء إلا زانه ولا نزع من شيء إلا شانه"^(٢).

فرفق الأمراء بالرعية من الأمور التي تجلب محبتهم وطاعتهم وتحقق للأمة الخير والرشاد.

وقد كان النبي ﷺ يوصي أمراءه بالرفق بالناس والتيسير عليهم في كل شيء، فلما استعمل عثمان بن أبي العاص على الطائف أمره بالرفق بالناس والتيسير عليهم في الصلاة، فمن مطرف قال: دخلت على عثمان بن أبي العاص فقال: كان آخر ما عهد رسول الله ﷺ حين بعثني على الطائف، فقال: "يا عثمانُ تجوزُ في الصلاةِ وأقدر الناس بأضعفهم فإن فيهم القوم الكبير والضعيف والسقيم وذو الحاجة"^(٣).

فقد حث النبي ﷺ الأمراء على الرفق بالرعية في كل الأحوال وحتى في الصلاة؛ وذلك لما للرفق بالرعية من الآثار الطيبة التي تعود على الأمة والمجتمع بالخير.

ويتجلى رفق النبي ﷺ في الناس من خلال وصاياه وتعاليمه التي يسديها إلى أمرائه وولاته:

ومن ذلك ما رواه معاذ بن جبل ؓ عندما بعثه النبي ﷺ إلى اليمن قال: بعثني رسول الله ﷺ، وقال لي: "إنك تأتي قوماً من أهل الكتاب. فادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وكيفية فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد في

^١ - البخاري، كتاب الأدب، باب الرفق في الأمر كله (٥٦٧٨) وانظر: (٥٩٠١)، (٦٠٢٢) صحيح مسلم، كتاب السلام، باب النهي عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام وكيف يرد (٥٧٨٤)، وكتاب البر والصلة، باب فضل الرفق (٦٧٦٦) بلفظ "إن الله رفيق يحب الرفق ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العطف وما لا يعطي على ما سواه".

^٢ - رواه الإمام أحمد، المسند (٢٠٦/٦) (٣١١/٢)، ابن حبان، صحيح، باب الرفق، ذكر البيان بأن الرفق مما يزين الأشياء وضده يشينها، قال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح (٥٥١).

^٣ - رواه الإمام أحمد، المسند وقال: شعيب الأرنؤوط: حديث صحيح وهذا إسناد حسن من أجل محمد بن إسحاق. (٢١/٤) (٣١١/٢)، ابن خزيمة، الصحيح، باب تقدير الإمام الصلاة بضعفاء المأمومين وكبارهم ونوي الحوائج منهم، قال الألباني: إسناده حسن صحيح (١٦٠٨). الطبراني، المعجم الكبير (٥٦/٩)، الهيثمي، مجمع الزوائد وقال: رجاله موثقون. (٧٣/٢).

فقرائهم فإن هم أطاعوا لذلك فأنيك وكرائم أموالهم واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب» (١).

فلم يأمر النبي ﷺ أميره معاذ بن جبل عندما بعثه إلى اليمن بتعذيب أهل الكتاب والبطش بهم بل دعاه إلى الرفق بهم واستمالة قلوبهم للإسلام برفق ولين وحره من إيقاع الظلم عليهم وبين له أن عواقب الظلم وخيمة.

١ - البخاري، كتاب المغازي، باب بعث أبي موسى ومعاذ بن جبل رضي الله عنهما إلى اليمن قبل حجة (٤٠٩٠) الوداع مملوم، والفضل له، كتاب الإيمان، باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام (١٣٠).

المطلب الرابع

تطبيق الشورى

الشورى قاعدة هامة من قواعد الإسلام، وسمة أساسية من سمات الحكم الإسلامى، وهى من واجبات الأمير، ومن حقوق الناس على أميرهم ولا يجوز التفریط بها. ومن واجبات أمير الجماعة أن يتخذ مجلسا للشورى مكونا من أعيان الناس؛ وذلك للاستفادة من مشورتهم فى الأمور التى تتطلب مشاركتهم فى صنع القرار بقصد الوصول إلى رأي سديد يحقق المصلحة العامة للأمة فى جميع مجالات الحياة، فمجالات الشورى متعددة ومتنوعة وشاملة لجميع مجالات الحياة الإنسانية، فى الحكم والقضاء والإدارة والبيت والشؤون الخاصة وبين جميع الناس.

ولأهمية الشورى فى النظام السياسى، فقد سميت سورة كاملة فى القرآن الكريم بسورة الشورى، ولتعزیز الشورى فى نظام الحكم أمر الله تعالى بها. قال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾^(١).

فى هذه الآية الكريمة أمر الله سبحانه وتعالى نبيه محمدا ﷺ أن يستشير أصحابه؛ لما فى ذلك من الوصول إلى الرأي الصواب، الذى يحقق المصلحة العامة لجماعة المسلمين، وما فيه من إحياء للصلة الوثقى بين رئيس الدولة والأمة^(٢).

وقد ذكر القرطبي أقوال العلماء رحمهم الله تعالى فى المعنى الذى لأجله أمر الله تعالى نبيه ﷺ بالمشاورة فقال:

"واختلف أهل التأويل فى المعنى الذى أمر الله نبيه عليه السلام أن يشاور فيه أصحابه؛ فقالت طائفة: ذلك فى مكائد الحروب، وعند لقاء العدو، وتطبيبا لنفوسهم، ورفعاً لأقذارهم، وتألفاً على دينهم، وإن كان الله تعالى قد أغناه عن رأيهم بوحيه. روى هذا عن قتادة والربيع وابن إسحاق والشافعي. قال الشافعي: هو كقوله "والبكر تستأمر" تطبيبا لقلبيها؛ لا أنه واجب. وقال مقاتل وقاتلة والربيع: كانت سادات العرب إذا لم يشاوروا فى الأمر شق عليهم؛ فأمر الله تعالى نبيه عليه السلام أن يشاورهم فى الأمر، فإن ذلك أعطف لهم عليه وأذهب لأضغانهم، وأطيب لنفوسهم. فإذا شاورهم عرفوا إكرامه لهم. وقال آخرون: ذلك فيما لم يأت فيه وحى. روى ذلك

١ - سورة آل عمران: الآية (١٥٩).

٢ - انظر: سعدى أبو حبيب، دراسة فى منهاج الإسلام السياسى (٦٠٠).

عن الحسن البصري والضحاك قالا: ما أمر الله تعالى نبيه بالمشاركة لحاجة منه إلى رأيهم، وإنما أراد أن يعلمهم ما في المشاركة من الفضل، ولتقتدي به أمته من بعده^(١).

ونكر سفيان بن عيينة وغيره بأن الأمر للرسول ﷺ بالشورى إنما هو أمر للمؤمنين من بعده بالتشاور في كل أمر يحزبهم، فإن فعلوا ذلك وقفوا إلى ما فيه خيرهم^(٢).
قال ابن العربي: والشورى ألفة للجماعة، ومسبار^(٣) للعقول، وسبب للصواب، وما تشاور قوم إلا هُتوا^(٤).

ومما يدل على مشروعية المشاركة وأهميتها قول الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾^(٥).

ففي هذه الآية الكريمة ذكر الله تعالى صفات المؤمنين، ومن صفاتهم أنهم لا يبرمون أمرا حتى يتشاوروا فيه، وفيها بيان أهمية الشورى، وعظم منزلتها حيث ذكرها الله تعالى مع الإيمان وإقامة الصلاة، وهذا يدل على أننا مأمورون بها^(٦).

وفي الآية دلالة لطيفة في الجمع بين فريضة الصلاة والشورى، وهي كما أن الصلاة عمود الدين وفريضة من فرائضه، فالشورى عمود النظام السياسي، وفرض من فرائضه. وفي ظلال هذه الصفة " وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ " يقول سيد قطب: " والتعبير يجعل أمرهم كله شورى؛ ليصبغ الحياة كلها بهذه الصبغة، وهو نص مكي، كان قبل قيام الدولة الإسلامية، فهذا الطابع إذن أعم وأشمل من الدولة في حياة المسلمين، إنه طابع الجماعة الإسلامية في كل حالاتها، ولو كانت الدولة بمعناها الخاص لم تقم بعد^(٧).

والواقع أن الدولة في الإسلام ليست سوى إفران طبيعي للجماعة وخصائصها الذاتية، والجماعة تتضمن الدولة وتنهض وإياها بتحقيق المنهج الإسلامي وهيمنتها على الحياة الفردية والجماعية.. . ومن ثم كان طابع الشورى في الجماعة مبكراً، وكان مدلوله أوسع وأعمق من محيط الدولة وشؤون الحكم فيها، إنه طابع ذاتي للحياة الإسلامية، وسمة مميزة للجماعة المختارة لقيادة البشرية، وهي من الازم صفات القيادة^(٨).

١ - القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: (٢٥٠/٤). وانظر أقوال العلماء في: تفسير الطبري (١٠٠/٤-١٠١).

٢ - القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: (٢٥١/٤).

٣ - المسبار: هو ما يعرف به صق الأشياء.

٤ - ابن العربي، أحكام القرآن: أبو بكر محمد، دار المعرفة، بيروت ط (٢٥١/٤) ط ١، ص ١١٦٨.

٥ - سورة الفورى: الآية (٣٨).

٦ - انظر: الجصاص، أحكام القرآن، دار الكتاب العربي- بيروت (٣٨١/٣).

٧ - قطب، سيد في ظلال القرآن (٣٣٣/٦).

٨ - المرجع السابق (٣٣٣/٦).

فالشورى واجب من الواجبات التي كلف الله تعالى الأمة الإسلامية بها، وهي واجبة على الحكام والأمراء وغيرهم من أبناء الأمة الإسلامية، وذلك لما فيها من الخير الذي يعود عليهم في الدنيا والآخرة، فتأمن من الخطأ وتسلم من الزلل.

قال الماوردي فيما ذكر من واجبات الأمير: "يشاور ذوي الرأي فيما أعضل، ويرجع إلى أهل الحزم فيما أشكل ليأمن الخطأ ويسلم من الزلل"^(١).

فالأمير مكلف باستظهار الآراء والوقوف على الصواب منها؛ ليجنب نفسه ومن تحت امرته من الوقوع في الضيق والهرج.

وقال القرطبي: "واجب على الولاة والحكام مشاورة العلماء فيما لا يعلمون وما أشكل عليهم من أمور الدين ووجوه الجيش فيما يتعلق بالحرب"^(٢).

فيجب على كل من ولي أمرا من أمور المسلمين أن يشاور أهل الخبرة والمعرفة في الأمور التي تعرض له، فيشاور في أمور الدين علماء الشريعة وأهل العلم به، ويشاور في شؤون الحرب أهل الخبرة به من القادة وأفراد الجيش؛ وما ذلك إلا من أجل الوصول إلى أفضل النتائج التي تحقق مصالح الأمة، وتحول دون وقوعها في مزالق الهلاك والدمار.

وقد كانت الشورى موضع اهتمام النبي ﷺ، ويظهر هذا من أقواله التي أكد فيها على أهمية الشورى، ومن خلال حرصه على ممارسة الشورى مع أصحابه في كثير من الشؤون التي تهم الأمة.

وقد حث النبي ﷺ على تطبيق الشورى، ورغب بها فهناك الكثير من النصوص التي تبين كيف كان النبي ﷺ يمارس المشاورة مع أصحابه تشريعا للأمة في معظم شؤون المسلمين، وهناك الكثير من المواقف التي طالب فيها عليه الصلاة والسلام المسلمين بتقديم الرأي ومن ذلك:

ما فعله رسول الله ﷺ حين خرج بالمهاجرين والأنصار يريد بدر، فقد وقف فيهم وقال: "أشيروا علي أيها الناس"، وإنما يريد الأنصار وذلك أنهم عدد الناس، وكانوا حين يسأعوه بالعقبة قالوا: يا رسول الله إنا برآء من ذمامك حتى تصل إلى دارنا، فإذا وصلت إلينا، فأنت في ذمنا نمنعك مما نمنع منه أنفسنا وأبنائنا ونساءنا، فكان رسول الله يتخوف أن لا تكون الأنصار ترى أن عليها نصرته إلا بالمدينة، وأنه ليس عليهم أن يسير بهم إلى عدو بغير بلادهم. فلما قال ذلك رسول الله ﷺ، قال سعد بن معاذ: والله لكأنك يا رسول الله تريدنا؟ قال: "أجل" قال سعد بن

١ - الماوردي، الأحكام السلطانية: (٤٣).
٢ - القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (٢٥٢/٤).

معاذ: فقد آمننا بك، وصدقناك، وشهدنا أن ما جئت به حق، وأعطيناك على ذلك عهدنا ومواثيقنا على السمع والطاعة، فامض يا رسول الله لما أردت، فنحن معك، فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد، وما نكره أن تلقى عدونا غدا... إنا لصبر عند الحرب، صدق عند اللقاء، ولعل الله يريك منا ما تقر به عينك، فمسر بنا على بركة الله، فسُرَّ بذلك رسول الله ﷺ^(١). ثم قال: "سيروا وابشروا، فإن الله تعالى قد وعدني إحدى الطائفتين، والله لكأني الآن أنظر إلى مصارع القوم"^(٢).

فقد استشار النبي ﷺ الأنصار عند عزمه على قتال الكفار في غزوة بدر ليختبر مدى نصرهم له.

وقد استشار أصحابه ﷺ في غزوة بدر أيضا عند وضعه لخطة الحرب، فقد تبسَّى رأي الحباب بن المنذر ؓ في تغيير الموقع الذي اختاره لأرض المعركة^(٣).

فقد أشار الحباب بن المنذر على النبي ﷺ بالنزول عند ماء بدر؛ للحيلولة دون وصول الكفار إلى الماء، وقبل النبي ﷺ بهذا الرأي؛ لما له من أثر في تحقيق مصلحة المسلمين وإضعاف قوة الأعداء.

وقد استشار النبي ﷺ أصحابه في غزوة بدر بشأن الأسرى الذين وقعوا في يد المسلمين، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: حدثني عمر بن الخطاب قال: "لما كان يوم بدر التقوا، فهزم الله المشركين، فقتل منهم سبعون رجلا، وأسر سبعون رجلا... قال ابن عباس: فلما كان يومئذ شاور رسول الله أبا بكر، وعلياء، وعمر، فقال أبو بكر: يا نبي الله هؤلاء بنو العم والعشيرة والإخوان، فإني أرى أن تأخذ منهم الفدية، فيكون ما أخذنا منهم قوة، وعسى الله أن يهديهم فيكونوا لنا عضدا، فقال رسول الله ﷺ: "ما ترى يا بن الخطاب"؟ قال: قلت: لا والله ما أرى الذي رأى أبو بكر، ولكني أرى أن تمكنني من فلان فأضرب عنقه، وتمكن حمزة من أخ له فيضرب عنقه، وتمكن عليا من عقيل فيضرب عنقه، حتى يعلم الله أن ليس في قلوبنا هودة للكفار هؤلاء صناديدهم وقادتهم وأمتهم، قال: فهوى رسول الله ﷺ ما قال أبو بكر، ولم يهو ما قلت أنا، فأخذ منهم الفداء"^(٤).

١ - الطبري، التاريخ (٤٣٥/٢)، البيهقي، دلائل النبوة (٣٤/٣)، ابن كثير، البداية والنهاية (١٦٠/٣)، ابن هشام، السيرة النبوية عن ابن إسحاق (١٩٠/٤)،
٢ - ابن سعد، الطبقات (١٤/٢)، ابن هشام، السيرة النبوية عن ابن إسحاق (١٩٠/٤)،
٣ - ابن هشام، السيرة النبوية عن ابن إسحاق (١٦٧/٢)،
٤ - مسلم، كتاب الجهاد، باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدر (٤٦٨٧).

فقد استشار النبي ﷺ أصحابه بشأن الأسرى وأخذ برأي أبي بكر على الرغم من أنه خلاف الأولى، وما ذلك إلا من أجل التأكيد على أهمية الشورى وضرورة العمل بها، وأن لسولي الأمر أن يرجح ما يراه مناسباً من الآراء بحسب علمه.

ومن الممارسات العملية للشورى في عهد النبي ﷺ مشاورته لأصحابه في غزوة أحد في المقام والخروج.

فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: "استشار رسول الله ﷺ الناس يوم أحد فقال: "إنسي رأيك فيما يرى النائم كأنني في درع حصينة، وكان بقرا تنحر وتباع، ففسرت الدرع المدينة والبقر بقرا والله خير، فلو قاتلتموهم في السكك فرماهم النساء من فوق الحيطان". قالوا: فيدخلون علينا المدينة ما دخلت علينا قط ولكن نخرج إليهم. قال: "فشأنكم" ثم قدموا قالوا: رددنا على رسول الله ﷺ رأيه، فاتوا النبي ﷺ ، فقالوا: يا رسول الله رأيك، فقال: "ما كان لنبي أن يلبس لأمة ثم يخلعها حتى يقاتل"^(١).

وقال الإمام البخاري: وشاور النبي ﷺ أصحابه يوم أحد في المقام والخروج فرأوا له الخروج، فلما لبس لأمة وعزم قالوا: أقم، فلم يمل إليهم بعد العزم وقال: "لا ينبغي لنبي يلبس لأمة فيضعها حتى يحكم الله"^(٢).

فقد نزل النبي ﷺ عند رأي الأغلبية في القتال خارج المدينة، في حين كان هو يفضل القتال داخل المدينة، على الرغم من أن الغالبية قد ندموا وطلبوا من الرسول ﷺ أن يمضي في تنفيذ رأيه إلا أن الرسول ﷺ رفض التراجع عن القرار، ولا شك أن في هذا تعليم للأمة وحث لها على اعتماد الشورى والأخذ بها فيما يهم الأمة الإسلامية، وأن القائد المسلم لا يتفرد باتخاذ القرار وحده.

كان النبي ﷺ من أكثر الناس استشارة لأصحابه، فكان يشاورهم عند إبرام المعاهدات، وعند اتخاذ قرارات الحرب ووضع الخطط الحربية وغير ذلك من الأمور التي تهم الجماعة المسلمة، ففي معركة الخندق فكر الرسول ﷺ في عقد معاهدة مع قبيلة غطفان من أجل إضعاف

١ - رواه الإمام أحمد، المسند، قال شعيب الأرنؤوط: صحيح لغيره وهذا إسناد على شرط مسلم (٣٥١/٣)، (٢٧١/١)، السنن الكبرى، كتاب التعبير، الدرع (٧٦٤٧)، سنن الدارمي، كتاب الرؤيا، باب في القمص والبيتر واللبن والغسل والسمن والتمر، وقل حسين سليم أسد: إسناده صحيح على شرط مسلم، (٢٠٦٥) ، عبد الرزاق، المصنف (٣٦٢/٥)، رقم (٩٧٣٥)، ورواه البخاري معلقاً "انظر: صحيح البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب قول الله تعالى " وأمرهم شورى بينهم".

٢ - رواه البخاري معلقاً انظر: صحيح البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب قول الله تعالى: " وأمرهم شورى بينهم".

صفوف المشركين، إلا أنه عدل عن رأيه هذا حينما استشار في ذلك سعد بن معاذ وسعد بن عبادة زعيما الأوس والخرج (١).

فصرف النبي ﷺ نظره عن إبرام هذه المعاهدة تقديرا لرأييهما.

وقد اعتاد النبي ﷺ أن يشاور المسلمين حينما يعزم على وضع خطة الحرب، ففي معركة الخندق مثلا تبني رأي سلمان الفارسي حينما أشار عليه بحفر الخندق حول المدينة المنورة لحمايتها من هجوم المشركين (٢).

وقد استشار النبي ﷺ نوفل بن معاوية الديلي ﷺ بشأن حصار الطائف مركز قبيلة ثقيف، حيث بقي حولها خمسة عشر يوما دون أن ينال منها، فقال ﷺ يا نوفل: "ما ترى في المقام عليهم؟ قال: يا رسول الله ثعلب في جحر، إن أقمت عليه أخذته، وإن تركته لم يضرك" (٣).

فقد أخذ النبي ﷺ بمشورة الديلي برفع الحصار عن قبيلة ثقيف، وهذا دليل على مدى اهتمام النبي ﷺ برأي أهل الخبرة.

وقد كان النبي ﷺ يستشير أهل الخبرة والمعرفة عند عزمه على تعيين الأمراء ومن ذلك ما روي عن زياد بن الحارث الصدائي ﷺ أن رسول الله ﷺ قال له: "دلتني على رجل من قومك أستعمله، فدلتته على رجل منهم فاستعمله" (٤).

وهذا الحديث يرشد إلى استشارة الإمام لذي الرأي من أصحابه فيمن يوليه (٥). فاستشار النبي ﷺ الحارث؛ لأنه من قبيلة صداة وهو من أدري الناس برجال قبيلته، فيعرف من يصلح للإمارة.

وقد استشار النبي ﷺ أصحابه عندما أمر المنذر بن ساوى على اليمن، فعندما أرسل إليه رسالة قال له فيها: "أما بعد فإن رسلي قد حمدوك" (٦).

فقد أمر النبي ﷺ المنذر بن ساوى على اليمن بعد أن سأل عن أحواله واستشار أهل المعرفة والخبرة بقدرته على الإمارة، فلما أشاروا عليه بذلك اختاره أميرا على اليمن.

واستشار النبي ﷺ أبا بكر وعمر رضي الله عنهما في اختيار أمير على بني تميم، فعن عبد الله بن الزبير قال: "قدم ركب من بني تميم على النبي ﷺ فقال أبو بكر: أمر القعقاع بن

١ - ابن سعد، الطبقات (٦٩/٢)، ابن هشام، السيرة النبوية (٧٢/٢).

٢ - ابن هشام، السيرة النبوية (١٠٥/٢).

٣ - الواقدى، المغازي بمسند عن أبي هريرة (١٠٩)، الطبري، التاريخ (٨٤/٣)، ابن كثير، البداية والنهاية (٣٥٠/٤).

٤ - زاد المعاد (٦٦٦/٣)، الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله (٣٥٨/٢)، السيرة الحلبية (٢٧٧/٣).

٥ - ابن القيم، زاد المعاد (٢٧٦/٣).

٦ - ابن سعد، الطبقات، (٢٧٦/١)، انظر فتح الباري (٢٦٢/٦).

معد بن زرارة. قال عمر: بل أمر الأقرع بن حابس، قال أبو بكر: ما أردت إلا خلافي، قال عمر: ما أردت خلافك، فتماريا حتى ارتفعت أصواتهما، فنزل في ذلك ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدُمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾^(١) حتى انقضت^(٢).

وكان النبي ﷺ عندما يبعث الأمراء يدعوهم إلى التشاور فيما بينهم ، فكانوا عند حسن ظن قائدهم بهم ، يعملون بالشورى ويحافظون عليها، وكانوا كلما حزبهم أمر يتشاورون فيه؛ للوصول لأرشد الأمور.

فعندما بعث النبي ﷺ محمد بن مسلمة وأصحابه لقتل كعب بن الأشرف أمره بأن يشاور سعد بن معاذ؛ لعمل خطة للقضاء عليه، فقال له النبي ﷺ "إن كنت فاعلا فلا تعجل حتى تشاور سعد بن معاذ"^(٣).

فلما شاوره، قال له سعد: "توجه إليه واشك إليه الحاجة، وسله أن يسلفكم طعاما"^(٤). وما طلب النبي ﷺ من محمد بن مسلمة ذلك إلا لبيان أهمية الشورى، وحثهم على الأخذ بها حتى في أيسر الأمور.

ومن المواقف التي وقعت فيها الشورى من أمراء النبي ﷺ ، وأيد القرآن الكريم ما توصلوا من قرار ما حدث في سرية عبد الله بن جحش ﷺ عندما أمره النبي ﷺ على سرية نخلة، عندما شاور أصحابه بشأن الاستيلاء على قافلة قريش وقتالهم في الأشهر الحرم^(٥).

فلم ينفرد عبد الله بن جحش باتخاذ القرار بشأن هذه القافلة بل جمع أصحابه وشاورهم فيما يفعل بهذه القافلة، واستقر رأيهم على قتل من قدروا عليه منهم، وأخذ غيرهم، وقد كانت نتائج هذه المشاورة ايجابية تصب في مصلحة المسلمين وقد حضيت بالتأييد من عند الله تعالى.

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّا جَاءْنَا بِبَيِّنَاتٍ لَّكُم مَّا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ۚ وَإِن تَرَوْهُ فَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَقْرَبَ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَمَّا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾^(٦).

فقد شاور عبد الله بن جحش أصحابه بشأن القافلة على الرغم من علمه أن القتال لا يجوز في الأشهر الحرم، وجاء قرارهم مخالفا للمعهود ولكنه كان قرارا موقفا، وهذا دليل على

١ - الحجرات: الآية (١).

٢ - البخاري، كتاب المغازي، باب وفد بني تميم (٤١٠٩).

٣ - ابن حجر، فتح الباري من رواية أبي الأسود عن عروة (٣٣٨/٧).

٤ - المرجع السابق (٣٣٨/٧).

٥ - انظر: ابن هشام، السيرة النبوية (١٨١/٢-١٨٢).

٦ - سورة البقرة: الآية (٢١٧).

أن الشورى من واجبات الأمراء والحكام، فلو كان القرار فردياً ربما جاتبه الصواب، ولكن قرار الجماعة كان صحيحاً أيده الله تعالى، وبعد تأييد الله تعالى أقرهم النبي ﷺ على فعلهم وأخذ العير والأسيرين.

نستنتج مما تقدم أن النبي ﷺ كان يلجأ للشورى عندما تستدعي مصلحة المسلمين ذلك وفي المسائل كافة، وما ذلك إلا من أجل الوصول إلى أفضل الآراء وأصوبها؛ للحفاظ على هبة الأمة وحمايتها من الأخطار التي تهددها، فقد أصل الرسول ﷺ الشورى في المجتمع المسلم بأقواله وأفعاله، وسار على هديه الصحابة والتابعون ومن تبعهم من سلف الأمة حتى أصبحت سمة الشورى بارزة من سمات المجتمع المسلم.

فكان ﷺ دائم المشورة لأصحابه وفي مختلف المسائل، فعن أبي هريرة ؓ قال: " مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَكْثَرَ مَشُورَةً لِأَصْحَابِهِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ " (١).

فهذا الحديث يدل على أن الشورى كانت موضع اهتمام المصطفى ﷺ وذلك لما لها من الآثار الإيجابية التي ترفع الأمة وتعلي شأنها.

وبعد أن انتقل الرسول ﷺ إلى الرفيق الأعلى، وقد ترك خلفه شريعة كاملة القواعد والأصول، تعين المسلم على مواجهة كل مشكلة من مشكلات الحياة التي تصادفه، فقد حمل الراية من بعده صحابته الأبرار رضوان الله عليهم أجمعين الذين وقفوا على نصوص الشريعة الغراء وقفة المؤمن الفطين الذي اتخذ من النبي ﷺ أسوة حسنة، فكان من بينهم الخلفاء الراشدون الذين ساروا على منهج النبي ﷺ، وعملوا على تطبيق نظام الشورى وإرساء قواعده. والمتتبع لسيرة الخلفاء الراشدين يجد الكثير الكثير من وقائع وممارسات الشورى فسي حياتهم العملية (٢).

ولا بد في نهاية هذا المطلب من ذكر شكل مجلس الشورى وصفات أهل الشورى، وفي ذلك يقول سيد قطب: "أما الشكل التي تتم فيه الشورى فليس مصبوحاً في قالب حديد، فهو متروك للصورة الملانمة لكل بيئة؛ لتحقيق ذلك الطابع في حياة الجماعة الإسلامية" (٣).

وبناء على ذلك فإن مجلس الشورى يتألف أعضاؤه حسب الحاجة الداعية إلى ذلك، فتارة يتكون من ذوي الرأي والخبرة، وطورا يتكون من جميع المسلمين الموجودين وقت المشاورة، وأحيانا يتألف من المتبوعين في قومهم كما في مسألة مصالحة النبي ﷺ غطفان، حيث

١ - الترمذي، السنن، كتاب الجهاد، باب المشورة، وقال الألباني: ضعيف بزيادة في المتن، (١٧١٤). البيهقي، السنن الكبرى (٢١٨/٩).

٢ - انظر: علي منصور، نظم الحكم والإدارة في الشريعة الإسلامية والقوانين الوضعية، دار الفتح للطباعة والنشر، ليبيا، ط٢، ١٣٩١هـ - (٢٧١). سعدي أبو حبيب، دراسة في منهاج الإسلام السياسي (٦١٢ - ٦٤٣).

٣ - قطب، سيد، في ظلال القرآن، (٢٣٣/١).

شاوَر السُّعْدِينِ إِذْ إِنِهَمَا زَعِيمَا قَبِيلَتِي الْأَوْسِ وَالخَزْرَجِ، وَتَارَةً يَكُونُ مُؤَلَّفَا مِنْ جُمْهُورِ الْأُمَّةِ كَمَا فِي مَشَاوِرَتِهِ ﷺ جُمْهُورِ الْمُسْلِمِينَ فِي الْخُرُوجِ يَوْمَ أُحُدٍ^(١).

ومن الخصال والشروط الواجب توفرها في المستشار:

أولاً: أن يكون ذا دين وتقى وأمانة، فإن من غلب عليه الدين فهو مأمون السريرة موفق العزيمة.

ثانياً: أن يكون ذا عقل كامل، وصاحب رأي وخبرة.

ثالثاً: أن يكون ناصحاً ودوداً، فإن النصح والمودة يصدقان الفكرة، ويمحضان الرأي.

رابعاً: أن يكون سليم الفكر من هم قاطع، وغم شاعل، فإن من عارضت فكره شوائب الهوموم لا يسلم له رأي، ولا يستقيم له خاطر.

خامساً: أن لا يكون له في الأمر المستشار غرض يتابعه، ولا هوى يساعده، فإن الأغراض جانبية والهوى صاذق، والرأي إذا عارضه الهوى وجاذبته الأغراض فسد، وكان ضرره راجحاً على نفعه^(٢).

ولعل أعظم الصفات، وأجلها الأمانة، وهي التي أبرزها النبي ﷺ، فعن أبي هريرة ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: "المستشار مؤتمن"^(٣).

وقال الإمام البخاري: "كان الأئمة بعد النبي ﷺ يستشيرون الأمانة من أهل العلم في الأمور المباحة؛ ليأخذوا بأسهلها فإذا وضح الكتاب أو السنة لم يتعدوه إلى غيره اقتداءً بالنبي ﷺ"^(٤).

قال الحافظ ابن حجر: "وأما تقييده بالأمانة فهي صفة موضحة؛ لأن غير المؤتمن لا يستشار، ولا يلتفت لقوله"^(٥). وفي ذلك دلالة على أن أهل العلم والخبرة والفكر لا يصلح للشورى منهم إلا الأمين، فإذا اجتمعت الأمانة والعلم في إنسان كان جديراً بالشورى، أما إن افترقا فلا؛ لأنه لا خير في علم، ولا خبرة بلا أمانة.

والله الموفق

١ - المرجع السابق، (٣٣٢/٦).

٢ - الماوردي، أبو الحسن طي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، أدب الدنيا والدين: تحقيق مصطفى المصطفى، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١٣٩٨ هـ (٢٨٨)، القاسمي، نظام الحكم: (٢٣٢).

٣ - ابن ماجه، السنن، كتاب الأدب، باب المستشار مؤتمن (٣٧٤٥)، أبو داود، السنن، كتاب الأدب، باب في المشورة، وقال الألباني: صحيح، (٥١٣٠)، الترمذي، السنن، كتاب الأدب، باب إن المستشار مؤتمن، وقال هذا حديث حسن، (٢٨٢٢)، الدارمي، السنن، قال حسين سليم أسد: إسناده حسن (٢ / ٢٨٨)، الحاكم، المستدرک علی الصحیحین، كتاب الأطعمة، وقال حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وتابعه الذهبي (٧١٧٨).

٤ - رواه البخاري معلقاً بنظر: البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب قول الله تعالى: "وأمرهم شورى بينهم".

٥ - فتح الباري (٤١٥/٣).

أهم النتائج

وفي ختام هذه الدراسة وبعد أن قمت بجمع الأحاديث النبوية الشريفة، ووقائع السيرة المشرفة من المصادر المختلفة، وتحليلها ووضعها في مظانها ضمن فصول تناسب الخطبة الموضوعية سابقا، فقد خلصت إلى جملة من النتائج يمكن إجمالها فيما يأتي:

أولاً: النظام جزء من هذا الدين، وداخل في كل أموره؛ لأن النظام يجمع الأشتات، ويتحقق به الأهداف والغايات، فالنظام سمة يتميز بها الإسلام منذ اللحظة الأولى؛ حيث يدخل في جميع جوانب الإسلام، فكان النبي ﷺ ينصب الأمراء والولاة من أجل حفظ النظام، ويعمل على إقرار مبدأ التفويض والإنابة، كالتأمير على الجيوش والسرايا، وتعيينه ﷺ لمن يدير المدينة ويدير أمورها في حالة غيبته عنها، وكلما فتح منطقة وضع أميراً عليها، وكانت الوفود تأتي إلى النبي ﷺ فيعين عليها أميراً من قبله؛ وذلك لحفظ النظام وتثبيت دعائم الدولة الإسلامية الجديدة.

ثانياً: أبانت هذه الدراسة مكانة الأمير في الجماعة المسلمة، وأنه الركن الأساسي لها، وبدونه تقع الفوضى والاختلاف فيها؛ لهذا كان النبي ﷺ يوصي بالرئاسة حيث يوجد العمل الجماعي، فكانت قاعدة عامة يطبقها في كل أحواله، حيث كان يدير الدولة بنفسه، ويشرف على شؤون الأقاليم البعيدة عن طريق استعمال عدد كبير من الأمراء ممن يجد فيهم الكفاءة من أصحابه. وكان يحرص على وجود أمير على الجماعة مهما كان حجمها، صغرت أم كبرت؛ وذلك حفاظاً على وحدتها وحماية لها من الاختلاف والنزاع.

ثالثاً: لم يسند النبي ﷺ الإمارة إلى شخص واحد بعينه، بل أسند الإمارة إلى عدد كبير من الناس، فبلغ عدد الأمراء العسكريين الذين نصبهم النبي ﷺ وشملتهم هذه الدراسة حوالي الأربعين أميراً، وأمراء البلدان والقبائل أربعة عشر أميراً، وتناوب على إمارة المدينة ثلاثة عشر أميراً، ومن هؤلاء الأمراء من جمع بين الإمارة العسكرية والمدنية، وقد أراد النبي ﷺ من ذلك تكوين خبرات قيادية وإدارية، عن طريق التجربة، والممارسة الفعلية للسلطة، تحت رقيبته المباشرة، من أجل تربية قيادات للمجتمع الجديد وللدولة الناشئة، وقد استطاع بذلك أن يربي جيلاً متميزاً من الأمراء والقادة المتميزين، ولما التحق بالرفيق الأعلى، خلف عدداً كبيراً من الأمراء العسكريين والمدنيين، كان لكل واحد منهم في ميدانه أثر عظيم، فمن بقي منهم بعد

حياة النبي ﷺ كان أميرا وقائدا تحت إمرة الخلفاء الراشدين، وهذا يدل على حكمة النبي ﷺ، وبعد نظره واستشرافه لمستقبل الدولة الإسلامية.

رابعاً: بيان أهمية حسن الاختيار، و تعيين الأحسن والأفضل، وبغير هذا يتسرب للقيادة من هو غير جدير بالإمارة.

خامساً: لم تجعل الشريعة الإسلامية عملية الاختيار خاضعة للشهوات والأهواء بل إن الاختيار لا بد من أن يكون وفق أسس ومعايير مدروسة، فقد تجاوز النبي ﷺ بعض الصفات التي كانت مطلوبة في القائد عند القبيلة العربية قبل الإسلام، فلم تعد القيادة وكفا على شيوخ القبائل، ومن تقدم به السن، بل صارت مفتوحة للجميع حسب مؤهلاتهم، واختيار الأمراء أصبح بناء على التزامهم بالإسلام عقيدة وشريعة، بالإضافة إلى اتصافهم بالكفاءة العلمية العالية والمهارات الفنية اللازمة التي تؤهلهم لقيادة الأمة، وكان يختارهم من الصالحين وأولي العلم والدين، ومن المنظور إليهم، ومن نوي الشخصيات المؤثرة في قبائلهم.

سادساً: كان للنبي ﷺ طريقة نادرة وأسلوب فذ في مجال الاختيار فكانت القاعدة التي يسير عليها "الرجل المناسب للمكان المناسب"، وقد التزم بذلك التزاماً حازماً في حياته كلها، وهذه القاعدة تعد من أهم الأسباب لانتصاره في أيام الحرب، وتميزه بالنجاح في أيام السلام.

سابعاً: ألزمت الشريعة الإسلامية ولي الأمر باختيار الكفاء، ووضع الرجل المناسب في المكان المناسب، والابتعاد عن محاباة الأقارب، أو أن تكون التولية والتعيين على أساس المصلحة الشخصية، ورهبت من ذلك أشد ترهيب.

ثامناً: أكرت السنة النبوية مجموعة من الحقوق للأمير، ومقابل هذه الحقوق أسندت إليه مجموعة من الواجبات، وطلبت منه القيام بها، ثم أكرت مبدأ المساءلة والمحاسبة.

تاسعاً: الإصلاح السياسي والإداري لا يتحقق للأمة إلا بالسير على نهج المصطفى ﷺ، وتطبيق الأسس والمعايير التي اعتمدها في اختيار الأمراء من أصحاب السلطة والقيادة.

الفهارس و الملاحق

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

فهرس الآيات القرآنية
مرتبة حسب ترتيب السور في القرآن الكريم

التسلسل	الآية	السورة	رقم الآية	رقم الصفحة
٠١	إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً	البقرة	٢٤٧	١٦٩، ١٦٢
٠٢	كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ	البقرة	٢١٦	١٧
٠٣	وَكُلُوا دَقِيقُ اللَّهِ النَّاسِ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ لَفْسَدَاتِ الْأَرْضِ	البقرة	٢٥١	٨
٠٤	يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ	البقرة	٢١٧	٢٢٥، ٢٥٢
٠٥	حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَزَّعْتُمْ فِي الْأَمْرِ	آل عمران	١٥٢	٢٠١
٠٦	فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ	آل عمران	١٥٩	١٦٣، ٢٤٦
٠٧	فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لئنِ لُنتُ لَهُمْ وَلَوْ كُنتُ فَظًّا	آل عمران	١٥٩	٢٤٦
٠٨	قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ	آل عمران	٦٤	١٥
٠٩	وَأذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلْفَ	آل عمران	١٠٣	١٤
٠١٠	وَتَنَادَوْا فِي الْأَمْرِ	آل عمران	١٥٩	٢٢٨
٠١١	إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ	النساء	٥٨	٢٣٥، ١٥٧
٠١٢	وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ	النساء	٢٩	٢٢٥، ٢٠٧
٠١٣	وَكُنْ يَجْعَلِ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَىٰ	النساء	١٤١	١٥٤
٠١٤	وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي	النساء	٨٣	٢٢٧
٠١٥	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ	النساء	٥٩	١٩٧، ١٥٤ ٢٣٠
٠١٦	فَلَا تَخْشَوْا النَّاسَ وَآخِشُوا وَلَا تَشْتَرُوا	المائدة	٤٤	١٦٧
٠١٧	وَلَا يَجْعَلِ اللَّهُ لَكُمْ شُرَكَاءَ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا	المائدة	٨	٢٣٥
٠١٨	قُلْ إِن صَلَاتِي وَنُسُكِي	الأنعام	١٦٣	١٥٤
٠١٩	أَتْلِفُكُمْ رَسُولَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ	الأعراف	١٦٨	١٥٨
٠٢٠	وَأَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتُ مَا فِي الْأَرْضِ	الأنفال	٦٣	١٤

١٥٨	٢٧	الأنفال	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ	٠٢١
١٤٩	١	التوبة	بِرَاءةٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ الَّذِينَ	٠٢٢
١٦٧	٤٧	يوسف	إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ	٠٢٣
١١	٥٥	يوسف	قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ	٠٢٤
٢٣٥	٩	النحل	إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ	٠٢٥
٢١٨	٢٩	طه	وَاجْعَلْ لِي زَوْجًا مِمَّنْ أَهْلِي	٠٢٦
١٧	٣٩	الحج	أَذْنِبَ لِلذَّنْبِ بِمَا ظَلَمُوا	٠٢٧
٨	٤٠	الحج	وَكَلَّا دَفَعَ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهَدَيْتَ	٠٢٨
٢١٨	٣٥	الفرقان	وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ زَوْجًا	٠٢٩
١٥٨	١٠٧	الشعراء	إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ	٠٣٠
١٦٢، ١٦٦ ١٥٨	٣٩	النمل	قَالَ عَفَرْتُ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ	٠٣١
١٠	٨٣	القصص	تِلْكَ الدَّارُ الْأَخْرَىٰ جَعَلْنَا لِلذَّنْبِ لَا	٠٣٢
١٦٦	١٢٦	القصص	يَا أَيَّتُهَا اسْتَأْجِرُوا إِن خَيْرٌ مِّنْ اسْتَأْجَرْتُمْ	٠٣٣
١٥٧، ٧	٧٢	الأحزاب	إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ	٠٣٤
٢٢٨	٢١	الأحزاب	لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ	٠٣٥
٢٧٤	٣٨	الشورى	وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ	٠٣٦
١٩٩	٣٢	الزخرف	أَمْ يَسْتَسِفُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ	٠٣٧
٢٥٢	١	الحجرات	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدُمُوا بَيْنَ	٠٣٨
٩١	٢٠	النجم	وَمِنَاءَ الثَّلَاثَةِ الْأُخْرَىٰ	٠٣٩
٢٣٠	٧	الحشر	وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا	٠٤٠

فهرس الأحاديث النبوية

مرتبة حسب الحروف الهجائية

الصفحة	الحديث	التسلسل
١١٤	أبلغا صاحبكما أن ربي تبارك وتعالى قد قتل	•
٢٠٨	أتيت النبي ﷺ ، فقلت: أبايعك	•
٢٤٣	أتيت عائشة أسألها عن شيء	•
١١٩	أخبروا مالكا أنه إن أتاني مسلما رددت إليه أهله	•
١٧٧، ٤٤	أخرج في هذه السرية، فقد استعملتك عليها	•
٢٨	أخرج يا سعد حتى تبلغ	•
١٣٤	ادع القوم فمن أسلم منهم فأقبل منه ومن لم	•
١٨١	إذا اجتمعتم على الأمير وإذا تفرقتما فكل واحد منكما على	•
٢١٩	إذا أراد الله بالأمير خيرا جعل له وزير صدق، إن نسي ذكره	•
٥	إذا خرج ثلاثة في سفر فليؤمروا أحدهم	•
٢٢٢	إذا رأيتم مسجدا أو سمعتم مؤذنا فلا تقتلوا أحدا	•
١٦٠، ٧	إذا ضيبت الأمانة فانتظر الساعة	•
٢٠	إذا نظرت في كتابي هذا فامض حتى تنزل نخله بين مكة	•
١٣٠، ١٢٩	أرحم أمتي بأمتي أبو بكر، وأشدهم في أمر الله عمر	•
٢٥٠	استشار رسول الله ﷺ الناس يوم أحد	•
٢٠٦	استعمل رسول الله ﷺ رجلا من الأسد	•
٢٢٢	اغزوا جميعا في سبيل الله، فقاتلوا من كفر بالله	•
٩٩	ألا تريحني من ذي الخلصة	•
٢٤٠، ٢٠٥	ألا كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته فالأمير الذي على	•
٢٢٠، ١٩٨	ألستم تعلمون أني رسول الله إليكم	•
١٥٥	أما بعد فإن رسلي قد حمدوك، وإنك مهما تصلح أصلح إليك	•
٢٢٠	أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى غير أنه	•
١٠٣	أمر رسول الله ﷺ في غزوة مؤتة زيدا بن حارثة	•
١٩٩	أمركم بثلاث وأنهاكم عن ثلاث: أمركم أن تعبدوا الله	•
٢١٥	أمرنا رسول الله ﷺ أن ننزل الناس منازلهم	•

٢١٢	أمرني النبي ﷺ عليهم وكتب لي كتابا بذلك	•
١٠٤	امض فإنك لا تدري أي ذلك خير	•
١٨٣، ١٠٣	أمير الناس زيد بن حارثة، فإن قتل فجعفر بن أبي طالب	•
٤٩	إن إخوانكم قد قتلوا وإنهم قالوا اللهم بلغ عنا	•
١٥٩	أن الأمانة نزلت في جذر قلوب الرجال ثم علموا من القرآن	•
١٩٩	إن السامع المطيع لا حجة عليه وإن السامع العاصي لا حجة	•
٢٢١	إن العرافة حق، ولا بد للناس من العرفاء	•
٢٢٠	إن الله سيهدي قلبك ويثبت لسانك، فإذا جلس بين يديك	•
٢٠٩	إن الله عز وجل رضي لكم ثلاثا، وكره لكم ثلاثا رضي لكم	•
٢٣٧	إن المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن	•
١٤٤	أن النبي ﷺ استخلف ابن أم مكتوم على المدينة يصلي	•
١٨٩، ٩٠	أن النبي ﷺ بعث خالد بن الوليد إلى أهل اليمن	•
٢٢١	أن النبي ﷺ استكتب عبد الله بن أرقم، فكان	•
٢٤٢	أن امرأة كان في عقلها شيء، فقال: يا أم فلان	•
١٠٧	إن تطعنوا في إمارته، فقد كنتم تطعنون في إمارة أبيه من قبل	•
١٥٥	إن ديني وسلطاني سيبليغ ما بلغ ملك كسرى، وينتهي إلى	•
١٠٩	إن رأيتمونا تخطفنا الطير فلا تبرحوا مكانكم هذا حتى أرسل	•
١٥	أن رجلا جاء إلى النبي ﷺ فقال: بأبي أنت	•
١٦٤	أن رسول الله ﷺ بعثه في ذات السلاسل، فسأله	•
٢٢١	أن رسول الله ﷺ قال حين أذن لهم المسلمون	•
١٠٧	أن رسول الله ﷺ بعث بعثا وأمر عليهم أسامة بن زيد	•
١١٣	أن رسول الله ﷺ بعث بكتابه إلى كسرى مع عبد الله بن حذافة	•
٢٣٧	إن شئتم أنباتكم عن الإمارة وما هي	•
١٨٠، ١٠٣	إن قتل زيد فجعفر، وإن قتل جعفر فعبد الله بن رواحة	•
٢١٥	إن من إجلال الله، إكرام ذي الشيبة المسلم، وحامل القرآن	•
١٠	إننا والله لا نولي على هذا العمل أحدا سأل	•
٨٨	انطلقوا فإنكم تجدون أكيدر دومة خارجا	•
٢٣٩، ١٢٩	إنك ستأتي قوما أهل كتاب، فإذا جئتهم فادعهم إلى أن يشهدوا	•
١٠	إنكم ستحرصون على الإمارة، وستكون ندامة	•
٢٥٠، ١١٧	إني رأيت فيما يرى النائم أنه أتى باب الجنة	•

١٢٩	إني قد بعثت عليكم من خير أهلي	•
٢٢١	إني لا أدري من أثن فيكم ممن لم ياذن	•
١٦٩، ٨١	إني لأؤمر الرجل على القوم فيهم من هو خير منه	•
١٧٠	إني لأبعث الرجل وادع من هو أحب إلي منه، ولكنه لعله أن	•
١٦٩	إني لأستعمل الرجل وغيره أحب إلي منه لأنه أيقظ عينا	•
٢٠٨	بايعت رسول الله ﷺ	•
٢٠٤، ٨٦	بعث النبي ﷺ خالد بن الوليد إلى بني جذيمة	•
٢٠٢	بعث رسول الله ﷺ سرية واستعمل عليهم رجلا	•
٣٧	بعث النبي ﷺ محمد بن مسلمة إلى ذي القصة	•
٤٧	بعث النبي ﷺ سرية عينا وأمر عليها عاصم	•
١٢٧	بعث رسول الله ﷺ أبا موسى ومعاذ بن جبل	•
١٩٢	بعث رسول الله ﷺ رهطاً واستعمل عليهم	•
٢٠٢، ٩٧	بعث رسول الله ﷺ علقمة بن مجزر المدلجي	•
١٧٠	بعث رسول الله ﷺ عمرو بن العاص في غزوة	•
٥٢	بعث رسول الله ﷺ إلى أبي رافع اليهودي رجلاً من الأنصار	•
٦٩	بعث رسول الله ﷺ بشير بن سعد في ثلاثين رجلاً إلى بني مرة	•
٤٠	بعث رسول الله ﷺ زيد بن حارثة إلى الطرف	•
٦٨	بعث رسول الله ﷺ سرية بإمرة عمر ؓ في ثلاثين رجلاً إلى	•
٧٤	بعث رسول الله ﷺ غالب بن عبد الله الكلبي، كلب بن عوف	•
٩٦	بعث رسول الله ﷺ جيشاً إلى القرطاء	•
٤٠	بعث رسول الله ﷺ زيد بن حارثة إلى بني سليم	•
٨٤	بعثنا رسول الله ﷺ إلى بطن إضم، أميرنا أبو قتادة	•
٢٣٢	بعثنا رسول الله ﷺ في سرية	•
٢٢٤، ٥٦	بعثنا رسول الله ﷺ وأمر علينا أبا عبيدة	•
٧	بينما النبي ﷺ في مجلس يحدث القوم جاءه	•
١٧٨، ٥٨	تجهز فإني باعتهك في سرية من يومك هذا، أو من غد إن شاء	•
٢٠٩	ثلاث لا يغفل عليهن قلب امرئ مؤمن: إخلاص العمل لله	•
٢٣٧	ثلاثة لا ترد دعوتهم: الإمام العادل، والصائم حتى يفطر	•
١٣٠	خذوا القرآن من أربعة	•
١٤٦	خلف رسول الله علياً بن أبي طالب، في أهله، وأمره بالإقامة	•

٨٢	خير الفرسان أبو قتادة وخير الرجال	•
٢٠٨	الدين النصيحة	•
٢٢٦	سبعة يظلمهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: الإمام العادل،	•
٢٢٢	سيروا باسم الله وفي سبيل الله. قاتلوا من كفر بالله	•
٤٣	غزوات مع النبي ﷺ سبع غزوات ومع زيد بن حارثة سبع	•
٦٦	غزونا فزارة وعلينا أبو بكر أمره رسول الله ﷺ علينا	•
١٥٥، ١٢٢	فإني أدعوكمما بدعاية الإسلام، أسلما تسلما، فإني رسول الله	•
٢٥١	قدم ركب من بني تميم على النبي ﷺ	•
٢٢٠	كان أصحاب القضاء من أصحاب رسول الله ﷺ	•
٢٤٢	كان رسول الله ﷺ يتخلف في المسير	•
٢٣١	كان رسول الله ﷺ إذا أمر أميراً على جيش أو	•
٢٣٢	كان رسول الله ﷺ إذا بعث جيوشه	•
١٩٤	كان رسول الله ﷺ جمع فيما بلغنا، لياذام	•
١٧٩، ١٢٠	كتب لهم رسول الله ﷺ كتاباً، وأمر عليهم عثمان	•
٢١٦	لا تعطه، يا خالد! لا تعطه، يا خالد! هل أنتم تاركون لي	•
٣٠	لا تكرهن أحداً من أصحابك	•
١٩١، ١٣٥	لا خير في الإمارة لرجل مؤمن	•
٢٠٢	لا طاعة في المعصية إنما الطاعة في المعروف	•
٢٠٣	لا طاعة لبشر في معصية الله	•
٥	لا يحل لثلاثة نفر يكونون بأرض فلاة	•
٢٢٨، ٢٥٠	لا ينبغي لنبي يلبس لأمته فيضعها حتى يحكم الله	•
	لأبعثن عليكم أمينا، حق أمين، فأشرف أصحابه	•
٣٢	لأبعثن عليكم رجلا ليس بخيركم، ولكنه أصبركم للجوع	•
٣٢	لأعطين الراية رجلا هو أصبر على الجوع والعطش	•
١٢٠، ١٧٨	لقد سألتني شيئا ما سألتني عنه أحد من أصحابك، اذهب فأنتم	•
٥٥	لكل أمة أمين، وإن أميننا أيتها الأمة أبو عبيدة بن الجراح	•
٢١٢	لما استعمل رسول الله ﷺ عتاب بن أسيد على	•
١٧١	لما بعثني رسول الله ﷺ إلى اليمن قال لي	•
١٤٢	لما خرج رسول الله ﷺ إلى خيبر	•
٨٥	لما فتح رسول الله ﷺ مكة بعث خالد بن الوليد إلى نخلة	•

١٨٤، ٩٢	لما فرغ النبي ﷺ من حنين بعث أبا عامر	•
١٠٢	الله أكبر خربت خيبر إنا إذا نزلنا بساحة	•
٢٠٤، ١٨٨، ٨٧	اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد	•
٢٠٧ ١٦٢	المؤمن القوي خير وأحب إلي الله من المؤمن الضعيف وفي	•
٢١٨	ما استخلف خليفة إلا له بطانتان بطانة تأمره بالخير وتحضه	•
٢٢٥، ٢١	ما أمرتكم بقتال في الشهر الحرام	•
٢١٨	ما بعث الله من نبي، ولا استخلف من خليفة إلا كانت له	•
٤٣	ما بعث رسول الله، ﷺ، زيد بن حارثة	•
١١	ما ذئبان جاععان أرسلنا في غنم أفسد لها من حرص المرء	•
	ما رأيت أحدا أكثر مشورة لأصحابه من رسول الله صلى الله	•
٢٤٤	ما كان الرفق في شيء إلا زانه	•
٩٦	ما لهم ؟ أذهب الله بعقولهم	•
٢٣٩، ٢٣٨	ما من أمير عشرة إلا يؤتى به يوم القيامة مغلول	•
٢٤١	ما من أمير يلي أمر المسلمين ثم لا يجهد لهم وينصح	•
٢٤١	ما من عبد يسترعيه الله رعية، فلم يحطها بنصحه	•
٢٢٠	ما من نبي إلا له وزيران من أهل السماء	•
٢١٩	ما من وال إلا وله بطانتان بطانة تأمره بالمعروف	•
٨٣	ما وافقت عندنا شيئا أعينك به	•
١٦٣	ما ينبغي لنبي أن يضع أدواته بعد أن لبسها، حتى يحكم الله بينه	•
٢٥٤	المستشار مؤتمن	•
٢١١	من أراد أن ينصح لسلطان بأمر فلا يبد له علانية ولكن ليأخذ	•
١٥٢	من استعمل رجلا من عصابة وفي تلك العصابة من هو	•
٢١٢	من استعملناه على عمل فزرقتاه رزقا فما أخذ بعد ذلك فهو	•
٢٠٦	من استعملناه منكم على عمل فكتمنا مخطئا	•
٢٣٠، ١٩٨	من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله	•
٢٠٣، ٩٨	من أمركم بمعصية منهم فلا تطيعوه	•
١٢٤	من صلى صلاتنا، واستقبل قبلتنا	•
٢١٣	من كان لنا عاملا فليكتسب زوجة، وإن لم يكن له خادم	•
٣٤	من لكعب بن الأشرف فإنه قد أدى	•
٢٠٩	من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم، و من لم يصبح ويمس	•

١٣٢	من هؤلاء القوم الذين كانتهم	•
٢٤٢	من ولاء الله عز وجل شيئا من أمر المسلمين فاحتجب دون	•
٦١	ندب رسول الله ﷺ الناس فانتدب له ثلاثون رجلا	•
١٢	نعم الشيء الإمارة لمن أخذها بحقها وحلها، وبس الشيء	•
١٩١، ١٣٥	هو ذلك فإن شئت فخذ، وإن شئت فدع، قلت: بل ادع	•
١٧٥	وأن ليس عليكم أمير إلا من أنفسكم	•
٤٣	وايم الله إن كان لخليقا للإمارة	•
١٦٦، ١٥٩، ١١١	يا أبا ذر إنك ضعيف وإنها أمانة وإنها يوم القيامة خزي	•
١٦٣	يا ابن الخطاب إنني رسول الله ولن يضيعني الله أبدا	•
١٠٦، ١٧٨	يا أسامة، سر على اسم الله وبركته حتى تنتهي إلى مقتل أبيك	•
٩	يا عبد الرحمن بن سمرة لا تسأل الإمارة فإن أعطيتها عن	•
١١٦	يا عتاب تدري على من استعملتك؟ استعملتك	•
٢٤٤، ١٢١	يا عثمان تجوز في الصلاة فإن في القوم الكبير والضعيف	•
٨٠، ١٧٨	يا عمرو اشدد عليك سلاحك وثيابك	•
١٧٣	يسرا ولا تعسرا وبشرا ولا تنفرا	•

فهرس الأمرء

حسب الحروف الهجائية

رقم الصفحة	الاسم	التسلسل
٧٥	أبن أبى العوجاء	•
١٠٥	أسامة بن زىء	•
١٤٣	أبن أم مكتوم	•
١١٣	بأذان الفارسى	•
٦٩	بشىر بن سعد	•
٦٦	أبو بكر الصءىق	•
٩٩	جرىر بن عبء الله	•
١٢٢	جىفر الجلندى	•
٢٤	حمزة بن عبء المطلب	•
٨٤	خالء بن الولىء	•
١٤٥	أبو رهم الغفارى	•
١١٠	الزبىر بن العوام	•
١٣٥	زىاء بن الحارء	•
١٤٠، ١٠٢، ٣٨	زىء بن حارئة	•
١٤٠	السائب بن عثمان	•
١٤٢	سباع بن عرفطة	•
٣٨	سعد بن أبى وقاص	•
٩١	سعد بن زىء	•
١٣٩	سعد بن عباءة	•
١٤٠، ٤٤	أبو سلمة بن عبء الأسد	•
٧٦	شجاع بن وهب	•
١١٥	شهر بن بأذان	•
١٣٦	صرد بن عبء الله	•
١١٧، ٩٥	الضحاك بن سفىان	•
٤٦	عاصم بن ثابت	•
٩٢	أبو عامر الأشعرى	•
٥٨	عبء الرحمن بن عوف	•
١٠٨	عبء الله بن جبىر	•
٢٩	عبء الله بن جحش	•
١٠٢، ١٤٤، ٦٠	عبء الله بن رواءة	•

٥١	عبد الله بن عتيك	•
٥٤	أبو عبيدة بن الجراح	•
٢٦	عبيدة بن الحارث	•
١٤٨، ١١٥	عتاب بن أسيد	•
١١٩	عثمان بن أبي العاص	•
١٤٣	عثمان بن عفان	•
٥٣	عكاشة بن محصن	•
٩٧	علقمة بن مجزر	•
٦٣	علي بن أبي طالب	•
٦٨	عمر بن الخطاب	•
٧٩	عمرو بن العاص	•
١٤٥	عوف بن الأصبط	•
٩٣	عينة بن حصن	•
٧٢	غالب بن عبد الله	•
١٣٣	فروة بن مسيك	•
٨٢	أبوقتادة بن ربيعي	•
١٣١	قيس بن الحصين	•
٦٢	كرز بن جابر	•
٧٨	كعب بن عمير	•
١٤١	أبو لبابة بن عبد المنذر	•
١١٨	مالك بن عوف	•
١٤٥، ٣٣	محمد بن مسلمة	•
١٢٨	معاذ بن جبل	•
١٢٣	المنذر بن ساوى	•
٤٨	المنذر بن عمرو	•
١٢٦	أبو موسى الأشعري	•
١٤٤	نميلة بن عبد الله	•

فهرس الأماكن والبلدان

حسب الحروف الهجائية

الصفحة	الأماكن والبلدان	الرقم
١٣٩	الأبواء	•
٨٤	إضم	•
١٩٣، ١٨٤، ٩٢	أوطاس	•
١٧٤، ٧٩، ٧٥، ٤٩، ٤٨، ٢٢	بئر معونة	•
١٧٥، ١٥٥، ١٢٥، ١٢٤، ١٢٣، ١٢١، ١١٩، ١١٢	البحرين	•
١٢٦، ١١٩	البصرة	•
١٠٦	البلقاء	•
٦٨	تربة	•
٧٠	جبار	•
٩٧	جدة	•
١٣٦	جروش	•
١٤٨، ١٢٣، ١١٩	الجعرانة	•
٤٠، ٣٨	الجموم	•
٧٠، ٥٤	الجناب	•
١٢٩	الجند	•
١٠٢، ٩٧، ٧٦، ٥٨، ٤٤، ٣٠	الحبشة	•
١٤٧، ٦٨، ٥٢	الحجاز	•
٤٢	حسمى	•
١٧١، ٢٨	الخرار	•
٨٣	خضرة	•
١٤٢، ٨٧، ٥٨	دومة الجندل	•
٧٩، ٧٨	ذات اطلاق	•
٩٩	ذو الخاصة	•
٥٧، ٥٥، ٣٧	ذي القصة	•
١٧١، ٧٩، ٢٧	رابع	•
٧٩، ٧٥، ٤٩، ٤٦، ٢٢	الرجيع	•
١٢٦	زبيذ	•
٩٦	الزج	•
١٤٠	سفوان	•
٧٠	سلاح	•
٧٧	السي	•

٣٦	ضريبة	•
٤٠	الطرف	•
١٢٦	عدن	•
٤٧	عُسقان	•
١٤٠	العشيرة	•
١٢٢، ١١٥، ١٢٠، ١١٩	عُمان	•
٤٠، ٢٥	العيص	•
٧٧، ٧٦، ٥٣	الغمر	•
٧٣، ٦٩، ٦٣	فدك	•
١٤٣	الفرع	•
٦٥	الفلس	•
٧٤	فديد	•
٣٩	القردة	•
٩٦، ٣٧، ٣٦	القرطاء	•
١٤٢	قرقرة الكدر	•
٦١	قرقرة ثبار	•
٤٤	قطن	•
٧٣	الكديد	•
١١٠	الليط	•
٩١	المشلل	•
٧٢، ٦٣	الميفعة	•
١٨٠، ١٦٠، ١٣١، ٨٨	نجران	•
٢٢٥، ١٩١، ٣١، ٣٠	نخلة	•
٦٤	الهمج	•
١٨٩، ٩٠	همدان	•
٦٦، ٤١	وادي القرى	•
٧٠	يمن	•

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر:

- ١- القرآن الكريم.
- ٢- ابن الأثير، أبو الحسن علي بن محمد الجزري (٦٣٠هـ)، أسد الغابة في معرفة الصحابة، تحقيق عادل أحمد الرفاعي دار إحياء التراث العربي - بيروت / لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ، ١٩٩٦.
- ٣- ابن الأثير، أبو الحسن علي بن محمد الجزري (٦٣٠هـ)، الكامل في التاريخ، طبع دار صائر، بيروت، ١٤٠٢هـ.
- ٤- ابن الأثير، أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري (٦٠٦هـ)، النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق طاهر أحمد الزاوي، ومحمود محمد الطناحي، القاهرة، ١٣٨٣هـ.
- ٥- ابن الأزرقي، أبو عبد الله بن الأزرقي (٨٩٦هـ) بدائع السلك في طبائع الملك، تحقيق وتعليق سامي النشار، من منشورات وزارة الإعلام، العراق، دار الحرية، بغداد، ١٣٩٧هـ.
- ٦- ابن إسحاق، محمد بن إسحاق بن يسار (١٥١هـ)، سيرة ابن إسحاق، المسماة بكتاب المبتدأ والمبعث والمغازي، تحقيق محمد حميد الله، دار الخاني للنشر والتوزيع، الرياض، بدون تاريخ، وتحقيق أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ٢٠٠٤م.
- ٧- البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم (٢٥٦هـ)، الأدب المفرد، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار البشائر الإسلامية - بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٩ - ١٩٨٩، والأحاديث مزيلة بأحكام الألباني عليها.
- ٨- البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم (٢٥٦هـ)، التاريخ الكبير، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٧هـ.
- ٩- البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم (٢٥٦هـ)، الجامع الصحيح، تحقيق مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، بيروت، (د.ت).
- ١٠- البزار: أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق العتقي (٢٩٢هـ)، البحر الزخار، تحقيق محفوظ الرحمن، مكتبة العلوم والحكم، بيروت، ط ١، ١٤٠٩هـ.
- ١١- البيهقي، أبو محمد الحسين بن مسعود (٥١٦هـ)، شرح السنة، تحقيق علي معوض. وعادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ.

- ١٢- البكري، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز الأندلسي (٤٨٧هـ)، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، تحقيق مصطفى السقا، ط٣، بيروت، عالم الكتب، ١٤٠٣هـ.
- ١٣- البلاذري، أبو العباس أحمد بن يحيى بن جابر (٢٧١هـ)، أنساب الأشراف، تحقيق محمد حميد الله، طبع دار المعارف، الطبعة الثالثة.
- ١٤- البلاذري، أبو العباس أحمد بن يحيى بن جابر (٢٧١هـ)، فتوح البلدان، تحقيق عبد الله أنيس الطباع، وعمر أنيس الطباع، طبع مؤسسة المعارف، بيروت، ١٤٠٧هـ.
- ١٥- البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين (٤٥٨هـ)، دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، تعليق عبد المعطي قلجعي، دار الكتب العلمية ط١، ١٩٨٥.
- ١٦- البيهقي: أحمد بن الحسين الخرساني، ت٤٥٨هـ، السنن الكبرى، تحقيق محمد عطا، دار الباز، مكة المكرمة، ١٤١٤هـ.
- ١٧- الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة (٢٧٩هـ)، جامع الترمذي، دار الإعلام، تحقيق عادل مرشد، عمان ط١، ٢٠٠١. ونسخة دار إحياء التراث العربي - بيروت، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، والأحاديث منبذلة بأحكام الألباني عليها.
- ١٨- ابن تيمية، أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم (٧٢٨هـ)، السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية، شرح ابن العثيمين، ط١، دار ابن الهيثم، ٢٠٠٥م.
- ١٩- الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمد النيسابوري (٤٢٩هـ)، فقه اللغة وسر العربية، تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الإبياري وعبد الحفيظ شلبي، القاهرة، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، بدون تاريخ.
- ٢٠- الجصاص، أبو بكر أحمد بن علي الرازي (٣٧٠هـ). أحكام القرآن: دار الكتاب العربي - بيروت.
- ٢١- ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي (٥٩٧هـ)، الوفا بأحوال ﷺ، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ.
- ٢٢- الجوهرى، أبو نصر إسماعيل بن حماد (٣٩٣هـ)، الصحاح، تاج اللغة وصحيح العربية، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، الطبعة الثانية، القاهرة ١٤٠٢هـ.
- ٢٣- ابن أبي حاتم، أبو محمد عبد الرحمن الرازي (٣٢٧هـ)، الجرح والتعديل، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدرآباد الدكن الهند، الطبعة الأولى.
- ٢٤- الحاكم: أبو عبد الله محمد بن عبد الله النيسابوري (٤٠٥هـ)، المستدرک، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ.

- ٢٥- ابن حبان، أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد البستي (٣٥٤هـ)، الثقات، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن الهند، ١٣٩٣هـ، الأولى.
- ٢٦- ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد البستي، صحيح ابن حبان، ترتيب ابن بلبان، تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٤هـ، ١٩٩٣م.
- ٢٧- ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد (٤٥٦هـ)، جمهرة أنساب العرب، تحقيق لجنة من العلماء، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ.
- ٢٨- ابن حزم: علي بن أحمد الأندلسي، ت ٤٥٦ هـ، جوامع السيرة، تحقيق إحسان عباس، مصر، دار المعارف، ط ١، ١٩٠٠م.
- ٢٩- الحلبي، علي بن برهان الدين (١٠٤٤هـ)، السيرة الحلبية (إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون)، طبع دار المعرفة، بيروت، لبنان، بدون تاريخ.
- ٣٠- الحموي، أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي (٦٢٦هـ): معجم البلدان، دار صادر، بيروت ط ١، ١٩٧٧م.
- ٣١- الحميري، محمد بن عبد المنعم، الروض المعطار خبر الأقطار (معجم جغرافي)، تحقيق إحسان عباس، مؤسسة ناصر الثقافية، دار السراج، بيروت، ط ٢، ١٩٨٠م.
- ٣٢- ابن حنبل، أحمد بن حنبل الشيباني (٢٤١هـ)، المسند، تحقيق شعيب الأرنؤوط، بيروت، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ.
- ٣٣- الخزاعي: علي بن محمد، ت ٧٩٨ هـ، تخرىج الدلالات السمعية من الحرف والصناعات والعمالات، تحقيق إحسان عباس، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط ١، ١٩٨٥.
- ٣٤- ابن خزيمة، محمد بن إسحاق أبو بكر السلمي النيسابوري، صحيح ابن خزيمة، تحقيق محمد مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٣٩٠-١٩٧٠.
- ٣٥- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (٨٠٨هـ): العبر وديوان المبتدأ والخبر، مقدمة ابن خلدون، دار الكتب العلمية ط ١، ١١٩٩٣، (١٨٧).
- ٣٦- ابن خياط، أبو عمرو خليفة بن خياط (٢٤٠هـ): التاريخ، تحقيق، تحقيق أكرم ضياء العمري، دار طيبة، الرياض، ط ٢، ١٤٠٥هـ.
- ٣٧- ابن خياط: الطبقات، تحقيق أكرم ضياء العمري، طبع دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ.

- ٣٨- الدارقطني، علي بن عمر (٣٨٥هـ): سنن الدارقطني، تحقيق عبد الله هاشم يماني، دار المحاسن للطباعة ١٣٨٦هـ.
- ٣٩- أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، سنن أبي داود، تحقيق وعناية محمد ناصر الدين الألباني وعادل مرشد وسليم عامر، دار الإعلام، عمان، ٢٠٠٣.
- ٤٠- الذهبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد (٧٤٨هـ): تاريخ الإسلام (قسم المغازي) تحقيق عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت ١٤٠٧ هـ، الطبعة الأولى.
- ٤١- الذهبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد (٧٤٨هـ): تلخيص المستدرک للحاكم، حاشية المستدرک.
- ٤٢- الذهبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد (٧٤٨هـ): سير أعلام النبلاء، تحقيق شعيب الأرنؤوط، وحسين أسد، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤٠١هـ، الطبعة الأولى.
- ٤٣- الرازي: محمد بن أبي بكر: ت ٦٦٦هـ، مختار الصحاح، دار الكتاب العربي، بيروت، ط ١، ١٩٧٩م
- ٤٤- الزبيری، أبو عبد الله المصعب بن عبد الله (٢٣٦هـ): نسب قریش، تحقيق ليفي بروفنسال، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٩٥١م.
- ٤٥- الزرقاني، محمد بن عبد الباقي المالكي (١١٢٢هـ): شرح المواهب اللدنية، دار المعرفة، بيروت ١٤١٤هـ.
- ٤٦- السجستاني: أبو داود سليمان بن الأشعث، ت ٢٧٥هـ، سنن أبي داود، تحقيق وعناية محمد ناصر الدين الألباني وعادل مرشد وسليم عامر، دار الإعلام، عمان، ط ١، ٢٠٠٣.
- ٤٧- السرخسي: محمد بن أحمد، ت ٤٩٠هـ، شرح كتاب السير الكبير، بيروت، دار الكتب العلمية، ط ١، ١٩٩٧م.
- ٤٨- ابن سعد، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع البصري (٢٣٠هـ): الطبقات الكبرى، طبع دار صادر، بيروت، بدون تاريخ.
- ٤٩- السلمي، أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن الدمشقي (٦٦٠هـ)، قواعد الأحكام في مصالح الأنام، دار الكتب العلمية، بيروت.
- ٥٠- السمهودي، نور الدين علي بن أحمد (٩١١هـ): وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى ﷺ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الرابعة ١٤٠٤هـ.

- ٥١- السهيلي : عبدالرحمن بن عبدالله ، ت ٥٨١هـ ، الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام ، تحقيق طه عبدالرؤوف ، بيروت ، ١٩٧٨م
- ٥٢- ابن سيد الناس، أبو الفتح محمد بن محمد (٧٣٤هـ): عيون الأثر في فنون المغازي والشمال والسير، تحقيق لجنة إحياء التراث العربي في دار الأفاق الجديدة، دار الأفاق الجديدة، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٢هـ.
- ٥٣- الشامي، محمد بن يوسف الصالحي (٩٤٢هـ): سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، تحقيق مجموعة من العلماء، طبع لجنة إحياء التراث الإسلامي في وزارة الأوقاف المصرية، القاهرة ١٤٠٤هـ.
- ٥٤- الشوكاني، محمد بن علي بن محمد (١٢٥٠هـ): فتح التقدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ط ٢ ، ١٩٦٤م ، مصر.
- ٥٥- الشوكاني، محمد بن علي بن محمد (١٢٥٠هـ): نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار شرح منتقى الأخبار، إدارة الطباعة المنيرية (١٢٨/٩).
- ٥٦- الشيباني ، محمد بن الحسن ت ١٧٩ هـ ، شرح السير الكبير ، تحقيق: صلاح الدين المنجد، مطبعة الإعلانات الشرقية، ١٩٧٠م.
- ٥٧- ابن أبي شيبة، عبد الله بن محمد الكوفي العبسي (٢٣٥هـ): الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، مكتبة الرشد، الرياض، ط ١، ١٤٠٩هـ..
- ٥٨- الصالحي : محمد بن يوسف الشامي ، ت ٩٤٢ هـ ، سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد ، تحقيق وتعليق عادل أحمد عبد الموجود ، علي معوض ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ط ١ ، ١٩٩٣م
- ٥٩- الصنعاني، محمد بن إسماعيل الكحلاني (١١٨٢هـ): سبل السلام شرح بلوغ المرام من جمع أدلة الأحكام لابن حجر، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الرابعة ١٣٧٩هـ.
- ٦٠- الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد (٣٦٠هـ)، المعجم الكبير، تحقيق حمدي السلفي، مكتبة العلوم والحكم، الموصل ، ط ٢ ، ١٤٠٤هـ .
- ٦١- الطبراني: سليمان بن أحمد ، المعجم الأوسط، دار الحرمين - القاهرة ، ١٤١٥هـ - تحقيق طارق بن عوض الله وعبد المحسن بن إبراهيم الحسيني .

- ٦٢- الطبراني: سليمان بن أحمد ، المعجم الصغير ، المكتب الإسلامي ، دار عمار بيروت - عمان ط١ ، ١٤٠٥هـ - تحقيق محمد شكور .
- ٦٣- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (٣١٠هـ): تاريخ الرسل والملوك، تحقيق أبي الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الرابعة، بدون تاريخ.
- ٦٤- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (٣١٠هـ)، جامع البيان من تأويل آي القرآن ، ط٣ ، البيهقي الحلبي ، القاهرة، ١٩٦٨
- ٦٥- ابن عاشور: محمد الطاهر : تفسير التحرير والتوير، ط١، مؤسسة التاريخ، بيروت ١٤٢٠هـ.
- ٦٦- ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله النمري (٤٦٣هـ): الاستيعاب في معرفة الأصحاب، بهامش كتاب الإصابة لابن حجر دار صادر
- ٦٧- ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله النمري (٤٦٣هـ): الدرر في اختصار المغازي والسير، تحقيق شوقي ضيف، القاهرة ١٣٨٦هـ، وطبعة مؤسسة علوم القرآن، دمشق، تحقيق مصطفى ديب البغا، الطبعة الثانية ١٤٠٤ هـ.
- ٦٨- الزرقاني، محمد بن عبد الباقي المالكي (١١٢٢هـ)، شرح المواهب اللدنية: دار المعرفة، بيروت.
- ٦٩- عبد الرزاق، أبو بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني (٢١١هـ): المصنف، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي - بيروت، ط٢ ، ١٤٠٣.
- ٧٠- أبو عبيد، القاسم بن سلام (٢٢٤هـ): الأموال، تحقيق محمد خليل هراس، دار الفكر، ومكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، الطبعة الثالثة ١٤٠١هـ.
- ٧١- ابن العربي، أبو بكر محمد بن عبدالله بن محمد (٥٤٣هـ)، أحكام القرآن: دار المعرفة، بيروت. ط١ .
- ٧٢- ابن عساکر، أبو القاسم علي بن الحسن الدمشقي (٥٧١هـ): تاريخ دمشق، تحقيق صلاح الدين المنجد، مطبوعات المجلس العلمي بدمشق ١٩٥١م، ومطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ١٩٨١م، تحقيق شكري فيصل، وسكينة الشهابي.
- ٧٣- العسقلاني : ابن حجر أحمد بن علي ، ت ٨٥٢ هـ ، الإصابة في تمييز الصحابة ، علي محمد البيجاوي، دار الجيل ، بيروت (د . ت) .
- ٧٤- العسقلاني : ابن حجر أحمد بن علي ، ت ٨٥٢ هـ ، تقريب التهذيب، تحقيق محمد عوامة، دار الرشيد، سوريا، حلب، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ.

٧٥- -العسقلاني : ابن حجر أحمد بن علي ، ت ٨٥٢ هـ - فتح الباري شرح صحيح البخاري، تحقيق الشيخ عبد العزيز بن باز، ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، دار السلام، الرياض، ط٣، ٢٠٠٠م.

٧٦- -العسقلاني : ابن حجر أحمد بن علي ، ت ٨٥٢ هـ - المحبّر، بيروت، ١٣٨٦هـ.

٧٧- -ابن فارس، لأبي الحسن أحمد بن فارس بن زكريا (٣٩٥هـ-)، معجم المقاييس في اللغة، دار الفكر، ط١، ١٩٩٤م.

٧٨- -الفيروزآبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي(٨١٧هـ-) :القاموس المحيط تحقيق مكتب التراث في مؤسسة الرسالة، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٧هـ.

٧٩- -الفيومي، احمد بن محمد. المصباح المنير ، بتصحيح مصطفى السقا، مطبعة مصطفى البابي الحلبي .

٨٠- -ابن قدامة،أبو محمد عبد الله بن أحمد بن محمد المقدسي(٦٢٠هـ-) :المغني، تحقيق محمود عبد الوهاب وعبد القادر أحمد عطا، مكتبة القاهرة، ط١١٣٨٩هـ.

٨١- -القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين (ت : ٦٧١ هـ-)،-الجامع لأحكام القرآن(تفسير القرطبي)تحقيق: هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة : ١٤٢٣ هـ / ٢٠٠٣م.

٨٢- -القزويني : ابن ماجه محمد بن يزيد ، ت ٢٧٣ هـ ، سنن ابن ماجه ، تحقيق وعناية محمد ناصر الدين الألباني ، ومشهور آل السلطان ، مكتبة المعارف الرياض ، ط ١ ، ١٤١٧ هـ.

٨٣- -القسطلاني، أحمد بن محمد (٩٢٣هـ-) :المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، تحقيق صالح الشامي، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٢ هـ.

٨٤- -قطب : سيد، في ظلال القرآن ، دار الشروق ، بيروت ، ط٩ ، ١٩٨٠م .

٨٥- -ابن القيم،أبو عبدالله محمد بن أبي بكرالزرعي الدمشقي(٧٥١هـ-) : زاد المعاد في هدي خير العباد، تحقيق شعيب الأرنؤوط،وعبد القادر الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة،بيروت،لبنان،بدون تاريخ، ومكتبة المنار الإسلامية، الكويت، الطبعة الخامسة عشر ١٤٠٧هـ.

٨٦- ابن القيم، بوعبدالله محمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي، إعلام الموقعين عن رب العالمين، طه عبد الرؤوف سعد دار الجيل - بيروت ، ١٩٧٣م.

٨٧- الكاساني، أبو بكر بن مسعود، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع: مطبعة الإمام، القاهرة.

٨٨- الكتاني : عبدالحى الكتاني ، نظام الحكومة النبوية (التراتيب الإدارية) ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، بدون تاريخ

٨٩- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر (٧٧٤هـ): البداية والنهاية، ، مكتبة المعارف، بيروت، (د،ت).

٩٠- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر (٧٧٤هـ): السيرة النبوية، تحقيق مصطفى عبد الواحد، دار المعرفة، بيروت، ١٩٨٣م.

٩١- الكلاعي : سليمان بن موسى ، الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء ، تحقيق محمد كمال ، عالم الكتب ، بيروت ، ١٤١٧ هـ

٩٢- الماوردي:علي بن محمد البصري ت ٤٥٠هـ: الأحكام السلطانية، تحقيق أحمد جاد،دار الحديث، القاهرة ٢٠٠٦م

٩٣- المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين (٣٤٦هـ): التنبيه والأشراف، مكتبة خياط، بيروت ١٩٦٥م.

٩٤- المناوي، العلامة محمد بن عبد الرؤوف المناوي (١٠٣١هـ): فيض القدير شرح الجامع الصغير، المكتبة التجارية الكبرى، مصر الطبعة الأولى ١٣٥٦هـ.

٩٥- ابن منظور، أبو الفضل محمد بن مكرم الأنصاري الأفرقي (٧١١هـ): لسان العرب، دار صادر، بيروت، بدون تاريخ.

٩٦- النسائي،أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي بن بحر(٣٠٣هـ): السنن الصغرى (المجتبى) طبع دار الحديث، القاهرة ١٤٠٧هـ. مكتب المطبوعات الإسلامية - حلب

الطبعة الثانية ، ١٤٠٦ - ١٩٨٦م، تحقيق : عبدالفتاح أبو غدة، والأحاديث منيعة بأحكام الألباني، عليها.

٩٧- النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي بن بحر (٣٠٣هـ): السنن الكبرى، تحقيق عبد الغفار سليمان البنداري، وسيد كسروي حسن، طبع دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١١هـ.

٩٨- النووي، أبو زكريا محي الدين يحيى بن شرف (٦٧٦هـ): المنهاج شرح صحيح مسلم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة، ودار المعرفة، بيروت، ط ٣، ١٩٩٦م.

٩٩- النيسابوري، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري (٢٦١هـ): صحيح مسلم، دار الجيل، بيروت، الأحاديث مشكلة وفقا لترقيم جمعية المكنز.

١٠٠- ابن هشام، أبو محمد عبد الملك بن هشام الحميري (٢١٨هـ): السيرة النبوية، تحقيق محمد السيد، ط ٢٠٠٧م، مكتبة الرحاب، القاهرة.

١٠١- الهيثمي، نور الدين علي بن أبي بكر (٨٠٧هـ): مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، طبع ونشر دار الفكر، بيروت، ١٩١٢م.

١٠٢- الهيثمي، نور الدين علي بن أبي بكر (٨٠٧هـ) كشف الأستار عن زوائد البزار على الكتب الستة: تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، ط ١، ١٣٩٩هـ مؤسسة الرسالة، بيروت.

١٠٣- الواقدي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن واقد (٢٠٧هـ): كتاب المغازي، تحقيق مارسدن جونز، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ، ٢٠٠٦م.

١٠٤- أبو يعلى، أحمد بن علي المثنى (٣٠٧هـ)، المسند، تحقيق حسين سليم أسد، دار المأمون، دمشق ١٩٨٤م.

ثانيا: المراجع الحديثة:

١- إبراهيم إمام: الإعلام الإسلامي، المرحلة الشفهية: مكتبة الأنجلو المصرية، ط ١، ١٩٨٠م.

٢- الأنسي، أحمد أحمد، البعثات التعليمية إلى اليمن، رسالة ماجستير، جامعة اليرموك.

٣- باشميل: محمد أحمد، غزوة مؤتة، دار الفكر، ط ٢، ١٩٩٩م.

٤- باشميل: محمد أحمد، فتح مكة، دار الفكر، ط ٢، ١٣٩٤هـ.

٥- البطوش، يحيى بشير، التخطيط العسكري في السنة النبوية: رسالة دكتوراة غير مطبوع.

٦- البلادي، عاتق بن غيث: المعالم الجغرافية في السيرة النبوية، دار مكة للنشر والتوزيع مكة المكرمة، الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ..

- ٧- البوطي، محمد سعيد رمضان: فقه السيرة، دار الفكر، الطبعة الثامنة، ١٤٠٠ هـ.
- الجنرال. أكرم، خالد بن الوليد، ترجمة العميد الركن صبحي الجابي، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٣٩٩ هـ.
- ٨- أبو الجود : محمد رشاد ، القيادة العسكرية في السنة النبوية ، رسالة ماجستير ، الجامعة الأردنية ، ١٩٦٩ .
- ٩- أبو حبيب: سعدي دراسة في منهاج الإسلام السياسي، مؤسسة الرسالة ط ١٩٨٥ م
- ١٠- حسن خالد، مجتمع المدينة، دار النهضة العربية، بيروت ١٩٨٠ م.
- ١١- حميد الله : محمد ، مجموعة الوثائق السياسية ، دار الرشاد ، بيروت ٢٠٠٢ ، ١٩٦٩ .
- ١٢- حوى، سعيد، فصول في الإمرة والأمير: ، دار عمار، بيروت، ١٩٨٨ م.
- ١٣- خطاب، محمود شيت: خالد بن الوليد، المكتب المصري الحديث، الطبعة الثانية ١٣٩٠ هـ
- ١٤- خطاب، محمود شيت: دروس عسكرية من السيرة النبوية، محمود شيت خطاب، وعبد اللطيف زايد، الناشر للطباعة والنشر، الطبعة الأولى ١٤١٠ هـ.
- ١٥- خطاب، محمود شيت، الرسول القائد ﷺ ، دار الفكر بيروت، الطبعة الخامسة ١٣٩٤ هـ
- ١٦- خطاب، محمود شيت: قادة فتح الشام ومصر، محمود شيت خطاب (١٦٢)، دار الفكر، بيروت.
- ١٧- خطاب، محمود شيت: القادة الشهداء في مؤتة، دار قتيبة للطباعة والنشر، طبعة الأولى ١٤١١ هـ.
- ١٨- خطاب، محمود شيت: قادة النبي ﷺ : دار القلم، ط ٢، ١٩٩٩ م، ٥٥- عرموش : أحمد راتب ، قيادة الرسول السياسية العسكرية ، دار النفائس ، بيروت ، ط ٣ ، ٢٠٠٢ .
- ١٩- الرشيد، عبد الله محمد، القيادة العسكرية في عهد الرسول ﷺ ، شركة الرياض، الطبعة الثانية، ١٩٩٧ م.
- ٢٠- حمد حسن رقيط المسؤولية الإدارية في الإسلام، الإمارات العربية المتحدة، دار ابن حزم، ط ١، ١٩٩٦ م.
- ٢١- أبو زيد، مصطفى: فن الحكم في الإسلام: ، القاهرة، دار الفكر العربي ١٩٩٣ م،
- ٢٢- أبو زيد، شلبي: سيف الله خالد بن الوليد، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثالثة ١٣٧١ هـ.

- ٢٣- الساعاتي، أحمد بن عبد الرحمن البنا: بلوغ الأمان في أسرار الفتح الرباني، هامش الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد، دار الشهاب القاهرة.
- ٢٤- السلم، يوسف إبراهيم. بحوث ودراسات عسكرية، دار المريخ ١٣٩٩هـ.
- ٢٥- سميث، بييري م: تولى المسؤولية دليل عملي للقادة، ترجمة عبد القادر عثمان (١٢٢).
- ٢٦- الشريف، أحمد إبراهيم: مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول ﷺ، دار الفكر العربي، القاهرة ١٩٦٥م.
- ٢٧- علي محمد الصلابي، السيرة النبوية، دار المتنبى، الأردن، إربد.
- ٢٨- ضميرية، عثمان جمعة، النظام السياسي في الإسلام، الشارقة، ط ١ ٢٠٠٧م.
- ٢٩- ظافر القاسمي. نظام الحكم في الشريعة والتاريخ الإسلامي، بيروت: دار النفائس. ١٩٧٧.
- (٥٢٦/١).
- ٣٠- عبد الكريم الخطيب. الخلافة والإمامة، مطابع دار الكتاب العربي بمصر القاهرة .
- ٣١- عزام، عبد الرحمن الرسالة الخالدة، دار الشروق، بيروت، ١٩٦٩م.
- ٣٢- العسلي : بسام ، خالد بن الوليد، بيروت، دار النفائس، ط ٤ ١٤٠١هـ .
- ٣٣- العظيم آبادي، أبو الطيب محمد شمس الحق: عون المعبود شرح سنن أبي داود، تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤١٥هـ.
- ٣٤- العقيلي :أحميد محمد الأثر والدلالات الإعلامية لرسائل النبي ﷺ إلى الملوك والقادة ، مطابع الشرق الأوسط ، الرياض، ط ١، ١٩٩٣م.
- ٣٥- علي : صالح أحمد ، دولة الرسول في المدينة ، دراسة في تكوينها وتنظيمها ، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر ، بيروت ، ط ١ ، ٢٠٠١ .
- ٣٦- علي منصور، نظم الحكم والإدارة في الشريعة الإسلامية والقوانين الوضعية: ، دار الفتح للطباعة والنشر، ليبيا، ط ٢.
- ٣٧- عماد الدين خليل: دراسة في السيرة، مؤسسة الرسالة، ودار النفائس، بيروت، الطبعة السادسة ١٤٠٢هـ.
- ٣٨- العمري: أكرم ضياء ، المجتمع المدني في عهد النبوة، ط ١، ١٩٨٤. ١٦٧
- ٣٩- العمري، أكرم ضياء ، السيرة النبوية الصحيحة، مكتبة العلوم والحكم بالمدينة المنورة، ١٤١٢هـ.

- ٤٠- العمري، أكرم ضياء، بحوث في تاريخ السنة النبوية المشرفة، مؤسسة الرسالة، بيروت ط، ١٩٧٥م.
- ٤١- العمري، بريك بن محمد بن بريك: السرايا والبعوث النبوية حول المدينة ومكة، دار ابن حزم، بدون تاريخ.
- ٤٢- العمري، محمد علي، دراسات في منهج النقد عند المحدثين، ط١، عمان، دار النفائس، ٢٠٠٠م.
- ٤٣- عواد: محمد، الجيش والقتال في صدر الإسلام، الزرقاء، مكتبة المنار، ط ١، ١٩٧٨ م
- ٤٤- أبو عيد، عارف خليل نظام الحكم في الإسلام، دار النفائس، ط ١، ١٩٩٦م.
- ٤٥- أبو عيد، عارف خليل، اختيار الحاكم في الدولة الإسلامية، دار النفائس.
- ٤٦- الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد: الاقتصاد في الاعتقاد، مكتبة النهضة، القاهرة.
- ٤٧- الغضبان، منير محمد: التربية الجماعية "سلسلة المنهج التربوي للسيرة النبوية"، الطبعة السابعة، ٢٠٠٦م، دار الوفاء، المنصورة.
- ٤٨- الغضبان، منير محمد: التربية السياسية، الطبعة السابعة، ٢٠٠٦م، دار الوفاء، المنصورة.
- ٤٩- الغضبان، منير محمد: فقه السيرة النبوية، مطبوعات معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى، مكة المكرمة، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ.
- ٥٠- الفهداوي، خالد، الفقه السياسي للوثائق النبوية، دار عمار، ط١، ١٩٩٨م.
- ٥١- قادري، عبد الله بن أحمد، الكفاءة الإدارية في السياسة الشرعية، دار المجتمع، ١٩٨٦م.
- ٥٢- قلعجي، محمد رواس، دراسة تحليلية لشخصية الرسول من خلال سيرته الشريفة، دار النفائس، ط١، ١٩٨٨م.
- ٥٣- الكعكي، يحيى أحمد، معالم النظام الاجتماعي في الإسلام، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨١م.
- ٥٤- الكرمي، حافظ أحمد عجاج، الإدارة في عصر الرسول ﷺ، دار الرسالة ٢٠٠٩م.
- ٥٥- كمال، أحمد عادل: الطريق إلى دمشق، دار النفائس، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٥هـ.

٥٦- مجدلاوي، فاروق، الإدارة الإسلامية في عهد عمر بن الخطاب: دار النهضة العربية، بيروت.

٥٧- محفوظ، محمد جمال، المدخل إلى العقيدة والإستراتيجية العسكرية الإسلامية: مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب بالقاهرة.

٥٨- محمد فرج: العبقرية العسكرية في غزوات الرسول ﷺ : ، ط٣ ١٩٩٧م، دار الفكر العربي .

٥٩- ياسين سويد: معارك خالد بن الوليد، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، بدون تاريخ.

٦٠- أبو يونس، محمد باهي، الاختيار على أساس الصلاحية للوظيفة في النظام الإسلامي: ط١، ١٩٩٩م.

قائمة المحتويات

الصفحة	الموضوع
د	الإهداء
هـ	الشكر والتقدير
و	الملخص
ز	المقدمة
٢	الفصل الأول: تمهيد في دراسة الإمارة
٣	المبحث الأول: تعريف الأمير.
٥	المبحث الثاني: أهمية الإمارة وضرورة وجود الأمير
٩	المبحث الثالث: طلب الإمارة.
١٣	المبحث الرابع: نشأة الإمارة في عهد النبي ﷺ.
٢٠	الفصل الثاني: الأحاديث الواردة في أنواع الإمارة في عهد النبي ﷺ.
٢١	المبحث الأول: الأمراء على السرايا والبعوث
٢٤	حمزة بن عبد المطلب
٢٦	عبدة بن الحارث بن المطلب
٢٨	سعد بن أبي وقاص
٢٩	عبد الله بن جحش الأسدي
٣٣	محمد بن مسلمة الأوسي الأنصاري
٣٨	زيد بن حارثة
٤٤	أبو سلمة بن عبد الأسد المخزومي
٤٦	عاصم بن ثابت بن أبي الأفلح
٤٨	المنذر بن عمرو الساعدي الخزرجي
٥١	عبد الله بن عتيك الأنصاري
٥٢	عكاشة بن محصن بن حريث الأسدي
٥٣	أبو عبيدة بن الجراح
٥٨	عبد الرحمن بن عوف الزهري
٦٠	عبد الله بن رواحة الخزرجي
٦٢	كُرْز بن جابر القرشي الفهري
٦٣	علي بن أبي طالب ﷺ
٦٦	أبو بكر الصديق ﷺ
٦٨	عمر بن الخطاب ﷺ
٦٩	بشير بن سعد الأنصاري الخزرجي
٧٢	غالب بن عبد الله الكناني الليثي
٧٥	ابن أبي العوجاء السلمي
٧٦	شجاع بن وهب الأسدي
٧٨	كعب بن عمير الغفاري
٧٩	عمرو بن العاص بن وائل
٨٢	أبو قتادة بن ربعي الأنصاري
٨٤	خالد بن الوليد بن المغيرة
٩١	سعد بن زيد الأنصاري الأشهلي

٩٢	أبو عامر الأشعري
٩٣	عبيدة بن حصن الفزاري الأعرابي
٩٥	الضحاك بن سفيان العامري الكلابي
٩٧	علقمة بن مجزز المدلجي
٩٩	جرير بن عبد الله البجلي
١٠١	المبحث الثاني: الأمراء على الجيوش
١٠٢	زيد بن حارثة
١٠٢	جعفر بن أبي طالب
١٠٢	عبد الله بن رواحة
١٠٥	أسامة بن زيد بن حارثة
١٠٨	عبد الله بن جبير الأوسي الأنصاري
١١٠	تامير خالد بن الوليد المخزومي على الميمنة في فتح مكة
١١٠	تامير الزبير بن العوام على الميسرة في فتح مكة
١١٠	تامير أبي عبيدة على المقدمة في فتح مكة
١١١	تامير سعد بن عباد على كتيبة الأنصار
١١٢	المبحث الثالث: الأمراء على البلدان
١١٣	بإذان الفارسي
١١٥	شهر بن بإذان
١١٥	عتاب بن أسيد القرشي الأموي
١١٧	الضحاك بن سفيان العامري الكلابي
١١٨	مالك بن عوف النصري
١١٩	عثمان بن أبي العاص الثقفي
١٢٢	جيفر وعبد ابني الجلندي
١٢٣	المنذر بن ساوى العبدي
١٢٦	أبو موسى الأشعري
١٢٨	معاذ بن جبل الخزرجي الأنصاري
١٣١	قيس بن الحصين الحارثي
١٣٣	فروة بن مسيك المرادي
١٣٥	زياد بن الحارث الصدائي
١٣٦	صدر بن عبد الله الأزدي
١٣٩	المبحث الرابع: الأمراء على المدينة المنورة
١٣٩	سعد بن عباد الأنصاري
١٤٠	السائب بن عثمان القرشي
١٤٠	أبو سلمة بن عبد الأسد المخزومي
١٤٠	زيد بن حارثة
١٤١	أبو لبابة بن عبد المنذر الأنصاري
١٤٢	سباع بن عرفطة الغفاري
١٤٣	عثمان بن عفان
١٤٣	ابن أم مكتوم
١٤٤	عبد الله بن رواحة
١٤٤	نميلة بن عبد الله الليثي

١٤٥	عوف بن الأضبط النيلي
١٤٥	أبو رهم الغفاري
١٤٥	محمد بن مسلمة الأوسي الأنصاري
١٤٨	المبحث الخامس: الأمراء على الحج
١٤٨	عتاب بن أسيد أمير
١٤٨	أبو بكر الصديق
١٥١	الفصل الثالث: الأحاديث الواردة في تعيين الأمراء وانتهاء ولايتهم
١٥٢	المبحث الأول: أسس اختيار الأمراء
١٥٤	المطلب الأول: الإسلام
١٥٦	المطلب الثاني: الكفاءة
١٥٦	أولاً: الأمانة
١٦١	ثانياً: القوة والقدرة على التنفيذ
١٦٧	ثالثاً: العلم والخبرة والبصر بالعمل
١٧٣	المطلب الثالث: مراعاة صفات خاصة
١٧٣	أولاً: مراعاة التخصص
١٧٤	ثانياً: مراعاة البيئات
١٧٧	المبحث الثاني: الأحاديث الواردة في أساليب تعيين الأمراء وانتهاء ولايتهم
١٧٧	المطلب الأول: الشفهي أو الكتابي
١٨٠	المطلب الثاني: الاشتراط في الإمارة
١٨٣	المطلب الثالث: العهد والتفويض في اختيار الأمير
١٨٣	تفويض الجماعة بتعيين الأمير
١٨٤	العهد والاستخلاف
١٨٦	المبحث الثالث: الأحاديث الواردة في طرق انتهاء ولاية الأمير
١٨٧	المطلب الأول: عزل الأمير
١٩١	المطلب الثاني: استعفاء الأمير
١٩٢	المطلب الثالث: الوفاة.
١٩٥	الفصل الرابع: الأحاديث الواردة في حقوق الأمير وواجباته
١٩٦	المبحث الأول: الأحاديث الواردة في حقوق الأمير
١٩٧	المطلب الأول: حقه في الطاعة
١٩٧	أولاً: وجوب الطاعة
١٩٩	ثانياً: أهمية طاعة الأمير وخطورة معصيته
٢٠٢	ثالثاً: حدود الطاعة
٢٠٢	ثالثاً: حدود الطاعة
٢٠٨	المطلب الثاني: بذل النصيحة له
١١٢	المطلب الثالث: حقه في النفقة
٢١٥	المطلب الرابع: حقه في الإجلال والمناصرة وعدم الطعن
٢١٨	المطلب الخامس: حقه في تنصيب معاونين
٢٢٣	المطلب السادس: حقه في الاجتهاد
٢٢٧	المطلب السابع: اتخاذ القرار النهائي وإلزام الناس به
٢٢٩	المبحث الثاني: الأحاديث الواردة في واجبات الأمير

٢٣٠	المطلب الأول: طاعة النبي ﷺ وحفظ وصاياه
٢٣٥	المطلب الثاني: العدل بين الناس
٢٤٠	المطلب الثالث: رعاية الناس والرفق بهم وإسداء النصيحة لهم
٢٤٦	المطلب الرابع: تطبيق الشورى
٢٥٥	أهم النتائج
٢٥٧	الفهارس والملاحق
٢٥٨	فهرس الآيات القرآنية الكريمة
٢٦٠	فهرس الأحاديث النبوية الشريفة
٢٦٦	فهرس أسماء الأمراء
٢٦٨	فهرس الأماكن والبلدان
٢٧٠	المراجع والمصادر
٢٨٣	فهرس المحتويات
٢٨٧	المخلص باللغة الإنجليزية

Abstract

This study has discussed the Emirs issue in the Era of the Prophet (peace be upon him) showing their rights and duties by the induction of the Hadiths collecting them from their sources and classifying them subjectively in order to access the Prophetic Sunna in choosing the Emirs , then applying this methodology in the real life so that the workers and employees were chosen depending on the principles and measurements studied away from the nepotism and favoritism . The nation was in need of the political , social , economical and administrative reformation , and this can be achieved if the appropriate man is put in the right place . In addition , they had to take care of the group welfare in choosing its Emir . Consequently , this thesis has come to show the bright side in this field by the Hadiths and Al-Seera events .

The researcher has collected the Prophetic Hadiths and Honorable Seera events from various sources , analyzing and putting them within the framework of the Emirs issue in the Era of the Prophet (peace be upon him) . Accordingly, this thesis consists of five chapters as well as introduction and conclusion , and some indexes and appendixes were also added .

In the first chapter , I explained the concept of the Emirs and the importance of Al-Emara for Muslims . I also showed the Prophet's methodology about warning people not to ask for Al-Emara if they had not enough abilities . In addition , I illustrated how Al-Emara was established in the Era of the Prophet (PBUH) .

In the second chapter which is about the types of Al-Emara , I showed that Al-Emara varies depending on the reason of Al-Tameer . As a result, it is divided into four types : Al-Emara on the detachments and armies , on the countries and tribes which embraced Islam , on the city regarding it as the centre of Islamic State and on Al-Haj .

The third chapter talks about the Hadiths which told us about designating the Emirs and the end of their principality. I also talked about the Prophetic Sunna in specifying the Emirs showing the principles , measurements and methods which were accredited by the the Prophet (PBUH) to choose the Emirs and how their principality was ended .

The fourth chapter is about the Hadiths discussing the Emir's rights and duties . I showed that the Prophet (PBUH) had given the Emirs several rights . Accordingly , they had to perform a lot of duties .

In the conclusion , I mentioned the most important results I have reached, and I put some recommendations .